

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الأستاذ الدكتور

محمد سعيد

محنا النحور رفحما المصفي البجوا المصفي



رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التَّحْوِيلُ الْمُصَفَّى

الأستاذ الدكتور
محمد سعيد

الناشر

عالم الكتب

عيد ، محمد .
النحو المصفى / محمد عيد : - ط 2 . لعالم الكتب - القاهرة :
2009 ،

592 ص : مج ؛ 24 سم
تدمك : 0 - 466 - 232 - 977
1- اللغة العربية - نحو
أ- العنوان
415.1

عالم الكتب

نشر. توزيع . طباعة

❖ الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 23924626
فاكس : 0020223939027

❖ المكتبة :
38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : 23926401 - 23959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدى : 11518

❖ الطبعة الثانية لعالم الكتب
1430 هـ - 2009 م

❖ رقم الإيداع 2005/13780
❖ الترفيم الدولى I.S.B.N
977- 232- 466-0

❖ الموقع على الإنترنت : WWW.alamalkotob.com

❖ البريد الإلكتروني : info@alamalkotob.com

« إني رأيت النحويين - رحمة الله عليهم - قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير ، فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أمّوا ، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا ، إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم ، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوه منها فتوعرت مسالكها ، ووهنت مبانيها ، وانحطت عن رتبة الإقناع حججها .

على أنها إذا أخذت المأخذ المبرأ من الفضول ، المجرد عن المماحكات والتخييل كانت من أوضح العلوم برهاناً ، وأرجح المعارف عند الامتحان ميزاناً »

(من كتاب : الردّ على النحاة)

لابن مضاء القرطبي

هذا الكتاب

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في أوائل السبعينيات ، وقد قبل منذ صدوره بالترحيب به والثناء عليه في الأوساط الأدبية والعلمية والتعليمية ، فأشاد به الأستاذ « أنيس منصور » في جريدة « الأخبار » ، وقدمه الصديق الأستاذ « محمد فهمي عبد اللطيف » للقراء في « يوميات الأخبار » ، وكتب عنه الدكتور « عبد العزيز الدسوقي » في مجلة « الهلال » ، ونوقش في ندوات متعددة على موجات الإذاعة المختلفة ، واشترك في هذه المناقشة أساتذة فضلاء متخصصون منهم الدكتور تمام حسان والدكتور كمال بشر والدكتور حسين نصار .

هذا بالإضافة إلى تزايد الإقبال عليه في كل أنحاء العالم العربي من الدارسين في الجامعات ومن المشتغلين بالكلمة في أجهزة الإعلام والقانون وغيرهما ومن المعلمين في المدارس بمراحلها المختلفة .

وإني لأقدم شكرى الصادق والعميق لكل الكتاب والعلماء الذين تفضلوا بالدعوة للإفادة من هذا الكتاب ، وكذلك لكل الذين وجدوا فيه ما يفيدهم من الدارسين والطلاب ... لهم جميعاً كل حبي واحترامى .

ومع أن لى كتباً كثيرة غير هذا الكتاب ، فقد اشتهرت به ، حتى اقترن باسمى ، وصرث أعرف به ، فيقال « مؤلف النحو المصفى » إذا ما ذُكرت في ملاء من أهل العلم أو الأدب .

وقد دعانى كل ذلك إلى موالاة إصداره ، مع معاودة النظر فى مادته العلمية ، مما لا يخرج عن هدفه فى (خدمة نطق اللغة) ولا عن اسمه (النحو المصفى)
﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾

[سورة الرعد الآية : ١٧] .

محمد عيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

عاشت صورة هذا الكتاب فى عقلى ووجدانى زمنا طويلا ، وكانت هناك مجموعة أسباب تعاونت جميعا على هذه المعاشة الطويلة ، ثم دفعت أخيرا إلى تنفيذه بعد أن هتأت نفسى لأهلية تأليفه ، ورسمت خطته التى التزمتها فى كل أبوابه وأفكاره - وهذه المقدمة ينبغى أن توضح للقارئ - بإيجاز - الجانبين السابقين من دوافع التأليف والنهج الذى التزمته فى تنفيذ هذا المؤلف .

من هذه الأسباب أن طول الصحبة لكتب مسائل النحو القديمة - مطولة ومختصرة ، نثرا ونظما - تؤكد لدى كل منصف أن هذه الكتب صعبة الفهم على الشّاديين فى النحو ، بل إن بعضها يتعذر استيعابه على الدارسين المتخصصين أنفسهم ، وذلك لامتلائها بالحشو والفضول ، أو كما يقول ابن مضاء : « بالمماحكات والتخييل ، ففيها حشود من المجادلات الذهنية العقيمة ، وألوان من العلل والعوامل التى يسوغها منطق العقل لا منطق اللغة ، يضاف لذلك كله تخرجات مجهدة واستطرادات شتى وفروع من المسائل متفرقة وغير ذلك ، مما ينطمس معه وجه النحو الأصيل تحت ركام المزيف الدخيل » .

لذلك أحسست - بعد طول الصحبة مع هذه المؤلفات - أن هذا الجهد المشكور للنحاة - رحمهم الله - بعضه مفيد للغة ، وبعضه طفيلى معوق عن الوصول لما هو مفيد ، بل إن هذا الأخير هو الغالب على مطولات النحو من مؤلفات المتأخرين . ورأيت أن الواجب بذل جهد مخلص لتخليص المفيد من الطفيلى المعوق والإبقاء على « نحو اللغة » لا « نحو الصنعة »

ومن هذه الأسباب أن تخصصى فى الدراسات العليا هيا لى - بكل ظروفه - أن أعيش القضية السابقة فى وجهيها الأصيل والدخيل درسًا وتقويمًا وموازنة ، وكان مجال ذلك كله « منهج النحو العربى » أو بعبارة أخرى : الأسس التى أحكمته وتحكمت فيه ، مما كشف لى بطريقة علمية محددة ما كنت أحس به من قبل غائما غير محدد ، فتعرفت - على قدر جهدى واجتهادى - على مسار

التفكير فى النحو ، وكيف نما وتعدّد . ثم كان لى من ذلك كله موقف علمى يستند إلى الدراسات اللغوية الحديثة أعاننى على فهمه أستاذى العالم الجليل الدكتور « تمام حسان » ولم يكن قوام هذا الموقف النقد فقط ، بل النقد والتصحيح ، لم يكن قوامه تشخيص الداء وحده ، بل تشخيص الداء والدواء جميعاً ، هذا مع التعاطف التام مع كل ما فى كتاب النحو العربى من أصيل صحيح ورفض ما هو طفيلى مزيف .

صار الإحساس الغائم إذن حقيقة محددة ، وأصبحت الشكوى الممرورة منهجاً مدروساً « وانتهت مرحلة الرفض الانفعالى المهورش ، وبدأت مرحلة الفهم المتزن المدروس ، وخرجت من دخان الظنون والتخمين إلى مناخ أقرب ما يكون إلى التحديد واليقين ، فازددت اقتناعاً بضرورة تصفية النحو من أوشابه وعلاجه من أوصابه والكشف عن وجهه الصحيح المشرق » .

وفى أثناء ذلك كنت أعيش التجربة فى صورة أخرى غير صورة الكتب القديمة والمنهج ، كنت أعيشها مع الدارسين المتخصصين من طلاب اللغة الذين يجأرون بالشكوى كل حين من النحو وصعوباته التى تتمثل فى تشتت أفكاره وكرازة عرضه ، وتجمد أمثله ، وغرابة شواهد ، وتهافت الكثير منها ، مما يترتب عليه تلقائياً التمزق والتلملل والكراهية والشكوى المستمرة ، مع أن هؤلاء الحانقين الشاكين هم الذين سيجملون - فيما بعد - أمانة تعليم اللغة للصغار والكبار فى العالم العربى ومسئولية الكلمة المكتوبة والمنطوقة فى حياتنا الأدبية والعلمية .

وفى هذا التصوير السابق للشكوى والتذمر كثير من الحق مع الأسف !! وهو أحد الأسباب التى دفعتنى للخروج من الاقتناع الفكرى المجرد إلى التصميم العملى على تأليف هذا المكتوب « النحو المصفى » ملتزماً فى تأليفه النهج التالى :

١ - قبل كتابة أى موضوع « كالحال مثلاً » أراجع كثيراً من كتب مسائل النحو القديمة كشروح الألفية ومؤلفات ابن هشام وغيرهما للإحاطة التامة بكل أفكار الباب كما عرضته هذه المصادر الأصيلة .

٢ - بعد ذلك - بتصفية ما لا فائدة فيه وما لا ضرورة له من تركيبات المجدالات الذهنية والاستطرادات الجانبية والتمارين غير العملية والمسائل

المقحمة فى غير موضعها وفلسفات العوامل والخلافات حولها والعلل والتعللات والتخريجات الظنية وغير ذلك مما لا يفيد نطقاً وأساء إلى كتاب النحو العربى ، وعوق فهمه وأطال نصه ، لىبقى بعد ذلك جوهر الموضوع وخطه الواضح الأصيل .

ولا حاجة بى إلى القول بأن هذه التصفية تتم فى إطار منهج مدرّوس - وإن كان غير منظور - هو ما أفدته فى دراستى العليا للماجستير والدكتوراه ، فهى تصفية مضبوطة لا مندفة ، واعية لا عشوائية .

وسيجد القارئ فى بعض الأحيان هزاً لبعض المسائل التقليدية ونقضا لها مع ذكر الرأى فيها بعد عرضها فى إيجاز شديد كما قررها النحاة - رحمهم الله - وهذا عمل متعمد وراءه منهج علمى مدرّوس ، وهو فى الوقت نفسه جانب من جوانب التصفية التى استهدفها هذا الكتاب ومؤلفه .

٣ - نظمت الأفكار المصفاه للموضوع - كل موضوع - بطريقة تصل إلى الذهن متكاملة ، ومن أقرب طريق ، وقدمت هذه الأفكار المنظمة ملخصة فى سطور قليلة عند بدايته لتقدم للقارئ بنظرة واحدة سريعة ما هو قادم عليه من دراسة الباب كله .

٤ - عرضت الأفكار - بترتيبها فى مقدمة الباب - بأسلوب سهل مساو لا كزازة فيه ولا غموض ولا تزيد ، أسلوب مفهوم معاصر واضح لا يقف أبداً حاجزاً بين القارئ وفهم الأفكار ، فلا يضيع منه أى جهد فى غير الفهم نفسه .

٥ - استخدمت أمثلة حديثة « بدل زيد وعمرو » تنمى عقل الدارس وتصلق وجدانه وتزيد خبرته ، وتقربه من لغة الحياة المعاصرة وما تعبر عنه من ثقافة وتجارب ، بالإضافة إلى مهمتها الأساسية فى إفهام القواعد دون تكلف أو صنعة ، وكثيراً ما بدأت بتلك الأمثلة بين يدى الأفكار ، لتكون وسيلة الاستقراء والاستنتاج ، للتخفيف من منهج عرض النحو المعيارى الجاف .

ومع ذلك التزمت - أثناء عرض الأفكار - ذكر ثروة النحو من الشواهد نثراً وشعراً إلا ما تهافت نصه أو أدى إلى مجادلات لا طائل وراءها ، وفى بعض الأحيان لا أقصر على تقديم الشاهد يتيماً ضائع المعنى ، بل أقدمه ضمن مقطوعته التى توضح معناه ، وتعطف الدارس إليه .

٦ - وضعت بعد كل قسم مجموعة من النصوص للتدريب ، اخترتها من الأدب العربي القديم نثرًا وشعرًا ، ووراء هذا الاختيار مضمونها الراقى إنسانيا واجتماعيا ، ووضعت بعد كل منها أسئلة لم أقدم حلها ، وهذه الأسئلة لتطبيق قواعد القسم الذى جاءت بعده على النص ، ليكون حلها وسيلة الفهم والمراجعة والتطبيق .

وبعد : فقد يكون الكلام السابق أهون الأشياء إذا مر عليه القارئ مرًا سريعًا وهو يتجشأ أو يتشاءب ، ولكنه - فى حقيقة الأمر - أصعب الأشياء إذا ما تصورنا أن خطاه تنقلت عبر أكثر من سبعمائة صفحة هى بحجم هذا الكتاب ، وأنه جشمنى من الجهد والإجهد ما أهبه خالصًا لوجه الله تعالى ثم العلم .

وإنى لأدعو الله أن ينتفع به القارئ قدر ما تعبت فيه !! وأن يتحقق المرجو منه بقدر نبل الهدف من تأليفه ﴿ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [سورة هود الآية : ٨٨] .

القاهرة فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٧١

محمد عيد

النحو المصفى

المحتوى :

- القسم الأول : تمهيد لدراسة الجملتين الاسمية والفعلية .
- القسم الثانى : الجملة الاسمية .
- القسم الثالث : الجملة الفعلية .
- القسم الرابع : ما يتعلق بالجملتين الاسمية والفعلية .
- القسم الخامس : دراسة لأبواب خاصة فى النحو .



القسم الأول تمهيد لدراسة الجملتين الاسمية والفعلية

يشمل ذلك ما يلي :

- أولا : الكلمة والكلام .
- ثانيا : الإعراب والبناء .
- ثالثا : النكرة والمعرفة .

الكلمة والكلام

- (١) المقصود بالكلمة لدى النحاة - وإطلاقها أحياناً على الكلام .
- (٢) صور الكلمة العربية (الاسم - الفعل - الحرف) معناها - علاماتها .
- (٣) المقصود بالكلام لدى النحاة - والفرق بينه وبين الكلم .
- (٤) صور الكلام العربى وحصرها فى الجملتين الاسمية والفعلية .

* * *

معنى الكلمة :

البُشْرَى - اليُسْر - السُّهولة - العُذْب - بَشَّر - يَشِّر - سَهَّل - عَذَّب - نَعَم - أَجَلَ - مِنْ - لَيْتَ - لَعَلَّ .

كل من الألفاظ السابقة يطلق عليها « كلمة » سواء أكانت اسماً أم فعلاً أم حرفاً .

لكن ينبغي قبل الفهم النظرى للمقصود بالكلمة لدى النحاة التعرف على ما يقصد بالكلمات (اللفظ - القول - المفرد) .

فاللفظ : هو النطق المشتمل على بعض الحروف سواء أكان هذا المنطوق له معنى أم لم يكن .

فالكلمات (نبه - رائع - المقتحِف - الثَّرَان) كلها ألفاظ ، ومن البين أن للأولين معنى ، أما الأخيرتان فلا معنى لهما .

والقول : هو النطق الدال على معنى فقط ، فالكلمتان (نبه - رائع) قول - أما الكلمتان (المقتحِف - الثَّرَان) فليستا من القول فى شيء .

والمفرد : يقصد به هنا ما لا يدل جزؤه على جزء معناه ، فمثلاً كلمة (عَذَّب) مكونة من حروف ثلاث هى (ع . ذ . ب) فلو أخذ كل منها مستقلاً ما دل على شيء من العذوبة التى تفيدها الكلمة مجتمعة الحروف .

وعلى هذا يمكن فهم التعريفين التاليين للكلمة ، وهما يمثلان تحديد الكلمة لدى معظم النحاة .

جاء فى ابن عقيل : « الكلمة هى اللفظ الموضوع لمعنى مفرد » . ا . هـ .

وجاء فى قطر الندى : « الكلمة قول مفرد » . ا . هـ .

وهذان التحديدان متساويان تمامًا ؛ لأن (اللفظ الموضوع لمعنى) تساوى تمامًا (القول) .

والمهم من ذلك كله أن الكلمة - وستتردد كثيرا فى دراستنا - تطلق على ما له الصفات التالية مجتمعة :

(أ) النطق ، فدراسة النحو كلها تقوم على النطق فعلا لا على الخط أو غيره من الأمور الدالة .

(ب) أن يكون هذا النطق دالا على معنى ، فلا علاقة لنا إذن بما لا معنى له من الهراء أو الألفاظ المشوهة .

(ج) المفرد - كما حدد فيما سبق - فإن النطق المركب له موقف آخر سيأتى فى الحديث عن الكلام .

هذا التحديد السابق هو المعنى المشهور « للكلمة » لغة ونحوا ، لكنها قد تستخدم عن طريق المجاز البلاغى دالة على كلام كثير جملة أو عبارة أو قصيدة أو خطبة - فلنتأمل ما يلى :

• قول الله تعالى فى حديث عن الكافر : ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٠٠﴾ لَعَلِّيْ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ [الآية ٩٩ من سورة المؤمنون] .

• قول القرآن : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [الآية ١١٩ من سورة هود] .

• ما روى عن الرسول ﷺ من قوله : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ » . (١)

(١) صحيح مسلم - الجزء الرابع - كتاب الشعر .

ومن البين أن حديث الرسول ﷺ قد أطلق على هذا البيت أنه « كلمة صادقة » لما تضمنته من معنى

حكيمة خلاصته « أن الله هو الحقيقة الباقية ، وكل شيء غيره باطل ، وكل نعيم لا محالة زائل » .

والاستشهاد بالحديث كله - نثرا وشعرا - هو إطلاق (الكلمة) على بيت شعري كامل .

• ويتدرد بيننا كثيرا قولنا : (بدأ الحفل وتوالى الخطباء يلقون كلماتهم) .

صور الكلمة العربية :

أسماء	الإحسان - الجميل - الشكر - خير - محبة - جمال
أفعال	أحسن - شكر - يُجَامِل - يُواسي - اصْنَع المعروف
حروف	من - إلى - فى - ليت - لم - هل

الكلمة العربية تأتى فى صور ثلاث : (اسم - فعل - حرف) .

جاء فى قطر الندى : « الدليل على انحصار أنواع الكلمة فى هذه الثلاثة « الاستقراء » فإن علماء هذا الفن تتبعوا كلام العرب ، فلم يجدوا إلا ثلاثة أنواع ، ولو كان ثَمَّ نوع رابع لعثروا على شىء منه ا. هـ .

فالنظر فى الكلام العربى وملاحظته وتصنيفه هو ما يطلق عليه « الاستقراء » والاستقراء هو الأساس الذى أدّى إلى معرفة أن الكلمة العربية أنواع ثلاثة : اسم وفعل وحرف ، وينبغى التعرف على كل من هذه الأنواع الثلاثة تعرفا كاملا من ناحيتين :

(أ) تحديد معناه .

(ب) علاماته التى يعرف بها .

الاسم :

يقصد به : ما دلّ على معنى فى نفسه ، وليس الزمن جزءا منه ، مثل : (محمد - خالد - الندى - الزرع - البهجة) .

والعلامات التى يتميز بها الاسم عن كل من الفعل والحرف خمس هى :

(١) الجر : مثل قولنا (عَلَى الباغى تدورُ الدوائر) .

(٢) التنوين : مثل (قوةٌ خيرٌ من ضعف ، وصراحةٌ خيرٌ من نفاق) .

(٣) النداء : مثل (يا محمد - يا خالد) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا

النَّبِيُّ ﴾ [الآية ١ من سورة التحريم] وقوله : ﴿ يَنْبُحُ أَهْطُ بِسَلَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ ﴾

[الآية ٤٨ من سورة هود]

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ^(١)

(٥) الإسناد للاسم : بمعنى أن يكون الاسم متحدثاً عنه ، بأن يكون مثلاً مبتدأً وله خبر يتحدث عنه به ، أو أن يكون فاعلاً أو نائب فاعل ويتحدث عنه بالفعل ، كقولنا : (أخذتُ موضعي بين شبابِ الوطنِ فنحن جميعاً مسئولون عن مستقبله) فالتاء في (أخذتُ) اسم ، دلَّ على ذلك إسناد الفعل (أخذ) إليها ، والضمير (نحن) اسم ، دلَّ على ذلك أيضاً الإسناد إليه ، حيث أكمله الخبر (مسئولون) .

يقول ابن هشام : « وهذه العلامة هي أنفع علامات الاسم ، وبها تعرف اسمية (ما) في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْوَةِ ﴾ [الآية ١١ من سورة الجمعة] ، ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَفْضَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [الآية ٩٦ من سورة النحل] ، ألا ترى أنها قد أسند إليها « الأخيرة » في الآية الأولى ، و « النقاد » في الآية الثانية ، و « البقاء » في الآية الثانية ، فلهذا حكم بأنها فيهن اسم موصول » . ١ . ه .

تلك علامات الأسماء ، وينبغي التنبيه للملاحظتين الآتيتين :

الأولى : أنه ليس من اللازم أن تكون هذه العلامات أو واحدة منها موجودة فعلاً في الاسم ، بل المقصود أنه بالإمكان قبولها وإن لم توجد فيه ، بمعنى أن الاسم يمكن أن يقبلها أو واحدة منها وإن لم توجد فيه .

الثانية : لا يعنى ذكر هذه العلامات الخمس أنه لا بد لكل اسم أن يقبلها جميعاً ، ولكن يكفي أن يقبل واحدة منها فقط ، ليعلم أنه اسم ، فبعض الأسماء يقبل العلامات الخمس ، مثل كلمة (رجل) وبعضها الآخر يقبل أربعة منها مثل (محمد) فإنه لا تدخل عليه « ال » - وبعضها الآخر يقبل واحدة فقط مثل بعض (الضمائر) فإنها لا تقبل إلا الإسناد ، تقول : (ظَلِمْتُ وَأَنْتَ شَاهِدٌ) .

وخلاصة الأمر في ذلك أنه يكفي في تمييز الاسم مجرد قبول علامة من العلامات ، كما أنه يكفي من ذلك علامة واحدة فأكثر .

(١) هذا البيت لأبي الطيب المتنبي ، وليس شاهداً من شواهد النحو ، لأن المتنبي - فيما يراه

الخطبة - لا يستشهد به . وإنما ذكر التمثيل به فقط حيث ضم البيت جميع كلماتها كلها .
الاسم (ال) وهي (الخيل - الليل - البيداء - السيف - الرمح - القرطاس - القلم) .

الفعل :

يقصد به : ما دلّ على معنى فى نفسه والزمن جزء منه ، مثل (تَابَر - تَفَوَّق - يُتَابِر - يَتَفَوَّق - تَابِر - تَفَوَّق) .

والفعل يأتى فى ثلاث صور هى : (الماضى - المضارع - الأمر) ولكل منها علامة تميزه .

فالماضى : علامته أحد أمرين :

(١) قبول تاء التانيث الساكنة - وهى حرف - مثل : (من حقّ الأمّ التكريّم والاحترام ، فقد حملت ابنها وعَدَّتْه ومنحته العطف والرعاية) .

(٢) تاء الفاعل - وهى اسم ضمير - سواء أكانت للمتكلم أم للمخاطب تقول : (أخلصتُ إليك فرعيت إخلاصى ووفيتُ لك فاحترمت وفائى) .

المضارع : علامته مجموع أمرين :

(١) قبول الحرف (لَمْ) فى أوله ، كقول الله تعالى : ﴿ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الآية ٤، ٣ من سورة الإخلاص] .

(٢) أن يكون مبدوءاً بحرف من أربعة : (الهمزة - النون - الياء - التاء) وهى ما يطلق عليها حروف (أُنيثُ) ، وتسمى أيضاً (أحرف المضارعة) وهذه الحروف يبدأ بها المضارع ، فتجىء مضمومة إذا كان عدد أحرف الماضى أربعة أحرف ، مثل : (أجاهد - أقدم - نُحرّر) وتكون مفتوحة فيما عدا ذلك مثل : (تَهْدِي - يَنْصَح - يَزْنِي - يَنْتَصِر - يَسْتَمَع) .

والأمر : علامته مجموع أمرين :

(١) أن يدل على الطلب : بأن يكون معناه موجهاً للمخاطب يطالبه بفعل شيء ما ، مثل : (عَامِلُ النَّاسِ بما تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلوك به) ومثل : (استفّت قلبك ولو أفتاك المُفْتُون) .

(٢) أن يقبل ياء المخاطبة : فالفعلان السابقان (عَامِلٌ - استفّت) يمكن إسنادهما إلى ياء المخاطبة ، كقول الطبيب مخاطباً إحدى الممرضات : (عَامِلِي المَرْضَى برفق ، وخذى رأبى قبل تنفيذ العلاج) .

الحرف :

هو ما لا يظهر معناه فى نفسه ، بل مع غيره .
فالحروف (الواو - الفاء - لا - بل - ليت - لعل) لا يظهر معناها ولا يتضح
إلا إذا انضم إليها غيرها من الأسماء والأفعال فى الجمل ، كأن نقول مثلا : (ظهر
الحقّ والباطل فأتبعْتُ الأوّل لا الأخير) .

وعلاوة الحرف التى يتميز بها عن الاسم والفعل أنه لا يقبل شيئا من علامات
الأسماء ولا الأفعال ، فالحرف (بل) مثلا - من حروف العطف - لا يتصور معه
تنوين أو جر أو غيرهما من علامات الأسماء ، كذلك لا يتصور معه تاء التأنيث
أو تاء الفاعل أو « لم » أو ياء المخاطبة من علامات الأفعال .

* * *

هذا ... وفى نهاية هذا الموضوع ينبغى معرفة عدة أمور جانبية تتفرع على
ما سبق من معرفة الأسماء والأفعال والحروف وهى :

أولا : من شعر الفرزدق يهجو أعرابيا من « بنى عذرة » قدّم إليه عبد الملك
ابن مروان الشعراء الثلاثة « جريّا والفرزدق والأخطل » ففضل جريّا على
صاحبيه ، قال :

يا أرغم الله أنفا أنت حامله يا ذا الخنى ومقال الزور والخطل
ما أنت بالحكم الثرى حكومته ولا الأصيل ولاذى الرأى والجدل^(١)

ففى البيت الأول دخل حرف النداء على الفعل فى (يا أرغم) وهى من
علامات الأسماء - والرأى أن المنادى اسم محذوف ، والتقدير : (يا هذا أرغم
الله) أو أن (يا) حرف للتنبيه لا للنداء ، ومثل ذلك أيضا قول الله تعالى : ﴿ يَلَيْتَ

(١) أرغم الله أنفا : الرغام هو التراب ، ومعنى العبارة : عقر أنفه بالتراب والمقصود : الإذلال
والإهانة - الخنى : الفحش - الخطل : سوء الرأى - الجدل : قوة الحجة فى المناقشة .

ومعنى البيتين : إنك ذليل مهان فاحش ، كلامك زور ورأىك فاسد ، فلست كفتا للحكم بين
الناس ، فلا أنت شريف ، ولا ذو رأى سليم أو حجة مقبولة .

والشاهد فى البيتين : دخول بعض علامات الأسماء على الأفعال ، إذ دخل حرف النداء (يا)
على الفعل (أرغم) ودخلت (ال) على (ترضى) .

والرغم على ذلك أن (يا) لم تدخل على الفعل ، بل دخلت على منادى محذوف وهو اسم
أوهى للتنبيه لا للنداء ، وأما دخول (ال) على الفعل فهو - كما قال ابن هشام - ضرورة قبيحة .

قَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ [آية ٢٦ من سورة يس] ، وقول الرسول ﷺ : « يا رَبُّ كاسية في الدُّنيا عارية يوم القيامة » . حيث دخلت (يا) في الآية على الحرف (ليت) وفي الحديث على الحرف (رُبَّ) .
وفي البيت الثاني دخلت « ال » على الفعل في (الْثَرَضَى) - وهي من علامات الأسماء .

وقد علق ابن هشام على هذا البيت الثاني بقوله : « ذلك ضرورة قبيحة ، وإن استعمال مثل ذلك في النشر خطأ بإجماع » . أ . هـ .

ثانيا : دخلت تاء التأنيث على حروف ثلاثة هي (رُبَّ - ثُمَّ - لا) فجاء في نصوص فصيحة قولهم : (رُبَّتْ - ثُمَّتْ - لَات) والتاء علامة للفعل الماضي .
والرأى أن هذه التاء - كما ترى - محركة ، بخلاف ما إذا جاءت مع الفعل فإنها تكون ساكنة ، وهذه التاء - مع هذه الحروف - لا تفيد التأنيث الحقيقي ، بل هي لتأنيث اللفظ فقط . بمعنى أنها تدل على أن لفظ هذه الحروف مؤنث دون أن تفيد معنى للتأنيث بوجود شيء مؤنث .

ثالثا : الكلمات (لَيْسَ - عَسَى - نِعَمَ - بَيْسَ) أفعال ماضية - في أحسن الآراء - إذ تقبل علامة الماضي وهي تاء التأنيث ، تقول : (ليستُ الآمالُ قريبةً ، لكن عستُ أن تتحقق) وتقول : (نعمتُ الأخلاقُ الفضائل ، وبئستُ الانحرافاتُ الرذائلُ) ومن ذلك قول الشاعر :

نعمتُ جزاء المتقين الجنة دار الأمانى والمُنَى والمِنَّة (١)

رابعا : الكلمتان (هات - تعال) من أفعال الأمر - في أحسن الآراء - إذ تقبلان علامة فعل الأمر وهي الدلالة على الطلب مع قبول ياء المخاطبة ، تقول الطالبة لزميلتها : (تعالى إلى اليوم وهاتى معك المحاضرات والمراجع) .

ومن ذلك قول امرئ القيس :

إذا قلتُ هاتى تؤلّينى تمايلتُ على هَضِيمِ الكَشْحِ رِيًّا المَخْلُخِلِ (٢)

(١) الأمانى : جمع أمنية - بتشديد الياء فيهما - والأمنية والمنى بمعنى واحد هو الرغبة الشديدة - المنّة : العطية والهبة ، فالجنة موضع الرغبة من الناس ، وهى هبة من الله للناس .

وفي البيت دليل على أن كلمة (نعم) فعل ماضى لقبولها تاء التأنيث الملاحظة على (نعمت) .

(٢) هضيم الكشح : نحيلة الخصر - ريا المخلخل : مبتلثة السابقين .

قال ابن هشام :

« والعامة تقول : (تعالى) بكسر اللام - وعليه قول بعض المحدثين (أبو فراس يخاطب حمامة) :

أيا جارتا ما أنصفَ الدهرُ بيننا تعالى أقاسمُك الهمومَ تعالى ^(١)

والصواب الفتح ، كما يقال : (اخشئ واسعئ) « . أ. هـ

معنى الكلام :

لاحظ الأمثلة الآتية :

كلام الغنى عَفَّةُ النَّفْسِ عما فى أيدي النَّاسِ
كلام إذا استغنيَتْ عما فى أيدي النَّاسِ فأنت أغْنى النَّاسِ
كلم إذا تطلَّعتْ لما فى أيدي النَّاسِ
* * *

ينبغي أن نتذكر مرة أخرى هنا ما قلناه تمهيداً لمعرفة « الكلمة » عن (اللفظ - القول) من أن (اللفظ) هو النطق المشتمل على بعض الحروف سواء أكان له معنى أم لم يكن - وأن (القول) هو النطق الدال على معنى فقط . فلنصطحب مفهوم هاتين الكلمتين ابتداء قبل تحديد المقصود من الكلام .

جاء فى ابن عقيل : « الكلام المصطلح عليه عند النحاة عبارة عن « اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها » . أ . هـ .

= الشاهد في البيت : أن كلمة (هات) فعل أمر ، إذ دلت على الطلب وقبلت ياء المخاطبة ، فاستخدمها الشاعر (هاتى) .

(١) ورد هذا البيت ضمن مقطوعة شعرية لأبى فراس الحمدانى ، أولها قوله :

أقول وقد ناحت بقرى حمامة أيا جارتا لو تعلمين بحالى

وأبو فراس - فى رأى النحاة - لا يحتج بشعره ، وإنما جاء البيت للتمثيل به فقط .

وموضع التمثيل : أن ابن هشام يرى أن أبا فراس قد استخدم نطق العامة إذ جاء بالفعل (تعالى)

مكسور اللام حين إسناده لواء المخاطبة .

والذى أراه أن أبا فراس لم يستخدم لغة العامة ، وإنما كسرت اللام فى الكلمة الأولى بتحريف

الرواية ، وفى الكلمة الأخيرة من أجل القافية ، إذ أن اللام فيها مكسورة .

هذا وقد يقال عن أهل البحار أنهم ينطقون اللام مكسورة فى هذا الفعل حين إسناده لواء

المخاطبة .

وجاء فى شذور الذهب : « الكلام : قول مفيد » . أ . ه .

ومن البين أن هذين التعريفين متساويان تماما ، فإن (اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها) فى الأول تساوى تماما (القول المفيد) فى الثانى .
وتوضيح الأمر فى ذلك : أن (الكلام) فى عرف النحاة : هو ما توافرت له الصفات الآتية مجتمعة :

(أ) النطق : لأن النطق هو أساس دراسة النحو ، فلا شأن للنحو إذن بالكلام النفسى الذى يدور فى خواطر الإنسان دون أن تنطقه الشفاه فعلا كما قال الأخطل :

إن الكلام لَفَى الفؤادِ وإنما يجعل اللسان على الفؤادِ دليلا^(١)

فالنحو لا شأن له بكلام الفؤاد ، وإنما يوجه همّه لما نطقه اللسان فقط .

كما أنه لا شأن للنحو بالكلام الذى يفهم من الخط وحده دون أن ينطق وهو ما يفهم من النظر بالعين دون نطق اللسان ، كقول العرب : (القلمُ أحدُ اللسانين) وتسميتنا ما فى المصحف (كلام الله) .

كما أنه لا شأن للنحو أيضًا بالكلام الذى يفهم من الإشارة ، أى بحركات العين أو اليدين أو الرأس أو غيرهما من أجزاء الجسم ، وكذلك إضاءة علامات المرور باللون الأحمر أو الأخضر ، فكل ذلك وإن كان يشير إلى كلام يفهم منه ، كما قال عمر بن أبى ربيعة :

أشارتْ بطَرْفِ العينِ خيفةً أهلها إشارةً محزونٍ ولم تَتَكَلَّمْ^(٢)
فأيقنتُ أن الطَّرْفَ قد قال مرحبا وأهلاً وسهلاً بالحبيبِ المُتَيَّم

لكنه كلام غير منطوق ، ولذلك لا يدخل فى الكلام الذى يعترف به النحو .

(١) تضمن بيت الأخطل إطلاق الكلام على ما يتصوره الإنسان فى نفسه من المعانى ، وأن اللسان ترجمان النفس .

ولا شأن للنحو بكلام النفس ، وإنما شأنه بما نطق به اللسان .

(٢) تضمن البيتان إشارة بطرف العين دون نطق ، وقد فهم من هذه الإشارة - كما قال ابن أبى ربيعة - مرحبا وأهلاً وسهلاً .

كما أنه لا شأن للنحو بالكلام الذى تدل عليه الحال ، وفى الدلالة التى تفهم من المشهد دون نطق ، كأن تنظر إلى مستشفى فتعرف أن (هنا مرضى) أو أن تمر على الجامعة ، فتدرك على أن (حضارة الأمة تصنع هنا) وكما قال نصيب بن رباح يمدح سليمان بن عبد الملك :

فعاَجُوا فأتَّوْا بالذى أنتَ أهله ولو سكتوا أثَّفتْ عليكِ الحقائق^(١)

« فثناء الحقائق » دلالة حال ، لكنه ليس نطقاً ، فهو خارج عن مصطلح النحو فى الكلام .

(ب) أن يكون لهذا المنطوق معنى يفهم منه ، فلا شأن بالهراء اللغوى الذى لا معنى له .

(ج) أن يكون هذا المنطوق مفيداً فائدة يحسن السكوت عليها ، وذلك أن يتم بها معنى متكامل يتكون منه ومن أمثاله الفكرة أو الموضوع الذى يريد المتكلم نقله إلى السامع .

وبهذه الصفة الأخيرة يفرق بين الكلام وما يسمى (الكَلِم) - بفتح الكاف وكسر اللام - فإن هذا الأخير يطلق على ما تكون من ثلاث كلمات فأكثر ، أفاد أم لم يفد - فلنتأمل الآتى :

- قولنا : (الصحافة لسان الأمة) كلام - وهو فى الوقت نفسه كلم .
- قولنا : (الصحافة رسالة) كلام - لكن ليس كلماً ، لنقصه عن ثلاث كلمات .
- قولنا : (إذا تحررت الصحافة) كلم - لكنه غير كلام لأنه غير مفيد - ولا شأن للنحو بدراسة (الكَلِم) وإنما شأنه أن يدرس (الكلام) سواء صح أن يطلق عليه أنه (كلم) أم لا .

صور الكلام :

ورد فى بعض كتب النحو تقسيم الكلام إلى (خبر - إنشاء) فالأول مثل قولنا : (صدرت الصحف اليوم وهى تحملُ أنباء مثيرة) والثانى مثل : (هل نشرت الصحفُ الخبرَ اليوم ؟!) .

والحق أن هذا التقسيم بلاغى لا شأن للنحو به ، وإنما هو من اهتمام دارسى الأدب ، أما الصور التى يتكون منها الكلام - كما فهم فيما سبق - فإنها تنحصر فى أمرين :

الجملة الاسمية : وهى ما تكونت من اسمين أسند أحدهما للآخر لإفادة المعنى ، مثل : (العلم حضارة ، والجهل تخلف) .

الجملة الفعلية : وهى ما تكونت من فعل واسم بحيث يتم بهما المعنى مثل : (يصنع العلماء حضارة الأمة ويُعَوِّقُ الجهال تقدمها) .

هذا ، ويتفرع على هذين الركنين الأساسيين للكلام صور كثيرة بدخول الحروف معهما ، وكذلك فى اختلاف الأسماء بين الجامدة والمشتقة ، وأيضًا فى اختلاف صور الأفعال بين الماضى والمضارع والأمر ، وأيضًا فى - وجود الفضلات - كالمفعول به وأمثاله - مع هذه الجمل ، وأيضًا دخول حروف الشرط - الجازمة وغير الجازمة - عليهما .

ومن أجل ذلك كله يمكن أن يتصور أن صور الكلام الذى تنطق به العربية لا يكاد يحيط به الحصر ، وإن كان الأمر كله يرجع إلى الجملتين الاسمية والفعلية .

وخلاصة هذا الموضوع كله ونتيجته تلخصان فى الآتى :

- (أ) وحدة الجملة العربية هى « الكلمة » بمفهومها السابق تحديده .
- (ب) وحدة اللغة العربية هى « الكلام » بمفهومه السابق تحديده أو بعبارة أقرب : الجملتان الاسمية والفعلية .
- (ج) موضوع دراسة النحو العربى هو الجملتان الاسمية والفعلية وما يتعلق بكلاهما الجملتين .

* * *

الإعراب والبناء أولا : الإعراب

تمهيد :

يحدّد معنى الإعراب عبارة واحدة هي (أثر ظاهر أو مقدّر يجلبه العامل فى آخر الكلمة) أ . هـ قطر الندى .

يقول شوقى :

وللحرّية الحمراء بابٌ بكلّ يدٍ مضرجةٍ يُدقُّ

فكلمات هذا البيت جميعاً (الحرّية - الحمراء - كل - يد - مضرجة - يُدق) معربة ، والإعراب فى آخر الكلمات (الحرّية - الحمراء - كلّ يدٍ - مضرجة) - كما وردت فى البيت - هو الكسرة التى هى شكل آخرها ، أما الإعراب فى آخر الكلمتين (بابٌ - يُدقُّ) - كما وردتا فى البيت أيضاً - فهو الضّمة ، والأولى اسم ، والثانية فعل مضارع .

وينبغى قبل دراسة ما يتعلق بهذا الباب عرض التعليقات الآتية حول التعريف السابق :

أولا : أن الإعراب يقصد به شكل أواخر الكلمات فقط ، فهو فى قول « شوقى » السابق ضمة الباء فى (بابٌ) وضمة القاف فى (يدقُّ) وكسر التاء فى كلمة (الحرّية) والهمزة فى (الحمراء) واللام فى (كلّ) والdal فى (يدٍ) والتاء فى (مضرجة) . أما بقية حروف الكلمة -- غير الآخر - مما يطلق عليه علمياً اسم (بقية الكلمة) فلا شأن للنحو بالبحث فيه ، وإنما هو من اختصاص علم آخر هو (علم الصرف) .

ثانيا : الإعراب لا يتحقق إلا فى جملة كاملة ، فشكل أواخر الكلمات -

الإعراب - لا يتحدد إلا بدخولها ضمن (الكلام) كما سبق تحديده - فالكلمات المفردة وحدها لا يعرف إن كانت معربة أو مبنية إلا بتصور دخولها فى جملة

مفيدة ، وحينئذ تأخذ وظيفة نحوية (مبتدأ - خبر - فاعل - مفعول .. إلخ) فيظهر عليها الشكل الذى هو الإعراب معبرا عن هذه الوظيفة .

وهذا يفسر لنا جانبا من اهتمام النحو بدراسة كيفية تأليف الجملة العربية اسمية أم فعلية .

ثالثا : يترتب على الأمر السابق مباشرة أن نعرف أن الكلمة المعربة هي الكلمة التى تدخل جملا مختلفة ، وحين تتغير وظيفتها النحوية من جملة لأخرى يتغير شكل آخرها أيضًا ، ومثال ذلك كلمة (الحرية) فهي كلمة معربة يدل على ذلك وضعها فى الجمل الثلاث الآتية :

الحريةُ أتمنُ شىء فى الحياة .

تعشقُ النفوسُ العاليةُ الحريةَ وتموتُ من أجلها راضيةً .

فقدُ الحريةَ يُساوى فقدانَ الحياةِ .

فالكلمة فى الجملة الأولى مبتدأ ، وهى مُشَكَّلَةٌ بالضمّة ، وحين تغيرت وظيفتها فى الجملة الثانية فصارت « مفعولا به » شكلت بالفتحة ، وحين تغيرت وظيفتها فى الجملة الثالثة فصارت « مضافة إليه » شكلت بالكسرة ، هذه الكلمة (الحرية) معربة بتغير وظيفتها فى الجمل المختلفة .

رابعا : إن الإعراب - فيما يرى النحاة - أثر لعامل يجلبه فى آخر الكلمة من فعل أو غيره ، والحق أن العامل موضوع ذهنى شائك لا داعى مطلقا للإكثار فيه ، وينبغى الاقتصار على القدر الضرورى منه وفى أضيق الحدود ، ويجب الانصراف عما دار حوله من مناقشات مجهدة لا طائل وراءها .

خامسا : الدراسة للإعراب تتكون من جوانب ثلاثة هي :

(١) ألقاب الإعراب وتوزيعها بين المعرب من الأسماء والأفعال .

(٢) الإعراب الأصلى والفرعى .

(٣) الإعراب الظاهر والمقدر .

وستتناول كل واحد من هذه الثلاثة بالشرح المفصل .

أنواع الإعراب

لاحظ الأمثلة الآتية :

للاسمين (الذكي - الغبي) وللفاعلين المضارعين (يستفيد - يكرر)	رفع	يستفيد الذكي من أخطائه يُكرِّرُ الغبيُّ الأخطاءَ نفسها
للاسمين (الحياة - الفرصة) وللفاعلين المضارعين (تخيب - تنتظر)	نصب	وإن الحياةَ لن تُخَيِّبَ الأذكياءَ ولكنَّ الفرصةَ لن تنتظرَ الأغبياءَ
للاسم (العيب) للفعل المضارع (تخطئ)	جر جزم	فليس من العيبِ أنْ تخطئَ لكن إن تخطئَ فاستفدْ من خطئك

* * *

أنواع الإعراب أربعة هي :

(١) الرفع : ويوصف به الاسم المعرب والفعل المضارع المعرب ، وذلك إذا أخذ كل منهما في الجملة وظيفة نحوية من وظائف الرفع كالمبتدأ أو الخبر أو الفاعل أو اسم كان للاسم - وكذلك تجرد الفعل من الناصب والجازم ، تقول : (يعرفُ العقلاءُ وهم صامتون ويتحدثُ الحمقى وهم جاهلون) .

(٢) النصب : ويوصف به أيضًا الاسم المعرب والفعل المضارع المعرب وذلك أيضًا إذا أخذ كل منهما في الجملة وظائف النصب كالمفعول به أو الظرف أو الحال بالنسبة للاسم - وكذلك إذا وقع الفعل المضارع بعد أداة من أدوات النصب ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ ﴾ [الآية ١١٥ من سورة التوبة] فكلمة (يُضِلُّ) فعل مضارع منصوب بعد لام الجحود ، وكلمة (قوما) اسم منصوب مفعول به ، وكلمة (بعد) اسم منصوب ظرف مكان .

(٣) الجر : ويوصف به الاسم المعرب فقط ، فالجر من خصائص الأسماء وإنما يكون الاسم مجرورا إذ جاء في جملة في إحدى وظائف الجر ، وذلك بعد حرف من حروف الجر ، أو وقع « مضافا إليه » بعد اسم آخر ، كقول الرسول ﷺ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » . فكلمة (حُسْن) مجرورة

بالحرف (من) وكلمة (إسلام) مجرورة (مضاف إليه) لكلمة (حُسن) وكلمة (المرء) مجرورة أيضا (مضاف إليه) لكلمة (إسلام) .

(٤) الجزم : ويوصف به الفعل المضارع المعرب فقط ، إذا جاء فى موضع للجزم بعد حروفه أو بعد أدوات الشرط التى تجزمه ، كقول الله تعالى : ﴿ لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ^(١) [الآية ٣ من سورة الإخلاص] .

والخلاصة : أن ألقاب الإعراب أربعة : رفع ونصب ويوصف بهما الاسم المعرب والفعل المضارع المعرب ، وجر ويكون فى الاسم المعرب فقط ، وجزم ويكون فى الفعل المضارع المعرب فقط .

* * *

(١) إعراب الآية : « لم يلد » لم : حرف نفى وجزم وقلب - يلد : فعل مضارع مجزوم بالحرف « لم » وعلامة جزمه السكون ، والفاعل ضمير مستتر تقديره « هو » يعود على « الله » السابق ذكره فى السورة « ولم يولد » الواو : حرف عطف . « لم » حرف نفى وجزم وقلب - « يولد » : فعل مضارع مجزوم بالحرف « لم » وعلامة جزمه السكون ، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره « هو » يعود على « الله » ، والجملة « لم يولد » معطوفة على جملة « لم يلد » بالواو . « ولم يكن له كفوا أحد » الواو حرف عطف « لم » حرف نفى وجزم وقلب - « يكن » فعل مضارع ناسخ يرفع المبتدأ وينصب الخبر مجزوم بالحرف « لم » وعلامة جزمه السكون « له » جار ومجرور متعلق بكلمة « كفوا » الآتى بعده « كفوا » خبر « يكن » مقدم منصوب بالفتحة « أحد » اسم « يكن » مؤخر بحروفه بالضممة ، وجملة « لم يكن له كفوا أحد » معطوفة بالواو على الجملة السابقة عليها .

الإعراب الأصلي والفرعى

كان الرسول عظيمًا في رِضاؤه وغضبه .
يتسامح في أذاه ، لكن من أخلاقه أن يغضب لمحارم الله .
ولم يؤثر غير ذلك من حياته الشريفة .
فسلوكه قدوة للمهتدين يستمدون منه الهدى .

سبق أن الإعراب هو الشكل الذى يكون فى آخر الكلمات المعربة من الأسماء والأفعال ، إذ تأتى فى مواضع الإعراب الأربعة : الرفع والنصب والجر والحزم .

هذا الشكل يكون أصليًا كما يكون فرعيًا ، وكل من الأصلي والفرعى - فيما أرى - مجرد مصطلحين دراسيين فى النحو لحصر الشكل الذى يرد فى آخر الكلمات المعربة دون أن يعنى ما يتبادر إلى الذهن من هذه التسمية ، فلم يكن أحدهما أصلاً للآخر فى استعمال اللغة على الإطلاق .

فالإعراب الأصلي مظاهره أربعة هى :

(١) الضمة للرفع - فى الأسماء والأفعال - كما هو واضح فى الأمثلة السابقة فى الكلمات (الرسول - يتسامح - غير - سلوك - قدوة) .

(٢) الفتحة للنصب - فى الأسماء والأفعال - كما هو واضح فى الأمثلة السابقة فى الكلمات (عظيمًا - يغضب - الهدى) والكلمة الأخيرة منصوبة بفتحة مقدرة على آخرها كما سيأتى شرح الإعراب المقدر فيما بعد .

(٣) الكسرة للجر - فى الأسماء فقط - كما وردت فى الأمثلة فى الكلمات (رضى - غضب - أخلاق - محارم - الله - حياة - الشريفة) والكلمة الأولى مجرورة بكسرة مقدرة .

(٤) السكون للحزم - فى الأفعال فقط - كما هو واضح فى الأمثلة فى جزم الفعل (يؤثر) بعد الحرف (لم) .

وخلاصة الأمر : أن علامات الإعراب الأصلية هى : الضمة للرفع ، والفتحة

لنصب ، والكسرة للجر ، والسكون للحزم !

الإعراب الفرعى : يقصد به ما لم يكن واحدا من الأربعة السابقة فهو ما جاء شكلا فى آخر الكلمات المعربة فى حالة الرفع غير الضمة ، وفى حالة النصب غير الفتحة ، وفى حالة الجر غير الكسرة ، وفى حالة الجزم غير السكون ، فكلمة (المهتدين) - فى الأمثلة السابقة - مجرورة بالياء لا بالكسرة ، أو بعبارة أخرى مجرورة بالياء نيابة عن الكسرة ، وكلمة (يستمدون) فى الأمثلة - مرفوعة بثبوت النون ، أو بعبارة أخرى مرفوعة بثبوت النون نيابة عن الضمة ، وهكذا .

هذا ، والأبواب التى يأتى فيها الإعراب الفرعى سبعة ، إجمالها فى الجدول الآتى :

كيفية إعرابه ، والتمثيل له

اسم الباب

ترفع بالواو : من كلام الرسول ﷺ : « المسلم

(١) الأسماء الستة

أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره » .

تنصب بالالف : من كلام الرسول ﷺ : « انصُرْ أخاك ظالما أو مظلوما » .

تجر بالياء : من كلام الرسول ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

يرفع بالضمة : كانت فاطمة بنت الرسول ﷺ « أحبَّ الناس إليه » .

(٢) ما لا ينصرف

ينصب بالفتحة : « وظل يذكر خديجة بعد وفاتها وفاء وحبًا » .

يجر بالفتحة : « وذكر لعائشة من الأحاديث ما لم يروه عنه غيرها » .

يرفع بالالف : يتنازع العالم الآن قوتان هائلتان .
ينصب بالياء : ومن حسن حظ الإنسانية أن تبقي متعادلتين .

(٣) المثني

يجر بالياء : فذلك ضمان لمنع الحرب بعد مأساة الحربين الماضيتين .

(٤) جمع المذكر السالم يرفع بالواو : لا يستوى فى الحياة العاملون

والعاطلون .

ينصب بالياء : فإن العاملين يمنحون الأمة
الخير والازدهار .

يجر بالياء : ولكن مظهرَ العاطلين فى الأمة ذلٌّ
وعارٌّ .

(٥) جمع المؤنث السالم يرفع بالضمة : من كلام الرسول ﷺ : « الظلمُ

« ما جمع بألف وتاء » ظلماتٌ يوم القيامة » .

ينصب بالكسرة : من كلام الرسول ﷺ :
« لعن الله المتشبهاتِ من النساء بالرجال » .

يجر بالكسرة : جاء فى الحديث : نهى رسول
الله ﷺ عن الجلوس فى الطرقات .

(٦) الأفعال الخمسة ترفع بثبوت النون : المنافقون يقولون ما

لا يفعلون .

تنصب بحذف النون : قال الله تعالى : ﴿ كَبُرَ
مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .
تجزم بحذف النون : من توجيهات الإسلام
للمسلمين : لا تكذبوا ولا تنافقوا .

(٧) المضارع المعتل الآخر يرفع بالضمة المقدرة : يسمو كبيرُ النفس فوق

« بالألف أو الياء أو الواو » المظاهرِ الخادعة .

ينصب بفتحة مقدرة على الألف فقط وتظهر
على الواو والياء : ولن يغويه بريقها عن جوهرها .
يجزم بحذف حرف العلة : فلا تعدُّ وراء الزائفِ
وتنسِ الأصل .

هذه هى الأبواب السبعة إجمالاً ، وإليك الحديث عن كل واحد منها

الأسماء الستة

- (١) الأسماء الستة وإعرابها .
- (٢) عددها - خمسة أو ستة - من استعمال العرب لها .
- (٣) الصفات العامة لإعرابها بالحروف .
- (٤) الصفات الخاصة بكل من الكلمتين « ذو - فم » .

* * *

الأسماء الستة وإعرابها :

هذه الأسماء هي : « أب - أخ - حم - فم - ذو - هن » ، ويقصد بكلمة « حم » كما جاء في قطر الندى : « أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وابن عمه ، على أنه ربما أطلق على أقارب الزوجة » . أ . ه .

وعلى هذا فالأكثر في اللغة أن يقال : « حموها » والقليل في اللغة أن يقال : « حموه » وأما كلمة « هن » فهي كناية عما يستقبح ذكره ، أو هي كناية عن العورة في الرجل والمرأة .

هذه الأسماء السابقة ترفع بالواو نيابة عن الضمة ، وتنصب بالالف نيابة عن الفتحة ، وتجر بالياء نيابة عن الكسرة ، نقول : (أخوك رَحْمُكُ وقوئُكُ فهو جديرٌ بعطفِك ونُصرتك) وتقول : (فقد الرّسول أباه وهو في بطن أمّه فاستقبل الحياة يتيمًا) وتقول : (لا تسخِزْ مِنْ ذِي الحاجة فربّما احتجّت يوما مثله) . فكل كلمة « أخوك » في المثال الأول مبتدأ مرفوع بالواو ، وكلمة « أباك » في المثال الثاني مفعول به منصوب بالالف ، وكلمة « ذِي الحاجة » في المثال الثالث مجرورة بحرف الجر « مِنْ » وعلامة الجر الياء .

عددها من استعمال العرب لها :

يصف بعض المعربين هذه الأسماء بأنها « ستة » ويصفها آخرون بأنها « خمسة » ، وكلا الفريقين مصيب في وصفه ، فما حقيقة الأمر في هذا الموضوع وما أساسه العلمي ؟

ينبغي أن يعلم - باختصار شديد - أن العرب الفصحاء الذين اعتمد عليهم النحاة في وضع القواعد لم يكونوا قبيلة واحدة متحدة النطق دائما وإنما كانوا مجموعة من القبائل المختلفة النطق أحيانا في المسلك اللغوي الواحد - مما يترتب عليه في دراسة النحو وجود آراء مختلفة - حول المسألة الواحدة - وكل رأى يعتمد على نطق عربى فصيح لإحدى القبائل الموثقة .

وخير مثال للفكرة السابقة هذه الأسماء التى معنا ، فقد ورد فيها عن العرب الفصحاء الاستعمالات الثلاثة الآتية :

الأول : الاستعمال المشهور « لغة التمام » :

وهو إعرابها بالحروف ، حيث تستعمل فى حالة الرفع بالواو ، وفى حالة النصب بالألف ، وفى حالة الجر بالياء ، وإنما سميت « لغة التمام » لأن كلمة (أب) على حرفين فقط ، والأسماء المعربة فى اللغة تبدأ بثلاثة أحرف ، فإذا انضم إلي هذين الحرفين الواو أو الألف أو الياء فى الإعراب فقد تمت الكلمة وكملت بهذه الحروف ، ويستعمل هذا الاستعمال ستة أسماء هى التى سبقت معرفتها فى أول هذا الموضوع .

الثانى : لغة القصر :

ويكون بإلزامها الألف دائما رفعا ونصبا وجرا ، فهى اسم مقصور تقدر عليه الحركات الثلاث - كما سيعلم فى إعراب المقصور - مثلها فى ذلك مثل الكلمات (هُدَى - مصطفى - مَرْمَى) ومن ذلك قول الراجز مما هو منسوب لرؤبة ابن العجاج :

إن أباهـا وأبا أباهـا قد بلغا فى المجد غايتها (١)

ومن أمثال العرب : (مُكْرَه أَخَاكَ لا بطل) . (٢)

(١) الشاهد فى هذا البيت فى الشطر الأول (إن أباهـا وأبا أباهـا) بتكرار كلمة (أبا) ثلاث مرات ملتزمة الألف ، وهى أولا فى وظيفة النصب ، لأنها اسم (إن) ، والثانية فى وظيفة نصب أيضا ، لأنها معطوفة عليها ، والثالثة فى وظيفة الجر ، لأنها مضاف إليه ، وقد التزمت جميعا الألف ، وهذه لغة بعض العرب فى استعمال بعض الأسماء الستة .

(٢) مثل يضرب لمن يقوم بعمل عظيم حتمت عليه الظروف القيام به دون بطولة حقيقية .

ويستدل به على إلزام بعض الأسماء الستة الألف ، فكلمة (أخاك) فى المثل فى وظيفة الرفع إذ هى مبتدأ ، ومع ذلك التزمت الألف .

والذى يستعمل هذا الاستعمال كلمات ثلاث هي (أب - أخ - حم) .

الثالث : لغة النقص :

ويكون باستعمالها على حرفين فقط . فهي ناقصة عن ثلاثة أحرف ، وهذا أقل عدد للكلمات العربية المعربة - وحينئذ تعرب بالعلامات الأصلية ، فتشكل بالضممة رفعا والفتحة نصبا والكسرة جرا ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ [الآية ٧٨ من سورة يوسف] وقول الرسول ﷺ : « من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا » .^(١) وقول رؤبة يمدح عدى بن حاتم الطائى :

بأبه اقتدى عدى فى الكرم ومن يُشابه أبه فما ظلم^(٢)

والذى يستعمل هذا الاستعمال أربع كلمات هي (أب - أخ - حم - هن) فما علاقة ذلك كله بعدد هذه الأسماء وكونها خمسة أو ستة ؟

إن بعض النحاة يرى أن كلمة (هن) لم يستعملها العرب الاستعمال الأول (التمام) ولا الاستعمال الثانى (القصر) ولم تستعمل إلا الاستعمال الأخير فقط (لغة

= إعراب المثل : مكروه : خبر مقدم مرفوع بالضممة - أخاك : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضممة المقدرة على الألف للتعذر ، و(أخا) مضاف والكاف مضاف إليه - لا بطل : لا : حرف عطف - « بطل » معطوف على « مكروه » والمعطوف على المرفوع مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

(١) جاء فى حاشية الصبان (ج ١ ص ٦٩) نسبة الحديث إلى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ، وقد ورد فى الجامع الصغير للسيوطى بلفظ : « إذا رأيت الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه .. » . وكلتا الروايتين دليل لما نحن فيه .

(٢) الشاهد فى البيت مجيء كلمة (أب) ناقصة عن ثلاثة أحرف ، فتعرب بالحركات الأصلية ، وهى فى الشطر الأول من البيت مجرورة فى (بأبه) وعلامة جرّها الكسرة على الباء ، وفى الشطر الثانى فى (يشابه أبه) مفعول به منصوب بالفتحة على الباء .

إعراب البيت « بأبه » الباء حرف الجر - أب : مجرور بالباء وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة و« أب » مضاف وضمير الغائب مضاف إليه مبنى على الكسر فى محل جر ، والجار والمجرور متعلق بالفعل « اقتدى » . اقتدى : فعل ماض مبنى على الفتح المقدر على الألف للتعذر - عدى : فاعل مرفوع بالضممة - فى الكرم : جار ومجرور متعلق بالفعل « اقتدى » - من : أداة شرط جازمة تجزم فعلين ، وهما فعل الشرط والجواب - يشابه : فعل مضارع فعل الشرط مجزوم بالسكون ، والفاعل ضمير مستتر « أبه » أب : مفعول به منصوب بالفتحة ، وضمير الغائب مضاف إليه مبنى على الضم فى محل جر ، « فما ظلم » : الفاعل واقعة فى جواب الشرط - ما : حرف نفي - ظلم : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب والفاعل ضمير مستتر ، والجملة فى محل جزم جواب الشرط .

النقص) ورتب على ذلك أن الأسماء التي تعرب بالحروف خمسة لا ستة .

وهناك رأى مقابل لهذا الرأى ، وهو أن العرب الفصحاء استعملوا كلمة (هن) على لغة (الثمام) وسمع عنهم مثل (هَنُوكَ مِمَّا يَعْيبُكَ) وقولهم أَيْضًا (اسْتُرْ هَنَا أَهْلِكَ) فهو أَيْضًا يعرب بالحروف ، فالأسماء التي تعرب بالحروف إذن ستة لا خمسة .

جاء فى ابن عقيل : « وأما (هن) فالفصيح فيه أن يعرب بالحركات الظاهرة على النون ولا يكون فى آخره حرف علة ، والإتمام جائز ، لكنه قليل جدًا وأنكر الفراء جواز إتمامه ، وهو محجوج بحكاية سيويه الإتمام عن العرب ، ومن حفظ حَجَّةً على من لم يحفظ » . أ . ه .

الصفات العامة لإعرابها بالحروف :

المقصود بأنها « عامة » أنه يجب أن تتوافر فى كل هذه الأسماء السابقة فليست خاصة باسم منها دون الآخر .

وهذه الصفات تلخصها عبارة واحدة هى : (أن تكون هذه الأسماء مفردة مكبرة مضافة لغير ياء المتكلم) .

وهذه العبارة المجملة تحمل الصفات الآتية تفصيلا :

- (أ) أن تكون هذه الأسماء مفردة لا مثناة ولا مجموعة .
- (ب) أن تكون هذه الأسماء مكبرة لا مصغرة ، مثل (أَيُّى - أُخَيِّ) .
- (ج) أن تكون مضافة لاسم ظاهر مثل (أبو العباس) أو لضمير مثل (أخوك) .
- (د) أن تكون مضافة لغير ياء المتكلم .

هذه الصفات الأربع يجب توافرها مجتمعة فى الأسماء الستة لتعرب بالواو رفعًا وبالألف نصبًا وبالياء جرا .

* قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الآية ٨ من سورة يوسف] .

* وجاء فى الحديث (ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا^(١)) .

فالكلمات (أخوه - أئينا - أبانا) فى الآفة معربة بالحروف وهى مستوفاة للشروط الأربعة السابقة ، والأولى مرفوعة بالواو ، والثانية مجرورة بالياء ، والثالثة منصوبة بالألف ، وكلمة (أبا بكر) فى الحديث معربة أيضاً بالحروف ، لاستيفائها الشروط ، وهى منصوبة بالألف « مفعول به » للفعل (اتخذ) .

فإذا لم تتوافر إحدى هذه الصفات أو أكثر ، فإن الاسم لا يعرب إعراب الأسماء الستة ، بل يكون له إعراب آخر على حسب نسبته إلى باب غير هذا الباب مما لا داعى هنا لتفصيل القول فيه .

الصفات الخاصة بالكلمتين (ذو - فم) :

المقصود بأنها « خاصة » أنها يجب أن تتوافر فى هاتين الكلمتين فقط بالإضافة إلى الشروط السابقة .

• ذو :

تقول : (ذو الفضل - ذو العلم - ذو الخلق - ذو ثروة - ذو نجابة - ذو إحساس) ففى هذه الأمثلة وأشباهاها تعرب (ذو) بالحروف - بالواو رفعاً وبالألف نصباً وبالياء جزاً - لاستيفائها الصفات العامة السابقة بالإضافة إلى الصفتين الخاصتين التاليتين :

(أ) أن تكون بمعنى صاحب ، يعنى إذا قلت (ذو خلق) فهو بمعنى (صاحب خلق) وإذا قلت (ذو ثروة) فهو بمعنى (صاحب ثروة) .

(ب) أن تكون مضافة لاسم ظاهر فقط ، لا للضمير ، فإن إضافتها للضمير لا يكاد يستعمل فى اللغة ، قال المتنبى :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم (١)

(١) العقل فهم وتقدير وإحساس ، والجهل غباء وترك وبلادة ، وصاحب العقل يشقى بتقديره وإحساسه وإن كان فى النعيم ، وصاحب الجهل يسعد بغبائه وبلاذته وإن كان فى الشقاء - وهذا البيت للمتنبى ، وقد سيق للتمثيل به لا الاستشهاد ؛ فإن المتنبى - فى رأى النحاة - لا يستشهد بشعره .

وموضع التمثيل به : استعمال كلمة (ذو) مضافة للاسم الظاهر فى قول الشاعر « ذو العقل » وهى بمعنى « صاحب » وقد استوفت الشرطين الخاصين بها فأعربت بالحروف ، فهى فى البيت مبتدأ مرفوع بالواو .

وقال زهير :

وَمَنْ يَكْ ذَا فَضْلٍ فَيُخْلِ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعْنَى عَنْهُ وَيُذَمُّ (١)

• فم :

تقول : (فُو المنافقُ يُخْرِجُ الكذب ، فَمِنْ فِيهِ تَخْرُجُ نَارُ الضغائن) . وتقول : (أغلق فاك عن الكلام الضَّار) . فهي في (فو المنافق) مبتدأ مرفوع بالواو ، ثم استعملت في (من فيه) مجرور بالحرف « من » بالياء ، أما في (أغلق فاك) فهي مفعول به منصوب بالألف ، ولكي تعرب هذا الإعراب يجب أن تتجرد من الميم - فكلمة « فم » لا تعرب بالحروف بل بالحركات الأصلية - وهذا بالإضافة إلى الصفات العامة التي سبق شرحها .

قال عمر بن أبي ربيعة :

قَالَتْ وَرَأْسُ أَبِي وَنَعْمَةٍ وَالِدِي لِأُنْبِئَهُنَّ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
فَخَرَجْتُ خَوْفَ يَمِينِهَا فَتَبَسَّمتُ فَعَلِمْتُ أَنْ يَمِينِهَا لَمْ تَحْرَجْ

(١) استعمل الشاعر : « ذو » من الأسماء الستة في « ذا فضل » حيث استوفت شرطى إعرابها بالحروف ، وهي في البيت خبر « يكن » منصوبة بالألف .

إعراب البيت :

من : أداة شرط جازمة تجزم فعلين ، فعل الشرط والجواب - يك : فعل مضارع ناسخ يرفع المبتدأ وينصب الخبر . فعل الشرط ، مجزوم بسكون النون المحذوفة للتخفيف ، وأصله « يكن » واسمه ضمير مستتر - « ذا فضل » ذا خبر « يك » منصوب بالألف ، لأنه من الأسماء الستة - فضل : مضاف إليه مجرور بالكسرة - « فيدخل » الفاء : حرف عطف - يدخل : فعل مضارع معطوف على « يك » مجزوم بالسكون ، والفاعل ضمير مستتر تقديره « هو » - « بفضلته » : الباء . حرف جر - فضلته : مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة ، وفضل مضاف وضمير الغائب مضاف إليه مبنى على الكسر في محل جر ، والجار والمجرور متعلق بالفعل « يدخل » « على قومه » على : حرف جر - « قومه » قوم : مجرور بالحرف « على » ، قوم مضاف وضمير الغائب مضاف إليه ، والجار والمجرور متعلق بالفعل « يدخل » - يستغن : فعل مضارع جواب الشرط مجزوم ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة - عنه : جار ومجرور نائب فاعل الفعل « يستغن » - « ويذمم » - الواو : حرف عطف - يذمم : معطوف على الفعل « يستغن » مجزوم بالسكون وحرك بالكسر من أجل القافية ، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره « هو » .

فلثمتُ فاها آخذًا بقُرُونِها فعلَ النزيفِ يَبْرُدُ ماءُ الحشرِج (١)

* * *

(١) لم تخرج : لم تأثم ، بمعنى أنها يمين غير صادقة - النزيف : من عطش عطشًا شديدًا حتى يبست عروقه - الحشرج : النقرة في الجبل يصفو فيها الماء ، القرون : خصل الشعر .

وبالبيت الأخير على إعراب « فو » بالحروف ، وذلك في جملة (الهم فاها) حيث حلت في الكلمة من الميم ، واستوفت الشروط العامة الأخرى ، وهى فى البيت « مفعول به » منصوب بالالف .

الاسم الذى لا ينصرف

- ١ - العلاقة بين ما ينصرف وما لا ينصرف .
- ٢ - عرض عام لصفات منع الصرف .
- ٣ - يتفرع على هذا الباب المسائل الآتية :
- (أ) عودة الممنوع من الصرف للإعراب الأصلي .
- (ب) صرف الممنوع من الصرف عند الحاجة .
- (ج) منع صرف الأسماء المنصرفة عند الحاجة .

العلاقة بين المنصرف وغير المنصرف :

لاحظ المجموعتين الآتيتين من الجمل :

الاستشهادُ فى سبيل المبدأ رجولةً	(رجولة - شرف) منونتان مرفوعتان
وشرفٌ بالضمّة	
ويعيش الأحرارُ حياتهم رجولةً وشرفاً	(رجولة - شرفاً) منونتان منصوبتان
بالفتحة	
ويسقطون - حين موتهم - على	(رجولة - شرف) منونتان مجرورتان
رجولةً وشرفٍ بالكسرة	

يقول الرسول ﷺ : « الساكتُ عن الحق شيطان أخرس »	(أخرس) غير منون - مرفوع بالضمّة
ونقول : من تكلم فيما لا يعنيه كان إنساناً أحمق	(أحمق) غير منون - منصوب بالفتحة
والعاقل من لا يثرثر بحديث أحمق	(أحمق) غير منون مجرور بالفتحة

ينبغى أولاً أن يفهم المقصود من الكلمتين (منصرف - غير منصرف) فإن المنصرف هو الاسم المنون تنوين التمكّن مثل (رجولة - شرف - قوة - عزة -

أمين - عادل) . وأما غير المنصرف فهو الاسم غير المنون - لأسباب سيأتى شرحها - مثل (أخرس - أحمق - معاوية - يزيد - أحمد - عمر - عثمان - ظمآن - ريان) والتنوين يقصد به علميا - نون ساكنة تلحق آخر الاسم لفظاً لا خطأ ، بمعنى أنها تنطق ولا تكتب .

إذا علم ذلك ، فما هى العلاقة بين الاسم المنصرف والاسم الممنوع من الصرف ؟ أو بعبارة أخرى : ما هى وجوه الموازنة بين الاثنين ؟ - إن ذلك يتلخص فى الآتى :

أولاً : يتفق المنصرف وغير المنصرف فى شيئين :

(١) أن كلا منهما يرفع بالضمة ، تقول : (كان إبراهيم خليل الله ، وكان محمدًا خاتم الأنبياء) .

(٢) أن كلا منهما ينصب بالفتحة ، تقول : (بعث الله إبراهيم ومحمدًا لهداية الناس) .

ثانياً : يفرق المنصرف وغير المنصرف فى شيئين :

(١) أن المنصرف منون ، وغير المنصرف لا ينون ، مثل (محمد) و(إبراهيم) .

(٢) أن المنصرف يجر بالكسرة على الأصل ، وغير المنصرف يجر بالفتحة على خلاف الأصل ، تقول : (يرجع نسب محمد إلى إبراهيم عليهما السلام) .

صفات ما يمنع الصرف :

تتدرج هذه الصفات - بصورة عامة - تحت صنفين رئيسيين :

الصنف الأول : ما يمنع من الصرف لوجود صفة واحدة فيه .

الصنف الثانى : ما يمنع من الصرف لوجود صفتين فيه .

وكل من هذين الصنفين فى حاجة إلى بيانه تفصيلاً .

الصنف الأول : ما يمنع من الصرف لصفة واحدة :

ورد ذلك فى اللغة - فى نوعين من الأسماء :

(١) صيغة منتهى الجموع :

لاحظ الأمثلة :

- * مدائن - منائر - ستائر - قواعد - معالم - مساجد - نوادر - دعائم -
كتائب - خنادق - بنادق - صواعق - مراوح .
- * مصاييح - عصافير - أغاريد - أهازيج - تماثيل - أقاصيص - أكاذيب -
مزاريق - مفاتيح .

يقصد بهذا الجمع علميا : كل جمع بعد الألف الدالة على الجمع فيه حرفان أو ثلاثة أحرف أو سطها ساكن ، والأول مثل (بنادق) والثاني مثل (عصافير) وإنما سمي هذا الجمع بهذه التسمية لسببين :

أولهما : أنه لا يمكن جمعه بعد ذلك ، بخلاف (رجال) مثلا فإنه يمكن جمعه فيقال : (رجالات) فهذا النوع من الجموع نهاية الجمع ولا جمع بعده .
وثانيهما : أنه جمع يأتي على صورة لا يمكن أن تتحقق في المفردات فلا يمكن أن نجد في المفردات كلمات ماثلة في وزنها للكلمات التي تأتي في هذا الجمع ، فكأنما هو غاية الجموع ؛ لتفرده بأوزانه الخاصة التي لا يشاركه الفرد فيها .

(٢) ألف التأنيث مقصورة وممدودة :

لاحظ الأمثلة :

- * سلوى - ليلي - لبنى - سعدى - ذكري - بردى - قتلى - جرحى -
دغوى - حرى .
- * نجلاء - صحراء - يبداء - حمراء - خضراء - أثرياء - فقراء - يوم أربعاء
وعاشوراء - قرفصاء - كبرياء - خيلاء .

فألف التأنيث المقصورة : ما جاءت في آخر الاسم دالة على التأنيث مفتوحا ما قبلها مثل (بردى) .

وألف التأنيث الممدودة - في تصور النحاة - ألف في آخر الكلمة قبلها ألف ، فنقلب الثانية همزة ، مثل (صحراء) أصلها - في التصور الذهني - «صحرا» فقلبت الثانية همزة - ولهذا سميت ممدودة ؛ لأنها في الحقيقة مع الألف السابقة عليها حرف مدّ طويل ، تنطق مع امتداد النفس .

وهنا ينبغي التنبيه لأمرين فيما يتعلق بألف التأنيث الممدودة :

الأول : أن إطلاق ألف التأنيث عليها لا يتفق مع ما ورد في اللغة ، فقد تكون في كلمة تدل على التأنيث مثل (نجلاء) وقد تأتي في كلمات لا دلالة فيها على التأنيث مثل (أطباء - أقرباء - أربعاء) فإطلاق « ألف التأنيث الممدودة » عليها مجرد اصطلاح في مقابل « ألف التأنيث المقصورة » ولا يراد منه حقيقة دلالة .

الثاني : أن الألف الممدودة المكونة من ألفين تنقلب الثانية فيهما همزة يجب لكي يكون الاسم معها ممنوعا من الصرف من توفر صفتين فيها :

(١) أن تكون واردة بعد ثلاثة أحرف فصاعدا ، فإن جاءت بعد اثنتين صرفت الكلمة ، مثل (رُغَاء - رِعاء - بناء - نداء - رداء) .

(٢) أن تكون زائدة في الكلمة التي وردت فيها ، فإن كانت أصلية أو منقلبة عن أصل صرفت الكلمة مثل (أعداء - أسماء - أبناء - نداء - رداء) .

الصنف الثاني : ما يمنع من الصرف لصفتين :

إحدى هاتين الصفتين دائما واحدة من اثنتين :

* **العلمية :** وذلك أن يكون الاسم دالا على ذات محدّدة ، مثل (عمر - عثمان - معاوية - عائشة - خديجة) .

* **الوصفية :** وذلك أن يكون الاسم دالا على معنى ينسب إلى غيره مثل (عطشان - غضبان - أخضر - أصفر) .

لكن ، يجب أن ينضم لكل واحدة من هاتين الصفتين السابقتين - العلمية أو الوصفية - صفة ثانية في الاسم الذي يمنع من الصرف ، فالعلمية أو الوصفية بمفردها لا تمنع الاسم من الصرف ، فوجود إحدى هاتين الصفتين - وإن كان ضروريا - لكن إحداهما لا تستقل وحدها بهذا الأمر .

فليس كل ما كان علما أو صفة ممنوعا من الصرف ، لوجود أعلام أو صفات

- وهذا هو الأكثر في اللغة - منصرفة ، مثل (محمد - خالد) علمين ، ومثل

(قوى - شجاع) صفتين .

لكن الممنوع من الصرف لا بد أن يكون علما أو صفة - بالتحديد السابق - مع ضم صفة أخرى للعلمية أو الوصفية كما هو مفصل في الآتي :

أولا : ما يجب أن ينضم للعلمية من الصفات - وهي ست صفات :
(١) التأنيث بغير الألف :

لاحظ الأمثلة :

فاطمة - عائشة - أمينة - أميرة - فريدة - كريمة -
نفيسة - نادية - نبيلة - يسرية - شادية - فادية -
حسنية .

حمزة - معاوية - أسامة - طلحة - سلامة

زينب - سعاد - سهير - عفاف - ناهد - هيام -
وجدان - آمال - أحلام - إجلال - إنصاف -
بوران .

الأعلام المؤنثة تأتي في اللغة العربية في ثلاث صور هي :

(أ) مؤنث لفظا ومعنى : وهو ما كانت به علامة التأنيث « التاء » ومعناه دال على مؤنث ، مثل (فاطمة - يسرية) وهذا النوع يمنع من الصرف قطعا من غير احتراز .

(ب) مؤنث لفظا لا معنى : وهو ما كانت به علامة التأنيث « التاء » لفظا ، لكن معناه مذكر مثل (معاوية - حمزة) وهذا النوع يمنع أيضا من الصرف مثل سابقه .

(ج) مؤنث معنى لا لفظا : وهو ما كان خاليا لفظا من التاء ، لكنه في المعنى يدل على المؤنث مثل (بوران - إحسان) .

وفي هذا النوع تفصيل لمنعه من الصرف ، ذلك أنه إن كان زائدا على ثلاثة أحرف - مثل كل الأمثلة السابقة - منع من الصرف مطلقا دون محترزات . فإذا كان ثلاثيا محرك الوسط مثل (سحر - ملك - سقر) منع أيضا من الصرف ، وإن كان ثلاثيا ساكن الوسط أعجميا - أصله غير عربي - منع من الصرف ، مثل (حنص - كرك - بلخ) .

وإن كان ثلاثيا ساكن الوسط غير ما سبق ، مثل (هَند - دَعْد - مَضَر) جاز فيه الوجهان : الصرف ، وعدم الصرف ، ومما ورد من ذلك ما يلي :

* قول الله تعالى : ﴿ اَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الآية ٩٩ من سورة يوسف] .

* قول الله تعالى : ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [الآية ٦١ من سورة البقرة] .

ففي الآية الأولى وردت (مصر) ممنوعة من الصرف ، وفي الثانية جاءت مصروفة .

* قول جرير :

لم تتلفَع بفضل مئزرها دَعْدٌ ولم تُسَقْ دَعْدٌ في العَلْبِ ^(١)

فكلمة (دعد) الأولى منصرفة ، والثانية ممنوعة من الصرف .

(٢) العجمة :

لاحظ الأمثلة الآتية :

(إدوارد - ألفونس - جونسون - ميخائيل - لندن - برلين - طهران - أنقرة - باريس) .

يقصد بالعجمة : أن يكون الاسم علما في غير اللغة العربية ، ثم استعمل فيها علما كما هو ، سواء أكان ذلك فيما استعملته العربية من غير اللغات الأخرى قديما مثل (أذربيجان - نهاوند - فيروز - بطرس) أم ما تستعمله اللغة الآن من أعلام اللغات المعاصرة ، مثل (بيفن - نيكسون - جورج) .

ومن المعروف أنه في أثناء الترجمة يحافظ المترجم على الأعلام المنقولة كما هي دون تغيير ، وهذه الأعلام تمنع من الصرف .

(١) الإزار : الرداء ، وفضل الإزار : بقية الرداء ، والتلفع بالإزار : لفه على الجزء الأعلى من الجسم ، وهو من عمل نساء الأعراب - العلب : جمع علبة وهي الإناء الذي يشرب فيه الأعراب ، وعادة ما يكون من الجلد « كالقربة » .

يقول : إن « دعد » حضرية غنية في كسائها وشربها ، وليست أعرابية خشنة فهي لا تتلفع بفضل الرداء مثلهم ، ولا تشرب الماء في آنيتهم .

الشاهد في البيت : ورود كلمة « دعد » فيه مرتين مصروفة في الأولى وغير مصروفة في الثانية . إذ هي علم ثلاثي مؤنث ساكن الوسط غير أعجمي ، وهذا يصح صرفه ومنعه من الصرف .

ويقول العلماء : إن أسماء الأنبياء كلها ممنوعة من الصرف لهذه الصفة

« العجمة » مثل (إسحاق - يعقوب - داود - سليمان - يوسف - موسى - هارون - أيوب - زكريا - يحيى - عيسى - إلياس - إدريس) .

لكن يستثنى من هذه الأسماء ستة فهي مصروفة وهي (محمد - صالح - شعيب - هود - نوح - لوط) قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ [الآية ١ من سورة نوح] وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُم هُودًا ﴾ [الآية ٦٥ من سورة الأعراف] وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [الآية ٢٩ من سورة الفتح] .

(٣) التركيب المزجي :

لاحظ الأمثلة الآتية :

(نيويورك - حضرموت (من مدن اليمن الجنوبية) - بعلبك (قلعة في لبنان) - معد يكرب (أحد أسماء الجاهلية) - بختنصر (أحد ملوك الفرس) - بورسعيد) .

الكلمات السابقة من التركيب المزجي .. ومعناه أن تمتزج كلمتان فتصيرا كلمة واحدة ويكون الإعراب حينئذ على آخر الكلمتين الممزوجتين ، تقول : (نيويورك من أكبر المدن الأمريكية) وتقول : (إن بورسعيد مدينة ذات شهرة بطولية بين مدن العالم الحديثة) ، وتقول : (يستلهم السياح عبر التاريخ من أطلال بعلبك) . فالمركب المزجي يرفع بالضممة وينصب بالفتحة ويجر بالفتحة - كما ترى في الأمثلة .

كل ذلك إذا لم يكن المركب المزجي مختوما بكلمة (وَيْهِ) مثل (سبويه - نفطويه - درستويه) ، فإن كان كذلك فإنه يبنى دائما على الكسر وليس من هذا الباب .

(٤) زيادة الألف والنون :

لاحظ الأمثلة الآتية :

(عثمان - مروان - نعمان - سليمان - لقمان - عمران - عثمان) زيادة

الألف والنون مع الأعلام ، وإنما تعتبران زائدتين إذا جاءتا بعد ثلاثة أحرف من

الكلمة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴾ [الآية ١٣ من سورة لقمان] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ ﴾ [الآية ١٢ من سورة لقمان] . وقال

STUDENTS-HUB.COM

تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ [الآية ٣٥ من سورة آل عمران] - فكلمة (لقمان) في الآية الأولى مرفوعة بالضممة ، وفي الثانية منصوبة بالفتحة ، أمّا كلمة (عمران) في الآية الثالثة فهي مجرورة بالفتحة .

(٥) وزن الفعل :

لاحظ الأمثلة الآتية :

(سَبَّحَ - أحمد - يزيد - ثعلب - نرجس) .

المقصود بوزن الفعل أن تأتي أسماء الأعلام على وزن خاص بالأفعال ولا يكون في الأسماء ، مثل (سَبَّحَ : علما) فإن وزن (فَعَّلَ) لا يكون إلا في الأفعال مثل (جَمَعَ - قَدَّمَ - أَمَّن) .

كذلك يقصد بوزن الفعل أن تأتي أسماء الأعلام وفي أولها زيادة تكون في الأفعال عادة مثل حروف المضارعة (الهمزة - النون - الياء - التاء) وأن يكون على وزن يأتي في الفعل - وإن لم يكن خاصا به - وذلك مثل (أحمد - يزيد - تغلب - نرجس) أعلاما ، تقول : (استولى يزيد بن معاوية على الدولة دون مشورة المسلمين) . وتقول : (قبيلة تغلب إحدى قبيلتين اشتركتا في حرب البسوس) .

(٦) العدل :

أشهر ما نسب له هذه الصفة أعلام معدودة جاءت على وزن (فَعَّلَ) وهي (عَمَرَ - زُفَرَ - مُضَرَ - قَتَّمَ - جُشِمَ - جُمِعَ - دُلِفَ - ثُعَلَ - هُبِلَ - زُحِلَ - قُزِحَ) .

قالوا : مثلا في كلمة (عَمَرَ) وهو علم ، أصله (عامر) فعدل عن هذا الأصل إلى (عمر) ومثله الباقي ؛ وهذا غريب !! فمن الذى يمكنه أن يحقق هذا الأصل المدعى !! الحق أن هذا تكلف دعا إليه بحث النحاة عن صفة ثانية تنضم للعلمية ، فلم يجدوا غير هذا الادعاء المتكلف الذى لا ترتاح إليه النفس .

قال ابن هشام : « مثال العدل مع العلمية (عمر - زُفَرَ - زُحِلَ - جُمِعَ - دُلِفَ) فإنها معدولة عن (عامر - زافر - زاحل - جامح - دالف) . وطريق معرفة ذلك أن يلقى من أفواههم ممنوع الصرف ، وليس فيه مع العلمية ظاهرة ، فيحتاج إلى تكلف دعوى العدل فيه » . أ . ه .

وخلاصة الأمر : أن الأسماء الاثنى عشر السابقة وردت فى اللغة ممنوعة من الصرف ، ويعبر عنها أهل صناعة النحو بأنها ممنوعة من الصرف للعلمية والعدل .

ثانيا : ما يجب أن ينضم للوصفية من الصفات ، وهو ثلاث صفات :

(١) زيادة الألف والنون :

لاحظ الأمثلة الآتية :

(فرحان - شعبان - ملآن - غضبان - جوعان - ظمآن) .

الكلمات السابقة صفات وفى آخر كل منها ألف ونون زائدتان ، فكل منها ممنوع من الصرف للوصفية وزيادة الألف والنون ، تقول : (أسعدُ لكريم فرحانَ ولا آسفُ على لثيم غضبانَ) - وهذه الصفات الممنوعة من الصرف تأتى على وزن (فعلان) فقط .

(٢) وزن الفعل :

لاحظ الأمثلة الآتية :

(أَجْمَل - أَلْطَف - أَحْسَن - أَعَزَّ - أَكْرَم - أَجَلَّ - أَشْرَف - أَحْمَر - أَخْضَر) .

ويقصد بذلك الصفات التى على وزن (أفعل) فهذه جميعا تمنع من الصرف للوصفية ووزن الفعل ، لأن وزن (أفعل) أقرب للفعل منه للاسم ، تقول : (لا فرق فى الإسلام بين أسودَ وأبيضَ) ، وتقول : (الصَّبْرُ أجْدَرُ بالكريم عند الشَّدة) - وهذه الصفات الممنوعة من الصرف تأتى على وزن (أفعل) فقط .

(٣) العدل :

الصفات التى نسب إليها « العدل » محصورة فى كلمات معينة هى :

(أ) كلمة (أَخْرَ) فى قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [الآية ١٨٤ من سورة البقرة] .

فهى فى الآية صفة لكلمة (أيام) مجرورة بالفتحة لأنها ممنوعة من الصرف للوصفية والعدل ، والوصفية أمر مفهوم فيها لدلاتها على معنى ينسب لغيرها ، أما

العدل فقد خضع لتصور ذهنى ملخصه فى الآتى :

كلمة (أخر) جمع مفردة كلمة (أخرى) ، وكلمة (أخرى) مؤنث مذكوره
كلمة (آخر) ، وكلمة (آخر) اسم تفضيل على وزن (أفعل) مثل (أعظم - أجمل -
أكرم) واسم التفضيل مادام مجردًا من « ال والإضافة » فإنه يستعمل دائما مفردا
مذكرا ، فلا يثنى أو يجمع أو يؤنث ، فنقول :

(العامل أكرم من الكسول والعاملون أكرم من الكسالى) فبقى اسم التفضيل
مفردا فى المثالين .

وعلى ذلك ، فقد كان من المفروض فى الآية - فى صنعة النحو - أن يقال
(فعدة من أيام آخر) فتكون الكلمة مفردة ، لكن عدل عن ذلك إلى (آخر)
مجموعة .

وخلاصة الأمر : أن هذه الكلمة (آخر) ممنوعة من الصرف - وهى وصف
عدل عن غيره بالتصور الذهنى السابق .

(ب) ما جاء على وزن (فُعَال وَمَفْعَل) من الأعداد (١ - ١٠) (أحاد مؤحد -
ثناء ومثنى - ثلاث ومثلث - رُباع ومربع) وهكذا حتى عشرة ، فلنلاحظ الأمثلة :
مَرَّ صف الجنود ثلاث { معناه : ثلاثة ثلاثة
تقدم الواقفون إلى شباك السينما أَحَادٌ أَحَادٌ { معناه : واحداً واحداً
فى المساء تعود الطيورُ إلى أعشاشِها فى جماعاتٍ { معناه خمسة خمسة
خُمَاسَ وشُدَّاسَ { وستة ستة

قال الله تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبُعَ ۚ ﴾ [الآية ٣
من سورة النساء] .

وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحَةٌ
مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبُعَ ۚ ﴾ [الآية ١ من سورة فاطر] .

قال ابن هشام : « وهى معدولة عن ألفاظ العدد الأصول مكررة ، فأصل (جاء
القوم أحاد) جاءوا واحداً واحداً ، وكذا الباقي » . أ . ه .

ومعنى هذا : أن هذه الألفاظ بهذه الصورة - يستغنى بها عن أسماء العدد
الأصلية مكررة فلجأ إليها فى الاستعمال اختصاراً ، فكلمة (رُباع) تغنى عن (أربعة
أربعة) ، وكلمة (مثلث) تغنى عن (ثلاثة ثلاثة) فاستخدام هاتين الصيغتين - فُعَال
ومَفْعَل من الأعداد على وزن (أفعل) عن استخدام الأعداد الأصلية مكررة ، وهذا هو معنى

المسائل المتفرعة على هذا الباب :

يتفرع على هذا الباب - بعد معرفة أصوله السابقة - مسائل ثلاث هي :

(أ) عودة الممنوع من الصرف للإعراب الأصلي .

(ب) صرف الممنوع من الصرف عند الحاجة .

(ج) منع صرف الأسماء المنصرفة عند الحاجة .

وليك بيان هذه الأمور الثلاثة .

عودة الممنوع من الصرف للإعراب الأصلي :

لاحظ الأمثلة الآتية :

ما شئٌ بأنبلَ من المروءة .

فالمروءة من أنبل الصفات .

ومن الأنبل لك أن تتصف بهذه الصفة .

الاسم الذى لا ينصرف - بكل أنواعه السابقة - يرفع بالضمة ، وينصب

بالفتحة ، ويجر بالفتحة أيضًا . فهذا الاسم يخرج عن الأصل فى حالة الجر فقط ،

لكنه يعود لهذا الأصل مرة أخرى - فيجر بالكسرة - فى حالتين :

١ - أن يضاف .

٢ - أن تتصل به الألف واللام .

فكلمة (أنبل) فى الأمثلة السابقة ممنوعة من الصرف للوصفية ووزن الفعل ،

وهى مجرورة بالفتحة فى المثال الأول ، وفى المثال الثانى عادت للأصل فجرت

بالكسرة ، لأنها مضافة ، وفى الثالث عادت للأصل ، فجرت بالكسرة لاتصالها

بالألف واللام . قال ابن مالك :

وَجُرَّ بِالْفَتْحِ مَا لَا يَنْصَرِفُ مَا لَمْ يُصَفَّ أَوْ يَكُ بَعْدَ «ال» رَدِفَ

صرف الممنوع من الصرف :

من صفات الاسم الممنوع من الصرف أنه لا ينون - كما سبق - لكن عند

حاجة المتكلم إلى تنوينه فإنه يترك هذا الأصل ، فينون مع استحقيقه منع التنوين ،

وتتحقق هذه الحاجة فى النثر والشعر على التفصيل الآتى :

(١) في النثر : لإرادة التناسب ، وذلك أن تكون بعض الكلمات منونة والأخرى غير منونة فتنون الأخيرة لتناسب ما جاءت معه من الكلمات المنونة ومن ذلك :

* قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكْسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا ﴾ [الآية ٤ من سورة الإنسان] فكلمة (سلاسل) ممنوعة من الصرف - وكلمة (أغلالا) مصروفة ، وقد قرئت الآية بتنوين الكلمة الأولى لتناسب الثانية ، وجاءت القراءة ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكْسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا ﴾ لقصد التناسب .

(٢) في الشعر : للضرورة ، والمقصود بذلك ضرورة موسيقى الشعر ونغمه التي تتمثل في أوزانه وقوافيه ، فإذا لم تستقم هذه الموسيقى إلا بتنوين الاسم الممنوع من الصرف ، كانت تلك ضرورة تبيح للشعراء هذا التنوين ، ومن ذلك قول امرئ القيس :

ويوم دخلتُ الخِدرَ خِدرَ غُنَيْزَةٍ

فقالَتْ : لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي ^(١)

فكلمة (عنيزة) ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث ، وصرفت في البيت لضرورة الشعر .

منع صرف الأسماء المنصرفة :

كما أتيح للشاعر أن يصرف الممنوع من الصرف ، يباح له أيضًا العكس .

وهو أن يمنع صرف الأسماء المنصرفة - وهي ضرورة موضع خلاف - لأن مجال الشعر ضيق بالوزن والقافية وعدد التفاعيل ، فيباح له ما لا يباح لمن ينطق نثرا ، ومن ذلك :

(١) الخدر : المكان المخصص للنساء في البيت ، والمقصود به هنا الهودج . لك الويلات : دعاء عليه بالهلاك والعذاب ، ولا يقصد به حقيقته ، بل هو تصوير للتدلل والإعجاب - إنك مرجلي : جاعلني أسير على رجلى لهلاك البعير .

* قول ذى الإصبع العدوانى يمدح عامر بن الطفيل بالطول وفراهة الجسم :

وَمِمَّنْ وَلَدُوا عَامِرُ ذُو الطَّوْلِ وَذُو العَرَضِ (١)

* قول الأخطل فى أحد القادة الذين هزموا الخوارج :

طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت بشبيب غائلة النفوس غدور (٢)

فالكلمتان (عامر - شبيب) فى البيتين منعتا من الصرف - مع أنها منصرفتان

- لضرورة الشعر .

* * *

(١) الشاهد فى البيت أن كلمة (عامر) فى الأصل مصروفة ، لكنها منعت الصرف فى البيت

لضرورة الشعر .

(٢) الأزارق : فرقة من الخوارج - شبيب : أحد زعماء الخوارج - غائلة النفوس : الموت والشاهد فى البيت : منع صرف كلمة (شبيب) لضرورة الشعر مع أنها فى الأصل مصروفة .

المثنى

- (١) المقصود بالمثنى وكيفية إعرابه .
- (٢) صفات الاسم الذى يصح تثنيته .
- (٣) ما ألحق بالمثنى من الأسماء .

* * *

المثنى وكيفية إعرابه :

- نزل الفريقان أرضَ الملعب .
- ولعبا الشوطَين بجهد وافر .
- وفاز فريقنا بهدفيْن لهدفٍ واحد .

الكلمات (الفريقان - الشوطَين - هدفيْن) كلمات مثناة ، ومثلها ما لا يكاد يحصى من الكلمات مثل (الصديقان - الوفيان - البحران - الثَّهران - الكتابان - الصفحتان - الزميلان - الزميلتان) .

فالمثنى يقصد به كل اسم دلَّ على اثنين أو اثنتين وأغنى عن المتعاطفين بزيادة ألف ونون أو ياء ونون فى آخره أ.هـ .

وعلى ذلك فإن المثنى هو ما اجتمعت له الصفات الثلاث الآتية :

(أ) أن يدل على اثنين أو اثنتين (الصديقان - الصديقتان) لا فرق بين المذكر والمؤنث ، فكل منهما يأتى مثنى .

(ب) أن يغنى عن المتعاطفين ، وذلك أن يكون ذكر المثنى اختصاراً لمفردين يعطف كل منهما على الآخر ، فبدلاً من أن نقول (فريق وفريق) تغنى عنهما (فريقان) وبدلاً من أن نقول (هدف وهدف) تغنى عنهما (هدفان) .

والمثنى يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء المفتوح ما قبلها المكسور ما بعدها ، ففي المثال (نزل الفريقان أرض الملعب) كلمة (الفريقان) فاعل مرفوع بالألف ، وفي المثال (لعبا الشوطين بجهد وافر) كلمة (الشوطين) ظرف زمان منصوب بالياء ، وفي المثال الأخير (فاز فريقنا بهدفين) كلمة (هدفين) مجرورة بالياء .

هذا هو الأصل في إعراب المثنى ، وهو اللغة الفصحى المشهورة التي ينبغي لنا اتباع نهجها والنطق على أساسها .

لكن ينبغي أن نتذكر هنا مرة أخرى ما سبق من أن النحاة جمعوا اللغة من قبائل متعددة ، ومما نقلوه أنّ بعض القبائل تنطق المثنى بالألف دائما رفعا ونصبًا وجرا ، وروى من ذلك الشواهد الآتية :

* قول المتلمس :

فأطرقَ إطراقَ الشُّجاع ولو رأى مساعًا لِنَابَاهُ الشُّجاعُ لَصِمًّا ^(١)

* قول آخر :

تزودَ منا بين أذَنَاهُ طعنةً دَعَتْهُ إِلَى هَايِي الترابِ عَقِيمٌ ^(٢)

والذي أراه أن هذه لغة ضعيفة لا يعول عليها ، وينبغي معرفتها فقط دون النطق على أساسها .

(١) الشجاع : في أحد معانيه : ذكر الحيات - المساع - المدخل السهل - صمم - كما يقول القاموس - من معانيها : عض الناب .

ومعنى البيت : أن الشخص الذي يتحدث عنه صبر على مضض ولو وجد وسيلة يهاجم منها عدوه لسلوكها ، فهو كالحية الذكر في إطراقها وصبرها على من تهاجمه ولو وجدت مدخلا لمهاجمته لعضته بنابها .

والشاهد في البيت : قوله (لناباه) في الشطر الثاني ، فإن (النابان) مثنى وهي مجرورة باللام - ومع ذلك لزم الألف على اللغة التي تلزمه الألف دائما .

(٢) هايي التراب : التراب الدقيق الناعم - عقيم : يقال طعنة عقيم إذا كانت نافذة .

وخلاصة المعنى : يصف رجلا من أعدائهم قتل ، فيقول : لقد نال منا طعنة نافذة ألقت ميتا على التراب وبين التراب .

والشاهد في البيت : قوله (أذناه) فإنه مثنى وهو مضاف إلى كلمة (بين) وقد لزم الألف على اللغة .
من يلزمه الألف دائما .

صفات الاسم الذى يصح تثنيته :

ليست كل الأسماء فى اللغة صالحة للتثنية ، فالاسم الذى يثنى تتوافر له صفات خاصة يمكن فهم معظمها من المسلك العملى الذى تأتى عليه الأسماء المثناة ، وأهم هذه الصفات - باختصار - هى :

١ - أن يكون مفردا : وهذا بدهى ، فإن المثنى لا يثنى مرة أخرى وكذلك الجمع .

٢ - أن يكون معربا : وهذا أيضًا بدهى ، فإن الأسماء المبنية - كما سيأتى - لا تتغير ، فهى لا تثنى ، أما الكلمات (هذان - هاتان - اللذان - اللتان) فهى ملحقة بالمثنى لا مثناة .

٣ - أن يكون نكرة : مثل (ورقة - شجرة) نقول (ورقتان - شجرتان) لكن الأعلام مثل (محمد - عمر - على) تثنى ، فنقول (محمدان - عمران - عليان) وكذلك الأسماء التى بها الألف واللام مثل (الشوط - الطريق) نقول (الشوطان - الطريقان) فكيف يستقيم هذا الشرط مع ذلك ؟

يتصور أهل صنعة النحو أن هذه الأعلام قبل تثنيتهما شملها التنكير بمعنى أن الاسمين (محمد - محمد) قبل تثنيتهما اختلط كل منهما بالآخر بحيث لا يتميز هذا من ذاك ثم حدثت التثنية .

وبالمثل يتصور أن كلمة (الشوطان) ليست تثنية (الشوط) المقترن بالألف واللام ، بل هى تثنية (شوط) النكرة ، ثم دخلت عليه الألف واللام .

والحق أن هذا تكلف لا داعى إليه ، وأن المثنى - فيما أعتقد - يأتى للنكرات والمعارف دون تفريق .

٤ - ألا يكون مركبا : سواء أكان مركبا مزجيا مثل (مَعْدٍ يَكْرِب) أو إسناديا مثل (جَادَ الرَّبِّ) أو إضافيا مثل (عبد الله) فهذه كلها لا تثنى بطريقة مباشرة ، بل هناك وسائل لتثنيها كالاتى :

(أ) المركب المزجى والإسنادى حين التثنية تسبقهما كلمة (ذَوَا) مع المذكر ، أو (ذَوَاتِ) مع المؤنث وتبقى الكلمة المركبة دون تثنية ، فيقال (ذَوَا مَعْدٍ يَكْرِب) أو (ذَوَاتِ جَادَ الرَّبِّ) .

(ب) المركب الإضافى تشئى الكلمة الأولى منه ، فنقول (عَبْدًا الله) .

٥ - أن يكون المفردان اللذان يكوّنان المثنى متفقين فى اللفظ والمعنى وهذا بدهى ، فلا يشئى مثلاً (فاطمة - سامية) لاختلافهما لفظاً ومعنى .

٦ - أن يكون المفرد الذى يشئى له نظير مماثل ، وهذا أيضاً بدهى ، فلا يشئى الشئ المفرد مثل (الله - الأرض - الشمس - القمر) فوجود شيئين متشابهين ضرورى للتثنية .

تلك أهم الصفات الضرورية فى الاسم الذى يشئى ، وهى فى عبارة واحدة :

(أن يكون مفرداً معرباً منكراً غير مركب ، وله مماثل متفق معه فى اللفظ والمعنى) .

ومعظم هذه الشروط بدهى يمكن استنتاجه دون ذكره .

ما ألحق بالمثنى من الأسماء :

المقصود من الإلحاق - عموماً - ورود كلمات فى اللغة تعرب إعراب ما ألحقت به ، لكنها لم تستوف شروطه أ.هـ . ويتحقق هذا فى ثلاثة من أبواب الإعراب الفرعى هى « المثنى وجمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم » وسيأتى شرح الأسماء الملحقة بكل واحد من الأخيرين فى موضعه .

والمقصود - إذن - من الإلحاق بالمثنى ورود كلمات فى اللغة لها صورة المثنى وتعرب إعرابه بالألف رفعا وبالياء نصباً وجراً ، لكنها ليست مثناة حقيقة لفقدان بعض شروط الاسم الذى يصح تثنيته ، فهى إذن ملحقة بالمثنى لا مثناة .

والأسماء الملحقة بأربع مجموعات هى :

المجموعة الأولى : هذان - هاتان - اللذان - اللتان :

ومفرداتها على الترتيب هى (هذا - هاتيه - الذى - التى) فالأولان من أسماء الإشارة ، والأخيران من الأسماء الموصولة ، وكل من أسماء الإشارة والأسماء الموصولة مبنى ، وقد اشترط فيما يشئى - كما سبق - أن يكون معرباً ، فهذه الأسماء إذن ليست مثناة حقيقة ، ولكنها وردت معربة إعراب المثنى فهى ملحقة

* قال الله تعالى : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الآية ١٩ من سورة الحج] .

* وقال : ﴿ رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْحِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ [الآية ٢٩ من سورة فصلت] .

المجموعة الثانية : اثنان واثنان .

هاتان الكلمتان لا مفرد لهما على الإطلاق ، فليستا من المثنى حقيقة لكنهما وردتا معربتين إعرابه ، فهما ملحقتان به .

* قال الله تعالى : ﴿ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [الآية ٦٠ من سورة البقرة] .

* وقال : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ [الآية ١٤ من سورة يس] .

المجموعة الثالثة : كلا - كلتا .

هاتان الكلمتان أيضًا لا مفرد لهما ، فليستا من المثنى ، بل هما ملحقتان بالمثنى ، لورودهما معربتين إعرابه بالألف رفعا وبالياء نصبا وجرا ، تقول (صاحبت صديقيّ كليهما الليلة) وتقول (اشتركت في الرحلتين كليهما) .

لكن حول هاتين الكلمتين ينبغي التنبيه للملاحظتين الهامتين الآتيتين :

الأولى : أن هاتين الكلمتين تعربان إعراب المثنى إذا أضيفتا إلى الضمير فقط

- أما حين تضافان للاسم الظاهر فإنهما تلزمان الألف وتعربان بالحركات المقدرة على الألف مثل الأسماء المقصورة - فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

الصفّتان - المروءة والوفاء - كلتاها	{ مرفوع بالألف ملحق بالمثنى -
حميدتان	{ مضاف للضمير
كلتا الصفتين - المروءة والوفاء	{ مرفوع بالضممة المقدرة على الألف
حميدتان	{ مضاف للظاهر
في الحياة النجاح والفشل ، وقد خضت	{ منصوب بالياء ملحق بالمثنى -
التجربتين كليهما	{ مضاف للضمير
في الحياة النجاح والفشل وقد خضت	{ منصوب بالفتحة المقدرة على الألف
كلتا تجربتين	{ مضاف للظاهر

الثانية : أن هاتين الكلمتين - سواء أضيفتا للضمير أم الظاهر - لفظهما مفرد ومعناهما مثنى ، فلهما جانبان : الإفراد والتثنية .

ويترتب على ذلك أنهما إذا وقعتا مبتدأ وأخبر عنهما ، فإن الخبر يصح فيه الإفراد مراعاة للفظهما ، ويصح التثنية مراعاة لمعناهما ، ويصح هذان الأمران أيضًا إذا عاد عليهما ضمير في كلام لاحق لهما - فلنلاحظ الأمثلة :

إن الصديقين متفاهمان وكلاهما متفق

مع الآخر { كلمة (متفق) مفردة مراعاة للفظ

إن الصديقين متفاهمان وكلاهما

متفقان { كلمة (متفقان) مثناة مراعاة للمعنى

* قال الله تعالى : ﴿ كَلْنَا الْجَنَيْنَ ءَانَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [الآية

٣٣ من سورة الكهف] .

* جاءت الآية (آتَتْ) بإفراد الضمير المستتر ، ولم تجئ (آتَتْ) بالتثنية .

* قال عبد الله بن معاوية :

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن - إذا متنا - أشد تغانياً^(١)

فجاءت كلمة (غني) خبراً مفرداً مراعاة للفظ المبتدأ - ولو راعى المعنى لقال

(غنيان) .

المجموعة الرابعة : ما سمى بالمشنى :

(١) معنى البيت : كلانا مستغن عن الآخر في الحياة ، ونحن أشد غنى بعد الموت .

الشاهد في البيت : جملة (كلانا غني) فهذا مبتدأ وخبر ، والمبتدأ كلمة (كلانا) وقد أخبر عنها

بمفرد هو (غني) مراعاة للفظه .

إعراب البيت : « كلانا » كلا ، مبتدأ مرفوع بالالف ، ملحق بالمشنى ، نا : مضاف إليه مبنى

على السكون في محل جر - غني : خبر المبتدأ مرفوع بالضممة - « عن أخيه » عن : حرف جر -

أخيه : مجرور وعلامة جره الياء ، لأنه من الأسماء الستة ، وضمير الغائب مضاف إليه - « حياته »

حياة : ظرف زمان منصوب بالفتحة ، وضمير الغائب مضاف إليه - « ونحن » الواو : حرف استئناف

- نحن : مبتدأ مبنى على الضم في محل رفع - إذا : أداة شرط - متنا : فعل وفاعل جملة الشرط ،

وجواب الشرط محذوف ، والجملة الشرطية معترضة بين المبتدأ والخبر - أشد : خبر المبتدأ مرفوع بالضممة - تغانياً : تمييز منصوب بالفتحة .

ويقصد بذلك أن يطلق المثنى على أحد الأشخاص ، فيكون اسما له مثل (محمدين - حسنين - عزّين) فهذه الأسماء مثناة في اللفظ ، ولكنها تطلق على المفرد فمعناها غير مثنى ، ولذلك لم تكن مثناة ، وإنما ألحقت بالمثنى ، فترفع بالألف وتنصب وتجر بالياء بناء على هذا الاعتبار السابق .

والذى أراه - إن لم يجانبني الصواب - أن هذه الأسماء المثناة التى سُمّى بها يجب أن تلتزم نطقها - حين أطلقت على الأشخاص - وتعرب بالحركات الأصلية على آخرها بالضمّة رفعًا وبالفتحة نصبا وبالكسرة جرًا فنقول (اسمى محمدٌ واسمُ أخى محمدٍ) بضمّ النون رفعًا ، وتقول (يُطلق القرويون على أبنائهم الاسمَ حسنين) بفتح النون نصبا ، إذ أن هذه الألفاظ المثناة بعد استعمالها أعلاما لا يكاد الناطق بها يلتفت إلى معناها المثنى ، فكأنما صارت علما مفردًا كسائر الأعلام المفردة ، وهى لا تنون نظرًا لأصلها قبل التسمية .

* * *

جمع المذكر السالم

- (١) المقصود بجمع المذكر السالم وكيفية إعرابه .
- (٢) صفات الاسم الذي يجمع هذا الجمع .
- (٣) ما ألحق بجمع المذكر السالم من الأسماء .

* * *

جمع المذكر وكيفية إعرابه :

● قال الله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [الآية ١ ، ٢ من سورة

المؤمنون] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَكَ الْأَسْفَلَ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [الآية ١٤٥ من سورة النساء] .

﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [الآية ١٤١ من سورة النساء] .

الكلمات (المؤمنون - خاشعون - المنافقين - الكافرين) مما يطلق عليه اسم « جمع المذكر السالم » ومثلها كثير جدا مما لا يكاد يحصى ، مثل (مهتدون - متماسكون - متراحمون - متواضعون - متعففون - راضون - نابهون - أكرمون) .

فجمع المذكر السالم يقصد به : اسم دلّ على أكثر من اثنين مع سلامة لفظ مفردة بزيادة واو ونون أو ياء ونون في آخره أ . ه .

ومن ذلك التعريف يعلم أن جمع المذكر السالم ما اجتمعت له الصفات الآتية :

(أ) أن يدل على ثلاثة فصاعدا ، فكلية (مواطنون) تدل على عدد يبدأ من ثلاثة إلى ما لا نهاية - وهذا يفسر لنا تسميته « جمعا » .

(ب) أن هذا الجمع لا يطلق إلا على الذكور فقط ، فكلية (منافقون) يقصد بها جماعة الذكور فقط - وهذا يفسر لنا تسميته « مذكرا » .

(ج) أن المفرد يبقى - حين الجمع - كما هو دون تغيير ، فقط يضاف إليه

الواو والنون أو الياء والنون ، مثل (متواضع) المفرد ، يأتي منه هذا الجمع (متواضعون - متواضعين) فبقى المفرد سالما دون تغيير فيه - وهذا يفسر لنا تسميته « سالما » .

ولعله قد وضح تماما تسمية هذا الجمع بالكلمات الثلاث (جمع مذكر سالم) .

هذا الجمع يرفع بالواو وينصب بالياء المكسور ما قبلها المفتوح ما بعدها ، ففي الآيات السابقة - بدئ بها الموضوع - كلمة (المؤمنون) فى الآية الأولى مرفوعة بالواو وفى الآية الأخيرة مجرورة بالياء . وكلمة (المنافقين) فى الآية الثانية منصوبة بالياء ، وكلمة (الكافرين) فى الآية الأخيرة مجرورة بالياء .

هذا هو الأصل فى إعراب جمع المذكر السالم - بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرا - وهو اللغة الفصحى المشهورة التى ينبغى لنا النطق على طريقها .

لكى ينبغى أن نتذكر هنا - كما قلنا غير مرة - أن اللغة رويت عن قبائل متعددة ، ومما نقل عن العرب فى إعراب جمع المذكر لغة أخرى لا شهرة لها ولا كثرة ، والغرض من ذكرها هنا العلم بها دون التأثير بنطقها أو القياس عليها ، وهى :

بعض العرب يلزم جمع المذكر الياء دائما ويأتى على النون فى آخره بالإعراب الأصلى ، فتشكل بالضممة رفعا وبالفتح نصبا وبالكسرة جرا ومما ورد من ذلك الشواهد الآتية :

● ما روى عن الرسول ﷺ فى دعائه على قريش : (اللَّهُمَّ اجعلها عليهم سنيئًا كسنيين يوسف)^(١) فكلمة (سنيين) وردت فى الحديث أولا منصوبة بفتحة النون ، وثانيا مجرورة بكسرة النون .

(١) أوردت بعض كتب النحو - كالأشمونى - الحديث بالصورة المذكورة ، لكن البخارى أوردته فى كتاب التفسير عن ابن مسعود بلفظ (اللهم أعنى عليهم سبع سبع يوسف) وعلى ذلك فلا دليل فيه « انظر فتح المبدى ج ٢ ص ١٩٣ » .

الشاهد فى الحديث : مجيء كلمة « سنيين » فيه مرتين ملتزمة الياء ومعربة على آخرها بالحركات الأصيلة ، فهى فى الأولى منصوبة ومنونة « سنيئا » وفى الثانية مجرورة بالكسرة على النون فى « كسنيين يوسف » وقد جاءت على اللغة غير المشهورة .

● قول الصمة بن عبد الله القشيري :

دعاني من نجد فإن سنينَه لَعَيْنَ بِنَا شَيْبَا وَشَيْبَتَنَا مُرَدَا (١)

● وقول ذى الإصبع العدواني :

إِنِّي أَبِيُّ أَبِيُّ ذُو مَحَافِظَةٍ وَابْنُ أَبِيُّ أَبِيُّ مِنْ أَبِيِّينِ (٢)

وهي لغة قليلة الشهرة - كما ذكرنا - وينبغي - إن لم يجانبني الصواب - صرف النظر عنها وعن أمثالها مما ورد في جمع المذكر السالم من اللغات التي لا داعي لذكرها .

صفات الاسم الذي يجمع هذا الجمع :

الذي يجمع هذا الجمع من الأسماء المفردة صنفان :

الصنف الأول : العلم :

ويقصد بالعلم : ما كان اسمًا لشخص أو شيء ، معين ، مثل (محمد - خالد) العلم الذي يجمع هذا الجمع لا بد (أن يكون لمذكر عاقل خالي من تاء التأنيث) .

فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

● محمد - خالد - عامر - عمر -

على - أحمد { يصح جمعها لاستيفاء الشروط .

= لكن للحديث رواية أخرى ، هي (اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف) وعلى هذه الرواية يكون قد جاء على اللغة الفصحى في إعراب جمع المذكر السالم فحذف التنوين من الكلمة أولاً ، وحذف النون منها ثانياً للإضافة .

(١) دعاني : بمعنى : اتركاني - المرد : جمع أمرد ، وهو الشاب الذي لم ينبت في وجهه شعر .

يقول : اتركا ذكر « نجد » وسيرته ، فأنا أضيق بذلك ولا أطيعه ، لما جرى لي به من الأحداث الجسام التي هزت الشيوخ وشيبت الشباب .

الشاهد في البيت : موضعه في « سنينه » حيث لزمت الياء وأعربت على النون ، فهي منصوبة اسم « إن » - وتلك لغة غير مشهورة .

(٢) الأبي : الشهم الشجاع .

وموضع الشاهد في البيت كلمة (أبيين) في آخره . فقد التزمت الياء وأعربت على النون فهي مجرورة بالحرف (من) بكسرة النون ، وذلك على اللغة غير المشهورة .

● سعاد - زينب - أسامة - معاوية { لا يصح جمعها لفقدان بعض الشروط
الصنف الثاني : الوصف :

يقصد بالوصف : ما دل على ذات وصفة ، وذلك بالتحديد (اسم الفاعل -
اسم المفعول - الصفة المشبهة - اسم التفضيل - صيغ المبالغة) مثل (ناجح -
مسرور - فَرِحَ - أَزْوَجَ - لَمَّاح) .

والوصف الذى يجمع هذا الجمع لا بد (أن يكون لمذكر عاقل خالٍ من
الناء وليس على وزن أَفْعَلْ فَعْلَاءَ وَلَا فَعْلَانِ فَعْلَى) فلنلاحظ الأمثلة :

● مُخْلِصٌ - متفوّقٌ - مأمونٌ - فَرِحَ - أحسنٌ - لَمَّاحٌ { يصح جمعها
لاستيفاء الشروط .

● نَاهِدٌ - صاهلٌ - نابجٌ - راويةٌ - علامةٌ - أخضرٌ - خضراءٌ - عطشانٌ -
عطشى { لا يصح جمعها ، لفقدان بعض الشروط .

ما ألحق بجمع المذكر من الأسماء :

المقصود بالملحق بجمع المذكر - كما سبق فى المثنى - أن يكون الاسم
على صورة جمع المذكر ، وقد ورد فى اللغة معرباً إعرابه - بالواو رفعاً وبالياء نصباً
وجراً - لكنه لا ينطبق عليه مسلك الكلمات التى تجمع هذا الجمع وشروطها ،
فهو جمع فى الصورة ، وليس جمعا فى الحقيقة ، ولهذا يلحق بجمع المذكر فى
إعرابه ولا يعتبر جمعا .

والأسماء التى تلحق بجمع المذكر تأتى فى مجموعتين هما :

المجموعة الأولى : أولو - عشرون وبابه :

كلمة (أولو) بمعنى كلمة (أصحاب) ، نقول (أولو العزيمة - أولو المشورة)
وباب (عشرون) يقصد به (ثلاثون - أربعون - خمسون - ستون - سبعون -
ثمانون - تسعون) فهذا كله لا مفرد له من لفظه ، إذ لا يقال (أول - عشر) .

* قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى
وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ [الآية ٢٢ من سورة النور] .

* وقال : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ [الآية ٢١ من سورة الزمر] .

* قول أبى المنهال الخزاعى يشكو الشيخوخة :

إن الثمانين - وَبُلِّغَتْهَا - قَدْ أَخَوَجْتُ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ ^(١)

المجموعة الثانية : بنون - أهلون - عالمون - وأبلون - أرضون - سنون

وبابه :

والمقصود بباب (سنون) كل ما كان مثله فى المفرد والجمع مثل (مئين -

عِزِينَ - عِضِينَ) فهذه المجموعة كلها لها مفردات حقا هى على الترتيب (ابن - أهل - عالم - وابل - أرض - سنة) لكن هذا المفرد فيها جميعا لا يجمع جمع مذكر سالما ، لأنه اسم جامد وليس علما أو صفة .

ويضاف إلى ذلك أن بعض هذه المفردات لغير عاقل مثل (أهل - عالم -

وابل) وبعضها غير عاقل ومؤنث مثل (أرض - سنة) .

وخلاصة الأمر فى هذه المجموعة : أن مفرداتها لا تصلح لجمع المذكر

السالم ولذلك اعتبرت ملحقة به ، ومن شواهدا :

● قول الله تعالى : ﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الآية ٤٦ من سورة

الكهف] .

● وقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الآية ١ من سورة الفاتحة] .

● قول الرسول ﷺ : (من يظلم قيد شبرٍ من الأرض طُوِّقَهُ من سبع

أَرْضِينَ ^(٢)) .

● قول الشاعر :

وما المَالُ والأهلون إلا ودائعٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ ^(٣)

(١) « بلغتها » جملة دعائية للمخاطب بأن يطيل الله عمره حتى يبلغ الثمانين - ترجمان :

الأصل أنه الذى ينقل الكلام من لغة لأخرى ، والمقصود به هنا : الذى يبلغ الشيخ الطاعن فى السن ما يقال لضعف سمعه .

الشاهد فى البيت : (الثمانين) فإنها ملحقة بجمع المذكر السالم ، فتعرب إعرابه ، وهى فى

البيت اسم (إن) منصوبة بالياء .

(٢) صحيح البخارى - الجزء الثالث - كتاب المظالم والغصب .

(٣) موضع الشاهد : فى كلمة « الأهلون » ، فإنها ملحقة بجمع المذكر السالم وهى معطوفة

على كلمة « المَالُ » المرفوعة ، فهى أيضا مرفوعة بالواو .

* قول أبي تمام :

أعوامٌ وصل كان يُنسى طولها ذكرُ النوى ، فكأنها أيامٌ
ثم انبرت أيامٌ هجرٍ أردفتُ نحوى أسمى ، فكأنها أعوامٌ
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلامٌ ^(١)

المجموعة الثالثة : ما سمي بجمع المذكر :

مثل (عابدين - ابن زيدون - سعدون - حمدون)

فهذه من جموع المذكر السالم في اللفظ ، لأنها في الأصل جمع (عابد - زيد - سعد - حمد) ثم سُمي بها واحد فقط ، فصار معناها غير جمع بل مفردا ، فهي - لذلك - ملحقة بجمع المذكر ، فتعرب - فيما يرى النحاة - إعرابه ، بالواو رفعا وبالياء نصبا وجزا .

والذي أراه - إن لم يجانبني الصواب - أنه إذا سمي بجمع المذكر ، فإنه يلتزم صورة التسمية ، ويعرب بالحركات الأصلية على آخره ، لأن هذا هو الذي يتفق مع الإحساس اللغوي بالكلمة بعد أن سُمي بها ، إذ يتناسى أصلها ، وتعتبر مفردا جاء على هذه الصورة الخاصة التي أطلق بها على المفرد فتقول (من أصدقائي الأستاذ عابدين) وتقول (احترمتُ الصديق عابدينَ لوفائه) وتقول (من أحياء القاهرة العريقة حَيُّ عابدين) - وهو لا ينوّن نظرا لأصله قبل التسمية .

* * *

(١) النوى : البعد - انبرت : جاءت - أردفت : جاء في أثرها .

ذكرى مؤثرة ، أعوام من السعادة مرت كأنها أيام ، وأيام من التعاسة طالت كأنها أعوام ، وانتهى الجميع ، ولم يبق إلا ذكرى كأنها أحلام .

والأبيات لأبي تمام ، وهو - فيما يرى النحاة - لا يستشهد بشعره ، وإنما جاءت على سبيل التمثيل .

وموضع التمثيل : في البيت الأخير في كلمة (السنون) فهي ملحقة بجمع المذكر ، وهي في البيت مرفوعة بدل من كلمة (تلك) وعلامة رفعها الواو .

جمع المؤنث السالم (ما جمع بألف وتاء)

- (١) اسمه بين الشهرة والدقة ، وكيفية إعرابه .
- (٢) ما يجمع هذا الجمع من المفردات .
- (٣) ما ألحق به من الكلمات .

* * *

اسمه وكيفية إعرابه :

فى مجتمعنا مثقَّفَات طيبَات وفيه أيضًا جاهلاتٌ تافهاتٌ .
وتفهمُ المثقَّفةُ واجباتِها وتؤديها بأمانةٍ وشرفٍ .
وتعقِّدُ الجاهلةُ حياتِها بتصرُّفاتٍ رديئةٍ حمقاء .

المشهور عن هذا الجمع أنه يطلق عليه اسم (جمع المؤنث السالم) وهذا هو الاسم الشائع بين المعربين والشّادين فى النحو .

ويحدّد هذا الإطلاق المشهور علمياً بأنه : كل اسم دل على أكثر من اثنين مع سلامة مفردة وزيادة ألف وتاء فى آخره أ . هـ .

ومن هذا التحديد السابق تفهم الصفات التى روعيت فى إطلاق الاسم السابق عليه « جمع المؤنث السالم » وهى :

(أ) أنه يدل على أكثر من اثنين ، بمعنى أنه يدل على ثلاثة فصاعداً فمثلاً (عفيفات) تطلق على عدد كثير أقله ثلاثة - وهذا يفسر تسميته (جمعا) .

(ب) أن الغالب فى المفردات التى تجمع كذلك أن تكون مؤنثة كما ورد فى القرآن من وصف النساء الصالحات ﴿ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَكْبِتُنَّ عَيْدَاتٍ سَلَحَاتٍ ﴾ [الآية ٥ من سورة التحريم] . ومفرداتها على التوالى (مؤمنة - قانتة - عابدة - سائحة) وكلها مؤنثة ، وهكذا معظم ما يأتى منه هذا الجمع - وهذا يفسر تسميته (مؤنثاً) .

تغيير ، فتزاد الألف والتاء عليها ، فتصير من هذا الجمع ، مثل (مثقفة - طيبة - جاهلة - تافهة) مفردات ، يأتي منها الجمع بزيادة الألف والتاء ، فنقول (مثقفات - طيبات - جاهلات - تافهات) دون تغيير في المفرد - سوى حذف تاء التأنيث منه إن وجدت - وهذا هو الغالب فيما يجمع هذا الجمع وهو ما يفسر تسميته (سالما) .

وأظنه قد وضع الآن معنى الكلمات الثلاث (جمع - مؤنث - سالم) وهو اسم الشهرة لهذا الجمع .

(د) أن الألف والتاء اللتين يتحقق بهما صورة هذا الجمع لا بد أن تكونا زائدتين على المفرد ، وذلك بأن تكون بنية المفرد الأصلية خالية منهما - فلنلاحظ الأمثلة :

* تحيات - مباركات - طيبات - مقبولات { جمع مؤنث سالم
الألف والتاء زائدتان

* قُصَاة - هُدَاة - بُنَاة - دُعَاة - رُقَاة { جمع تكسير لا جمع
مؤنث الألف هنا أصلية غُرَاة - رُمَاة - سُعَاة - جُفَاة

* أُنْيَات - أصوات - أموات - أثبات { جمع تكسير - لا جمع
مؤنث التاء أصلية

هذا هو الاتجاه المشهور ، لكن أهل الدقة من علماء النحو - رحمهم الله - فضلوا على الاسم السابق اسما آخر هو (ما جمع بألف وتاء) فوافقوا بذلك الاتجاه المشهور في صفتين هما (الجمع - زيادة الألف والتاء) وصرفوا النظر على الصفتين الباقيتين وهما (مؤنث سالم) للآتي :

(أ) أن هذا الجمع كما يأتي من المفرد المؤنث ، يأتي أيضًا من المفرد المذكر ، مثل (تصرف - واجب - بيان - مطار - حمام) فتجمع على الترتيب (تصرفات - واجبات - مطارات - حمامات) .

وبناء على ذلك فلا داعي لأن يطلق على هذا الجمع أنه (مؤنث) .

(ب) أن هذا الجمع - كما يأتي من المفرد السالم لا يتغير حين جمعه - قد يتغير مفردة حين الجمع ، مثل (زَهْرَة - صَفْحَة - غُرْفَة - زَفْرَة - ظَلَمَة - ذِكْرَى

- عذراء) فنقول في جمعها على الترتيب (صَفَحَات - غُرَفَات - زَفَرَات - ظُلُمَات - ذِكْرِيَّات - عَذْرَاوَات) مما لو تأملتها - أدنى تأمل - لوجدت أنه قد تغير من المفرد حركة أو حرف .

وبناء على ذلك فلا داعي لأن يطلق على هذا الجمع أنه (سالم) .

والذى اختاره -- بعد توجيه كلا المصطلحين - هو اسم (جمع المؤنث السالم) مراعاة لقربه من أذهان المبتدئين ، وشهرته بين المعربين وأغلب المتخصصين .

وعلى كل حال ، فإن هذا الجمع يرفع بالضممة وينصب بالكسرة ويجر بالكسرة ، فيخرج عن الأصل في حالة النصب فقط .

وإذا عاودنا النظرة إلى الأمثلة التى بدأ بها الموضوع ، فإن الكلمات (مثقفات - طبيبات - جاهلات - تافهات) مرفوعة جميعا بالضممة ، أما كلمة (واجبات) فإنها منصوبة بالكسرة وكلمة (تصرفات) مجرورة بالكسرة .

● قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [الآية ٣٨ من سورة

[ق .

● وقال : ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ [الآية ١٥٢ من سورة الصفات] .

● وقال : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [الآية ١٦٨ من سورة البقرة] .

ما يجمع هذا الجمع من المفردات :

أهم الأسماء المفردة التى يأتى منها هذا الجمع صنوف أربعة هى :

- ١ - ما كان فى آخره تاء التأنيث مطلقاً ، سواء أكان مؤنثاً فى المعنى أيضاً مثل (فاطمة - عائشة) أم كان مؤنثاً فى اللفظ فقط مثل (معاوية - حمزة - طلحة - أسامة) . وسواء أكان علماً - كالأمثلة السابقة - أم صفة مثل (مشهودة - عالية) فنقول فى جمع المفردات السابقة جميعاً على التوالى (فاطمات - عائشات - معاويات - حمزات - طلحات - أسامات - مشهودات - عاليات) .

- ٢ - ما كان فى آخره ألف التأنيث مطلقاً ، سواء أكانت مقصورة مثل (ليلي -

نجوى - ذكرى) أم ممدودة مثل (لمياء - سمراء - لقاء) تقول فى ذلك كله حين جمعه : (ليليات - نجويات - ذكريات - لمياوات - سمراوات - لقاءات) .

٣ - ما كان خاليا من العلامتين السابقتين ، ولكنه مؤنث تأنيثا معنويا مثل (سعاد - زينب - سهير - ابتسام - إلهام) فتقول فيها جميعا : (سعادات - زينبات - سهيرات - ابتسامات - إلهامات) .

٤ - ما كان خاليا من العلامتين السابقتين ، ولكنه اسم جنس لغير العاقل مثل (حمّام - مطار - اشتباك - واجب) فنقول فيها على التوالى (حمامات - مطارات - اشتباكات - واجبات) .

ما ألحق بجمع المؤنث من الكلمات :

مرة ثالثة نتذكر أن المقصود بالملحق بجمع المؤنث السالم - مثل المثنى وجمع المذكر - ورود أسماء فى اللغة على صورة جمع المؤنث وتعرب إعرابه ولكنها فى الوقت نفسه ليست جمعا فى الحقيقة ، إذا لا تنطبق عليها شروطه أو لا تحمل معناه ، فهى إذن ملحقة به ، لأنها على صورته ، ولكنها ليست منه ، إذ لا ينطبق عليها شروطه ومعناه .

والكلمات التى ألحقت بجمع المؤنث السالم تأتى فى مجموعتين :

المجموعة الأولى : أولات :

وهى المقابل المؤنث لكلمة (أول) فى معناه وإعرابه - فكما أن كلمة (أول) بمعنى (أصحاب) فإن كلمة (أولات) بمعنى (صاحبات) مثل : (أولات العفة - أولات الرقة - أولات الخلق) . وكما أن (أول) تلحق بجمع المذكر فى إعرابه فترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء ، فإن (أولات) تلحق بجمع المؤنث السالم ، فترفع بالضممة وتنصب وتجر بالكسرة ، تقول : (تبرّج أولاتُ النفوس الضعيفة بطريفة فاضحة مثيرة ، لكنّ أولاتِ العفة يراعين فى زينتهن الاعتدال والحشمة) . ومن ذلك :

* قول الله تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الآية ٤ من

* وقوله : ﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلَ فَنَفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الآية ٦ من سورة الطلاق] . (١)

المجموعة الثانية : سُمِّيَ به من هذا الجمع :

وذلك أن تصبح صورة هذا الجمع اسمًا لفتاة أو موضع ، وهو كثير ، ومنه (عطيات - عنايات - زينات - هنوات - سَعَادَات - عِرَّات - أَمَلَات - عرفات - أذرعات « وهو موضع بالشام ») .

هذا النوع من الأسماء - كما هو واضح - جمع في اللفظ ، لأن كل كلمة من هذه الكلمات لها مفرد ابتداء قبل التسمية به ، ومفردات الأسماء السابقة على التوالي (عطية - عناية - زينة - هناة - سعادة - عزة - أملة - عرفة - أذرعة) .

لكن هذا الجمع قد سُمِّيَ به فأصبح بصورته في الجمع يطلق على واحد فقط ، فمعناه إذن واحد ، وإن كانت صورته الجمع ، ولذلك ألحق بجمع المؤنث السالم ولم يعتبر جمعا بعد التسمية به .

وقد ورد إعراب كلمات هذه المجموعة في الوجوه الآتية :

١ - إعراب جمع المؤنث السالم وبقاء الكلمات منونة ، تقول : (زارت عطيات صديقتها زينات في بيتها وذاكرتا مع زميلتهما عنايات) .

٢ - إعراب جمع المؤنث السالم وترك التنوين ، تقول : (عرفات جبل قرب مكة ، والمسلمون يقدسون عرفات بالصعود عليه والمبيت فيه في موسم الحج) .

٣ - إعراب الاسم الذي لا ينصرف : فيرفع بالضمة وينصب ويجر بالفتحة من غير تنوين ، تقول : (اصطحبت عنايات زميلتها زينات ومرّتا على أملاّت ليذهبن جميعًا للنزهة) .

(١) إعراب الآية : أولات : مبتدأ مرفوع بالضمة - الأحمال : مضاف إليه مجرور بالكسرة - «أجلهن» أجل : مبتدأ ثان مرفوع بالضمة ، وضمير الغائب مضاف إليه - «أن يضعن» أن : حرف مصدرى ونصب - يضعن فعل مضارع مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل نصب ، ونون النسوة فاعل مبنى على الفتح في محل رفع ، والمصدر المؤول من «أن والفعل» خبر المبتدأ الثاني ، والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول - «حملهن» حمل : مفعول به منصوب بالفتحة وضمير الغائب مضاف إليه .

ومن البين فى هذه الوجوه الثلاثة أن الأول يراعى تماما الجمع قبل التسمية به ، فيعربه بعد التسمية إعراب جمع المؤنث وبنونه ، والثانى يراعى الجمع قبل التسمية فى الإعراب فقط ، لكنه يلاحظ - بعد التسمية - أنه أصبح علما مؤنثا فيمنعه من التنوين ، أما الوجه الثالث فيصرف النظر تماما عن الأصل - وهو الجمع - ويعتبره علما مؤنثا فيمنعه التنوين ويعربه إعراب ما لا ينصرف .

وقد ورد بهذه الوجوه الثلاثة قول امرئ القيس يتغزل فى معشوقته :

ومثلك يبيضاء العوارض طفلة لعوب تُسَيِّنِي إِذَا قَمْتُ سِرْبَالِي
لطيقة طيِّ الكِشْح غير مُفَاضة إِذَا انْقَلْتُ مُرْتَجَّةً غَيْرِ مِتْقَالِ
إِذَا مَا اسْتَحَمْتُ كَانَ فَيْضُ حَمِيمِهَا عَلَى مَتْنَيْهَا كَالْجُمَانِ لَدَى الْجَالِي
تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلُهَا يَثْرِبُ أَذْنَى دَارِهَا نَظْرٌ عَالِي^(١)

والشاهد فى كلمة (أذرعَات) فى البيت الأخير ، فقد رويت مكسورة منونة (أذرعَات) على الوجه الأول ، وبغير تنوين (أذرعَات) على الثانى ، ومفتوحة بغير تنوين (أذرعَات) على الوجه الأخير .

والذى أراه - بعد فهم كل هذه الأوجه - أن الوجه الأخير أقرب إلى استعمال اللغة ، إذ أن هذه الأسماء - بعد أن سُمى بها - أصبحت لدى الناطق العادى أسماء مفردة مؤنثة ، حيث يتوارى وراء هذا الاستعمال الأصل الذى نقلت عنه وهو الجمع ، وهذا الاستعمال والإحساس به يرجع لدى الوجه الأخير من اعتبارها « أعلاما مؤنثة » تعرب إعراب ما لا ينصرف .

* * *

(١) العوارض : جمع عارض ، وهو صفحة الوجه - الطفلة : اللينة الناعمة - السربال : الثوب - الكشْح : الخصر - غير مفَاضة : غير مهدلة البطن - مرتجة : بضة الجسم - غير متْقَال : ليست كريهة الرائحة - متْنَيْهَا : جانبي ظهرها - الجمَان : الفضة النقية - الجَالِي : الصيرف الذى يعد الفضة - أَذْرَعَات : بلد فى الشام - يَثْرِب : مدينة الرسول ﷺ .

يصف عشيقته بأنها بيضاء الوجه ، لينة الجسم ، رقيقة الخصر ، بضة ، طيبة الرائحة ، نظيفة البدن ، ينسدل الماء على جسمها كقطع الفضة البيضاء ، ويتخيل أنه يرى - من شوقه - نارها مع بعد المكان - بعد الشام عن المدينة - وله عذره !!

والشاهد فى البيت الأخير : كلمة « أَذْرَعَات » فهى ملحقة بجمع المؤنث وقد وردت بـ وايات ثلاث ، مكسورة منونة ، ومكسورة غير منونة ، ومفتوحة الآخر دون تنوين .

الأفعال الخمسة

- ١ - المقصود بالأفعال الخمسة ، وكيفية إعرابها .
- ٢ - يتفرع على هذا الموضوع المسألتان الآتيتان :
- (أ) اجتماع نون الرفع مع نون الوقاية .
- (ب) حذف نون الرفع لضرورة الشعر .

* * *

الأفعال الخمسة وكيفية إعرابها :

العلماء يصنعون عقل الأمة والأدباء يكونون ضميرها .

والأمة الواعية تهتم بعلمائها ليؤثروا رسالتهم لها بإخلاص .

فإنهم يشعرون بالمرارة واليأس إذا لم يجدوا الرعاية والتقدير .

الأفعال الخمسة أو « الأمثلة الخمسة » هي صور خمس من الفعل المضارع

تمثل نماذج يندرج تحتها كثير من الأفعال ، وليس المقصود بها أفعالا معينة بذاتها .

ويقصد بالأفعال الخمسة : كل فعل مضارع اتصل به ألف الاثنين أو واو

الجماعة أو ياء المخاطبة أ.هـ .

ومقتضى الكلام السابق أن هذه الأفعال ثلاثة لا خمسة ، لأن المضارع من

هذه الأفعال يكون مع ألف الاثنين - وهذه واحدة - أو واو الجماعة - وهذه ثانية

- أو ياء المخاطبة - وهذه الثالثة - فكيف صارت خمسة ؟؟

الحق أن ألف الاثنين تأتي مع المضارع للغائبين أو المخاطبتين ، ومثلها تماما

واو الجماعة تكون للغائبين أو المخاطبتين ، فهذه أربع صور ، ويضاف إليها صورة

ياء المخاطبة ، فذلك إذن خمس ، فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

{ * يصنعان - يكونان - يؤديان - }

{ يشعران - يجدان { مضارع مسند لألف الاثنين للغائبين

{ تصنعان - تكونان - تؤديان - }

{ تشعران - تجدان { مضارع مسند لألف الاثنين للمخاطبتين

{	* يصنعون - يكوّنون - يؤدّون -
{	يشعرون - يجدون
{	* تصنعون - تكوّنون - تؤدّون -
{	تشعرون - تجدون
{	* تصنعين - تكوّنين - تؤدّين -
{	تشعرين - تجدين

فهذه هي الأفعال الخمسة ، ويعبر عنها أحيانا بالوزن الصرفي ، فيقال - كما جاء في ابن عقيل - وهي (يفعلان - تفعّلان - يفعلون - تفعّلون - تفعّلين) . وإعراب الأفعال الخمسة يكون كالآتي : ترفع بثبوت النون نيابة عن الضمة ، وتنصب بحذف النون نيابة عن الفتحة ، وتجزم بحذف النون نيابة عن السكون .

وإذا عاودنا النظر إلى الأمثلة التي بدأ بها الموضوع ، وجدنا الأفعال (يصنعون - يكوّنون - يشعرون) في الأمثلة مرفوعة - لتجردها من الناصب والجازم ، بثبوت النون ، والفعل (يؤدّوا) منصوب - بعد لام التعليل - بحذف النون .

- وأما الفعل (يجدوا) فهو مجزوم - بعد لم - وعلامة جزمه حذف النون .

* قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الآية ٢٨١ من سورة

البقرة] .

* وقال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [الآية ٧٨ من سورة

المائدة] .

* وقال : ﴿ وَلَنْ نَسْتَطِيعُوا أَنْ نَقْدِلُوا بَيْنَ الْنِسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ ﴾ [الآية ١٢٩ من سورة النساء] .

ما يتفرع على ذلك :

يتفرع على هذا الموضوع السابق مسألتان :

الأولى : نون الرفع مع نون الوقاية :

من البين أن هذه الأفعال الأربعة أصلها (تذكران - تزوران - تؤنسون - تسعدون) والنون الموجودة هاهنا هي نون الرفع ، ثم جاء بعدها نون الوقاية وهي نون تتوسط بين الفعل وياء المتكلم لتقى الفعل من الكسر - كما قالوا - فصار على الصورة السابقة باجتماع النونين متجاورتين ، الأولى نون الرفع والثانية نون الوقاية ، وقد جاء نطق العرب لهاتين النونين على الصور الثلاث الآتية :

١ - بقاء النونين على أصلهما ، فينطق بهما معًا - كما هو واضح في الأمثلة السابقة - وكما قال تعالى : ﴿ أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ﴾ [الآية ١٧ من سورة الأحقاف] ، وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمْتُمْ أَنِّي رَسُولٌ إِلَهُكُمْ ﴾ [الآية ٥ من سورة الصف] .

٢ - إسكان النون الأولى - نون الرفع - وإدغامها في الثانية ، فتصير نونًا مشددة ، كما لو نطقنا الأمثلة السابقة (تذكراني - تزوراني - تؤنسوني - تسعدوني) وقد قرئت بذلك الآية ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [الآية ٦٤ من سورة الزمر] .

٣ - أن تحذف النون الأولى تخفيفًا للنطق ، كما لو نطقنا الأمثلة السابقة (تذكراني - تزوراني - تؤنسوني - تسعدوني) وحينئذ يكون الفعل مرفوعا بالنون المحذوفة تخفيفًا .

الثانية : حذف نون الرفع لضرورة الشعر :

المعلوم - كما سبق - أن مجال الشعر ضيق لتقيد الشاعر بالوزن والتفاعيل المعدودة ، والقافية اللازمة ، ولذلك فإنه يباح للشاعر ما لا يباح للنائر ، ومما يباح له أحيانًا حذف نون الرفع في الأفعال الخمسة إذا اضطر إلى ذلك ، وقد ورد ذلك في شعر الفصحاء من شعراء الجاهلية والإسلام ، ومن ذلك :

* قول طرفة بن العبد :

يا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ

خَلَا لَكَ الْجَوُّ فَبِيضِي وَاضْفِرِي

وَنَقْرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي

وَلَوْ لَفَعِ الْفُحْجُ فَمَاذَا تَحْدَرِي

لا بُدَّ يومًا أن تُصَادِي فاضْبِرِي^(١)

وقد كان مقتضى الكلام أن يقول (ماذا تحذرين) لكنه حذف النون لضرورة الوزن والقافية .

* قول الشاعر يُؤنب زوجه بطريقة رديئة :

أَبَيْتُ أُسْرَى وَتَبَيْتِي تَدُلُّكِي
وَجَهْلِكَ بِالْعَنْبَرِ وَالْمَسْكَ الزَكِيِّ^(٢)

وقد كان مقتضى الكلام أن يقول (وتبيتين تدلكين) لكنه حذف النون لضرورة الوزن والقافية .

* * *

(١) القبرة : طائر معروف - معمر : اسم مكان - اضفري : الصفير إرسال الصوت فى طلاقة .
والأبيات خطاب لقبرة صفا لها الجو وخلا ، فلها أن تبيض وتزرقق وتنقر الأرض حيث تشاء
دون خوف من الصياد وآلته - ثم يتوعدها أخيراً بأنها سوف تصاد فيما بعد ، وبعد الفرح الحزن -
والأبيات تستخدم لكل من غرته السعادة العاجلة عن الشر الآجل .
الشاهد فيها (فماذا تحذرى) وكان حقه أن يقول (فماذا تحذرين) لكن حذف النون لضرورة
الوزن والقافية .

(٢) يدل على امرأته بأنه يشقى ويتعب ويكدح ، أما هى فعملها التزين والتطيب ، مع أن هذا من
طبائع الأمور !!

الشاهد في (تبيتين) وكان من المفروض أن يقول (تبيتين) ولكنه حذف نون الرفع للضرورة
الشعرية ، ومثلها (تدلكي) .

المضارع المعتل الآخر

- ١ - المقصود بالمضارع المعتل الآخر وأنواعه .
- ٢ - معنى المصطلحين النحويين (التعذر - الثقل) .
- ٣ - كيفية إعراب المضارع المعتل الآخر .

* * *

المضارع المعتل الآخر وأنواعه :

- * يهوى - يرضى - يبقى - ينهى - يرقى { معتل الآخر بالألف
- * يبنى - يهدى - تفدى - يوفى - يخفى
- يقضى { معتل الآخر بالياء
- * يرجو - يسمو - يغزو - يعدو - يحلو { معتل الآخر بالواو

جاء فى ابن عقيل : « المعتل من الأفعال هو ما كان فى آخره واو قبلها ضمة نحو (يغزو) أو ياء قبلها كسرة نحو (يرمى) أو ألف قبلها فتحة نحو (يخشى) » .

أ.هـ .

وتقريب هذه العبارة أن المضارع المعتل الآخر هو - كما يدل اسمه - ما كان فى آخره حرف علة ألف أو واو أو ياء .

ويترتب على ذلك بالضرورة أن أنواعه هى : معتل الآخر بالألف - معتل الآخر بالياء - معتل الآخر بالواو .

معنى المصطلحين : التعذر - الثقل :

التعذر : استحالة ظهور الحركة على حرف العلة ، حيث يتعذر على اللسان أن تظهر الحركة عليه .

ويكون ذلك مع المعتل بالألف مثل (يهوى - يرضى) ولك أن تحاول إظهار الحركة - ضمة أم فتحة - على آخر هذين الفعلين وهو الألف وإنك لن تستطيع !!

الثقل : صعوبة ظهور الحركة على حرف العلة ، حيث يثقل على اللسان أن تظهر الحركة عليه ، وإن كان يستطيع ذلك مع مشقة .

ويكون ذلك مع المعتل بالواو أو الياء في بعض الحالات الإعرابية ، فمثلا
 الفعلان (تَهْدِي - تَسْمُو) لو حاولنا إظهار الضمة عليهما ، لأمكن ذلك ، فنقول :
 (تَهْدِي - تَسْمُو) ولكن يكون ذلك ثقيلا على اللسان ويشق عليه النطق بها على
 الواو أو الياء .

كيفية إعراب المضارع المعتل الآخر :

لنتأمل الجدول الآتي :

اللفعل	في حالة الرفع	في حالة النصب	في حالة الجزم
يرقى (معتل بالالف)	يرقى المسجد في حياته	يجتهد المسجد ليرقى في حياته	لا ترق في حياتك على حساب الآخرين
يتقى (معتل بالياء)	يتقى المؤمن ربه	يعمل القوي جهرة ليتقى الريه	لا تتق الناس ، بل اتق الله
يحلو (معتل بالواو)	قد يحلو العيش بعد المرارة	لن يحلو العيش بدون حرية	لم تحل حياة الأذلاء قط

الاستنتاج :

يمكن الاستنتاج من الجدول السابق بطريقتين أفقية ورأسية :

الطريقة الأولى : الأفقية :

تتلخص فى الآتى :

(أ) الفعل المضارع المعتل الآخر بالألف : تقدر عليه الضمة فى حالة الرفع ، والفتحة فى حالة النصب ، ويجزم بحذف حرف العلة .

(ب) الفعل المضارع المعتل الآخر بالياء : تقدر عليه الضمة فى حالة الرفع ، وتظهر عليه الفتحة فى حالة النصب ، ويجزم بحذف حرف العلة .

(ج) الفعل المضارع المعتل بالواو : تقدر عليه الضمة فى حالة الرفع ، وتظهر عليه الفتحة فى حالة النصب ، ويجزم بحذف حرف العلة - مثل المعتل بالياء تمامًا .

الطريقة الثانية : الرأسية :

تتلخص فى الآتى :

(أ) الفعل المعتل عمومًا : فى حالة الرفع تقدر عليه الضمة .

(ب) الفعل المعتل عمومًا : فى حالة الجزم يحذف منه حرف العلة .

(ج) الفعل المعتل فى حالة النصب ، تقدر الفتحة على المعتل بالألف ، وتظهر على المعتل بالياء والواو .

* * *

الإعراب الظاهر والمقدر

تمهيد :

يحترمُ المواطنُ الشريفُ حرَّيَّاتِه وحرَّيَّاتِ الآخرين .

لكنَّ يَحْيَا بعضُ الناسِ لرغباتِه فقط ويتعامى عن هَوَى الآخرين .

الإعراب الظاهر : هو ما كانت له علامة ظاهرة من علامات الإعراب سواء أكانت أصلية أم فرعية .

والإعراب المقدر : هو ما لم تكن له علامة ظاهرة في الكلام ، وإنما علامته مقدرة ؛ إذ يتخيل له علامة للرفع أو النصب أو الجر .

ويلاحظ في العبارتين السابقتين ما يلي :

الكلمات (يحترم - المواطن - الشريف - بعض - الناس - رغبات) في كل منها علامة ظاهرة أصلية ، هي الضمة أو الكسرة .

أما الكلمتان (حرَّيَّات - الآخرين) ففي كل منهما أيضًا علامة ظاهرة فرعية هي في الأولى الكسرة وفي الثانية الياء .

لكن الكلمات (يحيا - يتعامى - هوى) ليست فيها علامة ظاهرة ، فليست هناك ضمة ظاهرة على آخر الفعل (يحيا) أو الفعل (يتعامى) وليست هناك كسرة ظاهرة على ألف كلمة (هوى) - ولذلك يتخيل على آخر كل منهما علامة إعراب مناسبة لوظيفته النحوية ، ضمة أو فتحة أو كسرة .

والخلاصة : أن الإعراب الظاهر ما له وجود فعلا على آخر الكلمة ، أما الإعراب المقدر ، فهو لا ينطق به ، لكنه يتخيل على آخر الكلمة .

وينبغي - بعد هذا الفهم - أن نلاحظ الأمور الآتية :

أولا : أن كل ما سبق شرحه من الإعراب الأصلي والفرعي - بأبوابه السبعة

لأنما هو من الإعراب الظاهر ، باستثناء المضارع المعتل الآخر وسيمرر به بعد

قليل الرأى فيه .

ثانيًا : أن الذى يقدر من علامات الإعراب إنما هو العلامات الأصلية فقط (الضمة - الفتحة - الكسرة) ولا تقدر العلامات الفرعية .

ثالثًا : الإعراب المقدر يكون فى الفعل المضارع المعتل الآخر - كما سبق بيانه - على التفصيل الآتى :

- (أ) فى حالة الرفع مع كل أنواعه (المعتل بالألف أو الواو أو الياء) .
(ب) فى حالة النصب مع المعتل بالألف فقط .

وقد سبق شرح ذلك فلا حاجة إلى إعادته .

رابعًا : يأتى الإعراب المقدر فى أصناف ثلاثة من الأسماء هى :

- (١) المقصور : مثل (الثَّهَى - الرَّضَى - العَلَى) .
(٢) المنقوص : مثل (السَّامِى - الهَادِى - الدَّاعِى) .
(٣) المضاف لىاء المتكلم : مثل (بلادى - وطنى - حياتى) .
وهذه الثلاثة فى حاجة إلى بيان الإعراب المقدر فيها تفصيلا .

* * *

الأسماء التي يقدر عليها الإعراب (المقصور - المنقوص - المضاف لياء المتكلم)

- (١) المقصود بالأسماء الثلاثة (المقصور - المنقوص - المضاف لياء المتكلم) .
- (٢) معنى المصطلحات النحوية الثلاثة (التعذر - الثقل - المناسبة) .
- (٣) كيفية إعراب الأسماء الثلاثة السابقة .

* * *

المقصود بالأسماء الثلاثة :

- البُشْرَى - اليُسْرَى - الشُّورَى - الهُدَى - الرُّضَى { المقصور
- الهَادَى - الرَاضَى - القَاضَى - البَانَى - الرَامَى { المنقوص
- وطنى - أسرتى - كليتى - إيمانى - عزيزتى { المضاف لياء المتكلم

والتحديد العلمى لهذه الأسماء الثلاثة هو :

المقصور : هو الاسم العربى الذى آخره ألف لازمة قبلها فتحة أ . ه .

وهنا ينبغى التنبيه إلى أن وجود الألف فى آخره إنما يقصد به النطق لا الكتابة ، فكلمة مثل (البشرى) اسم مقصور ، إذ تنطق بالألف وإن كانت الكتابة بالياء ، فالنحو لا شأن له - كما سبق القول - بالكتابة وإنما يدرس النطق .

المنقوص : هو الاسم العربى الذى آخره ياء لازمة قبلها كسرة أ . ه .

المضاف لياء المتكلم : هو الاسم العربى الذى كمل معناه بإضافة ياء المتكلم إليه أ . ه .

فالاسم العربى يطلق عليه (مضاف) وياء المتكلم يطلق عليها (مضاف إليه) فمثلا (وطنى) مكونة من كلمتين هم (وطن - ياء المتكلم) بالفهم الآتى :

(١) (وطن) هي « المضاف » لياء المتكلم ، وآخره مكسور حين الإضافة ،

وهذا الاسم هو المقصود بالدراسة هنا .

(٢) ياء المتكلم هي « المضاف إليه » وهو اسم مبنى في محل جر ، ويقتضى كسر ما قبله دائماً ، ومما يقتضى كسر آخره - حين الإضافة - الاسم المضاف .
المصطلحات الثلاثة : التعذر - الثقل - المناسبة :

التعذر : هو - كما سبق في المضارع المعتل الآخر - استحالة ظهور الحركة على حرف العلة ، حيث يتعذر على اللسان أن تظهر الحركة عليه .

ويكون ذلك هنا مع الاسم المقصور ، مثل (الشُّورَى - الهُدَى) فالألف التي في آخر هذين الاسمين لا تقبل الحركة ، ولك أن تجزّب إظهار الحركة - ضمة أم فتحة أم كسرة - على هذين الاسمين ، وإنك لن تستطيع النطق بها .

الثقل : هو - كما سبق في المضارع المعتل الآخر - صعوبة ظهور الحركة على حرف العلة ؛ حيث يثقل على اللسان أن تظهر الحركة عليه ، وإن كان يستطيع ذلك مع مشقة .

ويكون ذلك هنا مع الاسم المنقوص في بعض حالاته الإعرابية مثل (الهادى - القاضى) فالياء التي في آخر هذين الاسمين يصعب نطقاً أن تشكل بالضم ، بأن يقال (الهادى - القاضى) كما يصعب نطقاً أن تشكل بالكسر فيقال (الهادى - القاضى) ، فالنطق بذلك - وإن كان ممكناً - لكن فيه مشقة على اللسان ، وهذا ما يسمى بالثقل .

المناسبة : وجود حركة لازمة في آخر الاسم المعرب لمناسبة اسم آخر متصل به ، وتسمى هذه الحركة حركة المناسبة ، ويترتب على وجودها الضرورى ألا تظهر على آخر الاسم حركات الإعراب .

ويكون ذلك في المضاف لياء المتكلم ، إذ تقتضى الياء - كما سبق - كسر آخر الاسم « المضاف » دائماً لمناسبة الياء ، مثل (وطنى - أسرتى) حيث توجد في الكلمتين كسرة لازمة على « النون والتاء » لمناسبة الياء ، فلا يستطيع نطقاً الإتيان معها بحركات الإعراب الأخرى ، ضمة أم فتحة أم كسرة .

إعراب الأسماء الثلاثة :
لنتأمل الجدول الآتي :

الاسم	في حالة الرفع	في حالة النصب	في حالة الجر
الشُّورى (مقصود)	تعصم الشُّورى من خطأ الرأي الفرْد الراضى عن الباطل ذليل حزئى أغلى من الحياة	فإن الشُّورى مظهر عظيم للحرية العامّة لكنّ الراضى عن الحقّ حرّ عزّيز لكنّ حزئى لا تتحقّق بدون تضحية	ليست من الشُّورى الموافقة بالتخريف فرق كبير بين الراضى عن الحقّ والباطل وجزء من حزئى فى حرية الآخرين

الراضى (مقصور)
حزئى (مضاف)
إلى ياء المتكلم)

الاستنتاج :

من تأمل الجدول السابق يستنتج ما يلي :

(أ) الاسم المقصور : تقدر عليه الضمة والفتحة والكسرة للتعذر .

(ب) الاسم المنقوص : تقدر عليه الضمة والكسرة فقط للثقل ، وتظهر عليه

الفتحة .

(ج) الاسم المضاف إلى ياء المتكلم : تقدر عليه الضمة والفتحة والكسرة

للمناسبة .

والخلاصة : أن هذه الأسماء الثلاثة تقدر عليها جميعاً الحركات الثلاث -

رفعاً ونصباً وجراً - مع اختلاف السبب - ما عدا الاسم المنقوص في حالة

النصب فإنه تظهر عليه الفتحة .

فلنتأمل الشواهد الآتية :

* قال الله تعالى : ﴿ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [الآية ١٢ من

سورة طه] .

فكلمة (الوادي) اسم منقوص مجرور بالكسرة المقدرة على الياء للثقل .

وكلمة (طوى) اسم مقصور بدل من « الوادي » مجرور بالكسرة المقدرة

على الألف للتعذر .

* وقال : ﴿ وَأَسْتَعِمْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [الآية ٤١ من سورة ق] .

فكلمة (المنادي) اسم منقوص فاعل مرفوع بضمة مقدرة على الياء للثقل .

* وقال : ﴿ يَتَقَوَّمْنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ [الآية ٣١ من سورة الأحقاف] .

كلمة (داعى) اسم منقوص مفعول به منصوب بالفتحة .

* وقال : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ هَرُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى وَأَشْرَكُهُ فِي

أَمْرِي ﴾ [الآيات ٢٩ إلى ٣٢ من سورة طه] .

فالكلمتان (أهلى - أمرى) مجرورتان بالكسرة المقدرة على ما قبل ياء

المتكلم منع من ظهورها حركة المناسبة ، والكلمتان (أخى - أزرى) منصوبتان

بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها حركة المناسبة .

* قال زفر بن الحارث :

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنَّ أَسْأَتَهُ بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحَسَنِ بَلَائِيَا
وَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَزَازَاتِ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ^(١)
وَفِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ تَعَرَّبَ إِعْرَابًا مَقْدَرًا الْكَلِمَاتِ (أَيَّامِي - بِلَائِي - الثَّرَى) .

* * *

(١) الدمن : آثار الناس والديار - الحزازات : جمع « حزازة » وهي ألم القلب من الغيظ والحقْد .

المعنى : إن إساءة يوم واحد منى تمحو عند الناس ما قدمته من قبل من الحسنات ، وهذا غير غريب على نفوس الناس وخستها ، إذ تنطوى على الضغائن فلا تنساها ، فتتلمس السقطات وتترك الحسنات ، فالأرض أكرم منهم ؛ إذ ينبت الزرع بعد الخراب وفوق الدمن .

وفي البيت دليل : على أن الكلمتين (أَيَّامِي - بِلَائِي) المعجورتين بالإضافة قدّرت عليهما الكسرة لمناسبة الباء - وأن كلمة (الثَّرَى) معجورة بالإضافة أيضًا وقدّرت عليها الكسرة للتعذر ، لأنها اسم مقصور .

الإعراب والبناء

ثانيًا : البناء

تمهيد :

يحدد معنى البناء عبارة واحدة هي : (لزوم آخر الكلمة حالة واحدة لا تتغير بتغير العوامل الداخلة عليها) أ . هـ
* يقول أحد الشعراء معاتبًا :

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى وأشمت بي من كان فيك يلوم

فكلمات هذا البيت جميعًا - ما عدا الكلمة الأخيرة - كلها مبنية . والبناء فى آخر الكلمات (أنت - الذى - أخلف - التاء - نون الوقاية - ياء المتكلم - ما - وعد - أشمت - الباء - ياء المتكلم - مَنْ - كان - فى - الكاف) وقد اختلف شكل آخر كل واحدة منها عن الأخرى ، فبعضها شكل بالفتحة مثل (أنت - التاء - كان - الكاف) وبعضها شكل بالكسرة مثل (نون الوقاية - ياء الجر) وبعضها شكل بالسكون مثل (الذى - أخلصت - ياء المتكلم - ما - وعدت - أشمت - من - فى) ومع ذلك فإنها جميعًا مبنية ، إذ يلزم آخرها صورة واحدة لا يتحول عنها من جملة إلى أخرى ، فمثلا الكلمات (أنت - الذى - كان) لا يتغير آخرها أبدًا فى أية جملة صادفتها فى اللغة العربية بل تبقى الأولى دائمًا مفتوحة الآخر ، والثانية ساكنة ، والثالثة مفتوحة ، وهذا هو المقصود بالبناء .

لكن ينبغى قبل دراسة ما يتعلق بهذا الباب معرفة الملاحظات الآتية حول التعريف السابق :

أولاً : أن البناء يقصد به شكل آخر الكلمة فقط ، فهو فى كلمة (أنت) الفتحة ، وفى كلمة (الذى) السكون ، وفى كلمة (كان) الفتحة ، ولا شأن للبناء ببقية حروف الكلمة أو شكلها ، فهو خاصية تنجبه إلى آخر الكلمة فقط .

ثانيًا : أن البناء لا يتحقق إلا فى جملة واحدة - تمامًا كالإعراب - فالكلمة المفردة لا يمكن الحكم عليها إن كانت متغيرة معربة أو لازمة الشكل مبنية إلا

بتصور دخولها فى (كلام) - كما سبق تحديده - فإذا دخلت جملة مفيدة ولم يتغير آخرها من كلام لآخر ، فهى مبنية ، وإلا فهى معربة .

ثالثًا : يفهم من ذلك بداهة أن الكلمة المبنية هى التى لا يتغير آخرها من جملة لأخرى مهما كانت الوظائف النحوية التى تجىء لها - ولنأخذ نموذجًا لذلك كلمة (هؤلاء) اسم الإشارة لجماعة الذكور والإناث ، فهى كلمة مبنية ، يدل على ذلك وضعها فى الجمل الآتية :

• قول الله تعالى : ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ [الآية ٧٨ من سورة هود] .

• وقوله : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ [الآية ٢٧ من سورة الإنسان] .

• وقوله عن المنافقين : ﴿ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾ [الآية ١٤٣ من سورة النساء] .

فالكلمة فى الآية الأولى مبتدأ ولزمت الكسر - وفى الآية الثانية اسم (إن) ولزمت أيضًا الكسر - وفى الآية الثالثة مجرورة بالحرف (إلى) ولزمت الكسر أيضًا ، فهذه كلمة مبنية لا يتغير شكلها فى الجمل المختلفة .

رابعًا : يترتب على ذلك بداهة أيضًا أن علامات البناء هى الشكل الذى يلزم آخر الكلمة المبنية ، سواء أكان هذا الشكل الملازم ضمة أم فتحة أم كسرة أم سكوبًا ، كما تنطق النماذج الآتية :

{ مبنى على الضم	* منذ - حيث - قبل - بعد - أوّل - علّ
{ مبنى على الفتح	* إنّ - لعلّ - رُبّ - كيف - أين - الآن - فهم
{ مبنى على الكسر	* هؤلاء - شراب - حزام - جبر - أمس
{ مبنى على السكون	* من - من - ما - الذى - هل - بل - قد - أفهم

خامسًا : الجوانب الهامة للدراسة فى باب البناء تأتى فى أمور أربعة هى :

(١) البناء فى الأسماء .

(٢) البناء فى الأفعال .

(٣) البناء فى الحروف .

(٤) المحل الإعرابى للكلمات المبنية مع الوظائف النحوية المختلفة .

البناء فى الأسماء

(١) الرأى فى أسباب بناء الأسماء .

(٢) الأسماء المبنية بصورة عامة .

* * *

أسباب بناء الأسماء :

معظم الأسماء العربية معرب ، بمعنى أنه يتغير آخره بتغير وظائفه النحوية .
ومن الأسماء ما هو مبنى ، بمعنى أنه يلزم آخره شكلاً معيناً لا يتغير ، والأسماء
المبنية فى اللغة يمكن حصرها وتحديدها كما سيأتى .

لكن ، لماذا بنيت الأسماء ؟؟

لقد قدّم النحاة العرب - بعد افتراض هذا السؤال - الإجابة عنه بكلام طويل
مجهد يعجب الذهن ، ولكنه لا يفيد اللغة ، وما كان أغناهم عن الخوض فيه .
والرأى المشهور عن ذلك فى كتب النحو ما قرره ابن مالك - وأطال القول
فيه شراح الألفية فى قوله :

والاسم منه معرب ومبنى لشبهه من الحروف مُدْنِى

ومقتضى هذا الرأى أن الاسم يبنى إذا أشبه الحرف - أى حرف - والحروف
كلها مبنية - كما سيأتى - فبنى أيضاً ما يشبهها من الأسماء .

وأوجه الشبه بين الاسم والحرف - باختصار شديد - أربعة هى :

(١) الشبه الوضعى : بمعنى أن يكون الاسم موضوعاً على حرف هجائى
واحد أو حرفين ، فيشبه فى ذلك الحروف ، لأن الأصل فيها أن تكون على حرف
هجائى أو حرفين .

وأكثر ما يأتى ذلك فى (الضمائر) فهى أسماء مبنية ، لشبهها بالحرف فى
الوضع ، مثلاً (التاء) فى (فهمت) حرف واحد ، وأيضاً (نا) فى (فهمنا) حرفان .

(٢) الشبه المعنوى : أن يكون الاسم دالاً على معنى تدل عليه بعض
الحروف : مثلاً (الاستفهام) معنى من المعانى يدل عليها الاسم (من) فى قولك

(من أوّل الفرقة؟؟) كما يدل عليه حرف الهمزة فى قولك (أعرفت صوابك من خطئك؟؟) (فأسماء الاستفهام) مبنية لهذا الشبه المعنوى ومثلها فى ذلك أيضًا (أسماء الشرط) .

(٣) الشبه الاستعمالى : يقصد به أن يستعمل الاسم كما يستعمل الحرف فلا يتأثر بما قبله ولكن يؤثر فيما بعده ، كالمثالين (نصارِ الحق) و (إن الحقّ واضح) فكلمة (نصارِ) اسم فعل نصب بعدها كلمة (الحق) وكلمة (إن) حرف نصب بعده كلمة (الحق) ورفع كلمة (واضح) فأشبهت الأولى الثانية استعمالا ولذلك بنيت مثلها ، وكذلك كل (أسماء الأفعال) .

(٤) الشبه فى الافتقار اللازم : ويقصد به أن تكون هناك أسماء لا يعرف المقصود منها إلا بغيرها ، تمامًا كما هو الأمر فى الحروف ، ومن ذلك (الأسماء الموصولة) فى حاجة إلى جملة الصلة ، ومعروف أن الحرف لا يفهم معناه إلا حين ينضم إليه غيره من الأسماء والأفعال .

هذا هو الموضوع ، وقد صورته باختصار شديد لتبيين الرأى فيه .

والحق أن دراسة هذا الموضوع كله مما يطلق عليه (نحو الصنعة) لا (نحو اللغة) للآتى :

أولا : أنه بحث عن علة استعمال اللغة ، وهذا منهج مرفوض ، لأن المعبر هو الاستعمال نفسه لا علته .

ثانيا : أنه بحث فى المشابهة بين مسلك لغوى ومسلك آخر ، وهذا أيضا مرفوض ، لأن المعبر هو استقراء النطق نفسه لا مشابهته لغيره .

ثالثا : أن كل أنواع الشبه التى ذكرت عمل ذهنى من افتراض العقل وهذا مرفوض أيضا ، لأن المعبر صورة الاستعمال نفسه لا ما تصوره الذهن عنه .

رابعا : أن كل أنواع المشابهة المذكورة يمكن نقضه والرد عليه مما يؤدى إلى الإجهاد وإضاعة الجهد فيما لا طائل وراءه .

لذلك كله ، ينبغى أن نضرب صفحا عن سؤال (لماذا بنى الاسم !؟) - بعد تصوره وتصوير الإجابة عنه - فهو أمر غير مفيد للنطق ولا للدارسين كي نوجه اهتمامنا لما هو مفيد فقط من معرفة (الأسماء المبنية) .

الأسماء المبنية :

من استقراء اللغة عرف أن الأسماء المبنية تكاد تنحصر فى الآتى :

١ - الضمائر :

سواء أكانت ضمائر منفصلة مثل (أنا - أنت - هو) أم ضمائر متصلة مثل قوله تعالى : ﴿وَأَنَّكَ لَکَلِّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية ٤ من سورة القلم] - وسيأتى بيان الضمائر فى موضعه من دراسة (المعارف) .

٢ - أسماء الإشارة :

للمفرد والجمع بنوعيهما ، المذكر من ذلك والمؤنث ، مثل (هذا - هذه - هاتِه - هنا - هناك - هؤلاء) .
أما أسماء الإشارة للمثنى (هذان - هاتان) فيعربان إعراب المثنى كما سبق .

٣ - أسماء الموصول :

للمفرد والجمع بنوعيهما المذكر والمؤنث ، وهى (الذى - التى - الذين - اللّاتى - اللّاتى) وأيضاً أسماء الموصول المشتركة - سيأتى شرحها - مثل (مَنْ - ما) .

أما أسماء الموصول للمثنى (اللذان - اللتان) فإنها تعرب إعراب المثنى كما سبق بيانه .

٤ - أسماء الاستفهام :

وهى التى يسأل بها عن شىء ما ، مثل (مَنْ - ما - أين - كيف - متى) فإنها جميعاً مبنية ، قال تعالى : ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [الآية ٧٢ من سورة القصص] وتقول لصديقك : (كيف حالك ؟ وأين تسكن ؟ ومتى أقابلك ؟؟) .
ويستثنى من أسماء الاستفهام (أى) فإنها معربة ، تقول : (أى أيامك أسعد ؟) فكلمة (أى) مبتدأ مرفوع بالضممة ، وتقول : (من أى ناحية قدمت ؟) فكلمة (أى) مجرورة بالكسرة .

٥ - أسماء الشرط :

وهى التى تعلق شيئين أحدهما على الآخر ، تقول : (من يصنع الخير يسعد ،

ومن يصنع الشر يشقّ به) وسواء أكانت أدوات الشرط جازمة مثل (مَنْ - ما - مَهْمَا - متى - أيّان - أنّى - حيثما) أم كانت غير جازمة مثل (إذا) .

٦ - أسماء الأفعال :

يقصد بها الأسماء التي تدل على معنى الفعل ولا تقبل علامته ، ومنها ما يكون بمعنى الماضى مثل (هيهات) بمعنى (بُعَدَ) و (شَتَّانَ) بمعنى (افترق) ومنها ما يكون بمعنى المضارع مثل (وَيْ) بمعنى (أعجب) (وَأَفَّ) بمعنى (أتضجر) - ومنها ما يكون بمعنى الأمر مثل (صَهْ) بمعنى (اسكث) و(مَهْ) بمعنى (كُفَّ عن الحديث) .

وهذه الأنواع الستة السابقة سيأتى الكلام عن كل واحد منها تفصيلا فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله ، فلكل منها باب مستقل لدراسته .

٧ - المركب من الأعداد والظروف والأحوال :

* ويقصد بالمركب من الأعداد (أحدَ عشر - إحدى عشرة) إلى (تسعةَ عشر - تسعَ عشرة) فهذه كلها تبنى على فتح الجزئين - ما عدا اثنى عشر واثنى عشرة - قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ [الآية ٤ من سورة يوسف] .

* ويقصد بالمركب من الظروف أن تتركب كلمتان تدلان على الزمان أو المكان تركيب (أحد عشر) مثل (صباح مساء - يومَ يومَ - بينَ بينَ) فهذا كله يبنى على فتح الجزأين أيضا .

قال كعب بن زهير :

ومن لا يصرف الواشين عنه صباح مساءً ييغوه خَبَالاً^(١)

(١) الواشون : جمع واش ، وهو الذى ينقل الكذب بين الناس ، ليفسد بين المتحابين والأصدقاء - الخبال : الجنون ، وهذا هو الأصل ، والمراد بلبلة العقل واضطرابه بما يسمعه من كلام الوشاة .

المعنى : إن من لا يصرف الواشين عنه ، قصده فى الصباح والمساء ، وهو خليق باللبلة واضطراب العقل .

الشاهد فى البيت : فى (صباح مساء) تركيب الكلمتين تركيب (أحد عشر) فجعلنا بمنزلة كلمة واحدة ، وبنيت على فتح الجزأين ، ويقال عنهما فى الإعراب ظرف مركب مبنى على فتح الجزأين فى محل نصب .

وقال الشاعر :

آتِ الرزقُ يومَ يومٍ فأَجْمِلْ طلبًا وابغِ للقيامة زادا ^(١)
وقول عبيد بن الأبرص :

نحِمى حقيقتنا وبعض القوم يسقط بينَ بيْنَا ^(٢)

* ويقصد بالمركب من الأحوال أن تركب كلمتان دالتان على الحال تركيب (أحد عشر) فتبينان أيضا على فتح الجزأين ، كقول العرب : (فلانٌ جارٍ بيتَ بيتٍ) أى (ملاصقا) .

٨ - الأعلام المختومة بكلمة (وَيْه) :

وذلك مثل (سيبويه - عمرويه - نبطويه - راهويه - درستويه) فهذه كلها بنى على الكسر ، كقولنا : (ألف سيبويه كتابه المشهور فى النحو) . وكقولنا : (من علماء الصرف المشهورين ابنُ درستويه) .

٩ - الأعلام المؤنثة على وزن (فَعَالٍ) :

وذلك فى لغة أهل الحجاز ، مثل (حَذَامٍ - قَطَامٍ - رَقَاشٍ - سَجَاحٍ) فبنى

(١) أجمل : معناها : أحسن ، ومنه قول الله تعالى ﴿ فَصَبِّرْ حَيْثُ ﴾ ، والجمال هو الحسن - ابغ : اطلب بإصرار .

المعنى : شتان بين طلب الدنيا وطلب الآخرة ، الأول مطلوب ، لكن برفق فالرزق على الله ، والثانى مرغوب بإصرار وقوة ، فإنه الزاد الباقي .

الشاهد : فى قوله (يوم يوم) حيث ركب اسما الزمان ، وجعلا اسما واحداً بمنزلة (أحد عشر) وبنى المركب على فتح الجزأين .

إعراب البيت : (آلت) خبر مقدم مرفوع بالضمة المقدرة على الياء المحذوفة وأصله (أتى) - الرزق : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة - يوم يوم : ظرف زمان مبنى على فتح الجزأين فى محل نصب - أجمل : فعل أمر مبنى على السكون والفاعل مستتر تقديره « أنت » - طلبا . مفعول به منصوب بالفتحة - وابغ : الواو حرف عطف ، ابغ : فعل أمر مبنى على حذف حرف العلة ، والفاعل مستتر تقديره « أنت » ، للقيامة : جار ومجرور - زادا : مفعول به منصوب بالفتحة ، وجملة (ابغ للقيامة زادا) معطوفة على جملة (أجمل طلبا) .

(٢) الحقيقة - كما جاء فى القاموس - ما يحق حمايته من الأهل والعرض والمال .
يعرض الشاعر بامرئ القيس فيقول : إننا نحِمى أعراضنا ودماءنا وأموالنا بخلاف بعض الناس - ومنهم امرؤ القيس - الذين يسقطون قبل الوصول إلى أهدافهم .

الشاهد : قوله (بين يومين) حيث ركب اسما المكان تركيب (أحد عشر) فبنى المركب على فتح الجزأين .

ذلك كله على الكسر ، مثل (كانت سجاح زوجًا لمسيلمة الكذاب الذى ادّعى النبوة وارتدّ عن الإسلام) ومن ذلك قول النابغة :

أَتَارِكَةٌ تَدُلُّهَا قَطَامٌ رَضِينَا بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ ^(١)
وقول الشاعر :

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ ^(٢)
١٠ - بعض أسماء الزمان والمكان :

مثل (أمس) مرادًا به اليوم الذى قبل يومنا - فى لغة أهل الحجاز - وكذلك (إذ - الآن - حيث) كقول الله تعالى : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾ [الآية ١٠ من سورة الكهف] وقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ بِالْحَقِّ ﴾ [الآية ٧١ من سورة البقرة] وقوله : ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [الآية ٥ من سورة التوبة] .
وقول أحد الأساقفة فى الجاهلية :

منع البقاء تقلبُ الشَّمْسِ وطلوعُها من حيث لا تُمَسِّي
وطلوعُها حمراء صافيةً وغروبُها صفراء كالورس
اليومُ أعلم ما يجيئ به ومضى بفصلِ قضائِهِ أمسٍ ^(٣)

وينبغى التنبيه أنه إذا أُريد بكلمة (أمس) يومٌ ما من الأيام الماضية أو دخلته

(١) أتاركة تدللها قطام ؟ الاستفهام للتمنى - قطام : اسم صديقه التى يهواها .
يقول : ليت « قطام » تترك الدلال فتجود بالوصل ، ومع ذلك فأنا راضٍ منها بالقليل ، بالتحية والسلام !!

الشاهد : كلمة (قطام) وهى علم على وزن (فعال) فتنى على الكسر فى لغة الحجازيين ، وهى فى البيت فاعل مبنى على الكسر فى محل رفع .

(٢) حذام : امرأة الشاعر ، ويبدو أنها كانت مشهورة بالذكاء وحسن الرأى .

الشاهد : كلمة (حذام) فهى مبنية على الكسر فى لغة الحجازيين ، وهى فى البيت فاعل .

(٣) البقاء - الخلود - الورس : الزعفران - فصل قضائه : ما حدث فيه .

يقول : لا خلود فى الحياة ؛ إذ لا دوام على حالة واحدة ؛ فالشمس تشرق حمراء وتغرب صفراء ؛ وهى إحدى ظواهر الكون العظيمة ، فكيف بالإنسان الضئيل إلى جانبها ، بل من دلائل ضعف الإنسان وجهله أمام المستقبل أنه يعلم ما تقدمه له الأحداث فقط .

الشاهد فيه : كلمة (أمس) فى البيت الأخير ، إذ بنيت على الكسر فى لغة الحجازيين ، واستوفت شرطها ؛ إذ أُريد بها اليوم السابق مباشرة .

«ال» أو أضيف أعرب بإجماع ، مثل (ماضى العُمر أمس له والمستقبل بيد الله) و(مضى أمسنا بخيره وشره ، فلنعش يومنا) ، وقال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَقَفْ بِالْأَمْسِ ﴾ [الآية ٢٤ من سورة يونس] .

ذلك أهم ما يبنى دائما من الأسماء ، وهناك أسماء يعرض لها البناء في استعمالات خاصة - كالمنادى المفرد العلم واسم لا « النافية للجنس » . وأسماء تبنى أحيانا وتعرب أحيانا أخرى ، مثل (قبل - بعد - أسماء الجهات) وسيأت شرح ذلك فى موضعه من أبواب النحو المتفرقة مثل (لا : النافية للجنس - النداء - الإضافة) إن شاء الله .

* * *

البناء فى الأفعال

(١) الماضى : يبنى على الفتح فى الأصل ، وقد يبنى على الضم أو السكون .

(٢) الأمر : يبنى على ما يجزم به مضارعه .

(٣) المضارع : يبنى على الفتح مع نون التوكيد المباشرة ، وعلى السكون مع نون النسوة .

* * *

بناء الماضى :

- * نَبَغَ - لَمَعَ - ابْتَهَجَ - كَرَّمَ - عَمَلَ - اجْتَهِدَ -
 أَفَادَ - تَمَيَّرَ - تَقَدَّمَ { مبنى على الفتح
 * جَاهَدُوا - ثَابَرُوا - تَفَوَّقُوا - نَجَّحُوا - سَعَدُوا - {
 تَعَاهَدُوا - تَوَاصَلُوا - أَحْبَبُوا - أَخْلَصُوا { مبنى على الضم
 * أَخْلَصْتُ - ضَحَّيْتُ - اسْتَرْخَيْتُ - أَمِنْتُ - اتَّفَقْنَا {
 - تَعَاهَدْنَا - نَفَّذْنَا - فَرَّزْنَا { مبنى على السكون

الفعل الماضى مبنى دائماً ولا محل له من الإعراب فى الأصل ، وبناءؤه كالآتى :

(أ) الأصل أن يبنى على الفتح ، مثل قولنا : (نَبَغَ المجتهدُ وحققَ الفوزَ لنفسه) فكل من الفعلين (نَبَغَ - حقق) مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب .

(ب) يبنى على الضم إذا اتصلت به واو الجماعة ، إذ يقتضى ذلك ضم آخره نطقاً حين تتصل به الواو ، كقولنا : (فى بداية الإسلام ، المؤمنون صدَّقُوا وأخلصُوا ، والمنافقون كَذَّبُوا وخادَعُوا) فكل من الأفعال الأربعة (صدَّقُوا - أخلصُوا - كَذَّبُوا - خادَعُوا) مبنية على الضم لاتصالها بواو الجماعة .

(ج) يبنى على السكون إذا اتصل به ضمير رفع متحرك (التاء - نا - نون النسوة) كقولك : (قابَلْتُ أصدقائى فاصطخبنا وذهبتنا إلى شاطئ النيل فوجدنا زميلاتنا وقفن منتظرات قدومنا ، فذهبتنا جميعاً فى رحلة ترفيهية بريئة) .

فالأفعال في (قَابَلْتُ - اصْطَحَبْنَا - وَجَدْنَا - ذَهَبْنَا - وَقَفْنَا) كلها كما ترى مبنية على السكون لاتصالها بضمير الرفع المحرك .
وهنا فكرة جانبية هامة ينبغي التنبيه إليها وهي بناء الفعل الماضي المعتل الآخر مثل (هَدَى - سَمَا - رَضَى - لَقِيَ) إذ ينبغي التعرف على كيفية بنائه في المراحل الثلاث السابقة نفسها كالآتي :

(أ) يبنى على الفتح باعتبار الأصل ، لكن هذا الفتح يكون مقدراً على المعتل بالألف ، إذ لا يمكن ظهوره عليها - ويظهر على المعتل بالياء ، تقول : (دَعَا الرسولُ إلى شريعة الهدى فرضي بها المهتدون ونأي عنها الهاكون) فالعلان (دعا - نأي) مبيان على الفتح المقدر على الألف للتعذر ، وأما الفعل (رضي) فإنه مبنى على الفتحة الظاهرة .

(ب) إذا اتصلت به واو الجماعة - سواء أكان معتلاً بالألف أم الياء - حذف منه حرف العلة وبنى على الضمة المقدرة على هذا الحرف المحذوف تخفيفاً .
قال تعالى عن المنافقين : ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [الآية ٨٧ من سورة التوبة] .
وقال عن سليمان وجنوده : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ ﴾ [الآية ١٨ من سورة النمل] .

(ج) إذا اتصل به ضمير الرفع المتحرك بنى على السكون مثل غيره تقول : (الزميلات الفاضلات أصغينَ إلى صوت الفضيلة ولبيّنَ داعيَ الأخلاق وسمونَ بأنفسهن عن الشبهات) .

وخلاصة الموضوع في بناء الفعل الماضي تلخص في الآتي :

١ - الفعل الصحيح الآخر يبنى على الفتح أصلاً ، ويبنى على الضم إذا اتصلت به واو الجماعة ، وعلى السكون إذا اتصل به ضمير الرفع المتحرك .

٢ - الفعل المعتل الآخر ، مثل السابق تماماً إلا في حالتين :

(أ) إذا كان معتلاً بالألف بنى على الفتح المقدر على الألف .

(ب) إذا اتصلت به واو الجماعة حذف منه حرف العلة ، وبنى على الضم

المقدر على هذا الحرف المحذوف .

بناء الأمر :

لاحظ الأمثلة الآتية :

من كلام العرب : أَلِنْ جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك .

ومن كلام الرسول ﷺ : « اَرْضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

ومن كلام عمر رضي الله عنه : عَلِّمُوا أولادكم العوم والرماية ، ومروهم فليَتَّبِعُوا على الخيل وثَبَّتَا .

بناء الأمر :

هناك عبارة مشهورة بين المشتغلين بالنحو تلخص كيفية بناء فعل الأمر ، وهي : (فعل الأمر يبنى على ما يجزم به مضارعه) أ . ه .

وتقريب هذه العبارة إلى الذهن أننا إذا تصورنا فعلا مضارعاً معرباً مجزوماً ، ثم أتينا منه بالأمر ، فإن الأخير يأخذ شكل مضارعه الذي جاء منه تماماً ، مع ملاحظة أن الشكل في المضارع إعراب ، وأن الشكل في الأمر بناء .

وتفصيل العبارة السابقة يتضح من الجدول الآتي :

شكله بناء	الأمر	شكله إعراباً	المضارع المجزوم	مضارعه	الفاعل الماضي
مبنى على السكون	اصْدُقْ في حديثك أَخْلِصْ لأصدقائك	مجزوم بالسكون	لتصْدُقْ في حديثك لا تَخْلُصْ لعدوك	يَصْدُقْ يُخْلِصْ	صَدَقَ أَخْلَصَ
مبنى على حذف حرف العلة	راعِ ضميرك اتَّقِ الله	مجزوم بحذف حرف العلة	لترَاعِ ضميرك أولاً ولتتَّقِ الله قبل الناس	تُرَاعَى تَتَّقَى	رَاعَى اتَّقَى
مبنى على حذف النون	أَتَّقِها على الحق واختلفوا في الرأي لا في الورد	مجزوم بحذف النون	لا تتفق على الباطل لا تختلفوا فتنشوا	تتفقان تختلفون	اتفقا اختلفوا

الاستنتاج :

أولاً : الفعل الصحيح الآخر : يجرزم مضارعه بالسكون ، ويبني الأمر منه على السكون .

ثانياً : الفعل المعتل الآخر : يجرزم مضارعه بحذف حرف العلة ، ويبني الأمر منه على حذف حرف العلة .

ثالثاً : الأفعال الخمسة : تجزم في المضارع بحذف النون ، ويبني الأمر منها على حذف النون .

واعتقد - بعد هذا الشرح والتفصيل - أنه قد اتضح معنى العبارة المشهورة : (الأمر يبنى على ما يجرزم به مضارعه) .

فلنتأمل النصوص الآتية :

* قال تعالى : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحِمَةً وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرًا رَّشَدًا ﴾ [الآية ١٠ من سورة الكهف] فالفعل (آت) مبني على حذف حرف العلة ، والفعل (هَيَّئْ) مبني على السكون .

* وقال : ﴿ أَذْهَبًا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [الآيتان ٤٣ - ٤٤ من سورة طه] فكلا الفعلين (أذهب - قولا) مبني على حذف النون .

* جاء في الحديث الشريف : (أتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخُلُقٍ حَسَنٍ) ^(١) .

فالفعل (أتق) مبني على حذف حرف العلة ، والفعلان (أتبع - خالق) مبنيان على السكون .

بناء المضارع :

ينبغي هنا فهم الأفكار الثلاث الآتية عن بناء المضارع وهي :

(أ) نون التوكيد المباشرة وغير المباشرة .

(ب) نون النسوة .

(ج) الموازنة بين نون التوكيد ونون النسوة .

وكل واحدة من هذه النقاط فى حاجة إلى بيان مستقل .

(أ) نون التوكيد المباشرة وغير المباشرة :

تأتى نون التوكيد مع الفعل المضارع فى صورتين ، مفتوحة مشددة ، مثل (تَبَذَلْنَ - تُنَاضِلْنَ - تُدَافِعْنَ) أو ساكنة مثل (تَبْذُلْنَ - تُنَاضِلْنَ - تُدَافِعْنَ) وجاء فى القرآن استخدام النونين فى آية واحدة هى ﴿لَيْسَ جَنَّتْ وَلَيْكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [الآية ٣٢ من سورة يوسف] وتسمى المفتوحة المشددة (نون التوكيد الثقيلة) كما تسمى الساكنة (نون التوكيد الخفيفة) .

هذه النون - بنوعها - تأتى مع الفعل المضارع فتفيد تأكيد معناه وتقويته وتثبيتته ، فإذا قلت : (لأناضلن حتى تتحقق حريتى كاملة) فهذا لا شك أقوى من قولك : (أناضل حتى تتحقق حريتى كاملة) بدون نون التوكيد .

وهناك عبارة مشهورة بين المشتغلين بالنحو عن هذه النون مع الفعل المضارع هى : (المضارع يبنى إذا باشرتة نون التوكيد ويعرب إذا لم تباشره نون التوكيد) فمتى إذن تكون النون مباشرة للمضارع فيبنى ، أو غير مباشرة له فيعرب !!

لنلاحظ الأمثلة الآتية :

الفعل للواحد	لأنالن حريتى أو أموت دونها
النون مباشرة	ولتدفعن - أيها الظالم - حقى راضيا أو كارها
الفعل مبنى على الفتح	وليصلن المظلوم لحقه وإن طال الزمن
الفعل للواحدة أو المثنى	لتحترمن - يا زميلتى - عفتك وأنوثتك أو تندمين
أو الجمع	ولتكفان - يا زميلتى - عن التبرج والابتذال
النون غير مباشرة	أو تندمان
	ولتكفن - يا أصدقاى - عن العبث والاستهتار
الفعل معرب	أو تندمون

نون التوكيد تأتي مع الفعل المضارع مباشرة وغير مباشرة .

فالمباشرة : هي التي تتصل بالفعل دون أن يفصل بينها وبينه فاصل ويكون ذلك إذا كان الفعل للواحد - متكلماً أو مخاطباً أو غائباً - وجاءت معه نون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة مثل (أناَلَرَّ - تدفَعَنَّ - يصلَنَّ) في الأمثلة السابقة ، فإذا باشرت النون الفعل بنى على الفتح .

غير المباشرة : هي التي يفصل بينها وبين الفعل فاصل ولو مقدّراً .

ويكون ذلك إذا كان الفعل من الأفعال الخمسة - للواحدة أو الاثنين أو الجماعة - وجاءت معه نون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة ، مثل (تَحْتَرِمَنَّ - تَكْفَأَنَّ - تَكْفُفَنَّ) في الأمثلة السابقة ، فإن النون لم تباشر الفعل فيها جميعاً ، فالفعل معرب إعراب الأفعال الخمسة وإن كان مؤكداً .

ولتوضيح عدم مباشرة النون مع الأفعال السابقة ينبغي تأمل التحليل الآتي لهذه الأفعال :

*** تَكْفَأَنَّ :**

أصل الفعل (تَكْفَفَ) ثم أسند لألف الاثنين ، فصار من الأفعال الخمسة (تَكْفَأَنَّ) فأكد بالنون فصار (تَكْفَأَنَّ) فحذفت نون الرفع تخفيفاً لتوالي الأمثال - تكرار النون - وكسرت نون التوكيد بعد الألف ، فصار (تَكْفَأَنَّ) فالنون لم تباشر الفعل لوجود فاصل لفظي بينهما وهو « ألف الاثنين » .

إعراب : تَكْفَأَنَّ :

فعل مضارع من الأفعال الخمسة مرفوع بالنون المحذوفة تخفيفاً وألف الاثنين فاعل ، والنون حرف للتوكيد .

*** تَحْتَرِمَنَّ :**

أصل الفعل (تَحْتَرِمُ) ثم أسند لياء المخاطبة ، فصار من الأفعال الخمسة (تَحْتَرِمِينَ) فأكد بالنون فصار (تَحْتَرِمِينَ) فحذفت نون الرفع تخفيفاً لتوالي الأمثال ، فصار (تَحْتَرِمِينَ) ثم حذفت ياء المخاطبة لالتقاء الساكنين فصار (تَحْتَرِمِينَ) فالنون لم تباشر الفعل لوجود فاصل تقديري هو « ياء المخاطبة » .

إعراب : تحترمن :

فعل مضارع من الأفعال الخمسة مرفوع بالنون المحذوفة تخفيفاً ، وباء المخاطبة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل ، والنون حرف للتوكيد .

* تكفُنْ : مثل السابقة تماماً .

هذا ، ومما ورد من التوكيد بالنون المباشرة وغير المباشرة النصوص الآتية :

* قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ و ﴿ لَتَبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ [الآية ١٨٦ من سورة آل عمران] .

* وقال تعالى مخاطباً مريم : ﴿ فَأِمَّا تَرِينِ مِنَ النَّبَشِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ [الآية ٢٦ من سورة مريم] .

* ومن كلام عمر ؓ عن تاركى صلاة الجماعة : (والله لأحرقن عليكم البيوت أولتخرجنن لصلاة الجماعة) .

* ومن كلام عمر لعلی وابن عباس ؓ : (والله لتبايعان وأنتما طائعان أولتبايعان وأنتما كارهان) .

(ب) نون النسوة :

وهو اسم مكون من حرف هجائي واحد هو النون المفتوحة المخففة دالة على جماعة الإناث غائبات أو مخاطبات - ويسند إليه الفعل المضارع فيبنى على السكون ، ويكون الفعل مع نون النسوة جملة كاملة من (فعل وفاعل) الفعل هو المضارع والفاعل هو نون النسوة « اسم ضمير » نقول : (الضرورات يُخِنُّ المحظورات) وتقول : (المثقفات يدبِرُنَّ شئونهن بحكمة وفهم) ومن ذلك الشواهد الآتية :

* قال الله تعالى : ﴿ وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [الآية ٢٣٣

من سورة البقرة] .

* وقال : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [الآية

* وقال : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الآية ٣٣ من سورة الأحزاب] .

(ج) الموازنة بين نونَي التوكيد والنسوة مع المضارع :

من الكلام السابق يمكن استنتاج وجوه الموازنة بين الصورتين - المضارع المتصل بنون التوكيد ، والمضارع المتصل بنون النسوة - مما يتضح في الجدول الآتي :

نون النسوة	نون التوكيد
مفتوحة فقط	١ - مفتوحة مشددة (ثقيلة) أو ساكنة (خفيفة)
الفعل معها ساكن الآخر (مبنى على السكون)	٢ - الفعل معها مفتوح الآخر (مبنى على الفتح)
نون النسوة اسم ضمير النون نفسها فاعل أو نائب فاعل ولا تحتاج لآخر	٣ - نون التوكيد حرف لا بد من وجود فاعل أو نائب فاعل لفعالها المضارع

البناء فى الحروف

١ - الحروف كلها مبنية سواء أكانت :

- (أ) على حرف هجائى واحد أم أكثر .
(ب) عاملة أم غير عاملة .

* * *

الحرف هو القسم الثالث من الكلمة ، ويقصد به - كما سبق - ما يظهر معناه مع غيره من الكلمات أسماء وأفعالا - وهذا غير الحروف الأبجدية (أ - ب - ت - ث) ... إلخ .

وهناك عبارة مشهورة بين المشتغلين بالنحو ، تقول : (قاعدة نحوية ، كل الحروف مبنية) ويندرج تحت هذه العبارة السابقة التفصيل الآتى :

أولاً : الحروف كلها مبنية بصرف النظر عن عدد الحروف الأبجدية التى يتكون منها الحرف ، إذ تأتى الحروف النحوية بالتكوين التالى :

(١) على حرف هجائى واحد : مثل (الباء) فى قولك (بالله) أو (الكاف) فى قول الله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [الآية ٤٥ من سورة الكهف] أو (الواو) فى قولك (أحترم العفة والعزة) .

(٢) على حرفين من حروف الهجاء : مثل (فى) - عن - أن - لن - كى - لم - لا) .

(٣) على ثلاثة أحرف هجائية : مثل (إن - أن - ليت - إلى - رب - على - نعم - بلى - جئ) .

(٤) على أربعة أحرف هجائية : مثل (كأن - لولا - حتى - لعل) .

(٥) على خمسة أحرف هجائية : مثل (لكن) .

ثانياً : الحروف كلها مبنية بصرف النظر عن كونها - كما يقول النحاة - عاملة أو غير عاملة .

ويقصد بالحروف العاملة ما تؤثر فيما بعدها من الأسماء والأفعال رفعاً أو نصباً

أو جرّاً أو جزماً ؛ ومن ذلك :

(١) الحروف الناسخة (إِنَّ وأخواتها) فهي تنصب الاسم وترفع الخبر وهي (إِنَّ - أَنْ - لَيْتَ - لَعَلَّ - لَكِنَّ - كَأَنَّ) .

(٢) حروف الجر ، وتجر الاسم بعدها ، ومنها (مِنْ - إِلَى - عَنْ - عَلَى - فِي - زُبَّ - مِنْذ - الْكَاف - الْبَاء - اللَّام) .

(٣) حروف نصب المضارع ، وهي (أَنْ - لَنْ - إِذَنْ - كَى) .

(٤) حروف جزم المضارع ، ومنها (لَمْ - لَمَّا - لَامُ الْأَمْرِ - لَا النَّاهِيَةِ - إِنْ - إِذْ - إِذَا) إلخ .

ويقصد بالحروف غير العاملة : ما لا يكون لها أثر إعرابي فيما بعدها وذلك كثير جدًا ، ومنه :

(١) حروف النفي مثل (ما - لا) .

(٢) حروف الاستفهام مثل (الهمزة - هل) .

(٣) حروف العطف ، ومنها (الواو - الفاء - ثُمَّ) .

* * *

المحل الإعرابي للكلمات المبنية

من كلام الرسول ﷺ : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » .
ومن القرآن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾
[الآية ٩ من سورة الإسراء] .

ويقول الشاعر :

لا تَمْدَحَنَّ امرئًا حتى تُجَرِّبَهُ ولا تَذُمَّنَّهُ من غير تجريب

* * *

معلوم أن الكلمة المعربة - اسما أو فعلا - حين تقع في وظيفة نحوية من وظائف الرفع أو النصب أو الجر أو الجزم (مبتدأ - خبر - فاعل - مفعول ... الخ) تكون مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة أو مجزومة ، ويتغير شكلها بحسب الوظائف النحوية المختلفة ، كما في قولنا (محمدٌ رسولُ الله) و (إنَّ محمدا رسولُ الله) فكلمة (محمد) في المثال الأول « مبتدأ مرفوع بالضمة وفي المثال الثاني اسم إنَّ منصوب بالفتحة » .

فكأنما وظائف الرفع والنصب والجر والجزم أصلا للكلمات المعربة ؛ إذ يظهر على آخرها مقتضى تلك الوظائف من الشكل الإعرابي الأصلي والفرعى - على ما سبق شرحه .

ويقصد هنا بالمحل الإعرابي للكلمات المبنية : أن تقع الكلمة المبنية اسما أو فعلا - أيضا في وظيفة نحوية من وظائف الرفع أو النصب أو الجر أو الجزم - وهي أصلا الكلمات المعربة - فتكون تلك الكلمات المبنية في محل رفع أو نصب أو جر أو جزم ، بمعنى أن تلك الكلمات في موضع هو في الأصل لكلمة معربة ، وقد حلت هي محلها ، ولذلك توصف - من المعربين - بأنها في محل رفع أو نصب أو جر أو جزم بحسب الوظيفة التي شغلتها .

ففي حديث الرسول ﷺ نجد كلمة (أنا) من الكلمات المبنية ، وقد وقعت مبتدأ - مرتين - في محل رفع .

وفى الآية الكريمة الكلمات المبنية (هذا - التى - هى) والأولى اسم (إنّ) فى محل نصب ، والثانية بعد (لام الجر) فى محل جر ، والثالثة مبتدأ فى محل رفع .

وفى البيت الشعرى نجد الفعل (تمدحنّ) مبنى لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، وقد وقع بعد حرف الجزم (لا) فهو فى محل جزم ، ومثله تماماً الفعل (تذمرنّ) .

* * *

تدريبات

(١)

قال « إبراهيم النبهاني » في (التجلّد والصبر) ^(١) :

تعرّزَ فإنّ الصبر بالحرّ أجمل	وليس على ريب الزمان معوّل
فلو كان يُغنى أن يُرى المرء جازعاً	لحادثة أو كان يغنى التذلّل
لكان التّعزّي عند كل مصيبة	ونازلة بالحر أولى وأجمل
فكيف؟؟ وكلّ ليس يعدو حمامه	وما لامرئ عما قضى الله مَزَحَل
فإن تكن الأيام فينا تبدّلت	بيؤسى ونُعمى والحوادث تفعل
فما لَيَنْتَ منّا قناة صليبة	ولا ذلّلتنا للتي ليس تجمل
ولكنّ رحلتنا نفوساً كريمة	تُحمّل ما لا يُستطاع فتحمل
وقينا بحسن الصبر منّا نفوسنا	فصحّت لنا الأعراض والناس هُزَل

(١) الكلمات (تعرّز - كيف - التي - ليس - رحلتناها - لكنّ) مبنية ما نوعها من المبنيات؟؟ وما شكل بنائها؟؟

(٢) الكلمات (أجمل - أولى - يؤسى - نُعمى - حوادث) ممنوعة من الصرف ، اذكر صفات منعها منه ، ثم أعربها كما وردت في النص .

(٣) في النص خمسة أفعال معتلة، بيّنها ، ثم صف حكمها من حيث البناء والإعراب .

(٤) في البيت الثالث اسمان أحدهما منقوص والآخر مقصور ، حددهما ثم أعربهما كما وردا في البيت .

(٥) ما الدليل على أنّ (نا) اسم في العبارات (فينا - منّا - رحلتنا - وقينا) .

(٦) الكلمات (معول - جازعاً - مَزَحَل - قناة - نفوساً) صفها من حيث الوظيفة النحوية والشكل كما وردت في الأبيات .

(٧) فى الجمليتين (ما لامرئ عما قضى الله مزحل - تحمل ما لا يستطيع) استعملت (ما) ثلاث استعمالات مختلفة ، وضحتها .

(٨) الكلمات (حادثة - مصيبة - صليبة) اجمعها جمع تكسير ، وضع كل جمع منها فى ثلاث جمل مفيدة مرفوعًا ومنصوبًا ومجرورًا مع ضبطه بالشكل .

(٩) اذكر الجمع السالم للكلمات (جازع - حادثة - نائبة - هزل) واستخدم الجمع فى كلام مفيد .

(١٠) اختر أحد الأبيات فى النص ، ثم أعرب كلماته كلها مع التزام ذكر الوظيفة والشكل فى الإعراب .

(٢)

لَمَّا احْتَضَرَ ذُو الْإِصْبَعِ الْعِدَوَانِي ^(١) دَعَا ابْنَهُ أَسِيدًا فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ إِنْ أَبَاكَ قَدْ فَنَيْتَ وَهُوَ حَيٌّ ، وَعَاشَ حَتَّى سَمِ الْعِيشَ ، وَإِنِّي مُوصِيكَ بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلُغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلُغْتُهُ ، فَاحْفَظْ عَنِّي : أَلَيْسَ جَانِبُكَ لِقَوْمِكَ يَحِبُّوكَ ، وَتَوَاضَعُ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ ، وَأَبْسَطُ لَهُمْ وَجْهَكَ يُطِيعُوكَ ، وَلَا تَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ ، وَأَكْرَمُ صِغَارِهِمْ كَمَا تُكْرَمُ كِبَارِهِمْ ، يَكْرَمُكَ كِبَارِهِمْ ، وَيَكْبِرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارِهِمْ ، وَاسْمَحْ بِمَا لَكَ ، وَاحْمِ حَرِيمَكَ ، وَأَعِزَّزْ جَارَكَ ، وَأَعِزَّزْ مَنْ اسْتَعَانَ بِكَ ، وَأَكْرَمُ ضَيْفِكَ ، وَأَسْرِعِ النَّهْضَةَ فِي الصَّرِيخِ ، فَإِنَّ لَكَ أَجَلًا لَا يَعْدُوكَ ، وَضُنَّ وَجْهَكَ مِنْ مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا .

* * *

(١) نادى ذو الإصبع ابنه بقوله : (يا بنى) - بضم الباء وفتح النون - ولو كان له أبناء كثيرون لقال (يا بنى) - بفتح الباء وكسر النون - مع تشديد الياء فيهما - وازن بين الصورتين .

(٢) الأفعال (دعا - فنى - عاش - سئم) بم تسمى صرفيًا؟؟ استعملها فى كلام مفيد مسندة لضمائر الرفع المتحركة ، ثم صغ المضارع منها واستعمله فى كلام مفيد على أن يكون صورة من صور الأفعال الخمسة .

(٣) جملة (لا تستأثر عليهم بشيء يسودوك) أعربها ، ثم خاطب بها المفرد والمثنى والجمع بنوعيه مع تأكيد الفعل (تستأثر) بالنون الثقيلة أو الخفيفة ، واذكر بعد التأكيد بالنون إعرابه أو بناءه .

(٤) من أفعال الأمر التي وردت في النص (ألن - تواضع - أكرم - احم - أعن) زنها صرفياً - ثم اذكر شكل بناء كل منها .

(٥) ضمير المخاطب (الكاف) تكرر ذكره في هذا النص مع الأفعال والأسماء - اذكر عبارة نحوية واحدة تلخص الفرق في استعماله مع الاثنين .

(٦) الكلمات (ذو الإصبع - أسيداً - أباك - مُوصيك - أجلاً - شيئاً) صفها من حيث الوظيفة والشكل كما وردت في النص .

(٧) (وهو حتى بلغت في قومك - استعان بك - لا يعدوك) صف الجمل السابقة من حيث الفعلية والاسمية ، ثم اذكر مواقعها النحوية كما وردت في النص .

(٣)

كان أبو فراس الحمداني في أسر الروم ، فسمع حمامة تنوح على شجرة قريبة من سجنه - فأنشد هذه الأبيات ^(١)

أقول وقد ناحت بقُربى حمامة	أيا جارتا لو تعلمين بحالى
مَعَاذِ الهوى ما ذقت طارقةً التوى	ولا خطرْتُ منك الهمومُ بيالى
أتحمل محزونَ الفؤادِ قوادمُ	على عُصنِ نائى المسافةِ عالى
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا	تعالى أقاسمك الهمومِ تعالى
تعالى تَرَى روحاً لدى ضعيفة	تردّدُ فى جسم يُعذّبُ بالى
أيضحك مأسور ، وتبكي طليقة	ويسكت محزون ويندب سالى
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلّة	ولكن دمعى فى الحوادثِ غالى

(١) أثار البيت الرابع حوله مناقشة نحوية مفيدة ، ما هى ؟! وما رأيك فيها ؟!

(٢) الكلمات (قُربى - جارتا - حالى - الهوى - النوى - عالى - نائى -

سالى - دمعى - غالى) وردت فى النص بهذا الترتيب - اذكر ما يُقدّر عليها من حركات الإعراب الأصلية مع سبب هذا التقدير .

(٣) كلمة (قوادم) فى البيت الثالث ، ما المسوغ لصرفها مع أنها أصلاً غير مصروفة ، وضح ذلك من وزن البيت عروضيًا .

(٤) كلمتا القافية فى الشطرين (ولا خطرت منك الهموم بىالى - تردد فى جسم يعذب بالى) متفقتان فى الصورة ومختلفتان فى الإعراب - اشرح ذلك .
(٥) ما حكم الكلمات الثلاث (بيننا - لدى - لكن) من حيث الإعراب والبناء ؟

(٦) اضبط بالشكل الكلمات الآتية ، وبين سبب الضبط (حمامة - معاذ - محزون - ضعيفة - مقلة) - راجع قبل الضبط سياقها فى الآيات .

(٧) الفعلان المضارعان (أفاسم - ترى) مجزومان فى جواب الطلب فما علامة الجزم فى كل منهما ؟!

(٨) هات الجمع السالم من الصفات (محزون - عالى - ضعيفة - طليقة - ناء - بالى) ثم استعمله منصوبًا فى جملة مفيدة .

(٩) فى البيت السادس ، لو وجه الشاعر لنفسه وللحمامة الخطاب ، فبدأ بقوله (أأضحك مأسورًا ...) فكيف ينطق باقى الجمل !

(١٠) أعرب البيت الأخير من هذا النص ملتزمًا فى كل كلمة ذكر الوظيفة والشكل .

(٤)

حضرت « الخنساء » حرب « القادسية » ومعها بنوها أربعة رجال ، فقالت لهم : (١)

يَا بَنِيَّ ، أنتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذى لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكُم ، ولا هجّنت حسبكم - ولا غيّرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله

للمسلمين من الثواب العظيم فى حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عز وجل : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران] فإذا أصبحتم غداً فاغذوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، والله على أعدائه مستنصرين .

فلما أضاء لهم الصبح ، باكزوا مراكزهم ، فتقدموا واحداً بعد واحد يُنشدون الأراجيز ، فقاتلوا حتى استشهدوا جميعاً ، فلما بلغها الخبر ، قالت : الحمد لله شرفنى بقتلهم ؛ وأرجو من ربي أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

* * *

(١) (إنكم لبنو رجل واحد) كلمة (بنون) لماذا اعتبرت ملحقة بجمع المذكر السالم ؟! اذكر إعرابها كما وردت فى الجملة .

(٢) ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ اذكر حكم الأفعال التى وردت فى هذه الآية من حيث البناء والإعراب .

(٣) كلمة (الأراجيز) من أى أنواع الجموع ؟؟ اذكر مفردا ، وهات بعد ذلك عشر كلمات أخرى مماثلة لها فى الوزن والمفرد والإعراب .

(٤) (مراكزهم - الأراجيز) هكذا وردت الكلمتان فى النص ، فما موقعهما النحوى ؟! أدخلهما بهذه الصورة فى كلام تام مجرورين ثم اشرح مسلكهما النحوى مستشهداً بما ذكرت من جمل .

(٥) وردت جموع المذكر (مختارين - المسلمين - الكافرين - مستبصرين) اذكر الوظيفة والشكل لهذه الجموع كما وردت فى سياق النص .

(٦) الكلمتان (امرأة - أعداء) لماذا لم تمنعا من الصرف مع أن الأولى مؤنثة وفى آخر الثانية ألف المد ؟

(٧) اعرّب بالعصيل الجمل الآتية (معها بنوها أربعة رجال) من حيث البناء والنحو .
- قاتلوا حتى استشهدوا جميعاً .

(٥)

قال العباس بن الوليد بن عبد الملك لمسلمة بن عبد الملك ^(١) :

ألا تَقْنَى الحياءَ أبا سعيد وتُقصِر عن مُلاحاتى وعذلى
فلولا أن أصلك حين تُنَمَى وفرعك منتمى فرعى وأصلى
وأنى إن رميتك هَضْتُ عظمى ونالثنى إذا نالثك نَبلى
لقد أنكرتنى إنكار خوف يضم حَشاك عن شتى وأكلى
كقول المرء « عمرو » فى القوافى « لقيس » حين خالف كل عدل ^(٢)
عذيرى من خليلى من مُرادٍ أريد حياته ويريد قتلى

(١) (تنمى - منتمى) وازن بين الكلمتين من حيث التسمية النحوية والإعراب ، ثم طبق الأخير على ما ورد فى النص .

(٢) (أنكرتنى - ملاحاتى) اتصلت بكل منهما ياء المتكلم - وازن بين صلتها بهما .

(٣) جاء فى البيت الثالث الكلمتان (عَظْمى - نَبلى) وهما متفقتان فى التسمية ، لكن اختلف موقعهما النحوى فى سياق البيت - اشرح ذلك .

(٤) (عذيرى من خليلى من مراد) ما معنى هذه الجملة ؟؟ أعربها بالتفصيل .

(٥) (أريد حياته ويريد قتلى) فى شطر البيت كلمتان وقعتا مفعولا به حددهما ، ثم وازن بينهما من حيث الشكل الإعرابى .

(٦) (أبا سعيد - تقعر - إنكار خوف - حين - عمرو) اذكر الوظيفة والشكل للكلمات السابقة كما وردت فى سياق جمل النص .

(٧) الأفعال (رمى - هاض - أنكر - خالف) بم تسمى صرفيًا ؟ صغ من كلا منها فعل فى صورتى المجرد من الإسناد والمسند لواو الجماعة ، ثم اذكر كيف يبنى فى الحالتين .

(١) يلاحظ أن النص الشعرى الآتى موجه من ابن أخ إلى عمه .

وقد ورد النص فى كتاب الأمالى - لأبى على القالى - طبع دار الكتب سنة ١٩٢٦ - ص ١٤ .

(٢) عمرو : هو عمرو بن معديكرب - قيس : هو قيس بن مكشوح ، وكان صديقاً لعمرو ، ومن

البين أن البيت الأخير فى المقطوعة من كلام عمرو بن معديكرب « وقد اقتبس العباس بن الوليد » .

النكرة والمعرفة

أولا : النكرة :

(١) المقصود بالنكرة لدى النحاة .

(٢) العلامات التي تستخدم لمعرفة الاسم النكرة .

* * *

طالب - كتاب - كلية - جامعة - رحلة - زهور - أشجار - طيور - مياه
- جداول - استمتاع - راحة - هدوء - نشاط - قوة .

النكرة - كما جاء في قطر الندى - عبارة عما شاع في جنس موجود
أو مقدر . أ . ه .

والمقصود بهذه العبارة أن يكون اللفظ مما يندرج تحته أفراد كثيرون
لا يختص به واحد دون آخر ، فكلمة (طالب) مثلا تطلق - بلفظها - على
ما لا يحصى من أفراد الطلاب ، وكذلك كلمة (شجرة) يمكن استخدامها - كما
هي - لتطلق على ملايين الأشجار مختلفة الأشكال والألوان ، ومثل ذلك أيضا
كلمة (شمس) فإنها بلفظها تطلق على كل جرم مضيء ، فهي نكرة بهذا الاعتبار
- اعتبار اللفظ - وإن كان لا يوجد منها في الحقيقة والواقع إلا فرد واحد فقط .

هذا ، وتستخدم إحدى العلامات التالية للتعرف على الاسم النكرة :

(١) أن يقبل « ال » :

فالكلمات (طالب - أشجار - راحة) كلمات منكورة ومعناها شائع وهي تقبل
« ال » فيقال (الطالب - الأشجار - الراحة) فتدل حينئذ على طالب معين ،
وأشجار حديقة خاصة مثلا ، وراحة معهودة بين المتكلم والمخاطب .

(٢) أن يدل على ما يقبل (ال) :

فالكلمات (ذو) بمعنى صاحب و (مَنْ) بمعنى شخص ما و (مَا) بمعنى

شيء ، في قولك (عاش عمرٌ ذا ضمير حيّ فاحترمه كل من يحبه وكل من يكرهه)
فإن كلمة (ذا ضمير) بمعنى (صاحب ضمير) وكلمة (صاحب) تقبل « ال » فيقال

(الصاحب) . وكلمة (مَنْ) بمعنى (إنسان) وهذه الأخيرة تقبل « ال » فيقال (الإنسان) .

(٣) أن تقبل الكلمة حرف الجر « رُب » :

ذكر هذه العلامة ابن هشام ، فإن كلمة (رُبَّ) لا تدخل إلا على النكرات ، تقول (رُبَّ صميتٍ خيرٌ من كلام) و (رُبَّ فقيرٍ خيرٌ من غنيٍّ) فكل من الكلمتين (صمت - فقير) نكرتان بهذه العلامة .

ومن ذلك قول سويد بن كاهل الشكري :

رُبَّ مَنْ أَنْصَبَتْ غِيظًا قَلْبُهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَ (١)

* وقول أمية بن أبي الصلت :

لَا تَضِيقَنَّ بِالْأُمُورِ فَقَدْ تُكْشِفُ غَمَاؤَهَا بَغِيرِ احْتِيَالٍ
رَبِّمَا تَكْرَهُ النَفُوسُ مِنْ الْأَمْرِ لَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ الْعَقَالِ (٢)

(١) الغيظ : أشد الغضب ؛ وإنضاج الغيظ : يقصد به الوصول إلى منتهاه ، لم يطع : لم ينفذ ما أراد .

يقول : من الناس عدو لي مغتاض مني أشد الغيظ ، وإنه ليمنى موتي ، ومع ذلك لم تتحقق أمنيته ولم يحدث ما أراد .

الشاهد : في قوله (رب من أنصبت غيظا) فإن (من) نكرة بمعنى (إنسان) بدليل دخول الحرف « رب » عليها .

(٢) الغماء : الكرب والأحزان - الاحتيال : الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرف « الشطارة » - الفرجة - كما يقول القاموس - التفصى من الهم بمعنى الخروج منه - العقال : الحبل الذي يربط به البعير - حل العقال : في غاية اليسر .

المعنى : هون عليك ولا تهتم بالشدائد ، فبعد العسر يسر ، وربما انكشفت الأحزان بدون مجهود ، ورب أمر يضيق به الإنسان والخروج منه سهل ميسور كحل العقال .

الشاهد : في البيت الثاني (ربما تكره النفوس) فإن (ما) بمعنى (شيء) فهي نكرة والدليل على ذلك دخول (رب) عليها .

إعراب البيتين : « لا تضيقن » لا : ناهية - تضيقن : فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم ! وفاعله ضمير مستتر تقديره « أنت » والنون حرف توكيد مبني على الفتح لا محل له من الإعراب - بالأمور : جار ومجرور متعلق بالفعل « تضيقن » - « فقد تكشف غماؤها » قد : حرف تحقيق - تكشف : فعل مضارع مرفوع بالضمه - غماؤها : نائب فاعل مرفوع بالضمه ،

وضمير الغائية مضاف إليه - يعنى : جار ومجرور - احتيال : مضاف إليه مجرور بالكسرة
« ربما » رب : حرف جر شبهه بالزائد - ما : نكرة بمعنى « شيء » مبتدأ مبني على السكون =

ثانيًا : المعرفة

قال الله تعالى : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ ﴾ [الآية ٥٢ من سورة إبراهيم] .

ومن شعر المتنبي :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى مَنْ به صمّم

فى الآية وبيت الشعر كلمات معارف هى (هذا - أنا - الذى - مَنْ) فالكلمة الأولى اسم إشارة ، والثانية ضمير ، والثالثة والرابعة من أسماء الموصول .

فالمعرفة - بالمعنى الدقيق - هى الاسم الذى وضع ليستعمل فى معيّن أ . ه وفى هذه العبارة المختصرة أمران هامان جدًا هما :

الأول : أنه قد ورد فى اللغة العربية أنواع خاصة من الأسماء (عددها ستة - ستأتى) معدّة لكى تستعمل معارف ، بمعنى أنها مهيأة لكى تدل على ما هو محدد ومعين .

الثانى : أن هذه الأسماء لا يظهر تحديد معناها إلا فى حال الاستعمال فى جمل مفيدة ، فالاستعمال الفعلى هو المجال العملى الذى يظهر فيه تحديد معنى هذه الأشياء ودلالاتها على معين ، سواء أكان شخصًا أم شيئًا من الأشياء .

مثلا كلمة (هذا) من أسماء الإشارة ، وأسماء الإشارة فى اللغة العربية من كلمات اللغة التى أعدت ليتمكن استخدامها فى الدلالة على شىء معين - لكن كلمة (هذا) وحدها تبقى عامة الدلالة ، فهى صالحة - هكذا - للاستخدام فى الإشارة لما لا يكاد يحصى من الأشخاص والأشياء ، أما حين تستخدم فى جملة مفيدة كما فى آية قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ ﴾ حينئذ تتحدد دلالاتها بالاستعمال فهى فى الآية تشير إلى القرآن الكريم فقط .

= فى محل رفع - تكره : فعل مضارع مرفوع بالضم - النفوس : فاعل مرفوع بالضمه - من الأمر :

جار ومجرور وجملة « تكره النفوس من الأمر » صفة لكلمة « ما » - له : جار ومجرور خبر مقدم شبه جملة - فرجة : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمه ، والجملة من المبتدأ والخبر خبر المبتدأ « ما » - كحل :

جار ومجرور شبه جملة صفة للكلمة « فرجة » - العقل : مضاف إليه مجرور بالكسرة .

وكلمة (أنا) من الضمائر ، والضمائر أعدت في اللغة ليتمكن استخدامها في الدلالة على معين ، لكن كلمة (أنا) وحدها تبقى عامة الدلالة ، إذ هي صالحة لكي يستخدمها ما لا يمكن حصره من المتكلمين ، فإذا استخدمت عملياً في جملة تامة كما في قول المتنبي (أنا الذي نظر الأعمى) تحدد معناها ودلت على متكلم واحد هو المتنبي نفسه - وهكذا بقية المعارف - المعول فيها على الاستعمال نفسه .

وأسماء المعارف التي وردت في اللغة ستة هي :

(١) الضمير : كقول الرسول ﷺ : (أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب) (١) .

(٢) العلم : كقوله تعالى : ﴿ تَحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ [الآية ٢٨ من سورة الفتح] .

(٣) الإشارة : كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الآية ٩٢ من سورة الأنبياء] .

(٤) الموصول : كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [الآية ٣٠ من سورة فصلت] .

(٥) ما فيه « ال » كقول العرب : (الإنسان عبد الإحسان) .

(٦) ما أضيف لواحد مما سبق : كقولنا : « شرفنا من شرف الوطن » .

وستتناول هذه الأنواع الستة واحداً بعد الآخر .

الضمير

- (١) المقصود بالضمير لدى اللغويين والنحاة .
- (٢) صور استعمال الضمير في اللغة هي :
 (أ) الضمير المستتر جوازاً أو وجوباً .
 (ب) الضمير البارز ، متصلاً ومنفصلاً .
- (٣) العبارة المشهورة (لا يُعدل عن الاتصال إلى الانفصال) وما يتفرع عليها .
- (٤) نون الوقاية قبل ياء المتكلم مع الأفعال والحروف والأسماء .

* * *

الضمير :

جاء في القاموس (الضُّمْر) الهُزَال ويقال منه : (ضَمَرُ ضُمُوراً) بمعنى : هزل وضعف و (الضُّمير) السر وداخل خاطر أ . ه ؛ فهذه المادة إذن تستعمل في الهزال والضعف أو الخفاء والستر ، ومن العبارات الدارجة بيننا الآن : (ضمير الجسم) بمعنى ذبل وهزل ، وأيضاً (خلُّ ضميرك نظيف) و (خلُّ عندك ضمير سليم) والمقصود من ذلك النية الطيبة الصالحة التي هي منشأ الأخلاق الكريمة .

ويبدو أن النحاة - كما رأى ابن هشام - قد راعوا الجانب اللغوي في إطلاق هذا اللفظ على بعض كلمات اللغة ؛ لأن بعض الضمائر قليل الحروف مثل التاء في (صاحبت) وبعضها الآخر مستتر لا يبين ، كقولنا : (لا تأسف فاليُسْرُ يعقُبُ العُسْر) ففي الفعلين (تأسف - يعقب) ضمير مستتر .

وعلى كل ، فالضمير يقصد به نحوياً : « ما دل على متكلم أو مخاطب أو غائب ، مثل « أنا - أنت - هو » أ . ه

صور الضمير في اللغة :

يأتى الضمير في الكلام العربى على الصور الآتية :

أولاً : الضمير المستتر :

العاقل يتعد عن الشبهات والأحمق يحوم حولها .

فابتعد عن الشبهات تأمن التقولات .

الضمير المستتر - كما يدل اسمه عليه - ما ليس له صورة في اللفظ ، وإنما يتخيل ذهنيًا وجوده مختبئًا خلف الفعل - وكذلك الأسماء التي تشبه الفعل - ففي المثالين السابقين استتر مع الفعلين (يبتعد - يحوم) ضمير تقديره (هو) ومع الفعلين (ابتعد - تأمن) ضمير تقديره (أنت) وكلاهما غير موجود ولكنه متخيل .

وفوق ذلك ، وإغراقًا في التخيل !! اعتبر الضمير المستتر نوعين : مستتر جوازًا ومستتر وجوبًا بالفهم التالي :

(أ) المستتر جوازًا :

هو ما يمكن أن يقوم مقامه في جملته الاسم الظاهر بمعنى أنه يمكن أن ينطق في موضعه اسم ظاهر بغير صعوبة في هذا النطق ، كما يبقى المعنى العام للجملته سليماً بصورة عامة .

ففي المثال (العدلُ يحققُ الأمنَ) الضمير مستتر جوازًا ، إذ يمكن القول في هذا المثال (العدلُ يحققُ فرضه الأمنَ) ومثل ذلك (العاقلُ يبتعدُ عن الشبهات) الضمير مستتر جوازًا ، إذ يمكن القول (العاقلُ يبتعدُ سلوكه عن الشبهات) .

(ب) المستتر وجوبًا :

وهو - على عكس السابق - لا يمكن أن يحل محله في جملته الاسم الظاهر بمعنى أنه يصعب نطقًا وضع اسم ظاهر في موضعه ، ففي قولنا (خُذْ الرقيقَ قبلَ الطَّريقِ) وقولنا (ابتعدُ عن الشبهات) ضمير مستتر وجوبًا مع الفعلين (خُذْ - ابتعد) إذ لا يمكن وضع اسم ظاهر موضعه ، ولك أن تحاول ذلك فإنك لن تستطيع !! - وأهم المواضع التي يستتر فيها الضمير وجوبًا هي :

١ - فعل الأمر للواحد المخاطب :

تقول لزميلك : (افهم محاضراتك ودوّنْها وراجعها بعد ذلك) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَقْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الآية ١٩٩ من سورة الأعراف] . فالفاعل مع أفعال الأمر (افهم - دوّن - راجع - خُذْ - أْمُرْ - أعْرِضْ) مستتر وجوبًا تقديره (أنت) .

٢ - الفعل المضارع المبدوء بحرف المضارعة الهمزة :

كقولك : (أفهم محاضراتي وأدونها وأراجئها بعد ذلك) وكما جاء في القرآن من قول الرسول ﷺ لقومه : ﴿ أَبْلَغُكُمْ رَسُولِي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الآية ٦٢ من سورة الأعراف] فالفاعل مع الأفعال (أفهم - أدون - أراجئ - أبلغ - أنصح - أعلم) مستتر وجوبا تقديره (أنا) .

٣ - الفعل المضارع المبدوء بحرف المضارعة النون :

ومن ذلك ما نردده في دعائنا (نستغفر الله العظيم ونتوب إليه) وما جاء في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [الآية ٢٨ من سورة إبراهيم] فالفاعل مع الأفعال (نستغفر - نتوب - نخفي - نعلن) مستتر وجوبا تقديره (نحن) .

٤ - الفعل المضارع الذى فى أوله التاء لخطاب الواحد المذكور :

كقولك لزميلك : (عليك أن تؤدّي واجبك وتترك الباقي على الله) ومن ذلك ما جاء في القرآن لخطاب الرسول ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الآية ٥٦ من سورة القصص] فالفاعل للأفعال (تؤدى - تترك - تهدي) ضمير مستتر وجوبا تقديره (أنت) .

٥ - صيغة التعجب « ما أفعله » :

كقولنا : (ما أجمل الفضيلة وما أسوأ الرذيلة) ومن ذلك قول الشاعر :
ما أحسن الدينَ والدنيا إذا اجتماعا وأقبح الكُفرَ والإفلاس بالرجل^(١)
ففاعل أفعال التعجب (أجمل - أسوأ - أحسن - أقبح) ضمير مستتر وجوبا تقديره (هو) يعود إلى (ما : التعجبية) .

٦ - فاعل (خلا - عدا - حاشا) : إذ تأتي أفعالا فى الاستثناء مثل (سيفنى كل شيء فى الحياة ما خلا وجه الله) وسيأتى الحديث عنها .

ثانياً : الضمير البارز :

أنت مسئولٌ عن سيرتك بين الناس بسلوكك .

(١) فى البيت دليل : على أن فاعل فعل التعجب - على رأى البصريين - مستتر وجوبا ، وذلك

فإذا صاحبت الأشرار استحققت الذم وسوء الظن .

الضمير البارز - كما يدل اسمه عليه - ما له صورة في اللفظ ، بمعنى أن يكون له حروف منطوقة فعلا لا متخيلة ، ومن ذلك في المثالين السابقين كلمة (أنت) وأيضا ضمير المخاطب - الكاف - في (سيرتك - سلوكك) وضمير المخاطب - التاء - في (صاحبت - استحققت) .

والضمير البارز - بحسب صورته اللفظية - نوعان : بارز متصل وبارز منفصل على التوضيح التالي :

أ - البارز المتصل :

فالم متصل - كما يدل اسمه عليه - ما لا يستقل بنفسه نطقا ، وإنما لا بد أن يتصل بغيره فعلا أم اسما أم حرفا ، تقول (مَنَحْنَا وَطَنًا حُرِيَّةً وَالحَيَاةَ وَمِنْ وَاجِبِنَا أَنْ نُكَافِئَهُ بِهِمَا عِنْدَ الْحَاجَةِ) فالضمائر في هذه العبارة متصلة إذ يلاحظ أن الضمير (نا) اتصل أولا بالفعل (منح) ثم بالاسمين (وطن واجب) وضمير الغائب « الهاء » اتصل بالفعل (نكافئ) وضمير الغائب (هما) اتصل بحرف الجر الباء - فلنلاحظ الشواهد الآتية للضمائر المتصلة :

* قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا ﴾ [الآية ١٩٣ من سورة آل عمران] .

* قول الرسول ﷺ : (إذا كانوا ثلاثة ، فلا يتناجى اثنان دون الثالث حتى يَخْتَلِطُوا بالناس أَجْلُ أَنْ يُحْزَنَهُ) ^(١) .

* قول المجنون :

فُحِبِّي لَهَا حُبٌّ تَمَكَّنَ فِي الْحَشَا فَمَا إِنْ أَرَى حُبًّا يَكُونُ لَهُ مِثْلُ ^(٢)

هذا ، وينبغي التنبيه إلى الملاحظتين الآتيتين عن المتصل :

الأولى : ذكر « ابن مالك » دليلا على عدم استقلال هذا الضمير بأنه لا يُبتدأ

(١) صحيح البخارى - الجزء الثامن - كتاب الاستئذان .

(٢) الحشا : يقول القاموس : ما فى البطن ، والمراد أنه امتلأت به نفسه - ما إن أرى : « إن »

به ولا يقع بعد الحرف « إلاً » فإن هذين الموضعين - المبتدا وما بعد إلاً - لا يشغلها إلا الاسم المستقل بنفسه ، ولك أن تجرب الإتيان بأى ضمير متصل - من ضمائر الأمثلة السابقة - فى هذين الموضعين ، وإنك لن تستطيع !!

الثانية : أن هذا الضمير يجيء فى محل رفع ونصب وجر ، كما اتضح من الأمثلة السابقة ، وكقولك : (وصلنا لهدفنا ولم تُقَابِلْنَا صعوباتٌ معوّقة) .

ب - البارز المنفصل :

المنفصل - كما يدل اسمه عليه أيضًا - ما يمكن أن يستقل بنفسه نطقًا ولا يحتاج إلى كلمة أخرى يتصل بها ، كما نقول : (نحن مُقدِّرون للحرية ، فهى إحساسٌ نبيلٌ وتضحية) فكل من الضميرين (نحن - هى) يندرج تحت اسم (المنفصل) إذ يستقل نطقًا ولا يعتمد على غيره .

وبناء على ذلك يفهم ما يوصف به هذا الضمير من أنه يمكن الابتداء به ويقع بعد الحرف « إلاً » كقولنا : (ما هو إلا إلهٌ واحد ولا نعبد إلا إياه) فإن هذين الموضعين - كما سبق - من مواضع الاسم المستقل بنفسه نطقًا والضمير البارز المنفصل يأتى فيهما ، وهذا دليل على استقلاله .

هذا ، والضمائر المنفصلة محصورة الألفاظ فى مجموعتين :

المجموعة الأولى : ضمائر الرفع :

وهى اثنى عشرة لفظة (أنا - نحن - أنت - أنتِ - أنتم - أنتم - أنتن - هو - هى - هما - هم - هن) .

المجموعة الثانية : ضمائر النصب :

وهى أيضًا اثنتا عشرة لفظة (إيأى - إيأنا - إيأك - إيأك - إيأكم - إيأكن - إيأه - إيأها - إيأهما - إيأهم - إيأهن) .

فالمجموعة الأولى لا تجيء إلا فى مواضع الرفع (مبتدأ - فاعل) إلخ ، أما الثانية فإنها لا تأتى إلا منصوبة (مفعول به - مستثنى) إلخ .

فلنتأمل النصوص الآتية :

* قول عليّ ﷺ : (إِيَّاكُمْ وَالْمُثَلَّةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ) .

* ما أورده الجاحظ عن بعض الأعراب :

إذا أنت لم تدفع بحلمك جاهلاً سفيهاً ولم تقرن به من يُجاهله
ليست له ثوب المذلة صاعراً فأصبح قد أودى بحقك باطله^(١)

بين الاتصال والانفصال :

تأمل العبارتين الآتيتين :

أسأت إليّ فسامحتك عن فهم ومقدرة { صحيحة لغوياً
أساء أنت إليّ أنا فسامح أنا إياك عن فهم ومقدرة { خطأ لغوياً

من اليّين أنا في اللغة العربية نستعمل العبارة الأولى ، ولا نستعمل العبارة الثانية ، ولو نطق أحد أماننا العبارة الثانية ، لأثار في أنفسنا الشك في عريته وربما أثار ابتسام السخرية منه !! والفرق بين العبارتين أن الأولى استعملت الضمائر فيها متصلة ، والثانية استعملت فيها منفصلة ، إذ أن اللغة الفصحى تستعمل الضمائر المتصلة وتترك نظائرها المنفصلة ميلاً إلى الإيجاز وتوفير الجهد كما هو واضح - بأدنى تأمل - في العبارتين السابقتين .

وعلى ذلك نفهم العبارة النحوية المشهورة : (كل موضع أمكن أن يؤتى فيه بالضمير المتصل لا يجوز العدول عنه إلى المنفصل) أ . هـ

لكن وردت في اللغة استعمالات لا تتفق مع القاعدة العامة السابقة أو بعبارة أوضح : يصح فيها الانفصال مع إمكان الاتصال ، أو بعبارة مباشرة : يصح فيها الاتصال والانفصال جميعاً ، وتنحصر هذه الاستعمالات في الموضعين الآتيين للضمير :

(١) لم تقرن به - يقال : قرن الشيء : جمعه به ، ومعنى العبارة لم تستعمله معه - يجاهله : بمعنى يجهله .

معنى اليّتين : إذا لم تستعمل الحلم مع الجاهل السفيه الذي لا يفرق بين العلم والجهل ، غلبك وضاع حقك معه ، لأن التكليف الاجتماعي مختلف بينك وبينه .

(١) خبر كان وأخواتها :

الدَّالَّةُ كَانَهَا الْيَهُودُ - الدَّالَّةُ كَانَ الْيَهُودُ إِيَّاهَا .

الْقِسْوَةُ صَارَهَا الْإِسْرَائِيلِيُّونَ - الْقِسْوَةُ صَارَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ إِيَّاهَا .

إذا كان الضمير خبرًا « لكان أو إحدى أخواتها » وصح فيه الاتصال والانفصال ، فإن لك أن تستعمله بهما جميعًا ، وقد ورد كلا الاستعمالين في نصوص صحيحة ، ومن ذلك :

* قول الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب وقد همّ بقتل ابن صيَّاد : (إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ) ^(١) .

* وقول الشاعر :

ليت هذا اليومَ شهرٌ لا نرى فيه عريباً
ليس إِيَّايَ وإِيَّاكَ ولا نخشى رقيباً ^(٢)

* ومن شعر عمر بن أبي ربيعة :

لئن كان إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدُنَا
عن العهدِ والإنسانِ قَدْ يَتَغَيَّرُ ^(٣)

(٢) المفعول الثاني :

الصديقُ المخلصُ ظننتُكَ - الصديقُ المخلصُ ظننتُكَ إِيَّاهُ .

فإذا الإنسانُ الغادرُ علمتُكَ - فإذا الإنسانُ الغادرُ علمتُكَ إِيَّاهُ .

إذا جاء الضمير في موضع المفعول الثاني ، وكان المفعول الأول ضميرًا أقوى منه (المتكلم أقوى من المخاطب والمخاطب أقوى من الغائب) فإن الذي وقع

(١) رواه البخارى في كتاب الجنائز ، انظر (فتح المبدى ج ٢ ص ٣٤ - ٣٥) .

(٢) العريب : يقال : ما بها عريب ومعرب ، بمعنى : ما بها أحد .

فأمنية الشاعر : أن يطول يومهما وتنقطع عنهما العيون ، فيخلو كل منهما بالآخر .

الشاهد في البيت الثاني (ليس إِيَّايَ وإِيَّاكَ) حيث وقع الضمير خبرًا للفعل (ليس) وجاء منفصلاً .

(٣) حال : تغير - عن العهد : عما تعهده من مرجه وجماله وشبابه .

والبيت تصوير لحديث إحدى صديقاته عنه ؛ تقول : لقد تغير عما كنا نعده فيه من المرح

والفتوة إلى الكآبة والضعف

الشاهد في البيت : قوله : « كان إِيَّاهُ » حيث جاء خبر « كان » ضميرًا منفصلاً .

مفعولا ثانيًا يصح فيه الاتصال والانفصال ، ويتحقق هذا مع كل الأفعال التي تنصب مفعولين على الإطلاق .

وقد ورد كل من الاتصال والانفصال في نصوص صحيحة فصيحة ، ومن ذلك :

* قول الله تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرْنَاهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [الآية ٤٣ من سورة الأنفال] .
 * ما ينسب للرسول ﷺ في حديث الرقيق : (إن الله ملككم إياهم ، ولو شاء لَمَلَكَهُمْ إِيَّائُكُمْ) (١) .

* قول الشاعر :

بُلُغْتُ صُنْعَ امْرِئٍ بَرٍّ إِخَالَكُهُ إِذْلُمْتُ تَزْلُ لَا كِتْسَابِ الْحَمْدِ مَبْتَدِرًا (٢)

* قول الآخر :

أَخَى حَسْبُكَ إِيَّاهُ وَقَدْ مُلِئْتُ أَرْجَاءَ صَدْرِكَ بِالْأَضْغَانِ وَالْإِخَنِ (٣)

أما الذي خاض فيه النحاة في الموضع الثاني من تفصيل وترجيح اللوجيهين - الاتصال والانفصال - وما ترتب على ذلك من الخلاف وتعدد الآراء فإنه جهد شاق !! ولا حاجة بنا إليه .

(١) ساق « الأشموني » هذه العبارة دون أن يذكر أنها حديث ، وكذلك « ابن هشام » في « أوضح المسالك » والحديث في كتاب الكبائر للذهبي ٢٠٣/١ من حديث طويل .

(٢) البر - بفتح الباء - الصادق - مبتدرا : بمعنى مبادر : وهو من يسرع إلى الشيء .
 المعنى : لقد بلغني عمل لإنسان صادق ، وأظنك صاحبه ، إذ المعهود فيك أنك سباق إلى الأعمال الحميدة .

الشاهد : في (إخالكه) حيث اجتمع ضميران مع الفعل (إخال) وهو ينصب مفعولين والأول هنا أعرف من الثاني ، فيصح في الثاني الاتصال والانفصال ، وقد جاء المفعول الثاني متصلا وهو ضمير الغيبة .

(٣) أرجاء : نواحي - الأضغان : الأحقاد - الإخن : الأحقاد أيضا .

المعنى : لقد كنت أظنك أخا مخلصا ، فإذا بك على العكس من ذلك عدو حقود .

الشاهد : في (حسبك إياه) فإن الفعل (حسب) ينصب مفعولين ، وهما معه ضميران ، الأول ضمير المخاطب ، والثاني ضمير الغائب ، فيصح في الثاني الاتصال والانفصال ، وقد جاء في البيت منفصلا .

نون الوقاية قبل ياء المتكلم :

لاحظ الأمثلة الآتية :

أفادنى التجريبُ فى الحياة أكثر من النظر .

فإننى أفدتُ من الخطأ الفعلى أكثر من الوعظ الكلامى .

فكان الخطأ مئى ، وكانت معرفة الصواب مئى أيضًا .

فى الأمثلة السابقة نجد قبل ياء المتكلم فى (أفادنى - إننى - مئى) نونًا فصلت بين ياء المتكلم بعدها والكلمة التى قبلها - سواء أكانت فعلا أم حرفًا - وهذه النون تسمى « نون الوقاية » .

جاء فى ابن عقيل : « وسميت بذلك : لأنها تقى الفعل من الكسر » . أ . هـ

ومعنى ذلك أن ياء المتكلم يناسبها كسر ما قبلها ، كما تقول (بلدى - أهلى) وآخر الفعل - كما عرفنا قبلًا - لا يكسر ، فحين يتصل بياء المتكلم يُؤتى بهذه النون لتحمل هى الكسرة بدلًا من الفعل ، أو بعبارة ابن عقيل (لتقى الفعل من الكسر) فكان ذلك سبب التسمية ، ثم حملت هذا الاسم معها مع الحروف حين تتصل بها .

هذا وتجيء نون الوقاية قبل ياء المتكلم - كما ذكرنا - مع الأفعال والحروف والأسماء على التفصيل الآتى :

أولاً : نون الوقاية مع الأفعال :

وهى لازمة قطعًا مع كل الأفعال - الماضى والمضارع والأمر - قبل ياء المتكلم ، تقول : (بلغتنى رسالتك ويُسعِدنى أن ألقاك فشرّفنى بزيارتك) .

ثانيًا : نون الوقاية مع الحروف :

وتأتى مع حروف محددة عددها ثمانية ، وهى الحروف الستة الناسخة التى تنصب المبتدأ وترفع الخبر (إنّ - أنّ - كأنّ - لكنّ - ليت - لعلّ) وحرفان من حروف الجر هما (منّ - على) على التفصيل الآتى :

١ - مع الحروف الأربعة (إنّ - أنّ - كأنّ - لكنّ) إذا اتصلت بها ياء

المتكلم - لك أن تأتى معها بنون الوقاية ولك تركها ، وكلا الاستعمالين صحيح

لغويًا ، تقول : (إِنِّي صاحبُ هدفٍ واضحٍ في حياتي ، قد تَعَوَّقَنِي عنه الصعابُ لكنِّي مصمِّمٌ على الوصول إليه) ولك أن تقول : (إِنِّي صاحبُ هدفٍ واضحٍ في حياتي ، قد تعوقني عنه الصعابُ لكنِّي مصمِّمٌ على الوصول إليه) .

٢ - مع الحرف (ليت) إذا اتصلت به ياء المتكلم - الفصيح في اللغة أن تذكر نون الوقاية ، قال الله تعالى : ﴿ يَلَيَّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ - ويقل حذف النون معها جدًا .

٣ - مع الحرف (لعل) إذا اتصلت به ياء المتكلم - الفصيح في اللغة ألا تذكر نون الوقاية ، تقول : (سأبذل قُصَارَى جُهدِي لعلِّي بذلك أحققَ أملَ أَسْرَتِي ووَطْنِي) - ويقل مجيء النون معها جدا - فهي عكس (ليت) .

٤ - مع الحرفين (مِنْ - عَنْ) إذا اتصلت بهما ياء المتكلم - الفصيح أن تجيء معهما بنون الوقاية ، فمن كلام الرسول ﷺ في خطبة الوداع قوله : (اسمِعُوا عَنِّي ، فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا) وتقول لزميلك : (اسمع مِنِّي هذا الحديث ، وبلغ عَنِّي هذا الخبر) ويقل جدا حذف النون معهما .

ثالثًا : نون الوقاية مع الأسماء :

وتأتى مع كلمة واحدة شائعة الاستعمال ومألوفة وهى (لَدُنْ) بمعنى : عند وناحية - كما تأتى أيضًا مع كلمتين لا يكاد أحد يستعملهما بالنون ، (قط - قَدْ) بمعنى (حسب ويكفى) ولن نتعرض هنا للكلمتين الأخيرتين إذ لا يستعمل (قَطْنِي - قَدْنِي) - أما كلمة (لَدُنْ) إذا اتصلت بياء المتكلم فالفصيح أن تتوسط نون الوقاية ، فتقول (لَدُنِّي) ويقل حذف النون فنقول (لَدُنِّي) وقرئت الآية ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ [الآية ٧٦ من سورة الكهف] بتشديد النون على اللغة الفصحى ، وبتخفيفها على غير الفصحى .

الْعَلَمُ

١ - المقصود بالْعَلَمُ لدى اللغويين والنحاة .

٢ - يطلق على العلم المصطلحات الآتية :

(أ) الاسم - الكنية - اللقب .

(ب) المرتجل - المنقول .

(ج) علم الشخص - علم الجنس .

* * *

الْعَلَمُ :

إبراهيم - محمد - مكة - طنطا - عدن - قريش - تغلب - تميم - ثقيف
- أبو بكر الصديق - عمر الفاروق - أبو عوف - عبد الرحمن - أبو السباع
إسماعيل .

جاء في القاموس : « العلم شيء منصوب في الطريق يُهتدى به ، والجبل
ورسم الثوب ورقمه ، والرّاية وما يعقد على الرمح » . أ . ه .

ويفهم من هذا النص أن كلمة « العلم » في اللغة تأتي لمعان متعدّدة ، منها :
العلامة ، كما في علامات الطرق التي توضح المسالك وما توصّل إليه كاللوحات
التي نضعها الآن في الطرق وفي مداخل المدن ؛ وبها معلومات تهدي المسافر في
رحلته - ومنها أيضًا : الجبل ، وهذا المعنى ورد في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ
الْمُنْتَشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ [الآية ٢٤ من سورة الرحمن] وفي الشعر في قول الخنساء
ترثى أخاها صخرًا :

وإن صخرًا لتأتّم الهدأة به كأنه علّم في رأسه نارٌ ^(١) .

ومنها : الرّاية مطلقًا أو راية الحرب التي تعقد في طرف الرمح ، ومازلنا حتى
اليوم نسمع عن (نشيد العلم) و (علم مصر الخفاق) و (ارفعوا العلم عاليًا) .

(١) ورد هذا البيت شاهدًا على أن كلمة « العلم » تطلق على الجبل ، فإن معنى بيت الخنساء :

إن صخرًا معروف مقصود كأنه الجبل الذي اشتعلت النار في قمته فإراه كل الناس .

أما لدى النحاة ، فإن الذى يفهم من كلامهم أن « العلم » يقصد به الاسم الذى يتعين المقصود منه من اللفظ نفسه بمجرد النطق به ، سواء أكان المقصود منه إنسانًا أم حيوانًا ، حيًا أم جمادًا أ . ه .

فالاسم « العلم » إذن له صفتان :

(أ) تعيّن المقصود منه .

(ب) أن يفهم هذا التعيّن من اللفظ نفسه بمجرد النطق به .

وبمراجعة الكلمات السابقة ، نجد مثلاً أن الاسم (إبراهيم) يتحدد المقصود منه بمجرد نطقه ، سواء أقصد المتكلم به « الخليل أبا الأنبياء » أم قصد منه صديقاً له اسمه « إبراهيم » مما يحدده سياق الكلام - وأيضاً كلمة (مكة) يتحدد المقصود منها بمجرد نطقها بأنها : البقعة المقدسة فى ضمير المسلمين من أرض الله - وكذلك الباقي من الأعلام المذكورة .

الاسم - الكُنية - اللَّقب :

اسم {	* إبراهيم - محمد - عبد الله - عمر - فاطمة - عائشة
{	* أبو الأنبياء - أبو القاسم - أبو بكر - أبو حفص -
كنية {	أم كلثوم - بنت الشاطئ
{	* الخليل - خاتم الأنبياء - الصّديق - الفاروق - كوكب
لقب {	الشرق

يطلق على (العلم) المصطلحات الثلاثة (اسم - كنية - لقب) وبعبارة أخرى : أن الأعلام منها ما هو اسم ، ومنها ما هو كنية ، ومنها ما هو لقب وتحديدًا كالآتى :

الاسم : وهو أغلب الأعلام - ما يطلقه الوالدان على ولدهما عند الولادة ابتداءً ، مثل (إبراهيم - أحمد - عمر - عثمان) وغيرهما مما لا يكاد يحصى ، فلكل منا اسم يعرفه جيّدًا ، ويعرفه عنه أهله وأصدقائه والمتعاملون معه .

الكنية : ما يطلق على الإنسان بعد التسمية ، وقد صدر (بأب أو أم أو ابن أو بنت) فى الغالب ، مثل (أبو الفوارس - أم هانئ - ابن خلدون - بنت الشاطئ) .

اللقب : ما يطلق على الإنسان بعد التسمية أيضًا ، وأشعر بمدح أو ذم مثل (الصديق - الفاروق - السفاح - المهدي) .

ولو أجلنا النظر فيما حولنا ، لوجدنا استعمال هذه الثلاثة مما يتردد على أسماعنا باستمرار ، فكم نسمع من أسماء الناس في اليوم الواحد !! وكم نجا الناس - وبخاصة في الأحياء الشعبية - ينادون الرجال والنساء (بأبو فلان - وأم فلان) وأيضًا ألقاب العائلات التي ينسب إليها الناس ، فيتمايز بعضهم عن البعض الآخر .

لكن ينبغي هنا التنبيه إلى ملاحظتين هامتين جدًا تتعلقان بهذه الثلاثة :

الأولى : الترتيب بينها :

فإذا اجتمعت هذه الثلاثة أو اثنان منها في جملة واحدة فلا ترتيب بينها في كل الحالات إلا في حالة واحدة هي (اجتماع الاسم واللقب) فيجب حينئذ أن يتأخر اللقب عن الاسم ، ولا يصح تقدمه عليه .

الثانية : إعرابها :

يتبع المتأخر منها المتقدم ، ويعرب على أنه « بدل » منه أو « عطف بيان » له في كل الحالات إلا حالة واحدة هي (اجتماع الاسم واللقب مفردين) - غير مركبين - مثل (إبراهيم الخليل) و (عمر الفاروق) فإنه يصح في هذه الصورة فقط وجهان : إتيان الثاني للأول - كبقية الحالات الأخرى - أو إضافة الأول للثاني - والبصريون يوجبون في هذه الصورة الإضافة فقط .

فلنطبق هاتين الملاحظتين على الاستعمالات الآتية :

- * من علماء النحو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام المصري .
- * ومن أصحاب الرسول ﷺ أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة الصديق .
- * ومن شعراء مصر شوقي أمير الشعراء وحافظ شاعر النيل .
- * ومن زعمائها السياسيين سعد زغلول وجمال عبد الناصر .

المُرتَجَل - المنقول :

يطلق على العلم أيضًا أحد المصطلحين (مرتجل - منقول) بالتحديد الآتي :

المرتجل : هو ما لم يسبق له استعمال قبل العلمية في غيرها ، بمعنى أنه

استعمل علما منذ البداية ، فلا نكاد نعرف له استعمالا غير ذلك ، مثل (معاوية - عثمان - مروان - سعاد - مصر - مكة - عكاظ) فكل هذه أعلام مرتجلة فإنه قد سمى بها من غير سابقة استعمال ، والارتجال معناه : التكلم من غير تهيؤ سابق ، وهذا المعنى ينطبق على استعمال الأعلام المرتجلة .

المنقول : هو ما سبق له استعمال فى غير العلمية ، ثم نقل إليها - وأهم الاستعمالات التى يحدث النقل منها ما يلى :

- (١) المصادر : مثل (فضل - شكر - زيد - عقل) أعلاما .
- (٢) اسم الفاعل : مثل (مُحْسِن - مُقْبِل - مُؤْمِن - فاضل - حارث - شاعر - هاشم - حافظ) أعلاما .
- (٣) اسم المفعول : مثل (محمد - محمود - محفوظ - مبروك - مهدي) أعلاما .

- (٤) الصفة المشبهة : مثل (حسن - نبيه - سعيد - سميح) أعلاما .
- (٥) الفعل : مثل (أحمد - يزيد - يحيى - تغلب) أعلاما .
- (٦) الجار والمجرور والظرف : مثل (فى سبيل التاج - نحو النور) .
- (٧) الجملة : مثل (جاد الرب - فتح الله - جاد المولى) وما ورد عن العرب من أعلام أصلها جمل ؛ مثل (تَأْبَطُ شَرًّا) الشاعر الجاهلى المعروف وأيضًا (شَابَ قَرْنَاهَا - يَتَلَمَّظَان) علمين لقبيلتين ، قال الشاعر يتوعد قبيلة (شاب قرناها) :

كَذَبْتُمْ - وَبَيْتِ اللَّهِ - لَا تَنْكِحُونَهَا بنى شَابَ قَرْنَاهَا تُصَرُّ وَتُحْتَلَبُ ^(١)

وقال الآخر يهجو قبيلة (يتلمظان) :

إِذَا مَا قِيلَ : أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ فَشَرُّهُمْ بَنُو يَتَلَمَّظَانِ ^(٢)

(١) الصر - كما جاء فى القاموس - شد ضرع الناقة لحلبها ، والعطف فى (وتحلب) للتفسير والبيان ، والبيت خطاب لأهل امرأة هم قبيلة (شاب قرناها) رفضوا زواجها من الشاعر ، يقول : إنكم لن تستطيعوا تزويجها من غيرى فلتبقوها إذن عندكم دون زواج كأنما هى ناقة من إبلكم محبوسة للرعى والحلب ولا يخفى ما فى ذلك من التهكم !!

الشاهد فى (شاب قرناها) فهو علم منقول من جملة كاملة مكونة من الفعل (شاب) والفاعل

(قرناها) .

(٢) الشاهد فى البيت (يتلمظان) فهو علم على قبيلة معينة ، وهو منقول من جملة كاملة مكونة

من الفعل (يتلمظ) مسندا إلى (الف الاثنين) من الأفعال الخمسة .

وقد سبق - فى باب ما لا ينصرف - كيفية معاملة الأعلام المنقولة عن الجمل .

إعراب : فشرهم بنو يتلمظان :

شر : مبتدأ مرفوع بالضمة - بنو : خبر مرفوع بالواو - يتلمظان : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وواو الجماعة فاعل ، و (يتلمظان) كلها مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة منع من ظهورها حكاية الجملة للتسمية بها .

علم الشخص - علم الجنس :

يطلق على العلم - بحسب معناه - أحد المصطلحين (علم الشخص - علم الجنس) بالفهم الآتى :

علم الشخص : يقصد به - كما هو واضح من اسمه - ما يتحدد المقصود منه بذاته باستعمال اللفظ الدال عليه ؛ مثل (أحمد - خالد - مكة - بغداد) . وكل ما سبق من حديث عن العلم إنما يقصد منه « علم الشخص » .

وعلم الجنس : يقصد به - كما هو واضح من اسمه أيضا - ما وضع فى اللغة للدلالة على تحديد الجنس كله لا على تحديد فرد منه ، مثل (أسامة) وضعتها العرب لتكون علما يقصد منه كل أسد ، ومثل (ثُعَالَة) وضعتها العرب لتكون علما يقصد منه كل ثعلب .

فهذا النوع الأخير من الأعلام لا يقصد به « فرد محدد » بل يقصد به « جنس محدد » فمعناه فى الحقيقة شائع كالنكرة ، وإن كان من حيث اللفظ معرفة باعتبار تخصيصه بالدلالة على النوع كله ، لذلك ، فإن الألفاظ التى وردت لهذا النوع الأخير فى اللغة تكاد تكون محصورة ومعظمها غريب الاستعمال الآن ، ومن ذلك :

(أسامة) للأسد - (ثُعَالَة) للثعلب - (دُؤَالَة) للذئب - (أُمُّ عَزِيْط) للعقرب - (أَبُو جِعْدَة) للذئب - (أَبُو المَضَاء) للفرس - (أَبُو الدَّغَفَاء) للأحمق - (سُبْحَانَ) للتسيح وتنزيه الله - (يَسَارٍ) للميسرة - (فَجَارٍ) للفسق والفجور - (بَرَّة) للبر وعمل الخير .

فكل هذه الألفاظ وضعتها العرب للدلالة على المعانى السابقة ، بحيث لا يفهم منها غيرها ، فأشبهت الأعلام الحقيقية التى تخصصت فى تعيين الذوات

أسماء الإشارة

- (١) المقصود بالإشارة لدى اللغويين والنحاة .
- (٢) أهم أسماء الإشارة التي وردت في اللغة مع بيان ما هي له .
- (٣) استعمال الحروف الثلاثة : (ها : التنبيه - الكاف - اللام) مع أسماء الإشارة .
- (٤) العبارة النحوية المشهورة : (اسم الإشارة لمن تشير إليه ، والكاف لمن تخاطبه) والتطبيق عليها .

* * *

المقصود بأسماء الإشارة :

جاء في القاموس : « أشار إليه : أوْماً ، ويكون بالكف والعين والحاجب » أ . ه .
فالإشارة إذن هي الإيماء إلى شيء أو شخص بواحد من هذه الثلاثة وغيرها ،
ويتحقق هذا أحياناً دون نطق على الإطلاق ، كما نرى مثلاً في ملعب الكرة حين
يرفع حارس الخط الراية مشيراً بذلك إلى خروج الكرة عنه ، وكذلك حين يفعل
« الحكم » لإيقاف اللعب بالصفارة ، أو تحديد موضع الكرة بيده ، فكل هذه من
الإشارة بالمعنى اللغوي .

أما لدى النحاة : فالإشارة - كما يرى ابن هشام - كل اسم دل على مُسمًى
وإشارة إلى ذلك المُسمًى أ . ه .

ويفهم من هذه العبارة المختصرة أن المعتبر في النحو من هذا الباب ما
توافرت له الصفات الآتية :

- (أ) أن يكون كلمة منطوقة من نوع الاسم .
- (ب) أن يكون لهذا الاسم معنى يطلق عليه ، إنساناً أم حيواناً أم شيئاً من
الأشياء .

(ج) أن يدل هذا الاسم - بالإضافة لمعناه - على الإشارة إلى هذا المعنى

الذي يدل عليه - واللامحذ أن يصحب هذه الإشارة المعنوية التي يحملها

الاسم أصلاً إشارةً ماديةً بالكف أو العين أو الحجاب أو غيرها ، كما سبق في إيراد المعنى اللغوى .

* من كلام الرسول ﷺ : (إن هذا الدين متينٌ فأوغل فيه برفق) ^(١) .

* ومن القرآن قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [الآية ٦٣ من سورة مريم] .

* ويقول الفرزدق :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا - يا جريز - المجاميع ^(٢)

ففى هذه النصوص السابقة ثلاثة من أسماء الإشارة هي (هذا - تلك - أولئك) على التوالي ، وقد اجتمعت فيها الصفات الثلاث السابقة ، فالكلمة الأولى (هذا) فى الحديث اسم يقصد به « الدين » ويشير إليه ، والكلمة الثانية (تلك) اسم أيضا يقصد به « الجنة » ويشير إليها ، والكلمة الثالثة (أولئك) اسم أيضا يقصد به « الآباء » ويشير إليهم .

ولعلنا بذلك نفهم السبب فى عدّ (أسماء الإشارة) من المعارف ، إذ يتحدد معناها بسبب ما تحمله من الإشارة إلى المقصود ، وما يصحبها أحيانا من الإشارات الحسّية .

أسماء الإشارة :

« المشار إليه » مفردٌ أو مثنى أو جمع ، وكل من هذه الثلاثة مذكر أو مؤنث

- وقد جاء فى اللغة العربية ألفاظ تدل على ذلك كله على التفصيل الآتى :

١ - المفرد المذكر :

أشهر ما ورد له لفظ واحد هو (ذا) ويستعمل منه (هذا - ذاك - ذلك) وجاء

فى القرآن قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ﴾ [الآية ٧٠ من سورة النساء] .

٢ - المفرد المؤنث :

وأهم ما ورد من الألفاظ (ذِه - ذِي - تِه) ويبدو أن الكلمتين الأوليين

(١) للحديث رواية أخرى هي (إن هذا الدين متين ، فأوغلوا فيه برفق) وسواء أكانت هذه أم تلك

فلا تغير فى الاستدلال به على ما سبقناه له (انظر غريب الحديث للهروى وغل) .

(٢) فى البيت اسم إشارة (أولئك) للجمع ، وقد تحدد المقصود منه بواسطة ما يحمله من معنى

الإشارة حين استعماله فى البيت ؛ إذ قصد منه (آباء الفرزدق) .

لا تكادان تستعملان بغير حرف التنبيه « ها » ، فيستعمل منهما (هذه - هذي) - مع استعمالهما مجردتين - وأن الكلمة الأخيرة تستعمل أيضا هذا الاستعمال ، فيقال (هاهـ المرأة) لكن أكثر ما تستعمل مع اللام والكاف اللاحقتين بها ، فيقال (تلك) قال تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ﴾ [الآية ٦٤ من سورة العنكبوت] وقال أيضا : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [الآية ١٤١ من سورة البقرة] .

ومن استعمال (هذي) قول أبي العلاء المعري :

صاح هذي قبورنا تملأ الرُحْب ، فأين القبور من عهد عادٍ ^(١) !!

٣ - المثنى المذكر :

ورد له لفظ واحد (ذان) ويستعمل منه (هذان - ذانك) تقول : (هذان صديقان مخلصان ، فإن هذين الصديقين يحزنان لأجلي في الضراء ويفرحان لي في الشراء) .

٤ - المثنى المؤنث :

وقد ورد له لفظ واحد هو (تان) ويستعمل منه (هاتان - تانك) تقول : (في العالم الآن دولتان كبيرتان ، وعلى هاتين الدولتين مسئوليةٌ مصير العالم) - وقد مرَّ الحديث عن هاتين الكلمتين في ملحقات المثنى .

٥ - جمع الذكور والإناث :

وقد ورد لكليهما لفظ واحد هو (أولاء) فيستعمل منه (هؤلاء - وأولئك) يقال (إن وِرَرَ القادة أكبر من وِرَرَ الأتباع ، فهؤلاء يأمرُون وأولئك يأتمرون) . ومن شعر جرير :

سرتُ الهمومُ فَبَشَّرَ غيرَ نِيَامٍ وأخو الهمومِ يَزُومُ كُلَّ مَرَامٍ
دُمَّ المنازلُ بعدَ منزلةِ اللّوى والعيشُ بعدَ أولئك الأيامِ ^(٢)

(١) الرُحْب . الاتساع ، والمقصود : الفضاء المتسع .

والبيت قد جرى به للتمثيل فإن أبا العلاء المعري - في رأى النحاة - لا يستشهد بشعره . وموضع التمثيل هو كلمة (هذي) مستعملة للمفردة المؤنثة ، وبأولها (ها) للتنبيه .

(٢) المنازل : جمع منزل أو منزلة ، والمقصود به : مكان النزول - اللوى : اسم مكان معين .

هذا وفى اللفظ لغة أخرى تنسب إلى « بنى تميم » وهى « القصر » فينطق بدون الهمزة الأخيرة هكذا (أولى) وهى لغة لا يكاد أحد يستعملها الآن فى الإشارة .

٦ - الإشارة للمكان :

وردت ألفاظ تخصصت للإشارة إلى المكان ، بمعنى أنها لا تستعمل إلا فى ذلك - وإن كانت الألفاظ السابقة كلها تستعمل أيضا فى المكان وغيره ، وهذه الألفاظ هى :

إشارة للمكان القريب

* هُنَا - هَاهُنَا

إشارة للمكان البعيد

* هُنَاكَ - هُنَالِكَ - ثَمَّةَ

تقول : (هنا أرضنا وحرثنا ، وليس ثَمَّةَ حياةٌ بدونِ أرضِ حرة) ومن التعبيرات المشهورة الآن فى الاستعمال (ومن ثَمَّ) وقال تعالى : ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الآية ١١ من سورة الأحزاب] وقال أيضا : ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴾ [الآية ٦٤ من سورة الشعراء] .

إعراب : هُنَا أرضنا :

هنا : اسم إشارة للمكان ؛ ظرف مبنى على السكون فى محل نصب شبه جملة خبر مقدم .

أرض : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضممة (نا) مضاف إليه ، مبنى على السكون فى محل جر .

الحروف التى تأتى مع أسماء الإشارة :

هى حروف ثلاثة (ها : التنبيه - كاف الخطاب - لام البعد) وينبغى مع كل واحد من هذه الثلاثة بيان موضع صلته بأسماء الإشارة ، والمعنى الذى يفيد ، ثم تحديد أسماء الإشارة التى يتصل بها على التوضيح التالى :

= معنى البيتين : لقد توزعت الهموم على أصحابها ، وصاحب الهم تتوزعه الأفكار والهواجس -

ومن الهم الفراق ، فكل مكان مذموم ما عدا « اللوى » لما قضيت فيه من أيام صافية مبهجة .

الشاهد فى البيت التالى فى كلمة (أولئك) إذا استخدمت للإشارة إلى الجمع (الأيام) وبأحرها

كاف الخطاب .

* ها : التنبيه :

تأتى سابقة أسماء الإشارة ، وحيث لا تكتب ألفها غالباً - وهى - كما يقول ابن هشام - حرف جىء به لتنبيه المخاطب على المشار إليه ، فهى إذن حرف تنبيه ، وهكذا يصفها المعربون .

وتسبق جميع أسماء الإشارة التى سبق توضيحها ، فنقول : (هذا - هذه - هذى - هاته - هذان - هاتان - هؤلاء) .

* كاف الخطاب :

وتلحق آخر أسماء الإشارة عند استعمالها للشيء أو الشخص البعيد فقط - وهى - كما يقول ابن هشام - حرف لمجرد الخطاب لا موضع له من الإعراب ، فهى إذن حرف للخطاب لا للمخاطب ، هكذا يصفها المعربون .

وتلحق أيضًا جميع أسماء الإشارة بصورة عامة ، فنقول : (ذاك - ذيك - ذاك - تانك - أولئك) وتتغير بحسب من تخاطبه - كما سيأتى بيانه .

* لام البعد :

وتتوسط بين أسماء الإشارة وكاف الخطاب ، وتفيد - كما هو واضح من تسميتها - البعد ، بل إنها لتفيد فى استعمالها مع الكاف شدة البعد ، وهكذا يصفها المعربون .

وتأتى مع أسماء الإشارة المفردة فقط ، بشرط تجردها من حرف التنبيه (ها) بل إنها - إن لم يجانبى الصواب - تأتى مع كلمتين فقط هما (ذا - تى) فنقول فيهما (ذلك - تلك) .

ولعله قد اتضح بعد ذلك ما يردده المعربون من قولهم : (ها : حرف تنبيه ، واللام : للبعد ، والكاف : حرف خطاب) .

أسماء الإشارة مع حرف الخطاب :

مما يقال فى موقف القضاء :

ذلك حقى أيها القاضى .

وأولئك شهودى عليه أيها المستشارون .

من العبارات النحوية الذائعة الصيت عن باب الإشارة ما يقال : (اسم الإشارة لمن تشير إليه ، والكاف لمن تخاطبه) وتتضمن هذه العبارة الأمرين الاتيين :

الأول : أن أسماء الإشارة يُراعى فى لفظها ما تشير إليه - مفردًا أو مثنى أو جمعًا مذكراً أو مؤنثًا .

الثانى : أن حرف الخطاب (الكاف وما تفرع عنها) يُراعى فى لفظها المخاطب - مفردًا أو مثنى أو جمعًا ، مذكراً أو مؤنثًا .

وكل هذا مفهوم مما درسناه سابقًا ، والجديد هنا أن أسماء الإشارة وحرف الخطاب إذا استعملوا معاً - بأن كان هناك من تشير إليه ومن تخاطبه - وجب أن يُراعى فى كل منهما ما هو موجهٌ إليه من حيث الإفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث .

ففى المثال الأول (ذلك حقى أيها القاضى) روعى فى اسم الإشارة (ذا) الإفراد والتذكير ، لأن المشار إليه (الحق) كذلك . كما روعى فى حرف الخطاب (الكاف) أيضا الإفراد والتذكير ، لأن المخاطب (القاضى) كذلك .

وفى المثال الثانى (أولكم شهودى عليه أيها المستشارون) روعى فى اسم الإشارة (أولاء) الجمع والتذكير ، لأن المشار إليه (الشهود) كذلك كما روعى فى الخطاب أنه موجه لجماعة الذكور وهم (المستشارون) فجاء بحرف الخطاب فى صيغة الجمع المذكر فى (أولكم) .

فلنطبق المبدأين السابقين على النصوص الآتية :

* قال تعالى عن المؤمنين : ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية ٥ من سورة البقرة] .

* وقال تعالى يخاطب موسى : ﴿فَذَلِّكَ بُرْهَانُكَ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [الآية ١٢ من سورة القصص] .

* حكاية القرآن قول يوسف مخاطباً رفيقه فى السجن : ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [الآية ٣٧ من سورة يوسف] .

* قول النابغة فى الاعتذار للنعمان بن المنذر :

أتانى - أبيت اللعن - أنك لمتنى وتلك التى أهتر منها وأعضب^(١)

(١) أبيت اللعن : اللعن هو الطرد والإبعاد ؛ وجاء فى أساس البلاغة : أبيت اللعن : هى تحية

الملوك فى الجاهلية ؛ أى : لا فعلت ما تستوجب به اللعن .

وفى البيت دليل استعمال اسم الإشارة « ته » مع كاف الخطاب ، وقد أشير به إلى المفردة المؤنثة ، والخطاب للمفرد المذكر وهو النعمان نفسه .

أسماء الموصول

- ١ - المقصود بالموصول لدى اللغويين والنحاة .
- ٢ - جوانب الحديث عن الموصول تفصيلا هي :
- (أ) أسماء الموصول المختصة والمشاركة .
- (ب) صلة الموصول الجملة وشبه الجملة .
- (ج) عائذ الصلة المذكور والمحدوف .

* * *

الموصول :

جاء في القاموس : « وصل الشيء بالشيء وصلا : لأَمَّهُ ، وأُوصِلَ الشيء وأُتَصِلَ : لم ينقطع ، والوُصلة بالضم : الاتصال » . أ . ه .

ويتلخص ما يفهم من هذا النص أن هذه المادة تفيد « الالتحام والاتصال اللازم بين شيئين » وينبنى عليه أن « الموصول » يقصد منه : ما التحم به غيره متصلا به اتصالا وثيقا لا ينفصل ، سواء أكان ذلك في الماديات أم في المعنويات أم في الكلام - فحنفية المياه بعد لحمها بالماسورة تصير موصولة بهذه الماسورة ، وقطعة الخشب إذ تكون جزءا من أجزاء الكرسي ، فتأخذ موضعها منه ملتصقة به بالغراء والمسامير تلتحم به وتكون موصولة ببقية أجزائه - وحين ننطق عبارة في نفس واحد ؛ فنقول مثلا ما قاله الرسول ﷺ : (إذا كانوا ثلاثة ، فلا يتناجى اثنان دون الثالث حتى تختلطوا بالناس أَجَلْ أَنْ يُخَزِنَهُ) ^(١) فإن كل كلمة من هذه العبارة موصولة بما قبلها وما بعدها من الكلمات ، إذ نطقت معها متصلة دون انقطاع .

أما الموصول الذي يدرس في النحو ، فيقصد منه - كما ذكر ابن هشام - كل اسم افتقر إلى صلة وعائد أ . ه .

ويتبين من النص السابق أن ما يطلق عليه « الموصول » في النحو يتوافر له الصفات الثلاث الآتية متكاملة :

(أ) أن يكون كلمة منطوقة من نوع الاسم .

(ب) أن تكون له صلة تتصل به ، فتبين المقصود منه وتحدد معناه .

(ج) أن تشمل هذه الصلة على ضمير عائد على اسم الموصول ؛ يربط جملة الصلة به .

تلك هي المكوّنات الأساسية لتحقيق الموصول نحويا ، وهي مرة أخرى باختصار (اسم الموصول - صلة الموصول - العائد على الموصول) .

* قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الآية ٣٠ من سورة فصلت] .

ففي هذه الآية الكريمة اسما موصول هما (الذين - التي) ، وصلة الأول جملة ﴿ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ والعائد فيها هو ضمير الجماعة « الواو » في ﴿ قَالُوا ﴾ أما صلة الثاني فجملة ﴿ كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ والعائد غير موجود فيها ، لكنه يقدر ، والأصل مع هذا التقدير (التي كنتم توعدون بها) .

هذا ، وينبغي التنبيه للملاحظتين الآتيتين :

الأول : أن أسماء الموصول من المعارف ، فإن وجود الصلة معها يزيل غموضها ويحدّد المقصود منها ، لأن من شروط الصلة - كما سيأتى - أن يكون معناها معلوما للسامع ، تقول : (زميلى الذى بذل جهده ولم يُوفّق خيرٌ لَدَى من زميلى الآخر الذى أهمل واجبه واعتسَفَ التَّجَاح) .

الثانية : أن دراسة هذا الباب كله - بعد تحديد معناه السابق - يجب أن تتناول أركان الموصول الثلاثة وهي (أسماء الموصول - الصلة - العائد) على التفصيل الآتى :

أسماء الموصول :

المتصور أن يعبر الموصول عن المفرد والمثنى والجمع ، وكل من هذه الثلاثة مذكر ومؤنث ، وقد ورد فى اللغة فعلا من أسماء الموصول ما يعبر عن ذلك كله بطريقتين :

يقصد بها : ما ورد في اللغة من أسماء الموصول ، وكل منها مخصص للدلالة على واحد من الأمور الستة السابقة على التفصيل والتوضيح الآتى :

* المفرد المذكر :

ورد له لفظ واحد هو (الذى) قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الآية ١ من سورة الأنعام] وتقول : (أحبُّ الصديق المخلص الذى يشاركنى السَّراءَ والضَّراءَ ، وأكرهُ الصَّاحبَ المنافق الذى أجده فى السراء ، ويهربُ فى الضراء) .

* المفرد المؤنث :

ورد له لفظ أيضًا هو (التي) قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ قَيِّمًا ﴾ [الآية ٦٣ من سورة مريم] ، وتقول : (أعلى بقاع الأرض البقعة التى وُلِدْتُ بها ، ونشأتُ فى رحابها ، وأحبُّ الناس لدى الأسرة التى كَفَلَتْنى ورعثنى ، وأحقُّ الخلق بإحسانى أُمِّى التى أنا قطعةٌ منها) .

* المشئى المذكر :

ورد له أيضًا لفظ واحد هو (اللَّذان) ويجىء فى حالتى النصب والجَر بالياء (اللَّذَيْنِ) قال تعالى على لسان المستضعفين يوم القيامة : ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنْ أَلْهِنَ وَالْإِنسِ ﴾ [الآية ٢٩ من سورة فصلت] ومن العبارات التى ترددها الإذاعة (قلبُ العالم العربى مصرُ ، وجناحاه اللذان ينهض بهما المشرقُ العربى والمغربُ العربى) .

* المشئى المؤنث :

ورد له أيضًا لفظ واحد هو (اللَّتَان) ويجىء فى حالة النصب والجَر بالياء (اللَّتَيْنِ) يقال : (من الرِّحَلَاتِ المثيرة فى عصرنا الحاضر الرِّحلتان الأوليان اللَّتان وصل الإنسانُ فيهما إلى القمر ، فقد تابعهما كلُّ سكَّانِ الأرض بإعجابٍ وانبهار) .

* الجمع المذكر :

ورد له فى اللغة لفظان هما (الَّذِينَ - الأُلَى) قال تعالى : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الآيتان ٥ ، ٦ من سورة الفاتحة] وقال الشاعر :

رَأَيْتُ بَنِي عَمِّي الْأَلْيَ يَخْذُلُونَنِي عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ إِذْ يَتَقَلَّبُ ^(١)
 فمن البين أن كلمة (الألّي) في هذا البيت لجماعة الذكور ، بدليل الضمير
 العائد عليها في (يخْذُلُون) ويمكن في البيت أن يوضع مكانها كلمة (الذين) .
 هذا ما قررته معظم كتب النحو ، لكن جاء في شرح ابن عقيل قوله نصا :
 « يقال في جمع المذكر (الألّي) مطلقا عاقلا أو غيره ، نحو (جاء الألّي فعلوا) وقد
 يستعمل في جمع المؤنث ، وقد اجتمع الأمران في قول أبي ذؤيب الهذلي :
 وتلك خطوبٌ قد تملّت شبابنا قديما ، فتُبَلينا المنونُ وما تُبَلِي
 وتُبَلِي الألّي يستلثمون على اللألّي تراهنّ يوم الرّزوع كالحداءِ القُبَلِ ^(٢)
 فقال (يستلثمون) ثم قال (تراهنّ) » . أ . ه .

فقد استعملت كلمة (الألّي) في شاهد ابن عقيل مرتين ، الألّي لجماعة
 الذكور وأريد بها (الأبطال) وعاد عليها الضمير لجماعة الذكور في (يستلثمون)
 والثانية لجماعة الإناث وأريد بها (الخيول) وعاد عليها ضمير جماعة الإناث في
 (تراهنّ) فاستعملت كلا الاستعمالين في بيت واحد .

فابن عقيل - رحمه الله - يقرر أنها تستعمل لجماعة الذكور والإناث لكن
 استعمالها للذكور أكثر .

(١) حدثان الدهر : نوائبه .

يشكو من بني عمه : إذ تتاب الأحداث والمصائب فيتقاعسون عن نصرته .
 الشاهد في البيت : كلمة (الألّي) إذ وردت في البيت اسم موصول لجماعة الذكور ، وهو
 ما جرى عليه معظم النحاة .

(٢) خطوب : كوارث - تملت شبابنا : أي تمتعت بشبابنا ، وأن تتمتع الخطوب بالشباب
 كارثة !! إذ تمتص صباهم وتأكلهم - المنون : الموت - يستلثمون : يلبسون اللأمة وهي الدرع
 - الحداء : جمع حدأة وهي الطائر المعروف ، والمقصود بها الخيول - القبل : التي في عيونها
 حور .

المعنى : لقد أصبنا قديما بخطوب جسام أفنت شبابنا وأبطالنا ، شبابنا تملت بهم ، وأبطالنا
 أبلتهم ، وكانوا رجالا في الحرب وهم يمتطون الخيول السريعة الحادة النظر كالحداء في سرعتها وحدة
 نظرها .

وقد استشهد ابن عقيل بالبيت الأخير على استعمال (الألّي) لجماعة الذكور والإناث - كما
 جاء في البيت مرة أخرى قصد بها « الخيول » مرة أخرى قصد بها « الخيول » مرة أخرى قصد بها « الخيول »
 استعمالها لجماعة الذكور أكثر من استعمالها لجماعة الإناث .

لكن بتأمل النصوص التي جمعتها عن هذه الكلمة (الألى) اتضح لى - إن لم يجانبى الصواب - أنها تستعمل حقاً لجماعة الذكور ، لكن استعمالها لجماعة الإناث أكثر - ومن دلائل الأخير ما يلى :

* ما ينسب للمجنون من قوله :

أظنُّ هَواها تَارِكِي بِمَضَلَّةٍ من الأرض لا مَالٌ لَدَيَّ ولا أَهْلُ
ولا أَحَدٌ أَفْضَى إِلَيْهِ وَصِيَّتِي ولا صاحِبٌ إلا المطيَّةُ والرحلُ
مَحَا حُبُّهَا حُبَّ الألى كُنَّ قَبْلَهَا وحلَّتْ مكاناً لم يكنْ حُلًّا من قَبْلُ
فَحُبِّي لَهَا حَبٌّ تَمَكَّنَ فى الحَشَا فما إِنْ أرى حُبًّا يكونْ له مِثْلُ^(١)

فإن كلمة (الألى) فى البيت الثالث لجماعة الإناث ، بدليل مجيء نون النسوة ضميراً عائداً عليها فى (كنَّ) .

* قول الشاعر :

تهَيَّجَنِى بالوصلِ أيا مَنَا الألى مرزُونٌ عَلَيْنَا والزمانَ وَرِيقُ^(٢)

فهى فى هذا البيت أيضاً لجماعة الإناث ؛ بدليل مجيء نون النسوة عائداً عليها فى (مرزُون) .

(١) المضلة : المنطقة التى يضل من يسلكها - أفضى : أذكر أسرارى - المطية والرحل : المطية : ما يركب كالبعير ونحوه ، والرحل : ما يوضع على المطية للركوب .

يقول : إن هواها قد أصابنى بالخيال ، والمرجح لدى أننى سأضرب فى الأرض حتى أنزل فى تيه منها ، فأفقد هناك دون مال ولا أهل ولا صاحب غير مطيتى ورحلى ، وهما لا يغنيان عنى شيئاً - ولا عجب !! فهوها مفرد فى قلبى إذ أزال كل حب قبلها منه ، وهو متمكن فى فؤادى تمكناً لا نظير له بين المحبين .

الشاهد : فى (الألى كن قبلها) حيث استعمل (الألى) لجماعة الإناث وفى رأى أن هذا هو الغالب فى استعمالها .

(٢) الوريق : الكثير الورق ، والشجرة يكثر ورقها فى أيام الربيع فتمنح الظل والخضرة ، والمقصود من (الزمان الوريق) الزمن الذى فيه الراحة والبهجة .

المعنى : تستثير ذكرياتى الأيام الجميلة - أيام الوصل - التى مرت على مع الحبيب فى راحة وبهجة .

والخلاصة : أن هذه الكلمة جرت معظم كتب النحو على جعلها لجماعة الذكور - ومن رأى ابن عقيل أنها تستعمل لجماعة الذكور والإناث وللأول منهما أكثر - ومن رأى أنها تستعمل لكلا الجمعين ، لكنها للإناث أكثر اعتماداً على النصوص التي وردت عنها .

* جماعة الإناث

ورد لذلك لفظان هما (اللّاتى - واللّائى) وقد يستعملان بغير الياء الأخيرة ، فينطقان (اللّات - اللّاء) تقول : (لمجتمعنا العربى تقاليده مع المرأة ، ومن هذه التقاليد التصوّف والعفة ، لذلك تُحترم فيه الفتيات اللّاتى يحترمن هذه التقاليد ، كما تحترق فيه الأخريات اللّائى يخرجنَ عليها) .

الطريقة الثانية : أسماء الموصول المشتركة أو العامة :

يقصد بها ما ورد فى اللغة من أسماء الموصول صالحا للاستعمال - بلفظه كما هو - فى الحالات الست السابقة « المفرد والمثنى والجمع ، المذكر منها والمؤنث » حيث يتحدد المقصود منه من سياق الكلام والضمير العائد عليه .

فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

إنّ من يحترم نفسه لا يفعلُ الأمورَ الرّخيصة .

إنّ من تحترم نفسه لا تُعرضُ أنوثتها للمهانة .

إنّ من يحترمون أنفسهم ينقدونها قبل نقد الآخرين لهم .

ففى الأمثلة الثلاثة السابقة كلمة (مَنْ) اسم موصول ، وهى فى المثال الأول للمفرد المذكر ، وفى الثانى للمفردة المؤنثة ، وفى الثالث لجماعة الذكور ، فهى فى الأول بمعنى (الذى) وفى الثانى بمعنى (التي) وفى الثالث بمعنى (الذين) ولم يتغير لفظها فى الأمثلة الثلاثة ، والذى حدد معناها - فى كل مثال - سياق الكلام والضمير العائد عليها - فهذه الكلمة يطلق عليها (اسم موصول مشترك) .

وأسماء الموصول المشتركة - كما وردت فى كتب النحو - ستة (مَنْ - ما - أئى - ذا - ذو - ال) والثلاثة الأولى من هذه الأسماء الستة (مَنْ - ما - أئى) تستعمل هذا الاستعمال مطلقاً وبدون شروط - أما الثلاثة الأخيرة (ذا - ذو - ال)

فلا تستعمل هذا الاستعمال إلا تحت ظروف خاصة بكل منها - سيأتى شرحها - بل إن اعتبار الكلمة الأخيرة (ال) من أسماء الموصول أمر يثير الغرابة ، وقد رفض اعتبارها من أسماء الموصول من يعتدّ بهم من النحاة .

لذلك ، فإنه من المفيد أن نتناول هذه الأسماء الستة فى مجموعتين ، تضم الأولى الأسماء الثلاثة المتداولة الاستعمال ، وتضم الأخرى ما لا يكاد يعرف استعماله إلا المتخصصون فى صناعة النحو .

المجموعة الأولى (من - ما - أى) :

١ - مَنْ :

لاحظ الأمثلة الآتية :

إن من قصّر به عمله ، لم يسرع به نسبه .
وإن من يصنع المعروف فى غير أهله يندم عليه .
أخلص لمن يحبونك واحذر من يعادونك .

(من) اسم موصول مشترك ، والأصل فيها أن تكون للعاقل ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُم مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الآية ٤١ من سورة النور] ، لكن ربما استعملت فى غير العاقل على خلاف الأصل ، ومن ذلك ما ينسب للمجنون من قوله :

بكيث على سرب القطا إذ مرزنى
أسرب القطا ، هل من يعير جناحه
فقلث ومثلى بالبكاء جدير
لعللى إلى من قد هويث أطير^(١)

فإن كلمة (من يعير جناحه) قصد بها (القطا) وهم غير عقلاء .

(٢) ما :

لاحظ الأمثلة الآتية :

(١) القطا : جمع قطة ، وهى طائر من طيور الصحراء - السرب : الجماعة .

يقول : حين مرت بى جماعة القطا بكيت وأنا جدير بالبكاء !! لأننى بعيد عن حبيبتى يظنينى الشوق إليها ، لذلك طلبت من الطير أن يعيرنى واحد منها جناحه لعلى استخدمه فى الذهاب السريع إليها .

الشاهد : فى البيت الثانى فى قوله « هل من يعير جناحه » فهى اسم موصول قصد بها غير العاقل .

قيمتك بما تعمله لا بما تقوله .

فذكر من تجارب حياتك ما نفعتك لا ما آلمتك .

(ما) من الأسماء الموصولة المشتركة ، والأصل فيها أن تكون لغير العاقل ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الآية ١ من سورة الحشر] .

وربما استعملت للعاقل على غير الأصل ، كما جاء عن العرب قولهم : (سُبْحَانَ ما سَخَّرَكُنْ لَنَا) وقولهم : (سُبْحَانَ ما يَسْبَحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) .

٣ - أَيْ :

لاحظ الأمثلة الآتية :

ابداً بالصدقة على أَيْ الناس هو أقرب إليك .

ابداً بالصدقة على أَيْ المحتاجين هم أقرب إليك .

(أَيْ) من أسماء الموصول المشتركة ، وتستعمل للعاقل وغيره ، ويلاحظ أنها في المثال الأول للمفرد المذكر ، فهي بمعنى (الذى) وفي المثال الثانى لجماعة الذكور ، فهي بمعنى (الذين) .

هذا ، وينبغى هنا التنبيه إلى فكرة جانبية خاصة بكلمة (أَيْ) من حيث الإعراب والبناء ، إذ سبق فى الحديث عن (بناء الأسماء) أن الأسماء الموصولة كلها مبنية ، أما كلمة (أَيْ) خاصة فإنها معربة - كما هو واضح فى المثالين السابقين - وتبنى على الضم فى حالة واحدة يلخصها العبارة النحوية المشهورة : (أن تضاف ويحذف صدر صلتها) ومما ورد لذلك الشواهد الآتية :

* قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴾ [الآية ٦٩ من سورة مريم] قرئت الآية بيناء كلمة (أَيْ) على الضم .

* قول غسان بن ولة :

إذا ما لقيت بنت مالك فسلم على أيهم أفضل^(١)

(١) الشاهد فى البيت أن « أَيْ » استعملت اسم موصول وهى مبنية على الضم إذ أضيفت

فقد روى البيت ببناء كلمة (أَيّ) على الضم .

المجموعة الثانية (ذا - ذو - ال) :

٤ - ذا :

لاحظ الأمثلة الآتية :

ماذا تصنعُ مع الأحمقِ إذا أساء إليك ؟!

مَنْ ذا يوافقونك على ردّ عدوانه ؟!

مَنْ ذا ينصفونك حين الإعراض عنه ؟!

الأفضلُ - يا صاحبي - ألاّ تعرض نفسك لأمثاله .

المشهور فى استعمال كلمة (ذا) فى اللغة أنها اسم إشارة ، ولها استعمال آخر أقل شهرة ، إذ تكون اسم موصول مشتركاً بشرط أن تتوافر لجملتها الصفتان الآتيتان :

(أ) أن يتقدم عليها أحد اسمى الاستفهام (مَنْ - ما) .

(ب) أن يبقى لكل من اسم الاستفهام (مَنْ - ما) واسم الموصول (ذا) استقلاله فيعتبران كلمتين مستقلتين - فإذا اندمجتا معا ، فأصبحتا كلمة واحدة بمعنى (أَيّ شخص - أو - أَيّ شئ) خرجت كليّة من باب الموصول .
ويلاحظ فى الأمثلة السابقة أن (ذا) قد اجتمعت لها الصفات التى تؤهلها لأن تكون اسم موصول ، فهى فى المثال الأول بمعنى (الذى) وفى المثالين الثانى والثالث بمعنى (الذين) ، ولنتأمل - مع ذلك - الشواهد الآتية :

* قال الله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [الآية ٢٤٥ من سورة البقرة] .

* وقال : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ ﴾ [الآية ٣٠ من سورة النحل] .

* قول الأعشى يمدح شعره :

وقصيدة تأتى الملوك غريبة قد قتلها ، لِيُقَالَ من ذا قالها ^(١)

(١) المعنى : إن كثيراً من قصائدى غريب بديع أمدح بها الملوك فتروع الناس وتبهتهم حين

* قول أمية بن أبي عائد الهذلي :

ألا إن قلبي لَدَى الطاعنين حزينٌ ، فمن ذا يُعزِّي الحزينا ^(١)

٥ - ذو (لغة طَيِّئ) :

المشهور عن استعمال كلمة (ذو) في اللغة أنها بمعنى (صاحب) ومن الأسماء الستة ، تقول : (الأمين ذو مروءة والخائن ذو نذالة) - لكن لها استعمال آخر لا يكاد يعرفه إلا المتخصصون في دراسة اللغة ، إذ تكون اسم موصول مشتركاً ، وينسب هذا الاستعمال الأخير إلى قبيلة « طَيِّئ » ومن وشاهده :

* سمع بعضهم يقسم قائلاً : (لا وذو في السماء عرشه) .

* وسمع بعضهم يمدح قائلاً : (بالفضل ذو فضلكم الله به ، وبالكرامة ذاث أكرمكم الله بها) .

* ومن شعر سنان الطائي :

فإنَّ الماء ماء أبي وجدِّي وبئري ذو حفرتُ وذو طَوَيْتُ ^(٢)

= الشاهد : في « من ذا قالها » فإن « ذا » اسم موصول بمعنى « الذي » وقد استوفى الشرطين اللازمين لاستعماله اسم موصول .

(١) الطاعنين : جمع « ظاعن » وهو الراحل المفارق .

الشاهد : في البيت قوله « من ذا يعزى الحزينا » فإن « ذا » بمعنى « الذي » فهي اسم موصول وقد استوفت الصفتين اللازمتين لاستعمالها كذلك .

إعراب البيت : ألا : أداة استفتاح - إن : حرف توكيد ناسخ ينصب المبتدأ ويرفع الخبر - قلبي : اسم إن منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم . وياء المتكلم مضاف إليه - لدى : ظرف مكان منصوب بفتحة مقدرة على الألف ، شبه جملة خبر أول للحرف « إن » - الطاعنين : مضاف إليه مجرور بالياء - حزين : خبر ثان مرفوع بالضممة - من : اسم استفهام مبتدأ مبني على السكون في محل رفع - ذا : اسم موصول بمعنى « الذي » خبر المبتدأ مبني على السكون في محل رفع - يعزى : فعل مضارع مرفوع بالضممة المقدرة على الياء للثقل ، والفاعل ضمير مستتر تقديره « هو » - الحزينا : مفعول به منصوب بالفتحة ، والألف للقافية ، وجملة « يعزى الحزينا » كلها صلة الموصول .

(٢) طويت البئر : بنيتها بالحجارة .

الشاهد في البيت « بئري ذو حفرت وذو طويت » إذ استعملت « ذو » اسم موصول ، فإن العبارة بمعنى « الذي حفرت والذي طويت » ومن البين أن قائل البيت « طائي » فهذا الاستعمال إنما هو في لغة قبيلة الطائيين ، وأثر لهجته في اللغة الفصحى - في الشعر - كما يتضح من الاستعمال الذبوع والانتشار في اللغة الفصحى لكل العرب .

* ومن شعر قَوال الطائي :

أَظُنُّكَ دُونَ المَالِ ذُو جِئْتَ طَالِبًا ستَلْقَاكَ بِيضٌ لِلنَّفَوسِ قَوَابِضُ^(١)

والذى أراه أن استعمال (ذو) فى اللغة اسم موصول إنما هو لهجة خاصة بقبيلة « طيئ » لم يقدر لها الذبوع والانتشار فى استعمال الفصحى المشتركة ولذلك ينبغى فهمها فى هذا الإطار السابق ، والاقتصار على معرفة النصوص التى وردت لها فقط ، دون أن نتجاوز ذلك لاستخدامها فى نطقنا الآن .

٦ - ال :

المشهور أن « ال » حرف لتعريف الاسم مثل (الثقة - الاحترام - الأمانة - الشرف) وسيأتى ذلك - لكن لها استعمال آخر لا يكاد يعرفه إلا بعض النحاة ، إذ تكون اسم موصول مشتركاً مع « اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة » كقولك : (أحترم الإنسان الصادق فى حديثه الحازم إرادته النافذ إلى غايته ، وأحتقر الإنسان الكاذب فى قوله المتردد فى رأيه المتخاذل فى عمله) إذ يرى بعض النحاة أنها اسم موصول فى الكلمات (الصدق - الحازم - النافذ - الكاذب - المتردد - المتخاذل) وصلتها الوصف بعدها .

والذى أراه - موافقاً فى ذلك أبا الحسن الأخفش - أن « ال » لا تكون إلا حرف تعريف ، ولا تجيء اسم موصول .

صلة الموصول :

يقصد بالصلة : ما اتصل باسم الموصول مباشرة دون فاصل بينهما ليوضح به المتكلم المراد من اسم الموصول ، ويتحدد به للسامع المراد منه تقول : (إن الذى أُمِنْتُه على أسرارى قد خانها ، فكان بذلك أعْدَى أعدائى) فالصلة هى (أُمِنْتُه على أسرارى) ومن البين أنها جاءت بعد اسم الموصول (الذى) مباشرة فوضحت مراد المتكلم منه ، وحددت أيضاً المقصود به للسامع .

(١) البيض : السيوف - القوابض من صفات السيوف ، كأنما تقبض الأرواح .

يخاطب أحد الظالمين فى أموالهم فيقول : أرجح أنه بدل المال الذى تطلبه ستلقاك السيوف التى

تقبض روحك .

وقد استعملت اللغة العربية صورتين للصلة على التوضيح الآتى :

الصورة الأولى : الجملة :

لاحظ الأمثلة الآتية :

الأمّة التى تتبعثر قواها يقلّ جهدها ويضعف تأثيرها .

والأمّة التى قوادها متماسكة يتضاعف جهدها ويقوى تأثيرها .

الصلة فى المثالين السابقين هى الجملتان (تبعثر قواها - قواها متماسكة) ومن البين أن الأولى جملة فعلية وأن الثانية جملة اسمية - فجملة الصلة تكون فعلية ، كما تكون أيضًا اسمية .

لكن ينبغى التنبه إلى أنه ليست كل الجمل الفعلية والاسمية صالحة لأن تجيء صلة ، بل إن الجملة التى تقع صلة لا بد أن تتوافر لها الصفات الآتية مجتمعة :

(أ) أن تكون جملة خبرية لا إنشائية (كالأمر والنهي والاستفهام) - وهذا أمر بدهى - فإن الاستعمال اللغوى يرفض أن تكون هذه الأخيرة صلة ، فلا يستعمل فى اللغة (جاء الذى قابله) ولا (جاء الذى هل قابلته ؟) .

(ب) أن تكون معلومة للسامع - وهذا أيضًا بدهى - فإن الصلة - كما سبق - هى التى توضح اسم الموصول ، وتحدد للسامع المقصود منه ، وهى تؤدى هذه المهمة بالنسبة له إذا كان معناها معروفًا لديه .

(ج) أن تشتمل الجملة على ضمير يعود إلى اسم الموصول - وهذا أيضًا أمر بدهى - فإن الارتباط بين اسم الموصول والصلة يتحقق بهذا الضمير وبدونه تنفك العلاقة بينهما ، فلا يستفاد المعنى الذى نهدف إليه منهما .

الصورة الثانية : شبه الجملة :

لاحظ الأمثلة الآتية :

يجب أن نحافظ على القوة التى فى الوحدة

ويجب أن نحذر الضعف الذى فى الفرقة .

فليس المرء بنفسه فقط ، بل بمن معه من الأصدقاء والأعوان .

الصلة في هذين المثالين هي على التوالي (في الوحدة - في الفرقة - مع) ومن البين أنها في هذه الثلاثة جار ومجرور أو ظرف ، وكلاهما يندرج تحت ما يطلق عليه اسم (شبه الجملة) - فالصلة إذن قد تكون شبه جملة - جارًا ومجرورًا أو ظرفًا .

لكن من رأى النحاة أن الصلة ليست هي الجار والمجرور والظرف ، بل هي فعل محذوف متخيل يتعلق به هذان الاثنان - ففي عبارة (القوة التي في الوحدة) ليست هي الجار والمجرور (في الوحدة) بل هي فعل تقديره مع التخيل (القوة التي تتحقق في الوحدة) فهذا الفعل المتخيل هو الصلة ، وهو الذى يتعلق به الجار والمجرور .

والذى أراه - تيسيرا على المبتدئين واتفاقاً مع رأى بعض النحاة فى خبر المبتدأ - أنه يمكن مع التسامح اعتبار الجار والمجرور والظرف أنفسهما الصلة ولا حاجة إلى التخيل والتقدير .

عائد الصلة :

لاحظ ما يلي من الأمثلة :

صديقك يحب ما أحبيته ويكره ما كرهته	العائد مذكور
وعدوك يكره ما أحبيت ويحب ما كرهت	العائد محذوف

العائد : هو الضمير الذى يجرى فى جملة الصلة ومعناه معنى اسم الموصول فيفيد ربط تلك الجملة باسم الموصول ، ليؤدى الاثنان معا المعنى المقصود .

وبما أن الضمير العائد يحمل معنى اسم الموصول ، فإنه يجب أن يطابقه فى الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث .

والأصل فى الضمير العائد أن يكون مذكورًا لفظًا فى جملة الصلة ، وقد يغيب عن الجملة إذا فهم من سياق الكلام وظروفه ، فيحذف من الجملة لفظًا ويعتبر موجودًا تقديرًا .

وبمعاودة النظر للمثالين السابقين يلاحظ أن العائد فى المثال الأول مذكور

وهو ضمير الغائب فى (أحبيته - كرهته) وقد غاب فى المثال الثانى (أحبيت - كرهت) ولا يضل المرء فى التعرف عليه ، إذ تقديره أيضًا (أحبيته - كرهته) .

هذا ، وقد ورد حذف العائد كثيراً فى نصوص صحيحة فصيحة ، ومن نماذجها - على كثرتها - الشواهد الآتية :

* قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴾ [الآية ٦٩ من سورة مريم] تقديره : أيُّهم هو أشد .

* وقال : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [الآية ١٩ من سورة النحل] تقديره : تسرونه وتعلنونه .

* وقال أيضا : ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الآية ٩٤ من سورة الحجر] تقديره : بما تؤمر به .

* قول العرب : (ما أنا بالذى قائل لك سوءاً) تقديره : بالذى هو قائل لك سوءاً .

* قول الشاعر :

لا تنوِ إلا الذى خيّرُ فما شقيتُ إلا نفوسُ الألى للشرِّ ناوونا ^(١)
تقديره (إلا الذى هو خير) .

* قول الشاعر :

من يُعَنِّ بالحمدِ لم ينطقُ بما سَفَءُ ولا يجدُ عن سبيلِ المجدِ والكُرمِ ^(٢)

(١) الإنسان بنياته ، من نوى الخير سعد ، ومن نوى الشر شقى ، فلا تنوِ إلا الخير ، خير لك .
الشاهد فى « الذى خير » فقد حذف العائد ، وتقدير الكلام « الذى هو خير » والمحذوف مبتدأ ، ومثله تماماً عبارة « الألى للشرِّ ناوونا » فى آخر البيت .

إعراب البيت : لا : ناهية تجزم المضارع - تنو : فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة - إلا : أداة استثناء ملغاة - الذى : مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب - خير : خبر لمبتدأ محذوف تقديره « هو خير » والجملة صلة الموصول - ما : حرف نفي - شقيت : شقى فعل ماض والتاء للتأنيث - إلا : أداة استثناء ملغاة - نفوس : فاعل مرفوع بالضممة - الألى : مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر - للشر : جار ومجرور متعلق بكلمة « ناوونا » بعده - ناوونا : خبر لمبتدأ محذوف وتقدير الكلام « هم ناوون » مرفوع بالواو ، لأنه جمع مذكر والألف للقفائية ، والجملة صلة الموصول .

(٢) من أراد حمد الناس ، لا ينطق القبيح ، ولا يميل عن طريق المجد والكرم .

الشاهد : فى « بما سَفَءُ » فإن « ما » اسم موصول ، وعائد الصلة محذوف وتقدير الكلام « بما هو سَفَءُ » والعائد المحذوف مبتدأ خبره كلمة « سَفَءُ » .

تقديره (بما هو سَفَهٌ) .

* قول طرفه :

سُئِدِي لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ^(١)

تقديره (ما كنت جاهله) .

قول الآخر :

إِنْ تُعَنَّ نَفْسُكَ بِالْأَمْرِ الَّذِي عُيِّنْتُ نَفُوسُ قَوْمٍ سَمَوْا تَظْفَرُ بِمَا ظَفَرُوا^(٢)

وقد حذف العائد في هذا البيت مرتين ، مرة في الشطر الأول ، وتقديره (الذي عنيت به) ومرة في الشطر الأخير ، وتقديره (بما ظفروا به) .

ومن البين - بتأمل هذه النصوص - أن العائد المحذوف قد يكون مرفوعاً وقد يكون منصوباً وقد يكون مجروراً - أما ما خاضت فيه كتب النحو من تفصيلات حول هذه الفكرة ، فهو أمر مجهود وشاق دون فائدة كبيرة (ولك الرجوع إليها إن شئت) .

* * *

(١) لم تزود . لم تكلفه بالبحث عنها .

يقول : كل خاف سيعلم ، ستكشفه لك الأيام ، ويخبرك به الناس طواعية دون أن تكلفهم أو تطلبه منهم .

الشاهد : في « ما كنت جاهلاً » فقد حذف عائد الصلة ، وأصله « ما كنت جاهله » والعائد المحذوف مضاف إليه في محل جر .

(٢) يتأثر المرء بمن يقتدى به من الناس ، فإن اقتديت بأناس سمت نفوسهم سموت وظفرت مثلهم .

الشاهد : في عبارة « الذي عنيت » فقد حذف العائد ، وأصل الكلام « وعنيت به » والعائد المحذوف مجرور بالباء - ومثله أيضاً « بما ظفروا » فأصله « ظفروا به » .

المعرّف بالألف واللام

- أولاً : « ال » المعرفة : تطلق عليها المصطلحات الآتية :
- ١ - ال : العهدية ، والفرق بين العهد الذهنى والذكرى .
 - ٢ - ال : الجنسية ، والمقصود بالجنس الذى تحدده .
 - ٣ - ال : الاستغراقية ، وما تعنيه من الأفراد .

- ثانياً : « ال » غير المعرفة : وتطلق عليها المصطلحات الآتية :
- ١ - ال : الزائدة ، وصلتها بما تزداد عليه من الأسماء .
 - ٢ - ال : لللمح الصفة ، وما تجئ معه من الأعلام .
 - ٣ - ال : للغلبة ، وما تدخل عليه من الأعلام .

* * *

أولاً : « ال » المعرفة :

- الصديق - الزميل - النصيحة - الحقيقة - الحرية - الأساتذة - الطلاب -
الناس - الملائكة - القصة - المسرحية - الحساسية - الرقة .

كل الكلمات السابقة فى أولها « الألف واللام » وهذه علامة على أن الاسم الذى دخلت عليه معرفة ، بمعنى أن وجود الألف واللام فى أوله أفاد تحديده - نوعاً ما من التحديد - بعد أن كان شائعاً لا يدخل تحت الحصر والتعيين - فلنوازن مثلاً بين (الصديق - الزميل) وفيهما الألف واللام ، ومقابلهما المجرى منها (صديق - زميل) حيث يلاحظ أن الصورة الأولى تستعمل فى موقف التحديد والتعيين ، والثانية فى موقف الشيوخ والعموم .

والألف واللام المعرفة حين تستخدم مع الأسماء يطلق عليها أحد المصطلحات الثلاثة التالية :

١ - « ال » : العهدية :

- اتفقت مع الصديق الزميل على أن نذهب إلى القناطر فى النيل .
وضربنا لذلك موعداً ، والتقىنا فى الموعد المحدد .
ووجدنا مركباً على الشاطئ ، فركبنا المركب إلى هناك .

يقصد بالعهد : الأمر المتفق عليه بين المتكلم والسامع ، فهو أمر محدد مفهوم لكل منهما ، فتدخل (ال) على الاسم لإفادة المعنى السابق .

ففى المثال الأول أربع كلمات فيها (ال) هى (الزميل - الصديق - القناطر - النيل) وبين المتكلم والسامع ما يشبه الاتفاق على المقصود بهذه الكلمات الأربع - فدخلت (ال) عليها لإفادة ما يطلق عليه (العهد الذهني) .

وفى المثالين التاليين كلمتان فيهما (ال) هما (الموعد - المركب) وقد تقدم لهاتين الكلمتين ذكر فى المثالين ، فقل أولاً (موعد - مركب) بدون (ال) - وفى هذا نوع من الألفة - ثم دخلت (ال) عليهما بعد ذلك لإفادة ما يطلق عليه (العهد الذكري) أى : ذكرهما من قبل فى الكلام .

وعلى ذلك ، فلنطبق إفادة (ال) العهد الذهني أو الذكري على النصوص الآتية :

* قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ [الآيتان ٥ ، ٦ من سورة

الشمس] .

* وقال : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ [الآية ٣٥ من سورة النور] .

* من كلام الرسول ﷺ : (اليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، ابدأ بمن تقول) ^(١) .

٢ - ال : الجنسية :

● الصحفُ أوسع انتشاراً من الكتب ، لكن الكتبُ أعظمُ فائدةً من الصحف .

● العدلُ فوق الرحمة لتحقيق المصلحة العامة ، لكن الرحمةُ أجملُ من العدل فى علاقات الأفراد .

الكلمات العامة مثل (صحف - كتب - عدل - رحمة) لكل منها (مفهوم) كما أنها تطلق على (أفراد) - فكلمة (صحف) مثلاً لها مفهوم يمكن تصويره بصورة عامة حين نطقها . كما أنها تطلق على أفراد كثيرين مثل (الأخبار - الأهرام - الجمهورية - الحرية - الثورة) وكلها أسماء صحف عربية .

ويقصد بتعريف الجنس : أن يتخصص الاسم بدخول (ال) عليه في الدلالة على مفهوم الاسم العام مع صرف النظر عن الأفراد التي تندرج تحته .

ففي المثالين السابقين نجد الكلمات (الصحف - الكتب - العدل - الرحمة) قد دخلت عليها (ال) فتخصص المقصود بها في الدلالة على « مفهومها » العام دون النظر إلى « الأفراد » وفي هذا نوع من التحديد للاسم ، فهو تعريف له - فحين نقول : (الصحفُ أوسعُ انتشارًا من الكتب) نقصد أن هذا الصنف (الصحف) أوسع انتشارًا من ذاك (الكتب) بصرف النظر عن الأفراد إذ قد تكون إحدى الصحف المصرية الخاملة مثلاً أقل انتشارًا من إحدى قصص « نجيب محفوظ » الواسعة الانتشار ، ويمثل النحاة لذلك بقولهم : (الرجلُ أفضلُ من المرأة) وقولهم (أهلك النَّاسُ الدينارُ والدرهم) .

٣ - ال : الاستغراقية :

يمتاز الإنسان عن الحيوان بالعقل .

ويتميزُ الرجل عن المرأةِ بصفاتٍ جسمية خاصة .

يقصد بتعريف الاستغراق : أن يتخصص الاسم بدخول (ال) عليه في الدلالة نصًّا على أن المقصود به كل الأفراد التي تندرج تحته بصرف النظر عن مفهومه العام - فهو بهذا المعنى على العكس من تعريف الجنس الذي سبق ذكره .

يلاحظ في المثالين السابقين أن الكلمات (الإنسان - الحيوان - الرجل المرأة) دخلت عليها (ال) فتخصص المقصود بها في الدلالة نصًّا على استغراق كل الأفراد التي تندرج تحتها ، فكل فرد من (الإنسان) يمتاز عن كل فرد من (الحيوان) بالعقل - ما عدا المجانين والبلهاء طبعًا - وكل فرد مما يطلق عليه (الرجل) يتميز - ولا يمتاز - عن كل فرد مما يطلق عليه (المرأة) بصفات جسمية تفصل الرجولة عن الأنوثة - والذي أفاد معنى « كل فرد » مع هذه الأسماء هو دخول (ال) عليها ، فهذا نوع من التحديد والتعريف لها - ومن شواهد الاستغراق قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ [الآية ٢٨ من سورة النساء] .

بعد هذا الفهم لتعريف الجنس أو استغراق الأفراد بواسطة (ال) ينبغي أن نضع

في الاعتبار الملاحظتين الآتيتين عنها :

(١) أن لها مع الاسم - في النوعين - بعض التحديد - فالأولى - الجنسية

- تخصصه فى الدلالة على مفهومه العام ، والثانية - الاستغراقية - تخصصه فى الدلالة على كل أفراد - لذلك يعتبر الاسم معرفة .

(٢) أن الاسم - حتى مع التخصيص بها - يبقى له جهة عموم سواء من حيث معناه - فى الجنسية - أو أفراد - فى الاستغراقية - لذلك يعامل أحياناً على أنه نكرة كما سيأتى فى بعض أبواب النحو .

ثانياً : « ال » غير المعرفة :

الكلمات (الذى - السَّمَوَّل - العَبَّاس) جاء فى أول كل منها (ال) وهى معارف بدون الحاجة إليها ، ذلك أن (الذى) اسم موصول : أمّا (السَّمَوَّل - العباس) فإنهما من الأعلام ، فمجيء الألف واللام فى أول الكلمات لم يجعلها معارف ، كما كان الأمر مثلاً فى كلمات سبق ذكرها مثل (الصديق - الزميل - القناطر) ولذلك يطلق على (ال) فى الكلمات - الذى (السموئل - العباس) بأنها غير معرفة .

ويقصد بها : ما لم تفد الاسم التعريف بدخولها عليه ، إذ هو معرفة بدونها ، أو أنها طرأت عليه استعمالاً فى الشعر لضرورة الوزن الذى لا يستقيم بغيرها .
هذا : وقد وردت (ال) غير المعرفة مع بعض الأسماء العربية ويطلق عليها مع هذه الأسماء المصطلحات الثلاثة الآتية :

١ - ال : الزائدة :

وهى التى لا تفيد التعريف - كما سبق - وليس لها أى معنى آخر مع الاسم بل تعتبر جزءاً منه أو طارئة عليه - وقد وردت مع الأسماء الآتية :
* الأسماء الموصولة المختصة ، (الذى - التى - اللذان - اللتان - الذين - الألى - اللآلى) .

* بعض الأعلام التى أطلقت على أصحابها وفيها الألف واللام ، مثل (السَّمَوَّل - السَّيَّع - العُزَّى) .

* ورودها طارئة فى بعض الأبيات الشعرية على بعض الأسماء لضرورة الوزن ،

* قول الشاعر يخاطب ابنه :

ولقد جنيتك أكمؤًا وعساقلاً ولقد نهيتك عن بنات الأوبير^(١)
فإن (بنات أوبر) - بدون الألف واللام - علم على نوع من التمر الرديء
وطرأت عليها (ال) لضرورة الشعر .
* قول الراجز :

باعد أمَّ العمرِ عن أسيرها
حُرَّاسُ أبوابٍ لَدَى قُصُورِها^(٢)

فإن (أم العمر) أصلها (أم عمرو) بدون الألف واللام - وطرأت (ال) لضرورة
الشعر .

* قول رشيد اليشكري يهجو قيس بن مسعود اليشكري :

رأيثك لما أن رأيث وُجُوهَنَا
صددت وطبت النفس يا قيس عن عمرو^(٣)

فالأصل (وطبت نفساً) وطرأت (ال) على التمييز لضرورة الشعر .

٢ - ال : لِلْمَحِ الصِّفَةِ :

وهى التى لا تفيد التعريف - كما سبق - لكنها تدل على لمح صفة الأصل
فى الأعلام التى اتصلت بها - فلنلاحظ ما يلى :

(١) جنيتك : بمعنى جنيت لك - أكمؤًا : جمع « كمء » وهو نوع من التمر - العساقل : جمع
عسقول ، وهو أيضاً نوع من التمر - بنات الأوبر : نوع من التمر الرديء .
يخاطب ابنه : بأنه جنى له من النخل تمرًا جيدًا هو (الأكمؤ والعساقل) وأنه نهاه عن التمر
الرديء وهو (بنات الأوبر) .

الشاهد : فى (بنات الأوبر) علم على نوع من التمر الرديء ، ودخلت عليه (ال) لضرورة الشعر .
(٢) الشاهد : فى (أم العمر) فأصلها (أم عمرو) فهى علم بغير الألف واللام وجاءت فى الشعر
بالألف واللام ، وهذه لغة الشعر الخاصة .

(٣) طبت النفس : بمعنى : رضيت - يا قيس : قيس بن مسعود - عن عمرو : صديق لقيس ،
وكان قوم الشاعر قد قتلوه .

يقول : حين رأيثنا فررت من وجوهنا ورضيت عن قتل صديقك - ولا يخفى ما فى البيت من
التهكم !!

الشاهد : فى (طبت النفس) فأصل (طبت نفساً) لأن (نفساً) تمييز والتمييز لا يكون إلا نكرة ،
ودخلت (ال) على التمييز من أجل لغة الشعر الخاصة .

- * عَبَّاس - ضَحَّاك - حَارِث - قَاسِم - حَسَن -
 حَسِين - فَضْل
 { صفات أو مصادر
- * عَبَّاس - ضَحَّاك - حَارِث - قَاسِم - حَسَن -
 حَسِين - فَضْل
 { أعلام منقولة بدون (ال)
- * الْعَبَّاس - الضَّحَّاك - الْحَارِث - الْقَاسِم -
 الْحَسَن - الْحَسِين - الْفَضْل
 { أعلام منقولة وبها (ال)

المقصود هنا هو النوع الأخير من الأعلام المنقولة وفيها (ال) فإن اتصال (ال) يفيد « لمح الصفة » وهى الإشارة إلى المعنى الذى نقلت منه قبل أن تستعمل علمًا ، مثلاً كلمة (عَبَّاس) صيغة مبالغة من (العَبُوس) فإذا نقلت علمًا ، فسُمِّي شخص ما (عَبَّاس) دون (ال) صرف النظر عن معناها الأصلي ، أما إذا نقلت علمًا فسُمِّي شخص ما (الْعَبَّاس) وفيه (ال) كان فى ذلك إشارة إلى الأصل الذى نقلت عنه الكلمة ، أو بعبارة أخرى « لَمْحًا لصفة الأصل » من أنه كثير العُيُوس ، ومثل ذلك أيضا (الضحاك - القاسم - الحارث - الحسن - الحسين - الفضل - التَّعْمان) فإن (ال) فيها جميعا للمح الأصل .

٣ - ال : للغلبة :

وهى ما لا تفيد تعريف الاسم - كما سبق - لكنها تدل على أن الأسماء التى دخلت عليها صارت أعلامًا بالغلبة - فلنلاحظ الآتى :

- * عَقَبَة - بَيْت - مَدِينَة - كِتَاب - أَعْشَى
 * الْعَقَبَة (الميناء) - الْبَيْت (الكعبة) - الْمَدِينَة
 (المنورة) - الْكِتَاب (لسيبويه) - الْأَعْشَى
 (الشاعر)
 أعلام بالغلبة

بالموازنة بين الكلمات السابقة قبل دخول (ال) عليها وبعد دخولها نلاحظ أنها قبل دخول (ال) نكرات ، وحين دخلت عليها (ال) أصبحت أعلاما - فالأداة (ال) فى هذه الأسماء للغلبة ، أى أن الاسم بها قد فاز - بنفسه لا بواسطة « ال » - بمكان أو شيء أو شخص محدد فأصبح علما عليه ، وتخلص بذلك من عموم دلالاته على الأماكن والأشياء والأشخاص .

المضاف إلى المعرفة

من كلام الرسول ﷺ :

- (١) « اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .
 (٢) « اللَّهُمَّ اجْعَلْ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عَمْرٍ وَقَلْبِهِ » .
 ومن القرآن قوله تعالى :

- (٣) ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [الآية ٦١ من سورة الصافات] .
 (٤) ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ .
 (٥) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

في كلام الرسول ﷺ والقرآن أسماء مضافة إلى معارف ، وهى على الترتيب فى النصوص السابقة (قومى - لسان عمر - مثل هذا - صراط الذين أنعمت عليهم - رب العالمين) على التوضيح الآتى :

- كلمة (قوم) مضاف - والمضاف إليه ضمير هو « ياء المتكلم » .
- كلمة (لسان) مضاف - والمضاف إليه عَلم هو « عمر » .
- كلمة (مثل) مضاف - والمضاف إليه اسم إشارة هو « هذا » .
- كلمة « صراط » مضاف - والمضاف إليه اسم موصول هو « الذين » .
- كلمة (رب) مضاف - والمضاف إليه فيه « ال » هو « العالمين » .

لذا : فإن الكلمات المضافة فى هذه النصوص تعتبر معارف ما دام المضاف إليه معرفة ، إذ يسرى إلى المضاف التعريف الذى فى المضاف إليه - ولعله قد اتضح من الشرح السابق العبارة النحوية المشهورة : (المضاف للمعرفة معرفة) وهذا الحكم خاص بالإضافة المعنوية ، كما سيأتى فى باب (الإضافة) .

تدريبات

(١)

قال أبو العباس المبرّد ^(١) : مما يُؤثّر من حكيم الأخبار وبارع الآداب ما حدّثنا به عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : دخلت يوما على أبي بكر الصديق في علّته التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئًا يا خليفة رسول الله !! فقال : أمّا إنني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدّ عليّ من وجعي ، إنني وليتُ أموركم خيركم في نفسي ، فكلّكم ورمَ أنفه أن يكون له الأمر من دونه ، والله لتتخذنّ نضائد الديباج وستور الحرير ولتألمنّ النوم على الصوف الأذريّ كما يألّم أحدكم النوم على حسك السعدان ، والذي نفسي بيده لأن يُقدّم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خيرٌ له من أن يخوض غمّرات الدنيا ، يا هاديّ الطريق جُزّت ، إنما هو - والله - الفجر أو البُجر !!

فقلت : خفّض عليك يا خليفة رسول الله ، فإن هذا يهيضك إلى ما بك فوالله ما زلت صالحا مصلحا ، لا تأس على شيء فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تخلّيت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيرا .

(١) ورد في هذه المحادثة الأعلام الثلاثة (أبو العباس المبرّد - عبد الرحمن ابن عوف - أبو بكر الصديق) عين منها الاسم واللقب والكنية - اذكر ما يكتني به عادة من يطلق عليه « عبد الرحمن » .

(٢) (حدّثنا به - أراك بارئًا - قلت له - إنني وليت أموركم - خيركم في نفسي) اذكر المحل الإعرابي للضمائر المتصلة البارزة في الجمل السابقة ، ثم اذكر المقابل لكل منها من الضمائر البارزة المنفصلة .

(٣) (لتتخذنّ نضائد الديباج - لتألمنّ النوم على الصوف - خفّض عليك

(١) الكامل في اللغة والأدب - لأبي العباس المبرّد - الجزء الأول - ص ٦ .

حسك السعدان : الحسك : الشوك ، والسعدان : نبت كثير الشوك - الصوف الأذريّ : صوف

جيد منسوب إلى « أذربيجان » في فارس - البجر « بضم الباء » : الشر والأمر العظيم - يهيضك : مأخوذ من « هيض العظم » إذا كسر مرة ثانية بعد جبره من الكسر الأول .

يا خليفة رسول الله - لا تأس على شيء فاتك) ميّز الضمائر المحذوفة والمستترة في الجمل السابقة ، ثم أعربها جميعاً .

(٤) بم نستدل على أن الكلمات (يوما - حدّ - خير - شيء) نكرات ؟

(٥) كلمة (ما) في عبارة (ما حدثنا به) يمكن أن تعتبر اسم موصول أو نكرة ، وبجّه الاعتبارين .

(٦) من أيّ أنواع المعارف الكلمات (بارع الآداب - أموركم - الوجع - الحرير - الفجر) .

(٧) (أما إني على ذلك لشديد الوجع) لو كان بحضرة أبي بكر مع ابن عوف شخص آخر أو اثنان فكيف تنطق العبارة السابقة !!

(٨) (مما يؤثر من حكيم الأخبار - في علته التي مات فيها - والذي نفسى بيده) في العبارات السابقة أسماء موصولة ، حدد نوعها ، ونوع جملة الصلة معها من حيث الاسمية والفعلية .

(٩) اذكر الموقع النحوي للمصادر المؤولة في (أن يكون له الأمر - كما يألم أحدكم - لأن يقدم أحدكم - من أن يخوض غمرات الدنيا) - راجع أولا سياقها في النص قبل ذكر الموقع .

(١٠) (والله ما زلت صالحاً مصلحاً ...) ، هذه الجملة حتى آخر النص جزء من ردّ ابن عوف الأخير ، أعرب هذا الجزء كله ملتزماً في الإعراب الوظيفة والشكل .

(٢)

قال المتنبي ^(١) :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا	وعناهم في شأنه ما عانا
وتولّوا بغُصّة كلّهم منـ	ه وإن سرّ بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لباليـ	ه ولكن تكدر الإحسانا

(١) التبيان شرح ديوان أبي الطيب المتنبي - لأبي البقاء العكبري - طبع الحلبي سنة ١٩٣٦

وكأنّا لم يرضَ فينا بريب الـ دهرٌ حتى أعانه من أعانا
كلّمًا أنبت الزمانُ قنأةً ركبَ المرءُ في القناة سنانا
ومراد النفوس أصغر من أن نتعادي فيه وأن نتفانى
غير أن الفتى يلاقى المنايا كالحاتٍ ولا يلاقى الهوانا
ولو أنّ الحياة تبقى لحىً لعددنا أضلّنا الشجعانا
وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تكون جيانا
كلّ ما لم يكن من الصعب في الأنفس سهلٌ فيها إذا هو كانا

(١) (ذا الزمانا) من أيّ أنواع المعارف هاتان الكلمتان !! أعربهما كما وردتا في البيت الأول .

(٢) (ما عَنانا - منْ أعانا) بين في هاتين العبارتين الموصول والصلة والعائد .

(٣) (سَرّ - تُكدر - لم يرض - نتعادي - يلاقى - تبقى - تكون) وردت هذه الأفعال في النص بهذا الترتيب وفيها ضمائر مستترة ، قدّر هذه الضمائر ، واذكر بعد ذلك ما استتر منها جوازاً أو وجوباً .

(٤) اذكر محل الضمائر البارزة المتصلة في (قبلنا - عنانا - تولّوا - كأنّا أعانه - عددنا - أضلّنا) رفعاً أو نصباً أو جراً .

(٥) البيت الخامس جملة شرطية كاملة ، حدّد أجزاءها ، ثم عين نوع الأسماء فيه من حيث التعريف والتنكير .

(٦) من الموصولات الحرفية (أنّ - أنّ) فما موقع المصدر المؤول منهما في العبارتين (أن نتعادي - أن الفتى يلاقى المنايا) راجع سياق الأبيات .

(٧) ما معنى البيت الأخير ؟! أعربه كله ملتزماً في الإعراب الوظيفة والشكل .

(٨) (كلهم - أحياناً - الصنيع - أصغر - كالحالات - بدّ) اذكر نوع الكلمات السابقة من حيث التعريف والتنكير - اضبطها في جملها ثم بين سبب الضبط .

القسم الثانى

الجملة الاسمية

تشمل مباحثها :

أولا : المبتدأ والخبر

ثانيا : نواسخ المبتدأ والخبر

(١) كان وأخواتها .

(٢) الحروف النافية الناسخة (ما - لا - لات) .

(٣) كاد وأخواتها .

(٤) إنَّ وأخواتها .

(٥) لا : النافية للجنس .

(٦) ظن وأخواتها .

(٧) أعلم وأرى وأخواتهما .

المبتدأ والخبر

أولاً : المبتدأ :

- (١) المبتدأ الذى له خبر وما له مرفوع يغنى عن الخبر .
- (٢) ورود المبتدأ معرفة أو نكرة .

ثانياً : الخبر :

- (١) صورة الخبر (مفرد - جملة - شبه جملة) .
- (٢) روابط جملة الخبر بالمبتدأ .
- (٣) الإخبار بالظرف عن اسم الذات واسم المعنى .
- (٤) تعدد الخبر للمبتدأ الواحد .

ثالثاً : ما يتعلق بجملة المبتدأ والخبر :

- (١) التطابق بين المبتدأ والخبر .
- (٢) الترتيب فى جملة المبتدأ والخبر .
- (٣) الذكر والحذف لكل من المبتدأ والخبر .

* * *

صورتا المبتدأ :

ينبغى ابتداء التعرف على معانى الكلمات الثلاث (الاسم الصريح - الاسم المؤول بالصريح - الوصف) .

الاسم الصريح : كما يدل عليه اسمه - ما له صورة منظوقة ، وأكثر ما يرد هذا النوع مما يعبر عنه صرفيًّا بالاسم الجامد ، سواء أكان اسم ذات أم اسم معنى ، مثل (شجرة - زهرة - نبات - طائرة - شجاعة - إقدام - انتصار - حرية - إعجاب) .

المؤول بالصريح : يقصد به : اسم المعنى (المصدر) المأخوذ من حروف المصادر وما دخلت عليه ، وحروف المصادر خمسة (أن - أن - أن - كى - ما - لو)

والمشهور منها الأربعة الأولى ، أما الحرف الأخير فلا شهرة له ، ويستعمل حرفا مصدريا بعد الفعلين (ودّ - يودّ) .

الوصف : يقصد به - كما جاء في كتب النحو - ما دل على معنى وصاحبه وهو من الأسماء المشتقة (اسم الفاعل - اسم المفعول - - أمثلة المبالغة - الصفة المشبهة - اسم التفضيل) مثل (ناقد - مشهور - ذوّاق - أديب - نبيه - أسمى - أجمل) .

فلنتأمل الأمثلة الآتية :

- (أ) (القلب سرُّ الإنسان ، واللِّسانُ عنوانُهُ والمرءُ
 { بأصغَرِهِ ، قلبه ولسانه
 { المبتدأ اسم صريح
 (ب) (وأن تُفشي أسرارَكَ لغيرِكَ وبألَّ عليك فمن
 { المبتدأ اسم مؤول
 { المفيد لك أن تحتفظ بأسراركَ لنفسك
 { بالصريح
 (ج) (أضائق صدركَ بسرِّكَ فتفشيهِ للناس !
 {
 { أضامنُ أنت حينذاك الأُّشاعَ ويذاع !؟
 {
 { يا صاحبي : ما نافعُ إفشاء الأسرارِ ، لكن
 { قد يضرَّ
 { المبتدأ وصف

* * *

الصورة الأولى : مبتدأ له خبر :

يقصد بها : ما كان المبتدأ فيه اسما صريحا أو مؤولا بالصريح ، تقول :
 (القرآنُ كتابُ الإسلامِ ومحمدٌ رسولُهُ) وفي القرآن قال تعالى : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [الآية ١٨٤ من سورة البقرة] وقال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ﴾ [الآية ٣٩ من سورة فصلت] .

الصورة الثانية : مبتدأ له مرفوع يغنى عن الخبر :

ويقصد بها : ما كان المبتدأ وصفا ، تقدمه نفى أو استفهام ، ورفع بعده اسما ظاهرا أو ضميرا منفصلا أ . ه .

وفي هذا الوصف السابق للجملة التي يأتي فيها المبتدأ من هذه الصورة

(أ) أن يكون المبتدأ وصفاً - وقد سبق بيان ذلك .

(ب) أن يتقدم على الوصف نفى أو استفهام .

(جـ) أن يكون الاسم المرفوع بالوصف ظاهراً أو ضميراً منفصلاً .

فالصفات الثلاث السابقة ينبغي أن تتحقق مجتمعة في الجملة التي يأتي فيها المبتدأ من الصورة الثانية ، وحينئذ يكون الاسم المرفوع بعد الوصف مغنياً عن خبره ومن ذلك :

● قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِعُهُنَّ ﴾ [الآية ٤٦ من سورة مريم] .

● قول الشاعر :

خليئي ما وافٍ بعهدي أنتما إذا لم تكونا لي على من أقاطع^(١)

● قول الآخر :

أقاطن قوم سلمى أم نؤوا ظعنًا إن يظعنوا ، فعجيب عيش من قطننا^(٢)

إعراب : ما نافع إفشاء الأسرار :

ما : حرف نفى ، نافع : مبتدأ مرفوع بالضممة - إفشاء : فاعل لكلمة (نافع) مرفوع بالضممة سد مسد الخبر - الأسرار : مضاف إليه مجرور بالكسرة .

هذا هو الأصل في تحقيق صورة المبتدأ الذي له مرفوع يغني عن الخبر وهو الاتجاه المشهور بين جمهور النحاة من البصريين .

لكن ، خالف الكوفيون في الصفة الثانية ، فأجازوا تحقيق هذه الصورة دون أن يتقدم على الوصف نفى أو استفهام - وورد على هذا الرأي من الشواهد :

(١) الشاهد في هذا البيت (ما واف أنتما) فإن كلمة (واف) من المبتدأ الذي له مرفوع يغني عن الخبر ، فهو مبتدأ ، وكلمة (أنتما) ضمير منفصل فاعل به سد مسد الخبر .

(٢) يقال : قطن بالمكان : أقام به - ويقال : ظعن عن المكان : فارقه ورحل . يتساءل في أسى عن قوم حبيبه « سلمى » أيقون مقيمين أم نؤوا الرحيل !! لكن كانت الأخيرة فلن يبقى مقيماً بعدهم ، لأنه لا طاقة له بالبقاء مع رحيلهم .

الشاهد : في قوله (أقاطن قوم سلمى) فإن كلمة (قاطن) مبتدأ له مرفوع أغنى عن الخبر ، وهو كلمة (قوم) فهي فاعل به سد مسد الخبر .

• قول زهير الضبي :

فخَيْرٌ نحن عند الناس منكم إذا الداعي المَثُوبُ قالَ يالاً (١)

فكلمة (خير) مبتدأ ، وكلمة (نحن) فاعل به سد مسد الخبر ، ولم يتقدم على المبتدأ نفى ولا استفهام .

• قول الآخر :

خَيْرٌ بنو لهبٍ فلا تكُ مُلْعِيَةً مقالةً لهيبٍ إذا الطيرُ مرَّتِ (٢)

فكلمة (خير) مبتدأ ، وكلمة (بنو) فاعل سد مسد الخبر ، ولم يتقدم على المبتدأ نفى ولا استفهام .

وأصحاب الاتجاه الأول من رأيهم أن ما ورد في البيتين من (خير نحن عند الناس) و (خير بنو لهب) إنما هما مبتدأ وخبر على التقديم والتأخير فهما من الصورة الأولى لا من الثانية - والبيتان موضع أخذ ورد بين الاتجاهين السابقين مما لا داعي لذكره والإطالة فيه .

ورود المبتدأ معرفة أو نكرة :

جاء في قطر الندى : « الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة لا نكرة ، لأن النكرة مجهولة غالبا ، والحكم على المجهول لا يفيد » . أ . ه .

وجاء في الأشموني : « لم يشترط سيويوه والمتقدمون لجواز الابتداء بالنكرة

(١) الداعي المَثُوب : الصارخ المستنجد رافعا ثوبه ملوحا به - يالا : أسلوب استغاثة ، حذف منه المستغاث به ، وأصله : يا للنجدة !!

يقول : إنهم عند الشدة خير الناس ، إذ هم أهل النصرة للمستنجد المستغيث .
الشاهد : في (خير نحن) إذ ساقه بعض النحاة للاستدلال على أن كلمة (خير) مبتدأ له مرفوع يغنى عن الخبر ، وهو كلمة (نحن) والمبتدأ لم يعتمد على نفى أو استفهام - والرد أن الجملة مبتدأ وخبر على التقديم والتأخير ، فلا دليل فيه .

(٢) بنو لهب : قبيلة من العرب مشهورة بزجر الطير ومعرفة الغيب .
يقول : إن بنى لهب لهم خبرة وعلم بزجر الطير ، فإذا أخبروك بما علموه فلا تكذبهم فيما يقولون .

الشاهد : في (خير بنو لهب) إذا استدل به بعض النحاة على أن كلمة (خير) مبتدأ له مرفوع يغنى عن الخبر وهو (بنو لهب) دون أن يعتمد الوصف على نفى أو استفهام - والرد أن الجملة مبتدأ وخبر على التقديم والتأخير ، فلا دليل في البيت .

إلا حصول الفائدة ، ورأى المتأخرون أنه ليس كل أحد يهتدى إلى مواضع الفائدة ، فتتبعوها ، فمن مُقلِّ مُخلٍّ ، ومن مُكثِّرٍ مُورِدٍ ما لا يصح أو مُعَدِّدٍ لأُمور متداخلة » .أ.هـ .

ويؤخذ من هذين النَّصَّين ما يلي :

أولاً : أن الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة ، تقول : (الصدقة الوفاء والإخلاص فأنت وفِّي وأنا مخلصٌ فنحن أصدقاء) .

ثانياً : أن الأصل في المبتدأ ألا يكون نكرة ، فإن الاستعمال لا يقبله والنطق بذلك لا يفيد ، فلا تقول مثلاً (صديقٌ وفِّي - أو - الوفِّي) على أن كلمة (صديق) مبتدأ وما بعدها خبر ، لأن ذلك لا يفيد شيئاً مقنعاً .

ثالثاً : خرج عن هذا الأصل السابق ما إذا أفادت النكرة ، فإنه يصح الابتداء بها ، ومعنى الفائدة : أن تكون الجملة التي استخدمت فيها النكرة مؤدية معنى مفيداً يقبله الاستعمال ، ويقنع به السامع ، كما تقول : (في الصديق نجاةٌ وفي الكذب هلاكٌ) وكما تقول : (عملٌ دائمٌ خيرٌ من عملٍ شاقٍ منقطعٍ) أو (مرحٌ ساعةٌ مجدِّدٌ للنشاط كلِّ اليوم) - وإلى هنا اتفق النحاة .

لكن ، تحديد مواضع الفائدة أو بعبارة أخرى : تتبع صور استعمال النكرة «مبتدأ» في اللغة العربية هو الذي اختلف حوله الاجتهاد ، والأمر - كما قال الأشموني - موزع بين « مِنْ مُقِلٍّ مُخِلٍّ ، ومن مُكثِّرٍ مُورِدٍ ما لا يصح ، أو مُعَدِّدٍ لأُمور متداخلة » .

وعلى كل حال ، فلنختار مما ذكر عشرة مواضع هي - فيما أظن - من أكثر مواضع استعمال النكرة المفيدة في الابتداء :

١ - أن يكون الخبر شبه جملة مفيدة متقدماً على مبتدأ ، مثل (عند الحصول على الهدف راحةٌ وأيضاً في اليأس منه راحةٌ) .

٢ - أن يكون المبتدأ نكرة عامة في سياق النفي أو الاستفهام ، مثل (أجبنٌ مجتمعٌ إلى نفاق ، هذه كارثة !!) .

وما ورد في الأثر : (لا أحدٌ أصبرُ على أذى سمعه من الله) (١) .

٣ - أن تكون موصوفة ، كقولك : حياة قصيرة مفيدة أحسن من حياة طويلة تافهة) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ﴾ [آية ٢٢١ من سورة البقرة] .

٤ - أن تكون مضافة لنكرة ، كما جاء في الحديث : (خمس صلوات في اليوم والليلة)^(١) وكما تقول : (أداء واجب بإخلاص سعادة للضمير وإرضاء لله) .

٥ - أن يتعلق بها شيء من تمام معناها ، كقولك : (معاونة للضعيف مروءة وسخرية منه ندالة) ومن ذلك ما جاء في الأثر : (أمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة) .

٦ - أن يقصد بها الدعاء أو التعجب ، كما نقول في حياتنا العادية : (سلام عليكم) وأيضاً : (عجب لأمركم) ومن ذلك قول الشاعر :

عجب لتلك قضية وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجب^(٢)

٧ - أن تقع في أول الجملة الحالية ، تقول : (سرت على شاطئ النيل وبهجة تملأني وعدت إلى البيت ونشاط يغمرني) ومن ذلك قول الشاعر :

سرّينا ونجم قد أضاء فمذ بدا مُحَيَّاك أخفى ضوءه كل شارق^(٣)

٨ - أن تقع بعد (إذا : المفاجأة) كقولك : (صحوت من النوم فإذا بُشرى في انتظاري) .

٩ - أن تقع بعد لام الابتداء ، كما جاء في الأثر : (لغدوة في سبيل الله أوزوحة خير من الدنيا وما فيها)^(٤) .

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٤١ ويوضح الخبر المحذوف رواية أخرى للحديث (خمس صلوات كتبهن الله في اليوم والليلة) .

(٢) الشاهد في قوله (عجب لتلك قضية) فإن كلمة (عجب) بلفظها تدل على التعجب ، إذ تفيد معنى الدهشة ، وهذا مسوغ لمجيئها نكرة .

(٣) سرينا : سرنا ليلاً - محياك : وجهك .

يقول : إنك وضئ الوجه ، مشرق المحيا ، ووجهك في وضائه وإشراقه يفوق النجوم المضيئة المشرقة .

الشاهد : في قوله (ونجم قد أضاء) فإن كلمة (نجم) مبتدأ نكرة ، جملة (قد أضاء) خبر ، والجملة كلها حال ، ووقع كلمة (نجم) في أول الجملة الحالية مسوغ لمجيئها نكرة .

(٤) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٩٩ .

١٠ - أن تقع بعد الحرف (لولا) كما تقول : (لولا شرٌّ ما عُرف الخير ولولا ذنبٌ ما كانت توبة) ومن ذلك قول الشاعر :

لولا اصطبارٌ لأودى كلُّ ذى مِقةٍ لَمَّا استقلتْ مطاياهُنَّ للظعنِ^(١)

وبعد :

فإذا كانت هذه المواضع مما يشق على المرء حصره ، فإن الأمر مرجعه أولاً وأخيراً إلى ما سبق قوله من أن الاستعمال هو الذى يحدد الفائدة وبالفائدة يسوغ الابتداء بالنكرة .

صور الخبر :

لاحظ الأمثلة الآتية :

- { الخبر مفرد الشورى مبدأ ديموقراطى عظيم
- { وأهل الشورى الواعون من أبناء الأمة لا العوام
- { الخبر جملة فالآراء المختلفة تُوصِّلُ إلى الصواب المتفق عليه
- { والرأى الواحدُ خَطْؤُهُ محتملٌ
- { وتجاربُ الأممِ دلائلُها أكيدةٌ على ذلك
- { الخبر شبه جملة فالصوابُ فى المشورة والخطأ فى الاستبداد
- { وقد قيل : يَدُ الله مع الجماعة
- { الخبر مطلقاً - كما جاء فى ابن عقيل - المنتظم منه مع المبتدأ جملة أ هـ .
- ويأتى على الصور التالية :

* الخبر المفرد : يقصد به - فى هذا الباب - ما ليس جملة ولا شبه جملة

(١) أودى : هلك - مِقة : حب - استقلت : نهضت - مطاياهن : الدواب - الظعن :

الرحيل .

يقول : حين بدأت الرحلة وفيها حبيبته ، شق عليه ذلك ، ولولا الصبر على شدة الفراق لهلك .

الشاهد : فى كلمة (اصطبار) فهى مبتدأ نكرة ، وخبرها محذوف ، وسوغ مجيئها نكرة وقوعها بعد كلمة (لولا) .

وإن كان مثنى أو مجموعا ، تقول : (العلم رسالة والعلماء هداة) وتقول : (الرأيان مختلفان ونحن أصدقاء مع ذلك) .

* الخبر الجملة : يقصد به ما تكون من جملة كاملة فعلية أو اسمية ، تقول : (العلم يحتاج للإخلاص ، العلم طريقه شاق) وأهم ما يشترط في الخبر الجملة أن يشتمل على ضمير يعود على المبتدأ ، وسيأتي تفصيل ذلك .

* شبه الجملة : يقصد به الظرف والجار والمجرور ، نقول : (الحياة للحياة والغيب عند الله) وتقول : (مع الضيق الفرج ومع العسر اليسر) ، وقال تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الآية ٢٢ من سورة الذاريات] .

وإنما سميت هذه « شبه جملة » لأن النحاة تخيلوا متعلقا لكل من الجار والمجرور والظرف ، وهذا المتعلق المحذوف يقدر فعلا أو شبه فعل بطريقة مناسبة لسياق الكلام ، فمثلا جملة (الحياة للحياة) تعرب هكذا :

الحياة : مبتدأ مرفوع بالضممة ، للحياة : اللام حرف جر ، الحياة مجرور باللام وعلامة جره الكسرة ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره (الحياة تعاش للحياة أو معاشة للحياة) وهذا المحذوف هو خبر المبتدأ - ومثله الظرف . ومن البين أن هذا التخييل هو سر هذه التسمية .

والحق أن هذا عناء مجهد ، والأحسن - فيما أعتقد - أن يكون كل من الجار والمجرور والظرف « شبه جملة خبر » دون بحث عن محذوف مقدر .

جاء في ابن عقيل : « وذهب أبو بكر بن السراج إلى أن كلا من الظرف والمجرور قسم برأسه ، وليس من قبيل المفرد ولا من قبيل الجملة ، نقل عنه هذا المذهب تلميذه أبو علي الفارسي في الشيرازيات » . أ . ه - وهذا كلام في غاية الأهمية ، فيه غنى عن التقدير والمشابهة .

روابط جملة الخبر بالمبتدأ :

لاحظ الأمثلة التالية :

{

الظلم مرتعه وخيم

{	الإحسان ذلك خُلِقَ كريم
{ الرابط الإشارة للمبتدأ	والإساءة تلك خلّة ذميمة
{	الإحسان لا يضيغ الإحسان مع الكريم
{ إعادة المبتدأ بلفظه	الإساءة لا ينسى الإساءة إلا الأحق
{	نعم الإحسان المروءة
{ العموم في الخبر	وبئس الإساءة النذالة
{ لا حاجة للرابط	شعارنا : الله أكبر والعزة للعرب

لعل من المفيد أن يذكر هنا الفكرة اللغوية التالية : اللغة مسلك اجتماعي يصدق عليه ما يصدق على أنواع السلوك الاجتماعية الأخرى ، وفي علاقتنا الاجتماعية إذا قامت صلة بين شخص ومن هو قريب له ، لم تكن في حاجة إلى دلائل تثبتها ، أما إذا قامت العلاقة بين شخص وأجنبي عنه ، احتاجت إلى ما يسوغها من نسب أو منفعة أو صداقة .

هذه الفكرة الاجتماعية السابقة تصدق على المبتدأ في علاقته بجملة الخبر فإذا كان الخبر هو نفس المبتدأ في المعنى - كلاهما من وادٍ واحد - لم يحتاج الخبر إلى رابط يربطه بالمبتدأ ، كقولك : (اعتقادنا : الله واحد ومحمد رسول) .

وما ورد في القرآن من قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الآية ١ من سورة الإخلاص] وقول الرسول ﷺ : (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله) ^(١) . أما إذا كانت جملة الخبر أجنبية عن المبتدأ - كلاهما من وادٍ مختلف عن الآخر - ففي هذه الحالة لا بد من رابط يربطها بالمبتدأ ، وهو أحد الأمور التالية :

١ - الضمير الذي يعود على المبتدأ من جملة الخبر ، كقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [الآية ٧٣ من سورة الأنفال] وقوله : ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الزُّرْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الآية ٣٦ من سورة الرعد] .

٢ - إعادة المبتدأ بلفظه في الخبر ، كقول الله تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ [الآية ١ من سورة القارعة] وقوله : ﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ [الآية ١ من سورة القارعة] .

ويأتى الأسلوب السابق غالبا فى موقف التهويل والتفخيم .

٣ - أن يكون فى الخبر إشارة للمبتدأ ، مثل قول الله تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الآية ٢٦ من سورة الأعراف] .

٤ - أن يكون فى الخبر لفظ عام يشتمل على المبتدأ وغيره ؛ وغالبا ما يأتى ذلك فى أسلوب المدح أو الذم ، كما يقال : (بئس الخُلُقُ الخيانة) أو : (نعم الدينُ الإسلامُ) .

الإخبار بالزمان أو المكان عن اسم الذات واسم المعنى :

ينبغي أولا التعرف على معانى الكلمات الآتية :

• اسم الذات : يقصد به ما دل على شيء له حجم من إنسان أو غيره أو بتعبير أحد المحدثين : « والمراد به الجسم فى أى وضع كان » وذلك مثل (خالد - أحمد - كتاب - ورقة - زهرة) .

• اسم المعنى : وقد سبق بيانه فى أول المبتدأ بأنه الاسم الذى يدل على المعنى المجرد ، ويمثله فى اللغة العربية المصدر بأنواعه المختلفة مثل (شجاعة - عزم - إصرار - حرية - انتصار - فرح) .

• اسم المكان : وهو ما يدل على مساحة من الأرض أو الفضاء مثل (أمام - خلف - قدام - حيث - عند - لدى - إزاء - هنا - هناك) .

• اسم الزمان : وهو ما يدل على وقت مثل (يوم - ليلة - سنة - شهر - حول - ساعة - لحظة - برهة) .

ولقد سبق أن اسم الزمان أو المكان إذا استعملا ظرفين - باستيفاء شروط الظرف - فإنهما يقعان خبرًا مما أطلق عليه (شبه جملة) تقول : (النِّيَّةُ قبل العمل) وتقول : (النصرُ مع الصبر) .

فإذا لم يستوفيا شروط الظرف ، فإن اسم الزمان أو المكان - كأي اسم آخر - يحتل الوظائف النحوية المختلفة - مبتدأ أو خبرا أو فاعلا أو غيرها - تقول : (اليومُ العيد وهو يومٌ مبارك وقد أظللنا ساعاته ونحن فى سرورٍ وأمنٍ وحريةٍ) .

من المتصور إذن في جملة المبتدأ والخبر أن يكون المبتدأ فيها اسم ذات أو اسم معنى ، وأن يكون الخبر مع كل واحد منهما اسم الزمان أو اسم المكان فتلك أربع صور من الناحية العقلية .

لكن ، هنا فكرة مهمة جدًا ، احتكم إليها علماء النحو حين أوردوا المستعمل من هذه الصور الأربع وغير المستعمل ، تلك الفكرة تلخصها عبارة واحدة هي : « لا يصحّ الإخبار باسم الزمان أو المكان من غيره مطلقًا إذا أفاد » . أ . ه .

« الفائدة » : هي أساس ما يقبل وما يرفض ، والفائدة يقصد بها أن تؤدي الجملة معنى تاما متكاملًا يمكن أن يصمت بعده المتكلم ، ويقنع به السامع دون نبؤ أو نشاز .

وقد أدى استقرار الكلام العربي لمعرفة ما يفيد وما لا يفيد من الصور الأربع السابقة إلى ما يلي :

● أولاً : أن يكون المبتدأ اسم معنى والخبر اسم زمان ، كقولك : (الباطل ساعة والحق إلى يوم الساعة) .

● الثانية : أن يكون المبتدأ اسم معنى والخبر اسم مكان ، كقولك : (العدل قبل الرحمة والعفو عند المقدرة) .

● الثالثة : أن يكون المبتدأ اسم ذات والخبر اسم مكان ، كقولك : (شارفنا نهاية الرحلة بالطائرة والمدينة تحتنا والمطار قريبًا) .

هذه الصور الثلاث السابقة هي التي استعملتها اللغة ، والحديث بها مفيد كما ترى في الأمثلة السابقة .

ثانياً : ما لا يفيد :

وهي صورة واحدة ، حيث يكون المبتدأ اسم ذات والخبر اسم زمان ، وهي صورة يرفضها الاستعمال اللغوي ، لأنها لا تفيد شيئًا ، إذ ما معنى أن نقول (الشجرة الساعة - الورقة الآن - الصحيفة الحين) - هذا كلام لا معنى له ولا فائدة فيه ، ومن أجل ذلك لم تستعملها اللغة ، ونص النحاة على رفضها .

لكن أوردت كتب النحو بعض عبارات قديمة فيها الإخبار باسم الزمان عن

اسم الذات ومن أشهرها :

- قول امرئ القيس : اليومَ خمْرٌ وغداً أمرٌ .
 - قول امرئ القيس : اليومَ قَحَافٌ وغداً نِقَافٌ ^(١) .
 - قول العرب : الرُّطْبُ شَهْرِي ربيع .
 - قول العرب : الليلة الهلالُ .
 - قول الشاعر :
- أَكَلَّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ يُلْقِيهِ قَوْمٌ وَتَنْتَجُونَهُ ^(٢) .

وقد خضعت هذه العبارات لتأويلات لا طائل تحتها ، والحق أن المتأمل لهذه الاستعمالات يحسُّ بُيُوتَهَا عن الذُّوق اللغوي السليم ، وينبغي الاقتصار على ما سمع منها .

تعدد الخبر :

لاحظ الأمثلة التالية :

العملُ حقٌّ واجبٌ شرفٌ .

البطالةُ ضياعٌ مهانةٌ مذلةٌ .

الخبر صفة في المعنى ، وكما أن الإنسان أو الشيء قد يوصف بأكثر من صفة ، فإنه يمكن أيضا أن يخبر عنه بأكثر من خبر ، فيكون المبتدأ واحدا والخبر متعددا ، ففي المثال الأول أخبر عن (العمل) بأخبار ثلاثة هي (حق - واجب - شرف) وفي المثال الثاني أخبر عن المبتدأ (البطالة) بأخبار ثلاثة هي (ضياع - مهانة - مذلة) وهكذا ورد في نصوص فصيحة صحيحة .

(١) القحاف : الآنية - النفاق : الحرب وتحطيم الرؤوس .

(٢) النعم : الإبل والشاء - يلقيه : يخصبه ، والإلقاح : الإخصاب ، ومن ذلك في قول الله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ لأنها تحمل الإخصاب ، من شجرة لأخرى - تنتجونه : معناها ترعونه حتى يلد .

المعنى : إن هذا ظلم وجشع ، إذ تأخذون جهود غيركم وثمره عملهم ، فتستولون على الإبل والشاء التي أخصبها غيركم لتنتجونها عندكم .

الشاهد : في (أكل عام نعم) فإن الخبر هنا هو (كل عام) وهو اسم زمان والمبتدأ (نعم) وهو اسم ذات ، وهذا من العبارات السماعية التي وردت وفيها الإخبار بالزمان عن الذات .

* قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَفْوَزُ أَلَوْدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [الآيات

١٤ - ١٦ من سورة البروج] .

• ومن رجز رؤية :

من يك ذا بَتٍّ فهذا بَتِّي
مُقَيِّظٌ مُصَيِّفٌ مُشْتِي
أَخَذْتُهُ مِنْ نَعَجَاتٍ سِتٍّ
سود ، نعايج كنعايج الدَّشْتِ (١)

• وقال حميد بن ثور يصف الذئب :

ينامُ بإحدى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعٌ (٢)

ذلك هو أصل الموضوع ، ومع ذلك فإنه ينبغي التنبيه للأمرين التاليين :

الأول : أن الأخبار المتعاطفة لا تعتبر من هذا الأسلوب ، فهناك فرق بين :

• أن نقول : النفاقُ غشٌ كذبٌ خداعٌ .

• وأن نقول : النفاقُ غشٌّ وكذبٌ وخداعٌ .

إذ يلاحظ أن الأخبار في الأول متجهة كلها إلى المبتدأ (النفاق) وأما في الثاني فقد اتجه منها للمبتدأ الاسم الأول فقط ، أما الثاني فهو متجه للأول بواسطة حرف العطف ، والثالث متجه للثاني بواسطة حرف العطف وهكذا .

من أجل ذلك تعتبر الصورة الأولى من تعدد الخبر - أما الثانية فليست من تعدد الخبر .

(١) بت : كساء سميك خشن « العباءة » - مقبِظ : « القبيظ » شدة الحر - الدشت : كما جاء في القاموس - الصحراء .

يقول : إن لى - كالناس - كساء من صوف يقينى الحر والقر ، وألبسه فى الصيف والشتاء ، إنه مصنوع من صوف نعجات ست سود كنعايج الصحراء .

الشاهد : فى (مقبِظ مصيف مشتى) فإنها أخبار متعددة لمبتدأ محذوف وتقديره (وأنا مقبِظ مصيف مشتى) .

(٢) هاجع . الهجوع : النوم ليلاً - المنايا : جمع « منية » وهى : الموت .

يقول : إن هذا الذئب حذر شديد الحذر ، إنه يغمض إحدى عينيه ويفتح الأخرى ، ليتقى بها

الثاني : أن الأخبار المتعددة قد تكون من نوع واحد ، أى من المفردات أو الجمل أو شبه الجمل ، وقد تختلف ، فيكون بعضها مفردا وجملة وشبه جملة ، تقول : (طوال الليل أنا ساهرٌ أتململُ) .

● قال الله تعالى : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [الآية ٢٠ من سورة طه] .

● قال على بن أبى طالب ؓ - فيما ينسب إليه - مرتجزا :

أنا الذى سمّنتى أمى حيدرَه
كلّيت غابات غليظ القصره
أكيلكم بالسيف كيّل السندرَه^(١)

فالخبر فى البيت الأول مفرد (الذى) - وفى الثانى شبه جملة (كليث) وفى الثالث جملة كاملة وهى (أكيلكم بالسيف) .

التطابق بين المبتدأ والخبر :

البخيلُ عدوُ نفسه وعدوُ الناس .

الحريصُ صديقُ نفسه وعدوُ الناس .

والكريمُ صديقُ نفسه وصديقُ الناس .

فى الأمثلة الثلاثة السابقة يلاحظ التطابق التام بين المبتدأ والخبر من حيث العدد والنوع ، فالمبتدأ والخبر كلاهما مفرد مذكر ، ولو تغير الأمر فى هاتين الصفتين لتطابقا أيضا تقول : (البخلاءُ أعداءُ أنفسهم وأعداءُ الناس) وتقول : (الحريصان صديقا أنفسهما وعدواُ الناس) وتقول : (الكريماُ صديقاُ أنفسهنّ وصديقاُ الناس) فالمبتدأ الذى له خبر يجب أن يتفق معه خبره فى اثنين من خمسة :

(١) حيدرة : من أسماء الأسد - القصرة : أصل العنق - السندرة : كما جاء فى القاموس - نوع من الكيل غراف جراف .

يقول : إبنى شجاع اسمى « حيدرة » فأنا كالأسد الغليظ العنق القوى الوثب أجرف بسيفى الأعداء كما يغرف الكيل الغراف الجراف الحب .

المشاهد : أنه جاء فى هذا الرجز أخبار متعددة مختلفة النوع هى على التوالى (الذى - كليث - أكيلكم) والأول مفرد ، والثانى شبه جملة ، والأخير جملة .

(أ) الأفراد والتثنية والجمع .

(ب) التذكير والتأنيث .

أما المبتدأ الذى له مرفوع يغنى عن الخبر ، فإن الأمر فيه يختلف ، إذ يرد على الصور الثلاث الآتية :

الصورة الأولى : التطابق فى الأفراد :

ما صديقُ البخيلُ لنفسه أو للناس .

ما بغيضُ الكريمُ لنفسه أو للناس .

فى هذه الصورة - من حيث الصناعة النحوية - يمكن أن يكون الوصف من المبتدأ الذى له مرفوع يغنى عن الخبر ، وتعرب الكلمتان (البخيل - الكريم) على أنهما فاعل سد مسد الخبر للوصفين (صديق - بغيض) .

ويمكن أن يكون الوصف خبراً مقدماً ، والاسم المرفوع بعده مبتدأ مؤخر ، فالخبر فى المثالين هو الوصف المقدم (صديق - بغيض) والاسم المرفوع هو المبتدأ المؤخر ، وهو فى المثالين (البخيل - الكريم) .

الصورة الثانية : التطابق فى غير الأفراد :

ما أصدقاءُ البخلاءُ لأنفسهم أو للناس .

ما بغيضانِ الكريمانِ لأنفسهما أو للناس .

فى هذه الصورة يتعين أن يكون الوصف خبراً مقدماً والاسم المرفوع مبتدأ مؤخر ، ولا يكون الوصف من المبتدأ الذى له مرفوع يغنى عن الخبر إذ يكون حينئذ فاعلاً به ، والوصف عاملاً له ، وعامل الفاعل لا يثنى ولا يجمع فى اللغة الفصحى ، ومن أجل ذلك يتعين هنا أن يكون الوصف خبراً مقدماً وهو فى المثالين (أصدقاء - بغيضان) والاسم المرفوع مبتدأ مؤخر ، وهو فى المثالين (البخلاء - الكريمان) .

الصورة الثالثة : عدم التطابق :

ما صديقُ البخلاءُ لأنفسهم أو للناس

ما بغيضُ الكرماءُ لأنفسهم أو للناس

ما أصدقاء الكريم لنفسه أو للناس {
 ما بغيضان البخيل لنفسه أو للناس { خطأ لغويًا

الذى جاء فى اللغة الفصحى فى عدم التطابق - أن يكون الوصف مفردا والمرفوع بعده مثنى أو جمعا - وحينئذ يتعين أن يكون الوصف مبتدأ ، والمرفوع بعده أغنى عن الخبر - وعلى ذلك فإن الوصفين (صديق - بغيض) فى المثالين مبتدأ ، وأما الكلمتان (البخلاء - الكرماء) فهما فاعل أغنى عن الخبر .

لكن لم يرد فى اللغة الفصحى العكس ، بأن يكون الوصف مثنى أو جمعا والمرفوع بعده مفرد ، فلم تستعمل اللغة ذلك ، والحديث به خطأ ، استنادا لرفض الاستعمال فى اللغة .

والخلاصة فى هذا الموضوع كله ما يلى :

١ - إذا تطابق الوصف والمرفوع بعده فى الأفراد ، صح فى الوصف أن يكون مبتدأ والمرفوع بعده أغنى عن الخبر - كما يصح فيه أن يكون خبرا مقدما ، والمرفوع بعده مبتدأ مؤخر .

٢ - أما إذا تطابقا فى غير الأفراد ، تعين أن يكون الوصف خبرا مقدما والمرفوع مبتدأ مؤخرا .

٣ - وإذا لم يتطابقا - فيما استعملته الفصحى - تعين أن يكون الوصف مبتدأ والمرفوع بعده أغنى عن الخبر .

الترتيب فى جملة المبتدأ والخبر :

لاحظ الأمثلة الآتية :

{ بلادنا مزدحمة بالسكان
 وتلك مشكلة خطيرة لمواردنا { الترتيب على الأصل
 { مزدحمة بالسكان بلادنا
 {

{ مشكلة خطيرة تلك لمواردنا { الخبر مقدم على المبتدأ

الأصل أن تاتى الجملة الاسمية على الترتيب الأصلى - بأن يتقدم المبتدأ

ويتأخر الخبر - لكن اللغة الفصحى استخدمت فيها الجملة الاسمية كثيراً على غير الأصل ، إذ يتقدم الخبر على المبتدأ ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [الآية ٥ من سورة القدر] وقوله أيضاً : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَن لَّيْلٌ نَّسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ [الآية ٣٧ من سورة يس] وقول العرب : (منشوء من يشنؤك) ^(١) .

فالترتيب بين المبتدأ والخبر - فى استعمال الفصحى - ترتيب مطلق ، والذى يميز المبتدأ من الخبر ظروف الكلام ، تلك التى تعين المحكوم عليه من الحكم ، والأول هو المبتدأ - تقدم أم تأخر - والثانى هو الخبر - تقدم أيضاً أم تأخر . لكن هذا الإطلاق فى الترتيب بين الاثنين يصير مقيداً بتحديد موضع المبتدأ والخبر على التفصيل التالى :

أولاً : وجوب تقدم المبتدأ وتأخر الخبر :

وذلك ينحصر فى اتجاهين رئيسين :

(١) أن يكون الترتيب هو وسيلتنا الوحيدة لمعرفة المبتدأ والخبر ، بأن نتعرف على المبتدأ بأنه قد جاء أولاً - ونتعرف على الخبر بأنه قد جاء ثانياً . ولا دليل لدينا غير ذلك - حينئذ يجب تقدم المبتدأ وتأخر الخبر ؛ فإن الخبر لو تقدم ، لأدى إلى ارتباك فى تحديد وظائف الكلمات فى الجملة الاسمية أو إلى ارتباك آخر باختلاط الجملة الاسمية بالفعلية ، نقول : (الأصدقاء المخلصون) ، ويقول الرسول ﷺ : (الدِّينُ المعاملة) . فالكلمتان (الأصدقاء - الدين) مبتدآن ، والكلمتان (المخلصون - المعاملة) خبران ، ولو تقدم الخبر هنا لاختلط الأمر ، إذ يمكن أن تكون حينئذ الكلمتان الأخيرتان هما الخبر ، فيما لو قلت (المخلصون - الأصدقاء) أو قلت (المعاملة الدين) والمتكلم لا يريد ذلك .

وينطبق هذا نفسه على قولنا : (الحق ينتصر ، والباطل يندحر) إذ لو تقدم الخبر فقلنا (ينتصر الحق ، ويندحر الباطل) لأدى إلى اختلاط الجملة الاسمية بالفعلية ، والمتكلم يقصد الأولى لا الثانية .

فإذا تعين الخبر بسياق الكلام - بحيث يمكن التعرف عليه تقدم أم تأخر - حينئذ لا يلتزم فيه تحديد موضعه ، ومن ذلك الشواهد التالية :

(١) جاء فى القاموس : المنشوء : المبغض ولو كان جميلاً - وهذه الجملة تستعمل فى موقف

* قول الكميت :

كلامُ النبيين الهداةِ كلامنا وأفعالُ أهلِ الجاهليةِ نفعلُ ^(١)
* وقول حسان بن ثابت يهجو :

قبيلةُ أَلأمُ الأحياءِ أكرمُها وأغدرُ الناسَ بالجيرانِ وافيها ^(٢)
* العبارة المأثورة في قولهم : أبو يوسف أبو حنيفة ^(٣) .

(٢) أن يوجد في المبتدأ أو الخبر دليل لفظي يحدد موضع المبتدأ والخبر فيوجب هذا الدليل أن يأتي المبتدأ أولاً - أو يوجب هذا الدليل أن يأتي الخبر أخيراً ، فلنتأمل الأمثلة التالية :

ما غرضُ الدين من بيان الخير والشر !!	{ المبتدأ اسم استفهام (ما)
وأئى السبيلين أسلمُ للإنسان !!	{ (أئى) - فيجب تقدمه
لَلغرضِ سعادةُ الإنسان في الحياة	{ المبتدأ متصلة به لام
	{ الابتداء - فيجب تقدمه
فإنما الخيرُ سلامٌ وأمنٌ	{ الخبر وقع في أسلوب
وما الشرُّ إلاّ تعاسةٌ وضررٌ	{ القصر البلاغى بعد (إلا
	{ إنما) - فيجب تأخير

(١) معنى البيت : كلامنا طيب وفعلنا ردى ، نتكلم كلام النبيين ونفعل أفعال الجاهلية .
الشاهد في الشطر الأول ، فإن المبتدأ هو (كلامنا) والخبر (كلام النبيين) وكل منهما متعين من معنى الكلام ، لأن أصل الجملة (كلامنا كلام النبيين) ولذلك لا يلزم بينهما ترتيب ، وقد جاء الخبر مقدماً في البيت .

الإعراب : كلام : خبر مقدم مرفوع بالضممة - النبيين : مضاف إليه مجرور بالياء - الهداة : صفة للنبيين مجرور بالكسرة - كلامنا : « كلام » مبتدأ مؤخر مرفوع بالضممة ، وضمير المتكلمين مضاف إليه - أفعال : مفعول به مقدم منصوب بالفتحة - أهل : مضاف إلى « أفعال » مجرور بالكسرة - الجاهلية : مضاف إلى « أهل » مجرور بالكسرة - نفعل : فعل مضارع مرفوع بالضممة والفاعل ضمير مستتر تقديره « نحن » .

(٢) الشاهد في كلا الشطرين : إذ أن كلا من المبتدأ والخبر متعين ، إذ هو مفهوم من سياق الكلام ، والأصل (أكرمها أَلأمُ الأحياء) و(وافيها أغدر الناسَ بالجيران) فقدم الخبر على المبتدأ ، وهذا لا بأس به ما دام مفهومًا .

(٣) أبو يوسف : تلميذ أبى حنيفة ، وأبو حنيفة أستاذه .

الاستعمال العربى هو الذى حدد الترتيب هنا بأنه يجب أن يأتى على الأصل - المبتدأ أولاً والخبر ثانياً - ذلك أنه باستقراء هذا الاستعمال وجد أن أسماء الاستفهام - ومثلها الشرط - تأتى فى بداية الكلام ، فإذا كان المبتدأ واحداً منها وجب تقدمه ، وكذلك إذا اتصل بالمبتدأ « لام الابتداء » فإنه يأتى أولاً ، وهى متقدمة عليه - وهكذا ارتضى الأسلوب العربى - ويترتب على ذلك بداهة أن يتأخر الخبر .

وفى الجانب المقابل فإن الخبر إذا جاء فى أسلوب القصر « مقصوراً عليه » فإنه يجب تأخره ، ويترتب على ذلك بداهة أن يتقدم المبتدأ .

هذا ، وقد ورد على غير هذا الاتجاه بعض الشواهد ، وهى - فى رأى النحاة - شاذة ، وفى رأى أنها لغة الشعر الخاصة ، ومن ذلك :

* قول الكميت :

فيا رب هل إلا بك التصرُّ يُرتجى عليهم وهل إلا عليك المعوَّل (١)

* وقول الآخر :

خَالِي لَأَنْتَ وَمَنْ جَرِيْرُ خَالُهُ يَنْلُ الْعَلَاءَ وَيَكْرُمُ الْأَحْوَالَ (٢)

وخلاصة هذا الموضوع كله فى عبارة واحدة : (يتقدم المبتدأ أو يتأخر الخبر حتماً إذا كان هذا الترتيب وحده هو الذى يهديننا فى التعرف على المبتدأ والخبر - أو إذا كان فى الجملة دلائل لفظية تحدد موضع المبتدأ أولاً أو الخبر أخيراً) .

ثانياً : تقدم الخبر وتأخر المبتدأ :

لاحظ الأمثلة التالية :

أين العدالة فى الدنيا وكيف السبيل إليها ؟؟ { الخبر هنا اسم استفهام

(١) المعول : السند والملاذ .

الشاهد : فى الشطر الثانى (هل إلا عليك المعول) حيث قدم الخبر المحصور « يالا » وكان من الواجب تأخيره ، وذلك شاذ فيما يرى النحاة ، وهو - فى رأى - لغة الشعر وما تبيحه فى الرتبة .

الشاهد فى (على ألب) فإن لام الابتداء إنما تدخل على المبتدأ ويجب أن تكون معه فى بداية الكلام ، لكنه تأخر معها ، وهذا خلاف الأصل وقد دعا إليه لغة الشعر الخاصة .

{(أين - كيف) - ويجب

{ تقدمه .

فما في طبع البشر عموماً إلا الظلم ، وإنما { المبتدأ وقع في أسلوب

في بعضهم الخير { القصر البلاغى بعد (إلا

{ إنما) - فيجب تأخره .

ففى ظلم الإنسان لأخيه متعته { المبتدأ اشتمل على

وفى سيطرة القوى على الضعيف نفعه { ضمير يعود على شىء

{ فى الخبر

وقد قيل ، مع القوى حق وللضعيف ذلة { تقدم الخبر

{ سوغ الابتداء بالنكرة .

إنما يجب تقدم الخبر وتأخر المبتدأ إذا وجد فى الكلام دلائل لفظية تقتضى تقدم الخبر أو تقتضى تأخر المبتدأ ، وذلك بأن تحتم تلك الدلائل عكس الترتيب فى الجملة الاسمية - حينئذ لا يستعمل الخبر إلا مقدماً . وبداهة لابد أن يتأخر المبتدأ - تماماً كما كان الأمر فى تقدم المبتدأ وتأخر الخبر مع اختلاف الموقف فى صورتين .

فإذا كان الخبر اسم استفهام مثل (أين - كيف) فإنه يجب أن يذكر فى الكلام أولاً ، وبداهة أن المبتدأ يجب تأخره ، كما تقول : (أين الغاية قبل المذهب ؟) .

وإذا جاء المبتدأ والخبر فى أسلوب قصر بلاغى ، والمبتدأ « مقصور عليه » فى أحد الأسلوبين (ما وإلا - إنما) ففى هذه الحالة يجب تأخر المبتدأ . وبداهة أن الخبر يجب تقدمه ، كقولنا : (ما للبخيل إلا المهانة ، وإنما من عمله جزاؤه) .

كذلك إذا كان فى المبتدأ ضمير يعود على شىء فى الخبر ، حينئذ يجب

تأخير المبتدأ من أجل هذا الضمير ، لكى يتقدم نطقاً الخبر الذى يرجع الضمير إلى شىء فيه ، كما ورد من قول المجنون :

دعا المحرمون الله يستغفرونه بمكة يوماً أن تُمَحَّى ذنوبها
وناديت يا رباه ، أول سُؤْلَتِي لنفسي ليلى ثم أنت حسيبها
أهائلك إجلالاً وما بك قدرة على ، ولكن ملء عين حبيبها^(١)

ومن ذلك أيضًا ما سبق ذكره في مسوغات الابتداء بالنكرة ، إذ يكون خبرها ظرفاً أو جاراً ومجروراً مقدماً عليها .

تلك الأمور السابقة وغيرها من المسوغات - مما لم يذكر - يجمعها كلها عبارة واحدة هي : (يتقدم الخبر على المبتدأ حتماً إذا وجد في الجملة دلائل لفظية تحدّد موضع الخبر أولاً ، وموضع المبتدأ أخيراً) .

الحذف في الجملة الاسمية :

لاحظ النصوص الآتية للتعرف على المحذوف فيها من المبتدأ والخبر .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ ﴾ [الآية ١٤٠ من سورة البقرة] .

وقوله : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾ [الآية ١ من سورة النور] .

وقوله : ﴿ سَلِّمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴾ [الآية ٢٥ من سورة الذاريات] .

من كلام العرب : رمية من غير رام .

الأصل في الكلام العربي أن يكون مذكوراً ، ولا يصح حذفه ، فإن الحذف ضد الأصل - لكن من رأى النحاة الحذف ، وهذا يحدث في أبواب كثيرة - ستأتى - ومن هذه الأبواب باب المبتدأ والخبر ، فكل من المبتدأ والخبر قد يغيب عن الكلام إذا دل سياق الكلام وظروفه على الغائب دون وجوده ، فيعتبر كأنه موجود ذهنيّاً ، ليكمل هذا « العمل الذهني » الموجود الباقي منهما ، فتتم الجملة بالطرق المنطوق فعلاً ، والطرف المقدر ذهناً ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَكُلُّهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا ﴾ [الآية ٣٥ من سورة الرعد] أى (دائم) . وقول قيس بن الخطيم :

(١) استغفر الحجاج ربهم ، فسأله أن يمحو ذنوبهم ، أما أنا فقد سألته شيئاً آخر سألته « ليلى » وهذا كل ما طلبته لنفسي ، وما عداه تركته له - إن الحبيب يملأ عين الحبيب فيجله ويخضع له ؛ وأنا أجلك خضوعاً لا خوفاً ، فلا قدرة لك على إخافتى ، لكن لك جلال إخضاعى .

الشاهد : في (ملء عين حبيبها) حيث اتصل المبتدأ (حبيبها) بضمير يعود على الخبر (ملء عين) ولذلك تقدم الخبر ، وتاخر المبتدأ ؛ ليعود الضمير على شيء مذكور .

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلفٌ (١)

لكن قد ينقلب هذا الحذف أمراً لازماً فلا يمكن النطق بالمحذوف إطلاقاً - وهذا غريب؟؟ - ويشمل الحذف كلا من المبتدأ أو الخبر على التفصيل التالى :

أولاً : حذف المبتدأ وجوباً :

تكاد كتب النحو تتفق فى ذلك على أربعة مواضع مشهورة لهذا الحذف

هى :

(١) مع المخصوص بالمدح أو الذم - فى بعض الآراء - مثل (نعم الخُلُقُ الاستقامة وبئس الخُلُقُ الانحراف) وسيأتى تفصيله فى موضعه .

(٢) فى النعت المقطوع : كقولنا : (إن من شعراء العصر الحديث حافظاً شاعرٌ النيل) وسيأتى تفصيله فى موضعه أيضاً .

(٣) ما حكى أبو على الفارسي - رحمه الله - من قول العرب : (فى ذمّتى لأفعلن كذا) وتقديره (فى ذمّتى يمين) .

(٤) ما جاء فى لسان العرب من الشواهد التالية نثراً وشعراً :

* قول الله تعالى : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [الآية ١٨

من سورة يوسف] .

* قول منذر بن درهم الكلبي :

وأحدث عهدى من أئمة نظرة

على جانب العلياء إذ أنا واقفٌ

فقلت : حَتَّانَ !! ما أنى بك ها هنا ؟؟

أذو نسبٍ أم أنت بالحي عارفٌ

فقلت : أنا ذو حاجةٍ ومسلمٌ

فَضُمَّ عَلَيْنَا الْمَازِقُ الْمُتَضَايِفُ (٢)

(١) الرأى بيننا مختلف ا نحن راضون برأينا ، وأنت راض برأيك .

الشاهد : فى (نحن بما عندنا) فإن الخبر محذوف جوازا ؛ تقديره (نحن بما عندنا راضون) .

(٢) أحدث عهدى : بمعنى : آخر عهدى - حنان : العطف والشفقة - ضم علينا المازق =

فكلمة (حنان) فى البيت الثانى خبر لمبتدأ محذوف تقديره (شعورى حنان) .

* ما ورد من قول العرب : (سمع وطاعة) بمعنى (خلقى سمع وطاعة) .

ثانياً : حذف الخبر وجوبا :

تكاد كتب النحو تتفق أيضا على ذكر أربعة مواضع مشهورة لهذا الحذف
فلنلاحظ أولا الأمثلة التالية :

لولا المرض ما عرفت الصّحة .

وأيمئن الله ، إن الصّحة أغلى من كنوز الأرض .

ولذلك قيل عن السعادة العبارة : (الصّحة وراحة البال) .

فابتهاج المرء مِعافى واكتناؤه مريضاً .

هذه المواضع الأربعة التى يحذف فيها الخبر وجوبا هى :

(١) أن يكون المبتدأ بعد كلمة (لولا) كقولنا فى الدعاء : (اللهم لولا أنت
ما اهتدينا ، ولا تصدّقنا ولا صلّينا ، فأنزلنّ سكينَةً علينا) هذا هو الرأى المشهور ،
وفى المسألة كلام كثير لا حاجة إليه هنا .

(٢) أن يكون المبتدأ من الألفاظ التى تستخدم فى القسم فقط ، أو بتعبير
كتب النحو « نصّ فى اليمين » كقول الله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴾ [الآية ٧٢ من سورة الحجر] .

(٣) أن يتعاطف المبتدأ مع اسم آخر بواو تدل على المصاحبة - بمعنى مع -
ومن ذلك العبارة النحوية المشهورة (كلّ رجلٍ وضعته) .

(٤) ما ورد فى الأسلوب العربى من أمثال قول الرسول ﷺ : (أقرب ما
يكون العبدُ من ربه وهو ساجد) ^(١) - انظر الهامش .

= المتضايّف : « ضم » ضاق « المأزق » المكان الضيق « المتضايّف » المحاط بالحزن والهم ، فمعنى
العبارة : ضاق علينا المكان المحاط بالهم والأحزان .

يقول : آخر عهدى « بأيمىة » أننى ألقى عليها نظرة ، وتحادثنا ، قالت : إننى أشفق عليك ! لم
تقف هنا ؟ ألك نسب فى حين ، أم أنت من رواده العارفين به ؟ قلت : إن لى هنا حاجة هو أنت ،
وقد أتيت للتحية ، ثم لم نكثّر الحديث فقد ضاق بنا المكان المحاط بالعيون والأحزان .

الشاهد : فى (حنان) فإنه خبر لمبتدأ محذوف ، وتقدير الكلام (شعورى حنان).

نواسخ المبتدأ والخبر

تمهيد - معنى النسخ :

جاء فى قطر الندى : « النواسخ جمع ناسخ ، وهو فى اللغة من النسخ بمعنى الإزالة ، يقال : نسخت الشمس الظل : إذا أزالته ، وفى الاصلاح : ما يرفع حكم المبتدأ والخبر » . أ . ه .

ومن المعلوم أن المبتدأ والخبر وظيفتان نحويتان تشغلها عادة الأسماء - أو ما يقوم مقامها من الجمل أو شبه الجمل - وكل اسم يشغل إحدى هاتين الوظيفتين فإنه يأخذ شكلا خاصا هو علامات الرفع الأصلية أو الفرعية .

فلنلاحظ الأمثلة :

القارئُ الجادُّ إنسانٌ مستنيرٌ .

صار القارئُ الجادُّ إنساناً مستنيراً .

إنَّ القارئَ الجادَّ إنسانٌ مستنيرٌ .

علمتُ القارئَ الجادَّ إنساناً مستنيراً .

بملاحظة الأمثلة السابقة يتضح أن المبتدأ قد تتغير وظيفته ويبقى شكله وقد تتغير وظيفته وشكله كلاهما ، وأن الخبر يصدق عليه الكلام السابق نفسه ؛ إذ تتغير وظيفته فقط ويبقى شكله ، وقد تتغير وظيفته وشكله كلاهما .

= جاء فى « ابن عقيل » تفسير هذا الأسلوب بقوله : أن يكون المبتدأ مصدرا ، وبعده حال سدت مسد الخبر ، وهى لا تصلح أن تكون خبرا ، فيحذف الخبر وجوبا لسد الحال مسده ، مثل (ضربى زيدا قائما) ثم أضاف : والمضاف إلى هذا المصدر حكمه كالمصدر مثل (أتمَّ تبيينى الحق منوطا بالحكم) ويقدر الخبر المحذوف قبل الحال التى لا تصلح خبرا هكذا (إذ كان) للماضى و(إذا كان) للمستقبل . فتكون (إذ - أو - إذا) ظرفا هو الخبر المحذوف - وتعرب (كان) تامة ، وفيها ضمير مستتر هو الفاعل ، وهو صاحب الحال المذكورة .

إعراب جملة (ضربى زيدا قائما) « ضربى » مبدأ مرفوع بالضممة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم ، « وياء المتكلم » مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله - زيدا : مفعول به منصوب بالفتحة - قائما : حال سدت مسد الخبر ، والأصل (إذ كان قائما) .
حاول إذن إعراب الحديث الموجود فى الأصل بعد هذا الفهم .

من أجل ذلك فإنه يمكن أن يفهم ما جاء مختصرًا في عبارة « قطر الندى » من أن النسخ هو (ما يرفع حكم المبتدأ والخبر) بطريقة أكثر تفصيلاً ووضوحاً على النحو التالي :

النسخ : هو إزالة حكم المبتدأ والخبر من حيث « الوظيفة والشكل » كلاهما أو من حيث « الوظيفة » وحدها إذا دخل على الجملة أفعال أو حروف خاصة . والنواسخ على ذلك : هي تلك الأفعال الخاصة أو الحروف التي يتغير معها المبتدأ والخبر من حيث الوظيفة والشكل أو من حيث الوظيفة .

وهذه النواسخ هي الأبواب السبعة التالية :

- ١ - كان وأخواتها : كقولنا : (صار الصَّعبُ سهلاً) .
- ٢ - كاد وأخواتها : كقولنا : (كاد الصَّعبُ يهونُ) .
- ٣ - الحروف التي بمعنى « ليس » مثل (ما الصَّدِيقُ خائئاً) .
- ٤ - إنَّ وأخواتها : مثل (إنَّ الكذبَ قبيحٌ) .
- ٥ - لا : النافية للجنس : مثل (لا صدقَ قبيحٌ) .
- ٦ - ظن وأخواتها : مثل (علمتُ الصَّدقَ مُنجياً) .
- ٧ - أعلم وأرى وأخواتهما : مثل (أرَيْتُ الجاحدَ الدَّلِيلَ واضحاً) .

* * *

كان وأخواتها

- ١ - الأفعال التي ترفع الاسم وتنصب الخبر (عددها - شروطها - صورها) .
- ٢ - ترتيب الجملة مع هذه الأفعال .
- ٣ - معنى المصطلحين النحويين (التمام - النقصان) .
- ٤ - ما تختص به « كان » وحدها من الأحكام .
(أ) زيادتها حشواً في الكلام .
(ب) حذفها مع اسمها .
(ج) حذف نونها .

* * *

الصنف الأول من الأفعال النواسخ (كان وأخواتها) وللتعرف على هذه الأفعال تماماً ينبغي النظر إليها من نواح ثلاث ، هي على الترتيب (عددها - شروطها - صورها) .

عددها :

هي ثلاثة عشر فعلاً ، وإليك هذه الأفعال ومعانيها :

- ١ - كان : وهي لا تُصاف الاسم بالخبر في الماضي ، تقول : (كان الحفل رائعاً ، وكانت الليلة ممتعة) .
- ٢ - أمسى : لا تُصاف الاسم بالخبر مساءً ، تقول : (أمسى الجو منعشاً وأمسيت الرياح رخاءً) .
- ٣ - أصبح : وهي لا تُصاف الاسم بالخبر في الصباح ، تقول : (أصبح الضوء ساطعاً ، وأصبحت الرؤية واضحة) .
- ٤ - أضحى : وهي لا تُصاف الاسم بالخبر في وقت الضحى ، تقول : (أضحت الشمس متوهجةً وأضحى الجو حاراً) .
- ٥ - ظل : وهي لا تُصاف الاسم بالخبر طوال النهار ، تقول : (ظلَّ المؤمنُ صائماً) .

٦ - بات : وهى لا تُصاف الاسم بالخبر فى الليل ، تقول : (بات القَلْبُ مسَهَّدًا) أو (بات الشرطى ساهرا) .

٧ - صار : وهى لتحول الاسم إلى الخبر ، تقول : (صار المهمل مجتهدا وصار الكسول نشيطا) .

٨ - ليس : وهى تفيد نفى معنى الخبر عن الاسم ، تقول : (ليس الصدق مهلكا ، وليس الكذب منجيا) .

٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - الأفعال الأربعة (زال - برح - فتى - انفك) ومعناها دوام اتصاف الاسم بالخبر - تقول : (ما زالت اللغة العربية حية متجددة ، وما برح أهلها محافظين عليها ، وما انفك التفاهم بها ميسورا بين العرب جميعا) .

١٣ - دام : ومعناها بقى واستمر ، وتفيد فى جملتها دوام اتصاف اسمها بالخبر ما بقى كل منهما مرتبطا بالآخر ، تقول : (لن يُغلب العرب ما داموا متحدين) .

ذلك هو أصل الباب ، يتكون من هذه الأفعال الثلاثة عشر مع معانيها السابقة ، ولكن يتفرع على هذا الأصل السابق الأمران التاليان :

الأول : أن الأفعال الخمسة (كان - أمسى - أصبح - أضحى - ظل) تستعمل فى اللغة بمعنى (صار) أى أنها تفيد التحول والانتقال ، وهذا الاستعمال يطلق عليه فى اللغة اسم (التضمين) ومعناه أن يتحمل فعل له معنى خاص معنى فعل آخر ، وحيثُ حكمه ، ومن ذلك :

* قول الله تعالى : ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [الآية ١٩ - ٢٠ من سورة النبأ] .

* وقوله : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [الآية ٥٨ من سورة النحل] .

* قول الشاعر :

ثم أضحوا كأنهم ورقٌ جفَّ ف فألّوت به الصبا والدُّبورُ ^(١)

* قول النابغة :

أَمَسْتُ خَلَاءَ وَأَمَسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ ^(١)

الثاني : وردت أفعال أخرى - غير الأفعال السابقة التي هي أصل الباب - بمعنى الفعل (صار) أيضا عن طريق (التَّضْمِين) وهي - كما أوردها الأشموني عشرة أفعال (أَصَرَ - رَجَعَ - عَادَ - اسْتَحَالَ - قَعَدَ - حَارَ - ارْتَدَّ - تَحَوَّلَ - عَدَا - رَاحَ) فلنتأمل الشواهد التالية :

* قول الرسول ﷺ : (فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدَى كَفَّارًا ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) ^(٢) .

* قول الرسول ﷺ : (فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا) ^(٣) .

* قول الشاعر :

وَكَانَ مُضِلِّي مَنْ هُدَيْتَ بِرُشْدِهِ فَلِلَّهِ مُغْوٍ عَادَ بِالرُّشْدِ آمِرًا ^(٤)

* قول الشاعر :

= يقول : إن هؤلاء القوم هلكوا وتشتتوا كالورق الجاف الذي مزقته وبشرته الرياح .
الشاهد : في (أضحوا) فإنها في البيت بمعنى (صار) واسمها « واو الجماعة » وخبرها محذوف تقديره (مشتتين) .

(١) احتملوا : رحلوا - أخنى عليهم : أهلكهم - لبْد - بضم اللام : اسم نسر يقال إنه عاش طويلا .

الشاهد : في (أَمَسْتُ خَلَاءَ) فإن الفعل (أَمَسَى) بمعنى (صار) ومثله أيضا (أَمَسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا) .

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٨٠ .

(٣) اسم (استحالت) ضمير يعود على « الدلو » المذكورة في حديث طويل (صحيح البخاري ج

٥ ص ٦) .

(٤) صار المضل هاديا ، وهذا عجيب .. فقد انقلب المغوى مرشدا .

الشاهد (عاد بالرشد آمرا) فإن الفعل (عاد) بمعنى (صار) يرفع الاسم وينصب الخبر .

الإعراب : كان : فعل ماض ناقص يرفع الفعل (عاد) وينصب الخبر - مضلي : اسم كان مرفوع بالضممة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم ، وياء المتكلم مضاف إليه - من : اسم موصول خبر كان مبنى على السكون في محل نصب - هديت : هدى فعل ماضى مبنى على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك ، والضمير نائب فاعل - برشده : جار ومجرور ، والجملة كلها صلة الموصول - لله : جار ومجرور شبه جملة خبر مقدم - مغو : مبتدأ مؤخر مرفوع بضممة مقدرة على الياء المحذوفة تخفيفا وأصله (مغوى) - عاد : فعل ماض ناقص بمعنى « صار » يرفع المبتدأ وينصب الخبر ، واسمه ضمير مستتر تقديره « هو » - بالرشد : جار ومجرور - آمرا : خبر « الفعل عاد » منصوب بالفتحة .

إِنَّ الْعَدَاوَةَ تَسْتَحِيلُ مَوْدَّةً بتدَارِكِ الْهَفَوَاتِ بِالْحَسَنَاتِ (١)
* قول امرئ القيس :

وَبَدَّلْتُ قَرْحًا دَامِيًا بَعْدَ صَحَّةٍ لَعَلَّ مَنَائِيَا تَحَوَّلْنَ أَبُوسًا (٢)

وهذه الأفعال الأخيرة ليست موضوعة أصلاً لتكون من النواسخ ، وإنما تصير ناسخة إذا ورد استعمالها بمعنى الفعل (صار) أى أنها حين تتضمن معنى هذا الفعل ينسخ معها حكم المبتدأ والخبر ، فيرفع الأول وينصب الثانى .

شروطها :

لاحظ الأمثلة التالية :

- { كان العربُ - فى الجاهلية - جُهِالاً متفرقين
{ وصار الإسلامُ حضارتهم وقوتهم
{ وأصبحت لغةُ القرآنِ أسلوبهم ووحدتهم
{ ومازال الدينُ سَنَدًا قويا لأخلاقهم
{ وما برحت الفصحى وسيلةً صلتهم ثقافيا
{ واجتماعيا
{ وسيبقى العربُ أقوياء ماداموا محافظين
{ على دينهم ولُغَتهم
{ (ما) المصدرية الظرفية

(١) الشاهد : فى « تستحيل مودة » فإنه مضارع « استحال » بمعنى « صار » يرفع الاسم وينصب الخبر ، واسمه ضمير مستتر « مودة » خبره .

(٢) القرع : الجرح - المنايا : جمع « منية » وهى الموت - أبوس : جمع « بأساء » وهى الشدة والكرب .

يقول : لقد أصبت بالجروح الدامية بعد الصحة ، فأنا أموت ببطيئاً ، أموت كل يوم ، بسبب ما أنا فيه من شدة !!

الشاهد : فى « تحولن أبوسا » فإن الفعل « تحول » بمعنى « صار » يرفع المبتدأ وينصب الخبر ، واسمه نون النسوة ، وكلمة « أبوسا » خبره .

الأفعال الثلاثة عشر التي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر يمكن تصنيفها من حيث شروطها إلى الأنواع الثلاثة التالية :

الأول : ما لا يحتاج إلى شروط إطلاقاً ، وذلك ثمانية أفعال هي (كان - أمسى - أصبح - أضحى - ظل - بات - صار - ليس) تقول : (كان الطريق موحشاً ، وأمسى الغريب وحيداً) وتقول : (بات العاصي مسهّداً ، وصار ليله كئيباً) .

الثاني : ما يجب معه - حين يرفع الاسم وينصب الخبر - أن يتقدم عليه « نفى أو نهى أو استفهام إنكارى » وهو أربعة أفعال (زال - برح - فتى - انفك) .
* قال الله تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [الآية ١٨٨ من سورة هود] .

* قال الشاعر :

صَاحَ شَمْرٌ وَلَا تَزَلْ ذَاكِرَ الْمَوْتِ ، فَنَسِيَانُهُ ضَلَالٌ مَبِينٌ ^(١)

* قال ذو الرمة :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالٌ مُنْهَلًا بِجَرَعَائِكَ الْقَطَرُ ^(٢)

هذا .. والأصل فى النفى والنهى والاستفهام الذى يتقدم على هذه الأفعال أن يكون مذكوراً لفظاً ، لكن ربما وردت هذه الأفعال وبعدها الاسم مرفوع والخبر منصوب دون أن يتقدم عليها شيء من ذلك ، وحينئذ ينبغى أن يقدر معها النفى اطراداً للقاعدة ، وهذا قليل فى اللغة ، ومن هذا القليل :

(١) شمر : المقصود : اعمل بجهد .

الشاهد : فى (لا تزل ذاكر الموت) حيث تقدم على الفعل (تزل) النهى فرفع الاسم ونصب الخبر .

(٢) البلى : القدم والتهدم - جرعاء : الفضاء الرملى المنبسط - القطر : المطر .

يقول : إننى أدعو لحبيبتى « مى » بالسلامة والخير ، فلتسلم ديارها من عوادي الزمان ، ولينهل المطر عليها بالخير والخصب .

الشاهد : فى (لازال منهلاً بجرعائك القطر) فقد تقدم على الفعل « زال » الدعاء ولذلك رفع الاسم ونصب الخبر .

● قول الله تعالى :

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ - تقديره (لا تفتؤ) [الآية ٨٥ من

سورة يوسف] .

● قول خليفة بن نزار :

تنفكُ تسمعُ ما حييتَ بهالكِ حتى تكونه ^(١) - تقديره (لا تنفك) .

الثالث : ما يجب أن يتقدم عليه « ما » المصدرية الظرفية وهو الفعل « دام » كقول

الله تعالى : ﴿ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [الآية ٣١ من سورة مريم] .

صورها :

يقصد بذلك الصور الصرفية التي يمكن أن تأتي من هذه الأفعال وهذه الصور هي (الماضي - المضارع - الأمر - المصدر - اسم الفاعل) فمثلا الفعل (أصبح) يمكن أن يأتي منه (أصبح - يُصبح - أصبح - إصباح - مصبح) وكذلك (أمسى) يمكن أن يأتي منه (أمسى - يُمسي - أمس - إمساء - مُمسي) وهكذا .

وفائدة هذا الموضوع هنا : أن الصيغ التي تأتي من هذه الأفعال حكمها حكم الأفعال الماضية فيرفع الاسم معها ، وينصب الخبر .

وهذه الأفعال الثلاثة عشر - من حيث الصور التي تأتي منها - تنقسم إلى الأنواع الثلاثة التالية :

الأول : ما يتصرف تصرفا مطلقا ، إذ يأتي منه « الماضي والمضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل » وذلك سبعة أفعال هي (كان - أمسى - أصبح - أضحى - ظل - بات - صار) تقول : (راقب الطبيب المريض في بيّاته مُستريحا ، ووجده في النهار مُصبِحًا هادئا) وتقول : (كلّ مهملٍ صائرٌ إلى الضياع) . ومن ذلك قول الشاعر :

بيذلٍ وجِلْمٍ سادَ في قومه الفتى وكونك إِيّاه عليك يَسِيرُ ^(٢)

(١) الشاهد : في قوله (تنفك تسمع ما حييت) فإنه يقدر معها نفى محذوف أى (لا تنفك

تسمع ما حييت) .

(٢) الشاهد : في البيت (كونك إياه) فإن مصدر « كان » هو « كون » وضمير المخاطب

(الكاف) مضاف إليه اسمه ، وكلمة (ياه) خبره .

وقول الآخر :

وما كلُّ من يُبدى البَشَاشَةَ كائنًا أخاك إذا لم تُلْفِه لك مُنْجِداً^(١)
 الثانى : ما يتصرف تصرفاً ناقصاً ، إذ يأتى منه « الماضى والمضارع واسم
 الفاعل » ولا يأتى منه « الأمر والمصدر » وهو أفعال الدوام والاستمرار (زال - برح
 - فتى - انفك) ومن ذلك ما ينسب إلى على عليه السلام : (ما يزال الرجل عالماً ما طلب
 العلم، فإذا ظنَّ أنه قد علم فقد جهل) ومن ذلك أيضاً قول الحسين بن مطير
 الأسدى :

قضى الله يا أسماءُ أنْ لستُ زائلاً
 أحبك حتى يُغِمِّضَ الجفنَ مُغِمِّضُ^(٢)

الثالث : ما لا يتصرف مطلقاً ، بل يبقى على ما هو عليه من الماضى وذلك
 الفعلان (ليس - باتفاق - دام - على الأصح) فلا يأتى منهما « مضارع ولا أمر
 ولا مصدر ولا اسم فاعل » وما ورد من استخدام اللغة من (دام) مثلاً (يدوم - دُم
 - دائم) فإنه - فيما رأى العلماء - من (دام) التامة ، لا من (دام) التى ترفع الاسم
 وتنصب الخبر .

ترتيب الجملة مع هذه الأفعال :

لاحظ الأمثلة التالية :

كان الضَّبابُ كثيفاً	{ الترتيب على الأصل
وصارتِ الرَّؤْيَةُ متَعَذِّرةً	{
كان كثيفاً الضَّبابُ	{ الخبر متوسط بين الفعل الناسخ والاسم
وصارت متَعَذِّرةً الرَّؤْيَةُ	{
كثيفاً كان الضَّبابُ	{ الخبر تقدم على الفعل الناسخ والاسم
متَعَذِّرةً صارتِ الرَّؤْيَةُ	{

(١) الشاهد : فى البيت (كائنًا أخاك) فإن اسم الفاعل من « كان » هو « كائن » واسمه ضمير
 مستتر ، وكلمة « أخاك » خبره منصوب بالألف .

(٢) الشاهد : (زائلاً أحبك) فإن (زائلاً) اسم الفاعل من (زال) واسمه ضمير مستتر تقديره « أنا »

الترتيب في جملة كان وأخواتها يأتي على الصور الثلاث الآتية :

الصورة الأولى : أن يكون الترتيب على الأصل ، فيأتي هكذا (الفعل الناسخ

+ الاسم + الخبر) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾ [الآية ١٤ من سورة الفتح] .

الصورة الثانية : أن يتوسط الخبر بين الفعل الناسخ والاسم ، فيأتي الترتيب

هكذا (الفعل الناسخ + الخبر + الاسم) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الآية ٤٧ من سورة الروم] .

* وقول السَّمُوعِل بن عادي :

سَلِي إِنَّ جَهْلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمْ فليس سواءَ عَالِمٍ وَجَهْلُولٍ ^(١)

* وقول الآخر :

لا طِيبَ لِلْعِيشِ مَا دَامَتْ مَنَغَصَةٌ لِدَاثُهُ بِادِّكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ ^(٢)

* وقول الآخر :

ما دام حافظٌ يَرَى من وثقتُ به فهو الذي لستُ عنه راغبًا أبداً ^(٣)

الصورة الثالثة : أن يتقدم الخبر على الناسخ ، وبذلك يكون الترتيب (الخبر

+ الفعل الناسخ + الاسم) تقول : (مَطْلَبًا كريما مازالتُ الحرِّيَّةُ وغُنْمًا كبيرًا يصبحُ الحصولُ عليها) .

هذا هو أصل الموضوع ، يصح في الخبر أن يتأخر ، ويمكن أن يأتي في

الكلام متوسطًا ، ويمكن أن يأتي متقدما على الفعل الناسخ نفسه .

(١) **الشاهد :** في (ليس سواء عالم وجهول) حيث توسط الخبر وهو (سواء) بين الفعل الناسخ

وهو (ليس) والاسم المؤخر وهو (عالم وجهول) .

(٢) **منغصة :** مكدره - ادكار : تذكر - الهرم - بفتح الهاء والراء - أقصى الكبر .

يقول : إن الحياة لا تصفو مادامت بتذكر الشيخوخة وما فيها من متاعب ، والموت وما فيه من

عدم .

الشاهد : في (مادامت منغصة لذاته) حيث توسط الخبر وهو كلمة (منغصة) بين الفعل الناسخ

(مادام) والاسم (لذاته) .

(٣) **يقول :** مادام من أثق به أهلا للثقة ، يحفظ السر ولا يفشيه ، فإنني سأبقىه صفيًا ونجيًا ، ولن

أعدل عنه إلى غيره .

الشاهد : في (مادام حافظ سري من وثقت به) فقد توسط الخبر (حافظ سري) بين الفعل الناسخ

(مادام) والاسم (من وثقت به) .

لكى ينبغي أن يؤخذ فى الاعتبار - مع هذا الأصل - الملاحظات الآتية :
أولاً : يمكن أن يتصور صورة رابعة مع هذه الصور الثلاث ، وهى تقدم الاسم على الناسخ ، إذ يقال فى (أصبح الجوُّ صحواً) (الجوُّ أصبح صحواً) .
وهذا أمر غير وارد هنا ، لأن الجملة كلها تصير اسمية مكونة من مبتدأ هو كلمة (الجو) والخبر هو الجملة الناسخة ، وقد جاءت مرتبة على الأصل ، فهى بهذا الاعتبار من الصورة الأولى .

ثانياً : لم يرد فى اللغة تقدم الخبر على الفعلين (ليس - دام) وهذا هو رأى جمهور النحاة - وفى المسألة حديث طويل لا حاجة إليه هنا .

ثالثاً : إذا كان خبر المبتدأ مما يجب أن يتأخر على المبتدأ ، أو مما يجب تقدمه على المبتدأ ، ثم دخل عليه الفعل الناسخ ، فإنه يبقى له موضعه فى الترتيب وجوباً ، فالكلام هنا إذن إنما هو عن المبتدأ والخبر اللذين يصح فيهما التقدم والتأخر .

رابعاً : هناك خلاف كثير متشعب حول ما إذا تقدم معمول الخبر - ويقصد به ما إذا كان الخبر فعلاً أو اسماً شبيهاً بالفعل وله مفعول ، فجاء حينئذ بعد الفعل الناسخ مباشرة ، مثل (بات الشرطى مؤدّياً واجبه) حيث يقال : (بات واجبه الشرطى مؤدّياً) والحق أن هذا الخلاف لا فائدة فيه ، وأن تأويلات النحاة للنصوص التى وردت عنه تأويلات متكلفّة - والذى أراه أن هذا الاستعمال يقبله الذوق اللغوى وبخاصة فى الشعر ، وأنه قد ورد فى نصوص صحيحة لا داعى لإجهادها ذهنياً بالتأويل المتكلف ، ومن ذلك :

* قول الشاعر :

باتت فؤادى ذات الخال سالبة

فالعيش - إن حمّ لى - عيش من العجب^(١)

(١) الخال : كما جاء فى القاموس - شامة فى البدن - حم لى : قدر لى .

يقول : إن هذه المرأة الجميلة - ذات الخال - استولت على قلبى وأخذته فكيف أعيش دون

قلب ، لو حدث هذا لكان من العجب !!

الشاهد : فى (باتت فؤادى ذات الخال سالبة) وأصل الجملة (باتت ذات الخال سالبة فؤادى)

فكلمة (فؤادى) مفعول به لاسم الفاعل (سالبة) وقد تقدم المفعول به فجاء بعد الفعل الناسخ مباشرة .

* قول الآخر :

لئن كان سلمى الشيب بالصد مغرباً لقد هَوَّنَ الشَّلَوَانِ عنها التَّحَلُّمَ (١)

التَّمَام والتَّقْصَان :

لاحظ الأمثلة التالية :

كان الإسلام مغلوباً في أول الدعوة
ثم صار المسلمون أقوياءً أعزّاء
فأصبح الدين بهم غالباً عزيزاً
في الحديث : « كان الله ولا شيء معه فخلق
السموات والأرض »
وتقول : نمثُ حتى أضحيتُ
وتقول : تأخرتُ في الطريق حتى أمسيتُ

الأفعال الناسخة ناقصة
الأفعال الناسخة تامة

يلاحظ أن الأفعال (كان - صار - أصبح) في مجموعة الأمثلة الأولى احتاجت الجملة التي وردت فيها إلى اسم مرفوع بعدها ، ثم إلى اسم منصوب ولم يتم معناها إلا بوجود هذا الأخير ، وهو في الأمثلة السابقة (مغلوباً - أقوياء - غالباً) على التوالي .

أما المجموعة الثانية من الأفعال وهي (كان - أضحى - أمسى) فقد ورد بعدها اسم مرفوع فاعل بها ، واكتفت به ، ولم تحتج إلى الاسم المنصوب . وهذا الاسم المرفوع في الأمثلة هو على التوالي (الله) في المثال الأول ، وضمير المتكلم في المثالين الآخرين .

وعلى ذلك يمكن فهم المصطلحين النحويين (النقصان - التمام) بما يلي :

(١) الصد : الإعراض والمنع - التحلم : تكلف الحلم والهدوء ، والمقصود التعقل .

يقول : إن الشيب صفاء وقيد ، إن كان قد أغرى - « سلمى » بالصد والإعراض فإنه قدم لي التعقل الذي عاونتي في تحمل صدها والسلو عنها .

الشاهد : في (كان سلمى الشيب بالصد مغرباً) فأصل الجملة (إن كان الشيب مغرباً سلمى

بالصد) فكلمة «سلمى» مفعول به واسم الفاعل (مغرباً) وقد تقدم المفعول ، فجاء بعد الفعل الناسخ مباشرة .

النقصان : عدم اكتفاء الفعل بالاسم المرفوع بعده ، بل يبقى المعنى ناقصا محتاجا إلى الإكمال ، حتى يأتي الاسم المنصوب ، فتكمل الجملة ، ويكون معناها تعليق الخبر على المبتدأ بواسطة الفعل الناقص ، أو بعبارة أخرى : نسبة الخبر للاسم بواسطة الفعل الناقص ، كقول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الآية ٣٧ من سورة الإسراء] . وقوله : ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴾ [الآية ٦ من سورة الواقعة] .

والأفعال الناقصة هي التي تنسخ المبتدأ والخبر ، فترفع الأول ، وتنصب الثاني ، وهي هدف الدراسة في باب « كان وأخواتها » .

التمام : معناه اكتفاء الفعل بالاسم المرفوع بعده فيتم المعنى تماما دون حاجة إلى المنصوب ، وهذا المعنى التام يحدده الأسلوب الذي ورد فيه كقول الله تعالى : ﴿ فَسَبَّحَنَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الآية ١٧ من سورة الروم] وقوله : ﴿ خَلْدَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [الآية ١٠٧ من سورة هود] وكما جاء في الحديث : (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) وقول امرئ القيس :

تطاول ليلك بالإثمد وبات الخليلي ولم تَرْقُدِ
وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العائر الأرمَدِ^(١)

والأفعال التامة لا علاقة لها بنسخ المبتدأ والخبر ، بل هي أفعال عادية والمرفوع بعدها فاعل تتم به الجملة .

هذا ، وجميع أفعال هذا الباب « الثلاثة عشر » تستعمل ناقصة وتامة - بالفهم السابق - ما عدا ثلاثة أفعال هي (ليس - زال - فتى) فلا تستعمل إلا ناقصة فقط .

(١) الإثمد : اسم موضع - الخلى : الخالى من الهموم - العائر : القذى فى العين - الأرمَد : المصاب بالرمد .

يقول عن نفسه : لقد قضيت ليلة مكربة « بالإثمد » كما يقضيها صاحب العين الوجيعه المقداة ، فنطاول على الليل وامتد ، ونام خلى النفس وسهرت .

ما تختص به (كان) دون أخواتها :

تفردت (كان) وحدها - دون أفعال الباب - بورودها في اللغة باستعمالات خاصة هي :

(أ) زيادتها في الكلام .

(ب) حذفها مع اسمها .

(ج) حذف نونها .

وكل واحد من الثلاثة في حاجة إلى تفصيل القول معه .

زيادة (كان) في الكلام :

لاحظ الأمثلة الآتية :

ما كان أروع ظهور الإسلام وما كان أسرع انتشاره { زائدة بين « ما » وفعل { التعجب

ويوم ظهر الإسلام ارتفع - كان - صوت العدل { زائدة بين الفعل والفاعل

بعد أن عاش الناس في ظلام - كان - دامي { زائدة بين الموصوف والصفة

لفهم هذا الموضوع ينبغي الإحاطة بالأمور الثلاثة الآتية :

(أ) المقصود بزيادتها في الكلام .

(ب) الصيغة التي ترد عليها حين الزيادة .

(ج) المواضع التي تزداد فيها .

جاء في قطر الندى : « ولا نعى بزيادتها أنها لم تدل على معنى ألبتة ، بل إنها لم يؤت بها للإسناد » . اهـ .

ومن هذا الكلام المرکز نفهم زيادة (كان) بالصفتين التاليتين :

الأول : أن المقصود بزيادتها أن تقع حشواً بين أمرين متلازمين فلا تحتاج إلى

مرفوع ولا إلى منصوب - فهي فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب .

الثانية : أنه ليس معنى الزيادة أنها لا معنى لها في الكلام ، وإلا كان ذكرها

عبثاً ، بل إنها تعيد الكلام الدلالة على معنى المضى ، أي الدلالة على أن معنى

الجملة التي وردت فيها قد حدث في الماضي ، تقول متذكراً ظهور النتيجة :
(ما كان أشعد الناجحين بنجاحهم ، وما كان أزوع إشراق وجوههم) فمن البين
أن وجود (كان) في الجملتين صرف معناهما إلى المضى ، ولولا ذلك لكان
الكلام مطلقاً لا تحديد له من حيث الزمن .

أما الصيغة التي ترد عليها حين الزيادة فهي الماضي دون بقية الصيغ الأخرى
التي جاءت من الماضي كالمضارع والأمر إلى آخره .

وقد وردت زيادتها بلفظ المضارع في الرجز التالي الذي ينسب إلى « أم
عقيل » ابن أبي طالب ترقص به ابنتها :

أَنْتَ - تَكُونُ - ماجدٌ نبيلُ
إذا تهبُّ شَمَالٌ بَلِيلُ
تُعْطِي رجالَ الحَيِّ أو تُنِيلُ^(١)

وهذا قد تفرد عن استعمال اللغة ، فهو - كما يرى النحاة - شاذ .

أما عن مواضع زيادتها فقد جاء في ابن عقيل ما يلي : « وذكر « ابن عصفور »
أنها تزداد بين الشيئين المتلازمين » اهـ . هكذا بهذا الإطلاق !!

ومن الأشياء المتلازمة أداة التعجب وفعل التعجب - الفعل ومرفوعه - الصلة
والموصول - الصفة والموصوف - الجار والمجرور - فأى اثنين من ذلك جميعه
وردت بينهما (كان) فإنها تكون حينئذ زائدة - وهذا الرأي أوجه الآراء التي دارت
حول هذا الموضوع - مما لا داعي لذكره هنا .

على أنه ينبغي أن يفهم أن المقصود « بالتلازم » هو وجود الصلات النحوية
بين الشيئين المتلازمين ، مما لا يترتب عليه بالضرورة وجودهما متواليين في
الكلام - فالفاعل والفاعل مثلاً متلازمان بهذا الاعتبار ، وإن لم يكن من اللازم
مجيئهما متواليين ، تقول مثلاً : (يستفيد العاقل من الأحداث) أو (يستفيد من
الأحداث العاقل) .

(١) شَمَال : لغة في الشمال ، والمقصود : ريح تهب من ناحية الشمال - بليل : رطبة .

الشاهد : في قولها (أنت تكون ماجد نبيل) فإن الفعل (تكون) زائد بين المبتدأ والخبر ، وجاءت
زيادته بلفظ المضارع ، مع أن المعروف عن زيادة « كان » أنها تأتي بلفظ الماضي .

ومما ورد من زيادتها الشواهد التالية :

● قول العرب : (ولدتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخُزْشُبِ الْأَنْمَارِيَّةُ الْكَمَلَةَ من بنى عَبَسَ : لم يُوجَدْ - كان - أفضلُ منهم) .

● قول الشاعر :

أبا خالِدٍ ما - كان - أذهى مصيبةً أصابتَ مَعْدًا يومَ أصبحتَ ثَاوِيَا ^(١)

● قول الآخر :

سَرَاةُ بَنِي أَبِي بَكْرِ تَسَامِي عَلَى - كان - الْمُسَوِّمَةِ الْعِرَابِ ^(٢)

● من الشواهد التي اختلف حولها الرأى قول الفرزدق :

فكيف إذا مررتَ بدارِ قومٍ وجيرانٍ لنا كانوا كَرَامِ ^(٣)

وتوضيح الرأى فى ذلك كما يلى :

(١) أن (كان) هنا ناقصة وليست زائدة ، لأنه لم يتحقق فيها صفة الزيادة من تجردها من الإسناد ، بل هى مسندة إلى واو الجماعة ، وبذلك تكون (واو الجماعة) اسمها والجار والمجرور (لنا) خبر مقدم - والجملة كلها صفة لكلمة (جيران) وجاءت بعدها صفة أخرى هى كلمة (كرام) - وهذا رأى وجيه .

(٢) أن (كان) هنا زائدة - مع إسنادها لواو الجماعة - بين الصفة والموصوف ، والذي يفهم من هذا الرأى أن الجار والمجرور (لنا) صفة لكلمة (جيران) وأن (كانوا) كلها زائدة مع إسنادها لواو الجماعة ، وكلمة (كرام) صفة أخرى - وهذا فيما أرى توجيه مرجوح .

(١) ثاويا : المقيم بالمكان إقامة طويلة ، ويطلق على الميت - والبيت فى الرثاء .

الشاهد : قوله : (ما كان أذهى مصيبة) حيث جاءت (كان) زائدة بين (ما) التعجبية وفعل التعجب .

(٢) سراة جمع « سرى » وهو الشريف النبيل - تسامى : تعلو وتركب - المسومة : التى لها علامة يعرف بها أصحابها - العراب : نوع من الخيول الأصيلة .

المعنى : إن هؤلاء الأشراف من « بنى بكر » فرسان يركبون خيولا أصيلة عربية خاصة بهم .
الشاهد : قوله (على كان المسومة العراب) حيث جاءت (كان) زائدة بين الجار والمجرور .

(٣) الشاهد فى البيت - كما هو موضح فى الأصل - أن (كان) ناقصة لا زائدة وأن جملة (كانوا لنا) فى محل جر صفة ، لأن (كان) أسندت لواو الجماعة - ورأى آخر أن (كانوا) كلها زائدة مع إسنادها لواو الجماعة ، والجار والمجرور (لنا) صفة .

حذف « كان » مع اسمها :

لاحظ الأمثلة الآتية :

{ حذفَت كان واسمها تتوالى الحروبُ فى الدنيا إنَّ حقًّا وإنَّ باطلا
{ بعد « إنَّ » ويذكر المتحاربون دائماً أسبابا لحربهم إنَّ
صدقًا وإنَّ كذبًا

{ حذفَت كان واسمها وفى بعض الظروف تصير الحربُ ضرورةً ولو صعبةً
{ بعد « لو » ففى سبيل الحرِّيَّةِ يهونُ ما يُبذلُ ولو أرواحًا

باستقراء الأساليب العربية وجد أن « كان واسمها » يحذفان من الكلام إذا تقدم عليهما إحدى أداتى الشرط (إنَّ - لَوْ) ففى المثال الأول (تتوالى الحروب فى الدنيا إنَّ حقًّا وإنَّ باطلا) تقدير الكلام (إنَّ كانت الحروب حقًا وإنَّ كانت الحروب باطلا) - وفى المثال الأخير (ففى سبيل الحرية يهون ما يبذل ولو أرواحا) تقدير الكلام (ولو كان المبذول أرواحا) .

وهذا الحذف - بعد هاتين الأداتين - جائز لا واجب ، بمعنى أنه يمكن أن تنطق الجملة كاملة دون حذف - وهذا هو الأصل - كما يمكن نطقها بالحذف وهذا خلاف الأصل ، فمثلا إذا قلنا : (تقبَّلُ النَّصِيحَ وَلَوْ مُرًّا) يمكن أن نقول : (تقبَّلُ النَّصِيحَ ولو كان النَّصِيحُ مُرًّا) .

وقد ورد من ذلك الشواهد التالية :

● قول الرسول ﷺ :

« لا يتمنى أحدكم الموتَ . إمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ ، وإمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ » ^(١) .

● قول الرسول ﷺ عن المهر فى الزَّواج :

« انظرْ ولو خاتمًا من حديد » ^(٢) .

● قول النعمان بن المنذر :

(١) البخارى ج ٩ ص ٨٤ .

قد قِيلَ ما قِيلَ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبًا فما اعتذارُكَ من قولٍ إذا قِيلَا (١)
 • قول الشاعر :

انطِقْ بِحَقٍّ وَإِنْ مُسْتَخْرِجًا إِحْنًا فَإِنَّ ذَا الْحَقِّ غَلَّابٌ وَإِنْ غُلْبًا (٢)
 • قول الآخر :

لا يَأْمَنُ الدَّهْرَ ذُو بَغْيٍ وَلَوْ مَلِكًا جنوده ضاق عنها السَّهْلُ والجبلُ (٣)
 هذا .. وقد أوردت كتب مسائل النحو صورة أخرى للحذف ، وهي حذف
 « كان » وحدها دون اسمها وخبرها .

قال ابن هشام بالنص : « وكثر ذلك بعد « أن » المصدرية في مثل (أما أنت
 منطلقًا انطلقت) أصله (انطلقتُ لأن كنتَ منطلقًا) ثم قدمت اللام وما بعدها على
 (انطلقت) للاختصاص ، ثم حذفت اللام للاختصار ، ثم حذفت (كان) لذلك ،
 فانفصل الضمير ، ثم زيدت (ما) للتعويض ، ثم أدغمت النون في الميم
 للتقارب » . ا.هـ

والحق أن هذا الكلام السابق - بما فيه من تقديم وتأخير وحذف وزيادة
 وإدغام - صناعة ذهنية مجهدة ، هدفها تسويق حذف (كان) في مثل هذا
 الأسلوب ، وإن كانت اللغة - وهي أسلوب التعبير السَّليْس - تبرأ تمامًا من تلك
 الصناعة النحوية .

(١) الشاهد : في قوله (إن صدقا وإن كذبا) حذف كان واسمها بعد « إن الشرطية » وتقدير
 الكلام (إن كان القول صدقا وإن كان القول كذبا) .
 (٢) الإحْن : جمع إحنة ، وهي الحقد والغضب .

يقول : قل الحق وإن أغضب الناس وأغاظهم منك ، فالحق قوى وأنت منتصر في النهاية وإن
 غلبت في البداية !!

الشاهد : في (وإن مستخرجا إحنا) إذ حذفت كان واسمها بعد « إن » والتقدير (وإن كنت
 مستخرجا إحنا) .
 (٣) البغى : الظلم والطغيان .

والذى أراه - إن لم يجانبني الصواب - أنه لا حذف فى هذا الأسلوب وإعرابه كالآتى :

أمّا : حرف شرط وتفصيل - أنت مبتدأ - منطلقا حال - انطلقت جملة فعلية فى محل رفع خبر ، والعائد محذوف تقديره (أمّا أنت منطلقا انطلقتُ مثلثك) .

وهذا الإعراب السابق يتوافق مع إعراب جملة (أمّا) فى كل صورها اللغوية ، فهو أمر لا جديد فيه ، ولكنه مريح من عناء التصور ذهنى المجهود للأسلوب الذى معنا .

حذف نون « كان » :

تحذف « نون كان » من الفعل تخفيفا إذا اجتمع لجملتها الصفات التالية :

(أ) أن تكون بلفظ المضارع (أكون - يكون - تكون - نكون) فلا تحذف نون الماضى ولا الأمر ولا غيرهما من الصيغ التى ترد منها .

(ب) أن يكون المضارع مجزوما - فلا تحذف إذن من المضارع المرفوع أو المنصوب .

(ج) أن يكون المضارع مجزوما بالسكون مثل (لم يكن) فإن كان من الأفعال الخمسة ، لا تحذف نون الفعل ، لأن جزمه - كما سبق - بغير السكون .

(د) أن يكون الحرف الذى يلى النون حرفا متحركا - فإن وليها ساكن لا تحذف نون الفعل .

(هـ) ألا يكون الفعل متصلا بضمير نصب متصل - فإن اتصل به هذا الضمير لا تحذف .

هذه الصفات المتعددة إذا اجتمعت فى جملة الفعل الناسخ (يكون) صح حذف نونه من الكلام ، وهو حذف جائز لا واجب ، فإنه يصح أيضا ذكرها . وقد اجتمعت كل هذه الصفات التى ذكرها قطر الندى فى عبارة واحدة هى : (وحذف نون مضارعها المجزوم بالسكون إن لم يلحقها ساكن ولا ضمير نصب متصل) .

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [الآية ٢٠ من سورة مريم] ، وقول علقمة :

ذهبت من الهجران في كل مذهبٍ ولم يك حقا كل هذا التجنب^(١)
ومنه قول المتنبي :

ومن يك ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ يجد مُرًا به الماء الزلّالاً^(٢)

* * *

(١) الشاهد : في (لم يك حقا كل هذا التجنب) حيث حذفت نون (يكن) تخفيفا ، لاستيفاء الشروط .

(٢) البيت حكمة تقال لكل شخص اضطبغت نظرتة للناس والأشياء صبغة خاصة ، فكل شيء أمامه خاضع لنظرتة ، تماما كصاحب الفم المريض المر يجد مذاق كل شيء مرا .
موضع التمثيل : في (من يك ذا فم مر مريض) حيث حذفت نون (يكن) لاستيفائها الشروط .

الحروف النافية الناسخة

ما - لا - لات

- (١) ما - فى لغة الحجازيين نثرا وشعرا (وصف جملتها = شروط عملها) .
 (٢) لا - فى لغة الحجازيين نثرا وشعرا (وصف جملتها = شروط عملها) .
 (٣) لات - فى اللغة المشتركة عامة نثرا وشعرا (وصف جملتها = شروط عملها) .

* * *

تمهيد :

الأصل فى الحروف الثلاثة (ما - لا - لات) - وبخاصة الأولين منها - أن تستعمل مع الجملة الفعلية والاسمية جميعا ، تقول : (لا يجبن قلبُ المؤمن وما يخافُ إلا الله) وتقول : (ما المؤمنُ جبانٌ ولا كبيرٌ عنده إلا الله) فإذا دخلت على الجملة الفعلية ، أفادت معنى النفى فقط دون تغيير فى وظائف كلماتها النحوية ، أما إذا دخلت على الجملة الاسمية - المبتدأ والخبر - اختلف الأمر إذ تتغير وظائف ركنيها برفع المبتدأ ونصب الخبر - كما هو واضح فى دراستنا هنا - أو نصب المبتدأ ورفع الخبر كما سيأتى فى « لا » النافية للجنس ، لكن هذا التغيير يحدث فى الجملة الاسمية مع هذه الحروف فى المناخ الآتى :

أولا : أنه نطق للفصحى فى لغة بعض القبائل دون البعض الآخر ، أو فى لغة القبائل جميعا .

ثانيا : أنه لا بد من توافر صفات خاصة - شروط - لتغيير جملة المبتدأ والخبر معها .

وإليك هذه الحروف الثلاثة مراعى فى عرض كل منها الجانبان السابقان :

ما : الحجازية :

{ نطق الحجازيين

ما المخلصُ مضاعفاً وإن تأخر جزاؤه

{ STUDENTS-HUB.com

وما الغشاقُ إلا ما تأخر عقابه

ما المخلص مضاع وإن تأخر جزاؤه {
وما الغشاش ناج وإن تأخر عقابه {
نطق التميميين {

اختلف العرب الفصحاء في نطق الفصحى حين تستعمل « ما » النافية مع الجملة الاسمية ، إذ نطقها أهل الحجاز بطريقة خاصة ، ونطقها بنو تميم بطريقة أخرى ، ونقل إلينا وصف كلا النطقين على التفصيل التالي :

أهل الحجاز : يرفعون الاسم بعدها وينصبون الخبر ، وبذلك تكون الجملة معها مماثلة تماما لها مع الفعل « ليس » فهي إذن حرف ناسخ يرفع بعدها الاسم ، وينصب الخبر ، كما أن « ليس » فعل ناسخ يرفع بعده الاسم وينصب الخبر ، ومن ذلك :

● قرأ الحجازيون الآيتين ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [الآية ٣١ من سورة يوسف] وكذلك ﴿ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾ [الآية ٢ من سورة المجادلة] برفع المبتدأ ونصب الخبر .

● قول الشاعر ينذر قومه بجيش مهاجم :

وأنا التذيرُ بحرةٍ مُسَوَّدةٍ تصلُ الجيوشُ إليكم أقوادها
أبناءؤها متكنفون أباهم حنقو الصدور ، وما هم أولادها^(١)

أما بنو تميم : فإنهم ييقون الجملة على ما كانت عليه قبل دخول (ما) فتبقى جملة من مبتدأ وخبر ، وكلاهما مرفوع ، والذي أفادته (ما) هو معنى النفي فقط ، وقد قرئت الآيتان السابقتان على لغتهم هكذا (ما هذا بشر) و(ما هن أمهاتهن) برفع الكلمتين (بشر - أمهات) التزامًا للغتهم في القراءة .

لكن أهل الحجاز لا ينطقون برفع الاسم ونصب الخبر إلا إذا استوفت الجملة صفات خاصة من أهمها ما يلي :

(١) التذير : الذي يخبر خبر السوء - حرة : أصلها الأرض ذات الحجارة السود ، ومن ذلك « حرة المدينة » والمقصود هنا : الكتيبة المغيرة لكثرة ما تحمل من الحديد - أقوادها : جماعاتها - أبناءؤها : فرسان الكتيبة - أباهم : قائدهم - حنقو الصدور : غاضبون .

يقول : إني أنذركم بكتيبة مسلحة ، رجالها جماعات كثيرة ، ملتفون حول قائدهم ، قد امتلأت صدورهم غيظًا منكم .

الشاهد : في (ما هم أولادها) حيث رفعت (ما) الاسم وهو الضمير المنفصل ، ونصبت الخبر

(١) أن يتقدم الاسم ويتأخر الخبر ، بأن تأتي الجملة بعدها على الترتيب الأصلي - كما هو واضح في الأمثلة السابقة - فإن تقدم الخبر على المبتدأ بعدها أهملت (ما) وأفادت النفي فقط ، ومن تقديم الخبر معها ما مرّ من قول العرب (ما مسيء من أعتب) وقول الشاعر :

وما تُحَذِلُ قَوْمِي فَأُخْضِعَ لِلصِّدَا وَلَكِنْ إِذَا أَدَعَوْهُمْ فَهُمْ هُمْ ^(١)

(٢) ألا يقترن الاسم بالحرف (إن : الزائدة) فإن جاء هذا الحرف مع الاسم أهملت (ما) وكانت حرف نفي فقط ، والجملة بعدها مبتدأ وخبر مرفوعان ، كقول الشاعر :

بَنَى عُذَانَةَ مَا إِنْ أَنْتُمْ ذَهَبْتُمْ وَلَا صَرِيفٌ وَلَكِنْ أَنْتُمْ الْخَزَفُ ^(٢)

(٣) ألا يقترن الخبر بالحرف (إلا) فإن اقترن به أهملت أيضا ، ورفع المبتدأ والخبر ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [الآية ١٤٤ من سورة آل عمران] .

هذا ، وهناك غير هذه الشروط - مما ذكره النحاة - فأوصلها بعضهم إلى ستة شروط - وكذلك هناك نقاش واستدراكات حول هذه الصفات الثلاث السابقة مما لا داعي لإيرادها هنا ، إذ كل ذلك جهد ذهني موضع أخذ وردّ لا غناء فيه ، ولا ضرر في تركه .

لا : في لغة الحجازيين :

جاء في ابن عقيل نصا : « أمّا (لا) فمذهب الحجازيين إعمالها عمل (ليس) ومذهب تميم إهمالها » . ا.هـ

ومعنى ذلك أن هذا الحرف (لا) الذي يفيد النفي نطقه العرب مع الجملة الاسمية على النحو التالي :

(١) الشاهد : في (ما حذل قومي) حيث تقدم الخبر على الاسم ، ولذلك عادت الجملة إلى باب المبتدأ والخبر ، وأفادت (ما) النفي فقط .

(٢) الصريف : الفضة الخالصة .

الشاهد : في (ما إن أنتم ذهب) حيث اقترن الاسم « إن » الزائدة ، ولذلك أهملت (ما) وعادت الجملة إلى باب المبتدأ والخبر .

أهل الحجاز : ينطقون معها المبتدأ مرفوعا ، والخبر منصوبا ، فتكون الجملة معها مثل (ليس) تماما ، تقول : (لا أحدٌ مفضلاً على أحدٍ أمام عدلِ الله) وتقول (لا المجدُ بعيداً عن تناوُلِ المجتهد ولا هو قريباً من يد المهمل) .

أما بنو تميم : فإنهم قد نطقوا المبتدأ معها مرفوعا ، وكذلك الخبر ، فهي لا تفيد إلا معنى النفي فقط ، والجملة بعدها على ما كانت عليه - مبتدأ وخبر مرفوعان - فينطق على لغتهم (لا أحدٌ مفضّلٌ على أحدٍ أمام عدلِ الله) وكذلك (لا المجدُ بعيدٌ عن تناول المجتهد ولا هو قريبٌ من يد المهمل) .

ولكن أهل الحجاز لا ينطقون برفع الاسم بعدها ونصب الخبر إلا إذا توافرت لجملتها الصفات التالية :

(١) أن يكون الترتيب في الجملة الاسمية بعدها وارداً على الأصل - المبتدأ أولاً والخبر ثانياً .

(٢) ألا يقترن الخبر بالحرف (إلا) .

وهي في هذين الشرطين تتفق مع ما ذكر للجملة التي فيها الحرف (ما) ، أما الشرط الثالث هناك وهو ألا يقترن الاسم (يأن : الزائدة) فلا موضع له هنا ، لأن اللغة الفصحى لم تستعمل ذلك مع (لا) .

(٣) هناك اتجاه بين النحاة من رأيه أن الاسم والخبر يجب أن يكونا نكرتين ، كقول الشاعر :

تعزّ فلا شيء على الأرضِ باقياً ولا ورزّ مما قضى الله واقياً^(١)

وهناك اتجاه آخر لا يقيد الاسم والخبر بتلك الصفة - أن يكونا نكرتين - فقد يأتيان معرفتين أو مختلفتين ، وهذا رأى له وجاهته التي يؤيدها الاستعمال ، ومن ذلك قول النابغة الجعدي :

بدتْ فِعْلَ ذى وُدٍّ فلما تبعثها تولّت وبقتْ حاجتى فى فؤاديا

(١) الوزر : جاء فى القاموس : هو الجبل المنيع وكل معقل والملجأ والمعتصم ا.هـ .

الشاهد : فى كلا الشطرين حيث جاء مع الحرف (لا) الاسم مرفوعا والخبر منصوبا ، فى الشطر

الأول الاسم (شيء) والخبر (باقيا) ، وفى الشطر الثانى الاسم (وزر) والخبر (واقيا) وكل من الاسم والخبر نكرتان - وهذا اتجاه للنحاة .

وَحَلَّتْ سَوَادَ الْقَلْبِ لَا أَنَا بَاغِيًا سواها ، ولا عن حبّها متراحيًا^(١)

لَاتٌ : فى اللغة المشتركة عامة :

لاحظ الأمثلة الآتية :

يندمُ الظالمُ يوم القيامة ولات حينَ ندمٍ .

وإنه ليأسفُ على ما فات ولات ساعةً أسفٍ .

ويحاولُ الاعتذارُ عن ظلمه ولات أوآنَ اعتذارٍ .

كلمة (لات) تفيد أيضًا النفي ، فهي مثل (لا) وإن كانت تختلف عنها فى أنه متصل بها التاء لتأنيث اللفظ أو المبالغة ، ومثلها فى ذلك (رُبَّتْ - ثُمَّتْ) .

وهذه الكلمة تستعمل فى الأساليب العربية التى تدل على الأسى والأسف لشيء فات أوأنه ولا يمكن إرجاعه ، فتفيد هذا المعنى السابق كله عن طريق نفي الزمن المضاف للحدث الذى فات أوأنه .

هذا هو معنى جملةتها التى ترد فيها فى النثر أو الشعر فى اللغة المشتركة لدى جميع قبائل العرب ، وحينئذ تكون جملةتها على الصفتين التاليتين :

(١) أنها تستخدم مع ثلاثة كلمات هى (الحين - الساعة - الأوان) غالباً ، وهذه الكلمات من ألفاظ الزمن ، وتكون معها مضافة للحدث الذى فات أوأنه .

(٢) هذه الكلمات الثلاث تكون منصوبة غالباً على أنها خبر (لات) والاسم محذوف - ويمكن أن تكون مرفوعة على أنها اسم (لات) والخبر محذوف ، والأول هو الأكثر فى الاستعمال .

« قال تعالى : ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [الآية ٣ من سورة ص] .

(١) يقول : قصتى إغراء ومنع وعذاب ، لقد أظهرت لى الود ، فاستجبت لها ، فتمنعت وأبقتنى فى لهفة ، فحبها عذاب مستعر !! لا أستطيع التخلص منه بتركها إلى غيرها ، ولا أستطيع تهدئته بوصلها .

الشاهد : فى (لا أنا باغيا) حيث عملت (لا) فرفعت الاسم ونصبت الخبر واسمها الضمير المنفصل (أنا) وخبرها (باغيا) واسمها معرفة ، وهذا اتجاه أختاره .

قرئت كلمة (حين) منصوبة ، فهي الخبر ، والاسم محذوف - وقرئت مرفوعة فهي الاسم والخبر محذوف .

* قول الشاعر :

نَدِمَ الْبُغَاةُ وَلَاتَ سَاعَةً مِّنْدَمٍ وَالْبَغِيُّ مَرْتَعٌ مُبْتَغِيهِ وَخَيْمٌ ^(١)

وردت الرواية بنصب كلمة (ساعة) على أنها الخبر ، والاسم محذوف .

* * *

(١) البغاة : جاء في القاموس « بغى عليه يبغي ، علا وظلم وعدل عن الحق واستطال وكذب » .
والبغاة : هم من يجمعون كل هذه الصفات الذميمة - مرتع : اسم مكان الرعى - وخيم : ضار
ردىء ، والمقصود أن نتائج البغي رديئة ضارة .

الشاهد : في (لات ساعة مندم) فإن اسم « لات » محذوف ، وخبرها كلمة « ساعة » وقد

والحق أن هذه الأفعال لا تنحصر في هذه المذكورة - لأن أفعال الشروع كثيرة ومنها مثلاً (بَدَأَ - شَرَعَ - اسْتَهَلَّ) الخ ، من كل ما يدل على الشروع والبدء في شيء ما ، فذكر هذه الأفعال الثلاثة عشرة لشهرتها وكثرة دورانها على الألسنة فقط .

أما من حيث التصرّف وعدمه فقد دار حوله حديث طويل - سواء من حيث تحديد الأفعال التي تتصرف أم كيفية تصرفها - وأهم ما يؤخذ من هذا الحديث الأمران الآتيان :

(أ) أن معظم أفعال هذا الباب تلتزم الماضي ، فهي أفعال جامدة لا تتصرف .

(ب) الفعلان (كاد - أوشك) يتصرفان تصرفاً ناقصاً ، فيأتى من الأول المضارع (يكاد) ويأتى من الثانى المضارع واسم الفاعل (يوشك - موشك) قال الله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيِّءُ ﴾ [الآية ٣٥ من سورة النور] ومن ذلك قول أمية بن أبى الصلت :

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فى بعض غُرَاتِهِ يُوَافِقُهَا (١)
وقول كثير عزة مشبهاً بإحدى الجوارى واسمها « غاضرة » :

فإنك موشك أن لا تراها وتعدّو دون « غَاضِرَة » العوادي (٢)
وقول أبى سهم الهذلى :

فموشكة أرضنا أن تعود خلاف الأنيس وُحوشًا يَبَابَا (٣)

(١) المنية : الموت - غراته : « الغرة » « الغفلة » والمقصود هنا : المفاجأة .
يقول : لا يغنى حذر من قدر ، فمن فر من الموت قد يلاقيه من حيث لا يتوقع .
الشاهد : استعمال المضارع من الفعل (أوشك) فجاء به (يوشك) وله ما للماضى مع الاسم والخبر .

(٢) العوادي : العوائق .
الشاهد : فى (موشك) حيث جاء اسم الفاعل من (أوشك) وله ما للماضى مع الاسم والخبر .
(٣) خلاف الأنيس - بعد الأنس - وحوشاً جمع « وحش » ويقال : أرض وحش : خالية - يباب : خراب .

الشاهد : فى (موشكة) إذ استعمل اسم الفاعل من (أوشك) فله فى الجملة ما للماضى مع الاسم والخبر ، فاسمها (أرضنا) وخبرها (جملة (أن تعود) .

المعاني التي ترد لها هذه الأفعال :

{	كاد الليل ينقضي	{	تفيد مقارنة الاسم للخبر
{	وأوشك الفجرُ يطلع	{	
{	عسى السحابُ أن يتكاثف	{	رجاء المتكلم تحقق الخبر
{	واخلولقت السماء أن تُمطر	{	
{	لقد تحقق الرجاء	{	
{	أخذت الرياح تشتدُّ	{	تفيد شروع الاسم في القيام بالخبر
{	وجعل المطرُ يهطلُ	{	

تنقسم أفعال هذا الباب باعتبار معانيها التي ترد لها إلى أنواع ثلاثة هي :

أفعال المقاربة : وهي ثلاثة (كاد - كرب - أوشك) .

وتفيد هذه الأفعال في جملتها مقارنة الاسم للخبر ، أى أن نسبة الخبر للاسم قريبة الحدوث وإن لم تحدث فعلا ، وأن وصول الاسم إلى معنى الخبر يدنو من التحقق ، ومن ذلك ما ينسب إلى عليّ عليه السلام : (كاد الفقرُ أن يكونَ كُفْرًا) .

أفعال الرجاء : وهي ثلاثة (عسى - حرى - اخلولق) .

وتفيد ترجى المتكلم تحقق الخبر للاسم ، فالرجاء إذن من المتكلم وإن كان المرجو هو تحقق الخبر للاسم - والرجاء يقصد به - كما يقال - طلب الأمر المحبوب الممكن الحدوث ، قال الله تعالى : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ [الآية ٥٢ من سورة المائدة] .

أفعال الشروع : وهي - كما ذكر ابن هشام - كثيرة ، ومن أشهرها (أنشأ - أخذ - جعل - طفق - علق - هلهل - هب) .

وتفيد هذه الأفعال شروع الاسم في القيام بالخبر ، أى بدء الاسم في إنجاز أمر من الأمور - عملا أو قولاً أو إحساسا - مما يدلّ عليه الخبر تقول : (أنشأ الشاعرُ ينشدُ شعره ، وأخذ الجمهورُ يُصغى إليه ، وهبَ يصفقُ له بعد النهاية) .

« (هلهل - هب) أغرب أفعال الشروع ، و (طفق) أشهرها ، وهي التي وقعت في التنزيل في قول الله تعالى : ﴿ وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا ﴾ [الآية ٢٢ من سورة الأعراف] وقوله : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [الآية ٣٣ من سورة ص] » . أ . ه .

وجاء فيه أيضًا : « ولا أعرف من ذكر (حرى) من النحويين غير « ابن مالك » وتوهم « أبو حيان » أنه وهم فيها ، وإنما هي (حرى) بالتنوين اسمًا لا فعلاً - وأبو حيان هو الواهم ، بل ذكرها أصحاب كتب الأفعال من اللغويين وأنشدوا عليها شعرا ، وهو قول الأعشى :

إِنْ يَقْلُ هُنَّ مِنْ بَنَى عَبْدَ شَمْسٍ فَحَرَّى أَنْ يَكُونَ ذَاكَ وَكَانَا . أ.هـ

ويتلخص مضمون هذا التعليق في أمور ثلاثة :

(١) أن الفعلين (هلهل - هب) فيهما غرابة ، ويبدو أن أساس هذه الغرابة هو الاستعمال ، فهما غير مستعملين بكثرة في معنى الشروع .

(٢) أن الفعل (طفق) بفتح الفاء وكسرهما - له شهرة يبدو أنها أيضًا ترجع إلى استعماله في الشروع ، مما أيده القرآن بوروده فيه مرتين .

(٣) أن الفعل (حرى) مختلف فيه بين الاسمية والفعلية ، والمرجح أنه فعل يفيد معنى الرجاء .

وصف الجملة التي ترد فيها هذه الأفعال :

كاد اليأس ينقلب إلى قنوط .

وأوشك الصبر أن يتحول إلى جزع .

وعسى الله أن يتدارك الأمر بحكمته .

(كاد وأخوتها) أفعال ناسخة ناقصة ، يأتي الاسم بعدها مرفوعا والخبر منصوبا ، فهي تماثل (كان وأخوتها) في الصفتين السابقتين ، في أنها ناسخة ترفع الاسم وتنصب الخبر ، وأنها ناقصة لا تكتمل بالاسم المرفوع بعدها .

وقد كان من الممكن - ما دام الأمر كذلك - أن تدرس في موضع واحد مع

(كان وأخوتها) وهذا حق ، لكنها أفردت بباب مستقل نظرا لاختصاص خبرها بطريقة متفردة - سيأتي شرحها - ومن أجل ذلك درست وحدها ، فهي كما

يقول ابن هشام نصًّا : « ولولا اختصاص خبرها بأحكام ليست لكان وأخواتها ، لم تنفرد بباب على حدة » ا.هـ .

وتتكون الجملة التي ترد فيها هذه الأفعال مما يلي :

(أ) الفعل الناسخ ، سواء أكان من أفعال المقاربة أو الرجاء أو الشروع .
(ب) الاسم ، ويكون بعدها مرفوعا .

(ح) الخبر ، ولا بد أن تجتمع له صفات خاصة يجمعها كلها عبارة واحدة
هى :

(أن يكون جملة فعلية ، فعلها مضارع ؛ رافعًا لضمير الاسم السابق ، مقترنا
« بأن » أو مجردا منها) .

فالخبر مع هذه الأفعال الناسخة ذو صفات خمس هى على التوالى :

(١) جملة .

(٢) فعلية .

(٣) فعلها مضارع .

(٤) يرفع ضميرا يعود على الاسم .

(٥) يتقدم عليه (أن) أو يتجرد منها على التفصيل الذى سيأتى بعد ذلك فى
الفقرة التالية - كما يلاحظ تحقق ذلك فى كل الأمثلة السابقة .

هذا هو الأصل فى الخبر - ومع ذلك وردت بعض الشواهد التى لا تتحقق
فيها بعض الصفات السابقة ، فقد خرجت عن هذا الأصل ، فحكم عليها بالشذوذ
- ومن أهمها :

* قول العرب : (عسى العَوِيُّرُ أَيْوُسًا) - وهو مثل عربى يضرب لكل ما يخشى
منه الشر (١) .

* قول تأبط شرًّا :

(١) الغوير : تصغير (الغار) - والأبؤس جمع (بأس - أو - بؤس) وأصله أن قومًا كانوا فى غار ،

فَأَبْتُ إِلَى « فَهْمٍ » وما كدْتُ آثِبًا وكم مثلها فارقتها وهي تَصْفِرُ^(١)
 فالخبر في هذين الشاهدين مفرد ، وهو في المَثَل (أَبُوسَا) وفي البيت (آثِبَا) .
 * قول ابن عباس : « فجعل الرجلُ - إذا لم يستطع أن يخرج - أرسلَ رسولا » .
 فالخبر جملة فعلية فعلها ماض وهي (أرسل رسولا) .

* قول ذى الرُّمَّة :

وقفتُ على رُبْعٍ لِمَيَّةٍ ناقتى فمازلتُ أبكى عنده وأخاطبُهُ
 وأسقيه ، حتى كاد ممَّا أبُّهُ تكلمنى أحجاره وملاعِبُهُ^(٢)
 فالخبر جملة (تكلمنى أحجاره وملاعبه) وهي فعلية فعلها مضارع لكن لم
 يرفع ضمير الاسم السابق .

فهذه النصوص خرجت عن المسلك العام لصفات الخبر لأفعال هذا الباب ،
 لذلك حكم عليها - كما سبق - بالشذوذ .

اقتران الخبر « بَأْن » أو تجرده منها :

هذا الموضوع يتفرع عن الموضوع السابق مباشرة ، حيث يلتزم في خبر (كاد
 وأخواتها) صفات خاصة ، ومنها أنه قد يقترن بالحرف (أَنْ) أو يتجرد منها - وهنا
 بيان ذلك بالتفصيل الآتى :

(١) ما يصح اقتران خبره « بَأْن » أو تجرده منها ، والأفصح هو التجرد ،
 وذلك فعلا (كاد - كرب) وهما من أفعال المقاربة .

(١) أبت : عدت - فهم : اسم قبيلة الشاعر - كم مثلها : يقصد القبيلة التى كانت تطارده -
 وهى تصفر : تنحسر وتأسف .

يقول : لقد عدت لقييلتى « فهم » بعد أن أشرفت على الهلاك وعدم العودة وكثير من القبائل
 المطاردة فررت منها ، وتركها تنحسر وتأسف ؛ لأنها لم - تتمكن منى .
 الشاهد : فى (ما كدت آثِبَا) فقد جاء خبر « كاد » مفردا ، وهو كلمة « آثِبَا » وهذا خلاف
 الأصل ، فالأصل أن يكون جملة .

(٢) الربع : الدار - مية : اسم الحبيبة - أبته : أشكو له حزنى .

الشاهد : فى (كاد تكلمنى أحجاره وملاعبه) فإن خبر كاد جملة (تكلمنى أحجاره وملاعبه)
 وهى لا تحمل ضمير الاسم ، وهذا خلاف الأصل .

ومن الأفصح قول الله تعالى : ﴿ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [الآية ٧١ من سورة البقرة] ، وقول الشاعر :

كَرَبَ القلبُ من جَوَاهُ يذوبُ حين قال الوُشَاةُ : هُنْدُ غَضُوبُ ^(١)

ومن الأقل فصاحة ما ينسب إلى جبير بن مطعم : (كاد قلبي أن يطير)
وما نسب للإمام علي عليه السلام من قوله : (كاد الفقر أن يكون كفرا) .

(٢) ما يصح في خبره الاقتران بالحرف « أن » والتجرد منها ، والأفصح هو الاقتران ، وذلك فعلان (أوشك - عسى) - وأولهما من أفعال المقاربة والثاني من أفعال الرجاء .

ومن الأفصح في الاستعمال قول الله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ [الآية ٨ من سورة الإسراء] ، وقول الشاعر :

أيا مالِكٍ لا تسألُ النَّاسَ والتَّيْمِسُ بكفِّيكَ فضلَ الله ، والله أوسعُ
ولو سئِلَ النَّاسُ التُّرابَ لأوشكوا إذا قيل : هاتوا - أن يملؤا ويمنعوا ^(٢)

ومن الأقل فصاحة قول الشاعر :

عليك إذا ضاقت أمورك والتوت بصبر ، فإن الضيق مفتاحه الصبرُ
ولا يشكون إلا إلى الله وحده فَمِنْ عنده تأتي الفوائد واليسرُ
عسى فرج يأتي به الله إنَّه له كلَّ يومٍ في خَلِيقَتِهِ أمرٌ ^(٣)

(٣) ما يجب في خبره الاقتران « بأن » وذلك فعلان (حرى - أخلوق) وهما بقية أفعال الرجاء .

(١) الجوى : شدة الشوق - الوشاة : الساعون بين الناس بالإفساد .

الشاهد : (كرب القلب من جواه يذوب) فإن خبر « كرب » جملة (يذوب) ولم تقترن بالحرف (أن) وهذا هو الأفصح فيها .

(٢) لا تسأل الناس ، بل اسأل الله ، فالله كريم معطاء ، والناس حريصون بخلاء ، فلو سئلوا التراب لمنعوه .

الشاهد : في (أوشكوا أن يملوا ويمنعوا) فقد اقترن الخبر بالحرف (أن) وهذا هو الكثير في خبر « عسى » .

(٣) الصبر مفتاح الفرج ، ولا شكوى إلا لله . في هاتين العبارتين مضمون الأبيات الثلاثة .

الشاهد : في البيت الأخير (عسى فرج يأتي به الله) حيث جاء خبر (عسى) جملة فعلية (يأتي به الله) ولم تقترن بالحرف (أن) وهذا قليل في اللغة .

تقول : (حَرَى الرِّيحُ أَنْ تَهْب) ومن أمثلة سيبويه : (اخْلَوْلَقْتُ السَّمَاءَ أَنْ تُمَطِرَ) .

(٤) ما يجب في خبره أن يتجرد من « أَنْ » وذلك أفعال الشروع كلها ، سواء في ذلك ما ذكر منها هنا - في هذا الباب - أم ما لم يذكر - ومن ذلك قول الشاعر :

أَرَاكَ عَلِقْتَ تَظْلُمُ مِنْ أَجْرُنَا وَظُلْمُ الْجَارِ إِذْ لَأُ الْمَجِيرِ ^(١)

وقول الآخر :

هَبِثُ أَلَوْمُ الْقَلْبِ فِي طَاعَةِ الْهَوَى فَلَجَّ كَأَنِّي كُنْتُ بِاللَّوْمِ مُغْرِيَا ^(٢)

ما تختص به (عسى) من الأحكام :

تفردت كلمة (عسى) - دون أفعال الباب - ببعض المباحث الجانبية وهي ثلاثة :

(أ) نوع كلمتها (اسم - فعل - حرف) .

(ب) شكل وسطها حين اتصالها بضمائر الرفع المتحركة .

(ج) استعمالها تامة .

نوع كلمتها :

اختلف الرأى حول كلمة (عسى) من حيث اعتبارها فعلا أو حرفا على النحو

التالى :

أولا : هناك من يرى أنها حرف يدل على الرجاء ، مثلها تماما مثل (لعل) وقد استند هذا الرأى إلى أنها ينطبق عليها معنى الحروف ، حيث لا يظهر معناها إلا بانضمام غيرها إليها ، تماما مثل الحرف (لعل) .

(١) علقت : بدأت - أجرنا : حميناه .

الشاهد : فى (علقت تظلم) فإن الفعل (علق) من أفعال الشروع ، وخبره جملة فعلية (تظلم من أجرنا) وتجردت من (أن) .

(٢) لج : زاد فى الخصومة والعناد .

يقول : الهوى غلاب ، فحين لمت قلبى على هواه ، زاد فى عناده ومناه فكأننى لم أكن أنهاء ، بل أغويه .

الشاهد : فى (هبت ألوهم القلب) فإن (هب) من أفعال الشروع ، وقد جاء خبرها جملة فعلية فعلها مضارع مجرد من (أن) .

وعلى هذا رأى تكون الجملة الاسمية معها مثل (لعل) تماما ، حيث ينصب الاسم ويرفع الخبر ، والغالب فى الاسم أن يكون ضميرا متصلا منصوبا كقول صخر بن العود الحضرمي :

فقلت : عَسَاها نارُ كأسٍ وعلَّها تَشْكِي فأتى نحوها فأعوذها (١)

ثانيا : هناك من يرى أنها فعل يدل على الرجاء - وهذا هو الاتجاه الغالب ومستند هذا رأى أنها تقبل علامات الفعل الماضى (تاء الفاعل - تاء التأنيث) كقول الله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [الآية ٢٢ من سورة محمد] وتقول أيضا : (عست النتيجة أن تكون مفرحة) .

وعلى هذا الاتجاه تكون من باب (كاد وأخواتها) ويصدق عليها الأحكام التى تنطبق على هذا الباب مما سبق تفصيله .

وخلاصة الأمر : أنها تعتبر حرفا ، لأن دلالتها دلالة الحرف ، وهى حرف ترجى ينصب الاسم ويرفع الخبر - أو أنها تعتبر فعلا ، لأنها تقبل علامات الأفعال ، وهى فعل ناسخ ، يرفع الاسم وينصب الخبر - والأخير هو الاتجاه الغالب بين النحاة .

شكل وسطها :

حين ترد كلمة (عسى) مسندة لواحد من ضمائر الرفع المتحركة (التاء - النون - نا) فنقول : (عسيْتُ أن أنال أهدافى فى الحياة ، وعسينا أن نقدم للوطن ما يرجوه منا) فإن وسط الكلمة - السين فيها - يمكن أن تشكل بالفتح أو الكسر .

قال ابن عقيل : « يجوز كسر سينها - مع الضمائر المتحركة - وفتحها والفتح أشهر ، وقرأ نافع (فهل عسيتم إن توليتم) بكسر السين ، وقرأ الباقون بفتحها » . ا.هـ .

استعمالها تامة :

قال الله تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الآية ٢١٦ من سورة البقرة] .

(١) يرجو أن تكون النار لحبيته ، ويرجو رجاء غريبا ، أن تكون مريضة ليعودها فى مرضها .

الشاهد : فى (عساها نار كأس) فإن « عسى » بمعنى « لعل » وهى حرف مثلها تنصب الاسم وترفع الخبر ، واسمها ضمير الغائبة ، وخبرها « نار كأس » .

يستعمل الفعل (عسى) تاما ، ومعنى تمامه هنا - مثل كان - أن يستغنى بالمرفوع عن المنصوب ، والمرفوع الذى يستغنى به عن المنصوب هو المصدر المؤول من (أَنْ والفعل بعدها) حيث يكون هذا المصدر المؤول فاعلا لها .

ففى الآية الكريمة ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ - هنا الفعل (عسى) تام وفاعله هو المصدر المؤول من ﴿أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ - ومثلها تماما ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ .

وينبنى على ما تقدم من استعمال (عسى) ناقصة وتامة الصور الثلاث الآتية :

الصورة الأولى : لاحظ المثال الآتى :

عسى العدل أن يسود الأرض .

وتتكون هذه الصورة من : الفعل الناسخ + اسم ظاهر يليه + أَنْ المصدرية والفعل بعدها .

وفى هذه الصورة تكون ناقصة باتفاق ، والاسم الظاهر بعدها اسمها والجملة التالية له خبرها .

الصورة الثانية : لاحظ المثال الآتى :

الظالم عسى أن يُعاقَب من الله فى الدنيا .

وفى هذه الصورة يتقدم الاسم الظاهر على الفعل (عسى) ولك حينئذ من حيث الصناعة النحوية أن تعتبر الفعل (عسى) تاما أو ناقصا على النحو التالى :

(أ) يكون تاما ، ويكون المصدر المؤول بعده فاعلا به .

(ب) يكون ناقصا ، واسمه ضمير مستتر و« الفعل » خبره فى محل نصب وكلا هذين الاعتبارين مساوٍ للآخر فى صناعة النحو .

الصورة الثالثة : لاحظ المثال الآتى :

عسى أن يتمكن المظلوم من ظالمه .

وفى هذه الصورة يتأخر الاسم الظاهر عن (أَنْ والفعل) مع أنه هو المسند إليه

فى المعنى . ولك أيضا من حيث الصناعة أن تعتبر الفعل (عسى) تاما أو ناقصا على النحو التالى :

(أ) أن يكون تاما ، ويكون ما بعده على ما هو عليه (أن والفعل والفاعل) وتكون أن وما أدخلت عليه فاعل للفعل (عسى) .

(ب) أن يكون ناقصا ، ويكون ترتيب ما بعده على غير ما هو عليه ، بل ذلك على التقديم والتأخير ، حينئذ يعتبر الاسم الظاهر اسم (عسى) مؤخرا و«أن والفعل» خبرا مقدما على الاسم ، وكأنما الكلام (عسى المظلوم أن يتمكن من ظالمه) .

وفى هذه الصورة يترجح الاعتبار الأول على الثانى ، أى : اعتبار (عسى) تامة على اعتبارها ناقصة .

هذا ، والفرق بين الصورتين الثانية والثالثة يظهر حين يكون الاسم الظاهر - المتقدم أو المتأخر - مثنى أو جمعا أو مؤنثا - حينئذ يختلف الاستعمال بين الاعتبارين ، مما يمكن أن يدرّب المرء نفسه عليه فى أمثلة مختلفة - ولا داعى لإيراد نماذج منها هنا ، لئلا تتشعب المسألة ويضطرب أمرها .

* * *

إِنَّ وأخواتها

- (١) معاني الحروف الستة التي تنصب المبتدأ وترفع الخبر .
- (٢) ترتيب الجملة بعد هذه الحروف مع مقارنته بترتيبها مع « كان » .
- (٣) كُفُّها عن العمل وأثره في الإعراب ونوع الجملة بعدها .
- (٤) تخفيف النون المشددة للحروف الأربعة (إِنَّ - أَنْ - كَأَنَّ - لَكِنَّ) .
- (٥) ما تختص به « إِنَّ » من الأحكام .
- (أ) دخول لام الابتداء في جملتها .
- (ب) كسر همزتها وفتحها وجواز الأمرين .

معاني الحروف الستة :

ينبغي أولاً التنبيه إلى أن هذه الحروف الستة (إِنَّ - أَنْ - كَأَنَّ - لَكِنَّ - لَعَلَّ - لَعَلَّ) ينصب المبتدأ بعدها ويرفع الخبر ، وهي حروف لا أفعال ، كما جاء في الأثر : (إِنَّ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيْنٌ : وَجَهٌ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَّيِّنٌ) فالمبتدأ وهو كلمة (البر) منصوب بعد (إِنَّ) والخبر وهو كلمة (شئ) مرفوع بعدها .

والمعاني التي ترد لها هذه الحروف الستة هي :

(١) إِنَّ :

وتفيد التوكيد ، ومعناه توكيد نسبة الخبر للاسم ، حيث تفيد تثبيته في الذهن وتقويته ، ويعبر عنها المعربون بقولهم : (إِنَّ : حرف توكيد ناسخ ينصب الاسم ويرفع الخبر) تقول : (إِنَّ العدلَ أساسُ النظام ، وإنَّ الرحمةَ أساسُ التعاطف) .

(٢) أَنْ :

وتفيد تماماً ما تفيد (إِنَّ) المكسورة الهمزة ، فهي أيضاً للتوكيد ويعبر عنها في الإعراب (أَنْ : حرف توكيد ناسخ ، ينصب الاسم ويرفع الخبر) لكن لا بد أن يسبقها كلام ، تقول : (يساعدُ على النجاحُ أَنْ الهدفُ واضحٌ ، ويحققُ الهدفَ أَنْ العزيمةُ قويةٌ) .

(٣) كَأَنَّ :

وهي للتشبيه ، فتفيد تشبيه معنى الاسم بالخبر ، ويعبر عنها المعربون بقولهم :
(حرف تشبيه ناسخ ينصب الاسم ويرفع الخبر) تقول : (كَأَنَّ الْأَرْضَ كَرَةً)
أو (كَأَنَّ الضَّبَابَ سَحَابٌ) .

(٤) لَكِنَّ :

وتفيد الاستدراك ، ومعناه التعقيب على كلام سابق يرفع ما يتوهم ثبوته
أو نفيه ، تقول : (قد يكون الطريق شاقا ، لَكِنَّ الانتصارَ ممتع) .

(٥) لَيْتَ :

وتفيد التمني ، ومعناه : طلب الأمر المستحيل حدوثه أو المتعذر حصوله
عادة ، ويعبر عنها المعربون بقولهم : (ليت : حرف تمنٍ ناسخ ، ينصب المبتدأ
ويرفع الخبر) تقول : (ليت الإنسانُ يكشفُ غايته قبل طريقه) أو (ليت السَّلمُ يعُمُّ
الأرضَ) ، ومن ذلك قول أبي العتاهية :

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب^(١)

(٦) لَعَلَّ :

تفيد معنى التَّوَقُّع ، وقد يكون التوقع للأمر المحبوب ، فيسمى « الرجاء »
وهذا أكثر ما تستعمل له (لعل) وقد يكون التوقع للأمر المكروه فيسمى
« الإشفاق » ، وذلك كقول الفلاح : (لعلَّ المحصول وفيرٌ ، لكنَّ لعلَّ السَّعرَ
رخيصٌ) .

ترتيب الجملة بعد هذه الحروف :

{ الترتيب على الأصل - أسلوب صحيح	إِنَّ التَّعَفُّفَ ثَرَوَةً الْفَقِيرَ
{ الخبر متوسط - أسلوب خطأ	إِنَّ ثَرَوَةَ الْفَقِيرِ التَّعَفُّفَ
{ تقدم الخبر - أسلوب خطأ	ثَرَوَةُ الْفَقِيرِ إِنَّ التَّعَفُّفَ

(١) الشاهد في البيت : أن (ليت) أفادت التمني ، وهو طلب الأمر المستحيل فلن يعود الشباب

الأصل أن تجيء جملة المبتدأ والخبر بعد هذه الحروف على الترتيب الأصلي هكذا (الحرف الناسخ + الاسم + الخبر) فلا يصح توسط الخبر بين هذه الحروف وبين الاسم ، كما لا يصح أن يتقدم على الحروف الناسخة من باب أولى .

ولعل من الواضح هنا أن هناك فرقا بين ترتيب الجملة بعد هذه الحروف وبين ترتيبها مع « كان وأخواتها » فهنا لا يصح التصرف في الخبر بالتوسط أو التقدم ، بل يبقى دائما متأخرا عن الاسم ، أما مع « كان وأخواتها » فيصح التصرف فيه بالتوسط أو التقدم - كما سبق شرحه .

جاء في قطر الندى : « والفرق بينهما أن الأفعال أمكن في العمل من الحروف ، فكانت أحمل لأن يُتصرف في معمولها » . أ.هـ وهذا تعليل لا قيمة له في دراسة اللغة ، وإن كان يفيد في تثبيت الفكرة في الذهن ، لأن الأساس في كل ذلك هو استعمال اللغة نفسها .

لكن ، يستدرك على هذا ما إذا كان الخبر ظرفا أو جارا ومجرورا - شبه جملة - فإنه يصح حينئذ توسطه بين هذه الحروف وبين الاسم ، ومن ذلك العبارة المشهورة : (إِنَّ مِنَ الْبَيِّنَاتِ لَسُحْرًا ، وَإِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً) . وقول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الآيتان ٥ ، ٦ من سورة الشرح] وقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ [الآية ٢٦ من سورة النازعات] .

بل إن هذا الاستدراك يشمل أيضًا معمول الخبر - وذلك بأن يكون اسمًا يشبه الفعل وله مفعول - حيث يصح أيضا أن يتوسط بين هذه الحروف وبين الاسم والخبر ، ومن ذلك ما أورده سيبويه من قول الشاعر :

فلا تَلْحَنِي فِيهَا ، فَإِنَّ بِحَبِّهَا أَخَاكَ مَصَابُ الْقَلْبِ جَمٌّ بِلَابِلُهُ (١)

ففي هذا البيت اسم (إِنَّ) هو كلمة (أخاك) وخبرها (مصاب) والجار والمجرور (بحبها) معمول للخبر ، لأن الخبر اسم مفعول ، وهذا الجار والمجرور قد توسط بين هذا الحرف وبين الاسم والخبر .

(١) لا تلحنى : لا تؤنبنى - جم بلابله : كثير أحزانه ووساوسه واضطرابه .

الشاهد : في (إن بحبها أخاك مصاب القلب) وأصل الجملة (إن أخاك مصاب القلب بحبها)

كفّها عن العمل :

ينبغي أولاً التنبيه إلى أن هذه الحروف الناسخة ترد في الكلام العربى ولها مع جملتها الخاصيتان الآتيتان :

(أ) أنها تدخل على الجملة الاسمية لا الجملة الفعلية .

(ب) أن الاسم بعدها منصوب والخبر مرفوع .

تقول : (إن الاستقامة طريقُ النجاة ، وإن الانحراف طريقُ الهلاك ، فليت الناس يفهمون) ويتحقق في هذه العبارة ما سبق ذكره من خواصّ هذه الحروف .

ومعنى الكف عن العمل : وجود حاجز بين هذه الحروف وبين الجملة التي تليها ، يقف فاصلاً بينهما هو (ما : الزائدة) ويترتب على وجوده زوال الخاصيتين السابقتين في جملة هذه الحروف - حينئذ :

(أ) لا تختص بالجملة الاسمية ، بل يصح أن يأتي بعدها أيضاً الجملة الفعلية .

(ب) لا ينصب بعدها الاسم ولا يرفع الخبر ، بل تعود الجملة ثانية إلى أصلها « مبتدأ وخبر » تقول : (إنما الحقُّ قوةٌ من الله) وتقول (إنما يُحقُّ الله الحقَّ ويُبطلُ الباطل) ففي الجملة الأولى كفت (إن) بالحرف (ما) وبعدها جملة اسمية من باب المبتدأ والخبر ، وفي الجملة الثانية كفت (إنّ) بالحرف (ما) وبعدها جملة فعلية - ويطلق على الكلمتين معا (إنّما) عبارة نحوية هي (كافة ومكفوفة) . ومثل ذلك أيضاً أخواتها (أنّما - كأنّما - لكنّما - ليتما) .

* قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۚ ﴾ [الآية ١١١ من سورة الكهف] .

* وقال أيضاً عن المنافقين : ﴿ يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ [الآية ٦ من سورة الأنفال] .

هذا الحكم السابق ينطبق على كل هذه الحروف الناسخة ما عدا الحرف (ليت) .

جاء في قطر الندى : « ويستثنى منها (ليت) فإنها تكون باقية مع (ما) على

اختصاصها بالجملة الاسمية ، فلا يقال (ليتما قام زيد) فلذلك أبقوا عملها وأجازوا فيها الإهمال حملا على أخواتها» . أ.هـ .

* وقد جاء على ذلك قول النابغة الذبياني يصف امرأة بقوة البصر قالت :

ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فَقَدِ (١)

وقد ورد هذا البيت بروايتين لكلمة (الحمام) حيث شكلت بالضم أو الفتح ، فقد رواها الرواة مرفوعة ومنصوبة ، وتوجيه الروايتين نحويا كما يلي :

التوجيه الأول : أن الحرف (ليت) قد كفّ عن العمل بالحرف (ما) واسم الإشارة مبتدأ وكلمة (الحمام) بالرفع بدل منه - والجار والمجرور بعده خبر .

التوجيه الثاني : أن الحرف (ليت) لم يكف عن العمل بالحرف (ما) فاسم الإشارة بعده اسمه في محل نصب ، وكلمة (الحمام) بدل من المنصوب فهي منصوبة - والجار والمجرور خبر (ليت) - فكلتا الروايتين قد وردتا عن العلماء ، وكلا التوجيهين صحيح نحويا .

تخفيف النون المشددة لما جاءت في آخره :

الذى فى آخره النون المشددة أربعة أحرف هى (إَنَّ - أُنَّ - لَكُنَّ - كَأَنَّ) وتخفيف النون معناه : أن ينطق بها نون واحدة ساكنة ، فتصير هذه الحروف (إُنْ - أُنْ - لَكُنْ - كَأُنْ) .

على أنه يجب أن يراعى أن هذه الحروف يصدق عليها تلك الصفة - المخففة من الثقل - إذا وردت فى جملة يدل السياق على أنها كانت فى الأصل ثقيلة ، بحيث إذا قدر هذا الأصل ذهنيا - تشديد النون - كانت الجملة من باب النواسخ .

(١) أو نصفه - بمعنى : ونصفه - فقد : « قد يكفى » .

الأمنية التى تضمنها هذا البيت أن يكون لها هذا الحمام ونصفه مضافاً إلى حمامتها ، فيكفيها - وحدة البصر - فيما يقال - تمثلت فى أنها عرفت عدد الحمام وهو طائر ، وهو ٦٦ ، فقد تمتته ونصفه ٣٣ وحمامتها ، فيكمل العدد مائة .

الشاهد : فى (ليتما هذا الحمام) فقد رويت كلمة (الحمام) بالرفع على أن « ما » كافة ،

وبالنصب على أن « ما » زائدة فقط .

فمثلا قول الله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ﴾ [الآية ٢٠ من سورة الزمر]
فالحرف (أَنْ) هنا مخفف من الثقيل ، وأصله « أَنْ » ، إذ يتيح لنا التقدير الذهني
أن نقول إن الأصل « علم أنه سيكون منكم مرضى » وهذه جملة من باب النواسخ
ولا مراء - ثم خففت « أَنْ » فجاءت الكلمة كما وردت عليه في الآية .

أما إذا لم يصح هذا التقدير ، فإن هذه الحروف لا تكون مخففة من غيرها ،
بل تكون أصلية في استعمالها ، ولا علاقة للجملة معها يباب النواسخ بل يكون
الحرف (إِنْ) للشرط - والحرف (أَنْ) مصدرى ونصب للمضارع والحرف (لَكِنْ)
للعطف - أما (كَأَنَّ) فتكون مكونة من حرفين ، إحداهما الكاف والآخر (أَنْ) .

وخلاصة هذه الفكرة - قبل الحديث عن هذه الحروف - ما يلي :

(أ) أنها تكون مخففة من الثقيلة إذا صح تقدير جملة أصلية لها تكون هي
مشددة فيها ، والجملة من باب النواسخ .

(ب) إذا لم يصح هذا التقدير ، فإنها تكون أصلية في شكلها المخفف فلا
تكون من باب النواسخ ، بل لكل منها أبواب أخرى تنسب إليها كالشرط
أو نواصب المضارع أو العطف أو غيرها .

على أنه ينبغي أن نتذكر مرة أخرى أن الحروف الناسخة ذات خاصيتين مع
الجملة بعدها هما :

(١) أنها تدخل على الجملة الاسمية لا الفعلية .

(ب) أنها تنصب الاسم وترفع الخبر .

إذا عرف ذلك كله ، واستعملت الحروف الأربعة (إِنَّ - أَنْ - كَأَنَّ - لَكِنْ)
مخففة من الثقيلة - بتطبيق التصور الذهني السابق - فكيف تستعمل مع الجملة
التي وردت فيها من حيث بقاء الخاصيتين السابقتين أو تركهما؟؟ يجب أن نتناول
بالتفصيل هذه الحروف الأربعة المشددة النون حين تخفف مصطحبين معنا
التصور الذهني السابق ، وأيضا ما لها من خواص قبل التخفيف .

الحرف : إِنَّ :

• مراعاة الأصل قبل التخفيف ، فتبقى لها خواصّ الحروف الناسخة من دخولها على الجملة الاسمية ونصب الاسم ورفع الخبر .

• كما يصح أيضا صرف النظر عن هذا الأصل ، فتزول خواصها جميعاً فيصح حينئذ دخولها على كلتا الجملتين الفعلية والاسمية ، كما أنه لا ينصب بعدها الاسم ويرفع الخبر في الجملة الاسمية ، وتعرب (إن) على أنها حرف مهملة ، لا موضع له من الإعراب - فلنلاحظ الأمثلة .

{ إن قلب الإنسان موضع سرّه بعدها جملة اسمية - عاملة

{ إن لسانه لدليل على ما فى قلبه بعدها جملة اسمية - مهملة

{ ويوزن بهذين وإن كان لغافلاً عن ذلك بعدها جملة فعلية - مهملة

وتوضيح ما سبق أن الجملة التى ترد فيها (إن) المخففة تكون واحدة مما يلي :

(أ) تأتى مع جملة اسمية ، ويراعى أصلها المشدّد ، فينصب الاسم ويرفع الخبر - كما كان الأمر وهى مشددة - تقول : (إن الوقت ثمين جداً للجادين وإنه رخيص جداً للغافلين) - ويكون الدليل على أنها مخففة من الثقيلة نصب الاسم ورفع الخبر .

(ب) تأتى مع جملة اسمية ، ولا يراعى الأصل ، فتكون حرفاً مهماً لا محل له من الإعراب ، وحينئذ تعود الجملة الاسمية إلى أصلها - باب المبتدأ الخبر - ويدخل على خبر المبتدأ معها لام تسمى « اللام الفارقة » تكون هى الدليل فى الجملة على أنّ (إن) مخففة من الثقيلة ، فلا تختلط بغيرها من أنواعها الأخرى ، تقول : (إن النفس لأمارّة بالسوء ، وإن المؤمن لقادر على السيطرة عليها بالإرادة) .
(ج) تأتى مع جملة فعلية ؛ وهى حينئذ مهملة ، غاية الأمر أن هذه الجملة الفعلية بعدها غالباً ما تكون مصدرية بفعل ناسخ (كان وأخواتها - كاد وأخواتها - ظن وأخواتها) .

* قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ [الآية ١٤٣]

من سورة البقرة .

* وقال : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾

[الآية ١٠٢ من سورة الأعراف]

الحرف : أن :

أيقن المتهم أن الحكم في صالحه .

بعد ظنه أن لن يبرأ من التهمة الكاذبة .

تكون (أن) مخففة من الثقيلة في جملة لها الصفات الثلاث التالية مجتمعة :

(أ) أن يتقدم عليها ما يفيد اليقين أو الظن مثل (علم - أيقن - تأكد - ظن

- حسب - زعم) .

(ب) أن يكون اسمها ضمير الشأن محذوفا ، أي « الموضوع أو الحال

أو الشأن أو القصة » .

(ح) أن يكون الخبر جملة اسمية دعائية ، أو جملة فعلية ، وهذه الأخيرة

تصدر غالبا بأحد الأحرف (قد - السين - سوف - ما : النافية - لا : النافية -

لو) .

* قال الله تعالى : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الآية

١٠ من سورة يونس] .

* قال الشاعر :

واعلم ، فعلم المرء ينفعه أن سوف يأتي كل ما قُدِرَا ^(١)

هذا الكلام السابق هو الأصل في تخفيف (أن) وقد خرج عن هذا الأصل

بعض الشواهد أشهرها :

لقد علم الضيف والمُزْمِلُون إذا اغبرَّ أفقٌ وهبت شمَلا

بأنك ربيعٌ وغيثٌ مريعٌ وأنتك هناك تكونُ الثمَلا ^(٢)

(١) الشاهد : في (أن سوف يأتي كل ما قدرَا) فإن (أن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن

محذوف ، وخبرها الجملة الفعلية المصدرة بالحرف (سوف) وأصل الكلام (أنه سوف يأتي كل ما قدرَا) .

(٢) المرملون : المعدمون : الذين لا يجدون الطعام - الشمال : بفتح الشين وكسرهما : نوع من

الرياح - غيث مريع : مطر مخصب ينبت بعده الزرع - الشمال : الغياث .

تقول : لقد كنت في وقت الشدة والعوز تكرم الضيوف وتطعم المعدمين كأنك الربيع والمطر

المفيد خيرا وعطاء .

الشاهد : في (أنتك ربيع) حيث جاء اسم (أن) المخففة مذكورا ، وكان حقه أن يحذف ، وجاء

خبرها مفردا ، وكان حقه أن يكون جملة .

ففى البيت الثانى جاء الاسم ضميرًا مذكورًا فى (أنك) وكان الخبر مفردًا لا جملة ، وهو (ربيع) - وقد وصف ابن هشام هذا النص وأشباهه بأنها خارجة عن الأصل ، ووسمها أحيانًا بأنها ضرورة شعرية ، وأحيانًا أخرى بأنها نادرة الاستعمال .

الحرف : كأَنَّ :

يوم مات عمر ، خيَّم الصمْتُ على الناس كأَنَّ الحياةَ متوقِّفةٌ .

ثم انفجر الناس بالبكاء كأَنَّ لم يمضَ أحدٌ قبله .

جاء فى شذور الذهب : « وإذا كان الحرف المخفف « كأَنَّ » فيغلب لها ماوجب (لَأَنَّ) » . اهـ .

ومعنى ذلك أن الصفات التى ترد عليها جملتها هى غالبًا الصفات التى سبقت فى جملة « أَنَّ » ، وتوضيحها كما يلى :

(أ) أن يكون اسمها ضمير الشأن محذوفًا .

(ب) أن خبرها يكون أيضًا جملة اسمية أو فعلية ، فإذا جاء من النوع الأخير - الفعلية - تصدر الجملة أحد الحرفين (قد - لم) .

* قال الله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ ﴾ [الآية ٢٤ من سورة يونس] .

هذا هو الأصل فى الحرف (كأَنَّ) المخفف من (كأَنَّ) لكن خرج عن هذا الأصل بعض شواهد ورد فيها الاسم مذكورًا ، والخبر مفردًا لا جملة ، ومن أشهرها ما أنشده سيويه من قول الشاعر :

ويومًا تُؤافينا بوجهٍ مقسَّمٍ كأَنَّ ظبيةً تَعْطُو إلى وَارِقِ السَّلَمِ^(١)

فقد رويت كلمة (ظبية) فى هذا البيت بروايات ثلاث :

(١) بوجه مقسم : وجه وسيم جميل - تعطو : تمد عنقها - وارق السلم : شجر السلم المورق .

يقول : إنها تأتينا بوجه جميل وعنق طويل ، كأنها ظبية تمد عنقها لتأكل ورق السلم .
الشاهد : رويت كلمة « ظبية » بروايات ثلاث ، وهى موجهة بعد ذكر البيت .

الأولى : ينصب « ظبية » على أنها اسم « كأن » والخبر محذوف وكلمة « ظبية » قد ذكرت في الكلام ، فهي ليست ضمير شأن ، وهذا خارج عن الأصل .

الثانية : يرفع كلمة (ظبية) على أن تكون خبر (كأن) واسمها ضمير الشأن محذوف ، وإذا كانت خبرا ، فإنها ليست جملة بل مفردا - وهذا أيضا خارج عن الأصل .

الثالثة : بجزّ كلمة (ظبية) على اعتبار (أن) زائدة ، وكلمة (ظبية) مجرورة بالكاف .

الحرف : لكن :

حين يخفف هذا الحرف تنقطع علاقته بأصله (لكنّ) تماما ، ومعنى قطع علاقته بأصله زوال خواصّه التي كانت له وهو مشدد ، فلا يبقى اختصاصه بالجملة الاسمية ، بل يدخل على الجملتين الاسمية والفعلية ، وكذلك لا ينصب الاسم ولا يرفع الخبر في الجملة الاسمية ، بل تعود الجملة مرة أخرى إلى باب المبتدأ والخبر .

أما الحرف (لكنّ) المخفف ، فيكون حرف ابتداء غير ناسخ ، سواء أكان مع الجملة الفعلية أم الاسمية ، تقول : (الحياة غالية ، لكنّ تهوّن في سبيل الحرية) وتقول : (الحياة غالية ، لكنّ الهوان مذلة) .

ما تختص به (إنّ) من الأحكام :

اختصت (إنّ) من بين أخواتها بمسألتين مهمتين هما :

(أ) دخول لام الابتداء في جملتها .

(ب) كسر همزتها أو فتحها أو جواز الأمرين .

وإليك تفصيل القول في هاتين المسألتين :

لام الابتداء في جملة « إنّ » المكسورة :

لاحظ الأمثلة الآتية :

وإنَّ من الحِلْمِ لضعفًا فى مواطن أخرى .

فإنَّ الحِلْمَ لهو العفو عن مقدرة .

يلاحظ فى الأمثلة السابقة وجود لام فى كل مثال منها ، وذلك مع الكلمات

(لقوة - لضعفا - لهو) .

هذه اللام يطلق عليها علماء البلاغة (لام التوكيد) ويسمونها النحاة (لام ابتداء

- أو - اللام المرحلة) ولكل من هذه التسميات الثلاث توجيه وجيه .

فهى (لام التوكيد) لأنها تفيد تثبيت الجملة وتقويتها فى ذهن السامع وهى

تستخدم مع ضرب خاص من ضروب الخبر ، حيث يكون السامع منكرا وفى

حاجة إلى تثيب الخبر وتقويته له - وهذا معنى بلاغى سيفيدنا فيما نحن بصدد

نحويا .

وهى (لام ابتداء) الأصل فيها أن تدخل على المبتدأ ، فتأتى حينئذ فى بداية

الكلام ، تقول : (لَلْحِلْمِ قوَّةٌ فى بعض المواطن ، وَلَلتَّجَبُّرِ طغيانٌ فى بعضها

الآخر) ، فالأصل فيها أن تأتى مع المبتدأ كلمة (الحلم) وكذلك كلمة (التَّجَبُّرِ)

فإذا جاءت (إنَّ) مع العبارة السابقة ، نطق هكذا (إنَّ الحِلْمَ لقوَّةٌ فى بعض

المواطن ، وإنَّ التَّجَبُّرَ لطغيانٌ فى بعضها الآخر) وهذا يفسر السر فى تسميتها (لام

الابتداء) باعتبارها فى الأصل كانت فى المبتدأ .

وتسمى أيضا (اللام المرحلة) لأنها فى الأصل كانت مع المبتدأ وتفيد

التوكيد - كما سبق شرحه - فلما دخلت (إنَّ) عليها ، وهى أيضا تفيد التوكيد -

وكان من المكروه فى الاستعمال العربى اجتماع أمرين يفيدان التوكيد فى موضع

واحد - زحلت اللام عن موضعها إلى مواضع أخرى فى الجملة الاسمية مع (إنَّ)

أهمها ثلاثة :

(١) خبر (إنَّ) كقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعَقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴾ [آخر سورة الأنعام] .

(٢) اسم (إنَّ) إذا تقدم عليه الخبر - يتقدم إذا كان شبه جملة كما سبق -

ومن ذلك العبارة المشهورة : (إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة) .

(٣) ضمير الفصل الذى يأتى بين المبتدأ والخبر المعرفتين ، كقول الله

تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ [الآية ٧٢ من سورة آل عمران] .

همزة (إِنَّ) :

(أَنَّ) المفتوحة الهمزة من حروف المصادر ، بخلاف (إِنَّ) المكسورة الهمزة ، ومعنى أن الأولى من حروف المصادر - كما سبق في باب المبتدأ - أنه يمكن استخلاص مصدر منها ومن جملتها معا يطلق عليه (المصدر المؤول) - وهذا المصدر المؤول - المتخيل - يعتبر كأنه كلمة موجودة فعلا - وإن كان متخيلا - ويشغل الوظائف النحوية المختلفة ، إذ يأتي مبتدأ وخبرا وفعلا ومفعولا الخ - فلنلاحظ ما يلي من الأمثلة :

من سماتِ الجادّين أنَّهم صامتون عادة { المصدر المؤول تقديره

{ (صمَّتهم) وهو مبتدأ

إذ يُسعدُهم أنَّهم عامِلون لا قَوَّالون { المصدر المؤول تقديره

{ (عملُهم) وهو فاعل

إذا علم ذلك ، فإن الضابط الذي يعرف به شكل همزة (إَنَّ) من حيث الكسر أو الفتح أو جواز الأمرين تلخصه العبارة : (تفتح همزة « أَنْ » في الكلام إذا صح استخلاص مصدر منها ومن جملتها لشغل الوظائف النحوية المختلفة ، وتكسر الهمزة إذا لم يصح ذلك ، ويجوز الأمران إن صح التأويل وتركه) .

من هذا الكلام السابق فهم مجمل ومفيد لمعرفة الأسلوب الذي ترد فيه الهمزة مفتوحة أو مكسورة أو جائزة الفتح والكسر ، وهو بذلك - لمن يحسن تطبيقه - يغني عن حصر الفروع والجزئيات التي تندرج تحته ، مما يتعب الذهن ، ويشق على المبتدئ .

لكن ، قد فصلت كتب النحو ذكر مواضع الكسر أو الفتح أو جواز الأمرين تفصيلا واسعا (راجع - إن شئت - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك فقد وقى هذا الموضوع بإفاضة) ونحن هنا نختار أهم مواضع الفتح والكسر وجواز الأمرين ، بقصد المعاونة في توضيح الضابط العام السابق فقط .

١ - مواضع فتح الهمزة :

(١) أن يكون المصدر المؤول مبتدأ كقولنا : (من المفيد للإنسان أنه يتذكّر

وينسى) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ﴾ [الآية ٣٩ من سورة فصلت] .

(٢) أن يكون المصدر المؤول خبرا كقولنا : (إحساسُ الخيرِ أن الحياةَ مضيقٌ ، وإحساسُ الشر أن الكونَ ظلامٌ) .

(٣) أن يكون المصدر المؤول فاعلا ، كقولنا (يسهلُ صعبُ الأعمالِ أنها محبوبٌ ، ويهونُ التعبُ فيها أن هدفها شريفٌ) .

(٤) أن يكون المصدر المؤول نائب فاعل ، كما يجيء في كتب الحديث (رُوي أن الرسول قال كذا) وكقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ [الآية الأولى من سورة الجن] .

(٥) أن يكون المصدر المؤول مفعولا ، كقولك : (سمعتُ أن الخبرَ منشورٌ في الصحيفة ، وأنه خبرٌ مؤثرٌ للغاية) .

(٦) أن يكون المصدر المؤول مجرورا بالحروف أو الإضافة ، كقولنا : (لا يخاف المجاهد الموتَ مع أنه صعبُ المذاق ، فهو يموتُ على الحق لأنَّ غايته نبيلةٌ وحقٌّ) .

(ب) من مواضع كسر الهمزة :

(١) أن تقع في أول الكلام ، كقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الآية الأولى من سورة الفتح] .

وكذلك ما يأتي في أول جملة الصلة أو الصفة أو الحال أو جواب القسم مثل (ألا إنَّ الإنسانَ لجهولٌ حيث يهملُ أمرا إنَّه مفيدٌ له ، ويصنع ما إنَّه ضارٌّ به) . وكقولنا : (والله إن الدِّينَ لحقٌّ وإن هدفه سعادةُ النَّاسِ) .

فمن البين أن ما بعد الحرف (ألا) جملة جديدة ، وأن ما يقع في أول الصلة أو الصفة أو الحال أو القسم في أول جملة جديدة في ذاتها ، وإن كان لها علاقة بما قبلها - فهذا كله يصدق عليه أنه بداية كلام جديد ، فإذا جاءت (إن) في أوله كسرت همزتها .

(٢) أن تقع بعد الكلمتين (حيث - إذ) وهما كلمتان تضافان للجمل بعدهما ولا تضافان للمفردات ، فلا يصح إذن تقدير المصدر المفرد بعدهما ولذلك يجب

كسر همزة (إِنَّ) حين تليهما ، ليكون ما بعدهما جملة كاملة كقولنا : (من السذاجة أن تصطنع الحلم حيث إن الموقف جهل ، ومن المفيد اصطناع الحلم إذ إنه الخلق المطلوب) .

(٣) أن تقع بعد القول ، كقول الله تعالى على لسان إبراهيم : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾ [الآية ٩٩ من سورة الصافات] وكقوله على لسان عيسى في المهد : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴾ [الآيتان ٣٠ - ٣١ من سورة مريم] .

من مواضع جواز الأمرين :

يغلب ذلك بعد الأداتين الآتيتين :

١ - إذا « التي تفيد المفاجأة » كقولنا : (صحونا ذات صباح صيفا فإذا إِنَّ البرد شديد) فيجوز هنا نطق همزة « إِنَّ » مكسورة أو مفتوحة ، ومن ذلك ما أنشده سيويه قال : سمعت رجلا من العرب ينشد هذا البيت كما أخبرك به :
وكنْتُ أَرَىٰ زَيْدًا كَمَا قِيلَ سَيِّدًا إِذَا أَنَّهُ عَبْدُ الْقَفَا وَاللَّهَازِمِ ^(١)
حيث روى هذا البيت بفتح همزة « إِنَّ » وكسرها .

٢ - الفاء « التي تقع في جواب الشرط » كقولنا : (إن تحترم الزمن فإنك متحضر ، وإن تغفل عنه فإنك متخلف) حيث يصح في همزة « إِنَّ » في هذه العبارة الكسر والفتح ، ومما جاء بالوجهين - كما أورده ابن عقيل - قوله تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الآية ٥٢ من سورة الأنعام] قرئ (فإنه غفور رحيم) بالفتح والكسر للهمزة .

فكلا الوجهين جائز من الوجهة اللغوية - وجهة الاستعمال - حيث وردت النصوص مع هاتين الأداتين وبعدهما (إِنَّ) مفتوحة أو مكسورة .

(١) اللهازم : جمع « لهزمة » بكسر اللام والزاي - نهاية الحلق بجوار الصدر .

يقول : كنت أظن « زيدا » سيدا ، فإذا به عبد خسيس ، وضح ذلك من قفاه وحلقه ، إذ يصفع على الأول ، ويلكم في الثاني .

الشاهد : في (إذا أنه عبد القفا) حيث جاءت (إن) بعد (إذا الفجائية) فروی بفتح همزة (أن)

ووجهة الصناعة النحوية في ذلك أنه إذا كسرت الهمزة كانت الجملة تامة
ولا حديث بعدها - وإذا فتحت وجب أن تؤول بمصدر يكون مبتدأ وخبره
محذوف أو العكس .

* * *

لا : النافية للجنس

- ١ - معنى (نفي الجنس) مع الموازنة بين استعمالَي (لا) مع المبتدأ والخبر .
- ٢ - وصف الجملة التي ترد فيها = شروط عملها .
- ٣ - المقصود باسم « لا » (المفرد - المضاف - الشبيه بالمضاف) .
- ٤ - من المسائل المكملة لهذا الباب ما يلي :
 (أ) تكرار « لا » .
 (ب) كلمة (ألا) واستعمالها في اللغة .
 (ج) حذف خبر « لا » .

* * *

نفي الجنس ونفي الوحدة :

لا ذليلَ أهلٍ للحرية .

لا سفيةٌ مستحقٌّ للتكليف الاجتماعي .

لا نَمَامَ قاذِرٍ على كتمان الأسرار .

اسم « لا » لابد أن يكون نكرة - كما سيأتى - ومعنى ذلك أن معناه عام وشامل ، مثل (ذليل - سفية - نمام) فى الأمثلة السابقة .

ومعنى نفي الجنس أن الذى يستفاد من جملة (لا) كلها نفي معنى الخبر عن الاسم نفيًا شاملاً يستغرق جميع أفراد الاسم دون استثناء ، وبحيث لا تفيد إلا هذا المعنى السابق .

فالمثال الأول (لا ذليل أهل للحرية) يفهم منه نفي أهلية الحرية عمن يتصف بالذل فى أى صورة من صورهِ ، من ضعف لغاصب ، أو خنوع لمستبد ، أو استكانة لعادة سيئة متحكمة .

والمثال الثانى (لا سفية مستحق للتكليف الاجتماعى) يفهم منه نفي استحقاق التكليف الاجتماعى عن كل فرد يتصف بالسفاهة ، ومن ذلك سفاهة

القول وعدم المروءة والتصرف ، فكل هؤلاء يصل بهم السقوط إلى حد لا يستحقون معه معاملة سوية من العقلاء .

وهنا ينبغي التعرض لنقطة مهمة ، فقد مرّ علينا من قبل أن (لا) تأتي في جملة تماثل جملة الفعل (ليس) حيث يرفع الاسم وينصب الخبر فيها ، وهنا تأتي (لا) في جملة من نوع آخر حيث تماثل جملة (إن) فينصب فيها الاسم ويرفع الخبر - فما الفرق بين هاتين الصورتين؟؟

في البداية يجب أن يعلم أن كلتا هاتين الصورتين نطق عربي وارد ، فالفصحاء من العرب هم الذين نقل عنهم (لا شيء على الأرض باقيا) - برفع الأول ونصب الثاني - وقد نقل عنهم أيضًا ما يماثل (لا شيئًا على الأرض باقيا) بنصب الأول ورفع الثاني ، وإلى ذلك النطق العربي الفصيح - الذي اختلفت صورته - يعود الأمر في دراسة جملة (لا) مرتين في النواسخ ، ومن حقنا أن نستخدم هذه الصورة أو تلك إذا توافرت صفات استعمالها لدى العرب الفصحاء .

أما الموازنة بين هاتين الصورتين فيتجه الأمر فيها اتجاهين :

أحدهما : يعود لصورتى الجملتين ، والآخر : يعود لمعناهما ، على التوضيح التالي :

أولاً : في إحدى الصورتين يكون الاسم مرفوعاً والخبر منصوباً ، وفي الأخرى يكون الأمر بالعكس .

ثانياً : في صورة (لا) التي يرفع بعدها الاسم وينصب الخبر قد تفيد الجملة (نفي الجنس) أى نفي الخبر عن الاسم نفياً شاملاً ، كقولنا : (لا شيء على الأرض باقيا) ، وقد تفيد ما يسمى (نفي الوحدة) أى النفي القاصر على فرد أو مجموعة واحدة ، دون أن يشمل ذلك النفي أفراداً آخر أو مجموعات أخرى ، كقولنا : (لا كفّ واحدة مصفقة) أو قولنا : (من حسن الحظ أنه لا دولة حائزة للذرة وحدها) والذي يحدد واحداً من هذين سياق الكلام .

أما في صورة (لا) التي ينصب معها الاسم ويرفع الخبر فإنها تفيد نفي الجنس فقط ، ولا تحتل غير ذلك ، فإذا قلنا (لا شيئاً على الأرض باقيا) نفت بقاء أى شيء على الأرض ، ولا يحتمل أسلوبها غير ذلك .

فالفرق في المعنى باختصار : أن (لا) التي يرفع معها الاسم وينصب الخبر تحتمل نفى الجنس ونفى الوحدة ، والذي يحدد أحدهما أسلوب الكلام ، أما (لا) التي ينصب بعدها الاسم ويرفع الخبر فلا تفيد إلا نفى الجنس فقط ، ولا تستعمل في غير هذا الأسلوب .

جاء في ابن عقيل عن (لا : النافية للجنس) نصا : « والمراد بها (لا) التي قصد بها التنصيص على استغراق النفي للجنس كله - وإنما قلت (التنصيص) احترازا عن التي يقع الاسم بعدها مرفوعا ، نحو (لا رجلٌ قائما) فإنها ليست نصا في نفى الجنس ، إذ يحتمل نفى الواحد ونفى الجنس فبتقدير إرادة نفى الجنس لا يجوز (لا رجلٌ قائما بل رجلا) وبتقدير إرادة نفى الواحد يجوز (لا رجلٌ قائما بل رجلا) » . ا. هـ .

وصف الجملة التي ترد فيها :

جملة (لا : النافية للجنس) تحمل الصفات التالية مجتمعة :

- (أ) أن يتقدم الاسم ويتأخر الخبر - فيكون الترتيب بينهما أصليا .
- (ب) أن يكون كل من الاسم والخبر نكرتين - وهذا باتفاق النحاة .
- (ج) ألا يدخل عليها حرف جر - كقولنا : (المنافق بلا ضمير) .

فهذه الصفات متضامنة يجب أن تتحقق في الجملة التي يطلق عليها جملة (لا : النافية للجنس) والتي ينصب فيها الاسم ويرفع الخبر ، كقول مصطفى كامل : (لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس) وقولنا : (دعا الإسلام للعدل والمساواة ، فلا غنى مقدّم لجاهه ، ولا فقير مؤخر لبؤسه) .

اسم « لا » المفرد - المضاف - الشبيه بالمضاف :

لاحظ الأمثلة الآتية :

{ لا مهمل متفوق

{ ولا مهملين متفوقان

{ ولا مهملين متفوقون الاسم مفرد

{ لا مهمل واجب متفوق

ولا مقدّر مسئولية مخذول { الاسم مضاف
 لا مهملاً الواجب متفوق {
 ولا مقدّراً المسئولية مخذول { الاسم شبيه بالمضاف
 اسم (لا) يكون كما يلي :

المفرد - يقصد به - في هذا الباب - ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف ،
 وإن كان مثنى أو مجموعاً ، فهو هنا يقابل المضاف وشبيهه ، كما اعتبر في باب
 الخبر مقابلاً للجملة وشبه الجملة .

واسم (لا) المفرد مبني دائماً على ما ينصب به لو كان معرباً - وتفصيل هذا
 الكلام المجمع : أن اسم (لا) إن كان مفرداً أو جمع تكسير يبنى على الفتح ،
 كقولك : (لا قسوة في الإسلام ولا قساة بين المؤمنين) ، وإن كان مثنى أو جمع
 مذكر فإنه يبنى على الياء ، كقول الشاعر :

تعزّ فلا إلفين بالعيش مُتّعاً ولكن لؤزاد المنون تتابع^(١)

وإن كان جمع مؤنث سالماً يبنى على الكسر - ويصح فيه أيضاً البناء على
 الفتح - كقول سلامة بن جندل السعدي :

إنّ الشّباب الذي مجّد عواقبه فيه نلذّ ولا لذات للشّيب^(٢)

فقد روى البيت بكسر « لذات » وفتحته .

(١) تعزّ : العزاء هو الصبر والسلوان ، والتعزى : هو محاولة ذلك - إلفين : كل اثنين بينهما ألفة
 ومودة - المنون : الموت .

يقول : حاول الصبر والسلوان على من فقدت من الأعراء ، فكل حبيبين إلى افتراق ، والناس
 كلهم للموت .

الشاهد : في (لا إلفين بالعيش معاً) فإن اسم « لا » النافية للجنس كلمة (إلفين) وهو مبني على
 الياء ، وهو مفرد بمصطلح هذا الباب وإن كان مثنى صرفياً .

(٢) العواقب : الآثار والغايات ، والغايات تكون محمودة إذا كانت الأعمال محمودة .

يقول : إن تصرفات الشباب محمودة رائعة النتائج ، وفي الشباب المتعة ولا متعة للشيب .

الشاهد : في (لا لذات للشيب) فإن اسم « لا » كلمة (لذات) وهو جمع مؤنث سالم ، وقد

روى بكسر التاء وفتحها ، فهو مبني على الكسر أو الفتح ، وهو من نوع المفرد وإن كان جمع مؤنث
 سالماً من الوجهة الصرفية .

المضاف : وهو الاسم الذى ينضم إليه اسم آخر مجرور بعده يكمل به معناه يطلق عليه « المضاف إليه » - والمضاف إليه فى هذا الباب لا بد أن يكون نكرة فى الإضافة المعنوية ، لما سبق من قبل أن اسمها وخبرها لا بد أن يكونا نكرتين ، إذ لو كان المضاف إليه معرفة ، لتعرف المضاف أيضا وخرجت الجملة عن هذا الباب .

واسم (لا) المضاف معرب منصوب ، كقولنا : (لا أرض أحرارٍ مستباحةً ، ولا شرف كرامٍ مهانٍ) .

الشبيه بالمضاف : جاء فى ابن عقيل : « والمراد به كل اسم له تعلق بما بعده » . ا.هـ

ومعنى ذلك أن الشبيه بالمضاف ما يتم معناه بواسطة ما بعده - غير المضاف إليه - فلا يسمى مضافا لأنه لا يتحقق فيه صفات المضاف لفظا ، وليس فى قوته معنى ، ولكنه يشبهه فقط ، لحاجته لما يتم معناه مثله .

وحكم الشبيه بالمضاف أيضا أنه معرب ومنصوب ، كقولنا : (لا عزيزًا جائئبه مهانًا ، ولا صانعًا المعروف مضيّع ، ولا شفيقًا على الناس مكروهًا) فكل من الكلمات (عزيز - صانع - شفيق) فى العبارة السابقة يطلق عليه أنه « شبيه بالمضاف » إذ ارتبط بها ما بعدها ، فقد ارتبط بالأول (عزيز) كلمة (جائبه) وهى فاعل به - وقد ارتبط بالثانى (صانع) كلمة (المعروف) وهو مفعول به له - وارتبط بالثالث (شفيق) الجار والمجرور (على الناس) وهو متعلق به .

المسائل المكملة للباب :

وهى مجموعة مسائل فرعية تتعلق بهما الباب - بعد التصور العام لمباحثه الأساسية - وعددها ثلاث :

(أ) تكرار (لا) .

(ب) كلمة (ألا) واستعمالاتها فى اللغة .

(ج) حذف خبر « لا » .

تكرار (لا) :

تأتى (لا) مكررة على النحو التالى :

أولاً : إذا اختل شرط من شروطها التى يتحقق بها لجملتها أنها من هذا الباب بأن تقدم الخبر على الاسم ، أو كان أحدهما معرفة لا نكرة - حينئذ تهمل فتكون حرف نفى فقط ، وتعود الجملة بعدها لباب المبتدأ والخبر - وأيضا يجب تكرار (لا) مثل :

لا فى الجنة موت ولا ألم { تقدم الخبر - لا : مهملة مكررة

فلا الإنسان يفنى ولا النعيم يزول { الاسم معرفة - لا : مهملة مكررة

ثانيا : تتكرر (لا) مع استيفاء شروط جملتها التى تكون بها نافية للجنس - مثل قولنا : (لا حول ولا قوة إلا بالله) - وهذا تكرار جائز لا واجب .

وفى هذه الصورة الأخيرة - يفتح الباب واسعا للصناعة النحوية لتشكيل الاسم مع (لا) الأولى والمكررة ، بالتوضيح المختصر الآتى (من أراد المزيد من الصناعة ، فليراجع شرح الأسمونى - أوضح المسالك - شرح ابن عقيل) :

(١) فتح الاسمين - اسم (لا) الأولى واسم (لا) الثانية ، كقولنا : (لا حول ولا قوة إلا بالله) - و(لا) هنا نافية للجنس فيهما ، والاسم بعدها مبنى على الفتح .

(٢) رفع الاسمين - كقول الراعى الثميرى :

وما هجرتك حتى قلت معلنة لا ناقة لى فى هذا ولا جمل^(١)

و(لا) هنا مثل (ليس) ترفع الاسم وتنصب الخبر .

(٣) فتح الأول ورفع الثانى - كقول الشاعر :

هذا لعمركم الصغار بعينه لا أم لى إن كان ذاك ولا أب^(٢)

(١) لا ناقة لى فى هذا ولا جمل - مثل يقوله من لا يعنيه الأمر ، فينصرف عنه دون أن يدخل

نفسه فيه .

الشاهد : فى البيت (لا ناقة لى فى هذا ولا جمل) فقد تكررت « لا » والاسمان بعدها مرفوعان ، وتوجيه إعرابهما أن « لا » فيهما مثل « ليس » ورفع الاسمان بعدها - وفيه إعرابات أخر .

(٢) لعمركم : أسلوب للقسمة ، وهو مبتدأ وخبره محذوف وجوبا - الصغار : الأعمال الرخصة

الدينية .

و(لا) الأولى نافية للجنس ، والثانية مثل (ليس) .

(٤) رفع الأول وفتح الثانى - عكس السابق - كقول أمية بن أبى الصلت
يصف الجنة :

فلا لغو ولا تأثيم فيها وما فاهوا به أبداً مُقيماً^(١)

والأولى مثل (ليس) والثانية نافية للجنس .

(٥) فتح الأول ونصب الثانى مع تنوينه - كقول العباس بن مرداس :

لا نَسَبَ اليوم ولا خُلَّةً اتَّسع الخرقُ على الراقي^(٢)

والأولى نافية للجنس ، والثانية مهملة ، والاسم بعدها معطوف على محل
الأول ، ومحله النصب .

هذا مع ملاحظة أن الخبر فى أسلوب « لا » المكررة يكون واحداً فقط غالباً ،
ويوجه للأولى ، ويحذف من الباقي ، وهذا أحسن الآراء فيه .

استعمال (ألا) فى اللغة :

قال ابن مالك :

وأعطِ « لا » مع همزة استفهام ما تستحق دون الاستفهام

(لا) النافية للجنس إذا دخلت عليها همزة الاستفهام ، فإنه يبقى لها جميع
أحكام الباب . ومن ذلك قول الشاعر :

= **الشاهد :** فى الشطر الثانى (لا أم لى إن كان ذاك ولا أب) فقد تكررت « لا » والأول مشكل
بالفتح ، والثانى مرفوع ، فتعتبر « لا » الأولى نافية للجنس والثانية مثل « ليس » - وفيه إعرابات آخر .
(١) اللغو - كما جاء فى القاموس - السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره . التأثيم : مأخوذ من
الإثم ، وهو الذنب ، فهم لا يرتكبون الذنوب ولا ينسبون إليها .

الشاهد : فى الشطر الأول (لا لغو ولا تأثيم فيها) كررت « لا » والاسم الأول مرفوع ، والثانى
مفتوح ، وتوجيه الأول على أن « لا » مثل « ليس » ، والثانى على أن « لا » نافية للجنس - وفيه
إعرابات آخر .

(٢) الخلّة : المحبة والود - الراقي : الذى يصلح الثوب بسد الخروق .

الشاهد : فى الشطر الأول (لا نسب اليوم ولا خلّة) كررت « لا » والاسم الأول مفتوح ، والثانى

منصوب باعتبار « لا » الأولى نافية للجنس ؛ والاسم الثانى معطوف على محل الأول ، وهو فى محل
نصب - وفيه إعرابات آخر .

أَلَا عُمْرٌ وَلِيَّ مُسْتَطَاعٍ رَجُوعُهُ فَيُرَآبُ مَا أَثَّاتُ يَدُ الْغَفَلَاتِ (١)
ومن البين أن (ألا) هنا مكونة من كلمتين هما : همزة الاستفهام - لا : النافية للجنس .

لكن ، قد تستعمل (ألا) في اللغة كلمة واحدة ، وذلك في موضعين :
الأول : أن يقصد بها التنبيه والاستفتاح وتدخل حينئذ على الجملتين الفعلية والاسمية ، كقول الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الآية ٦٢ من سورة يونس] .

الثاني : أن يقصد بها الدعوة إلى فعل شيء ما ، فإن كانت هذه الدعوة برفق سمي ذلك (العرض) وإن كانت الدعوة بشدة يسمى ذلك (التحضيض) ولا تدخل حينئذ إلا على الجملة الفعلية ، كقول الله تعالى : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [الآية ٢٢ من سورة النور] وقول الوالد لابنه : (ألا تكف عن الإهمال فتذاكر دروسك) .

ومن الواضح أن (ألا) في هذين الموضعين لا علاقة لها بهذا الباب فهي حرف (استفتاح ، أو عرض ، أو تحضيض) .

حذف خبر « لا » :

من العبارات الشائعة التي تستخدم بيننا كثيرا (لا بُدَّ - لا محالة - لا شك - لا بأس - لا ضير) والخبر في كل هذه العبارات محذوف جوازا ويفهم من سياق الكلام ، فالخبر يحذف اختصارا إذا كان معلوما ، ومن هذا قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ [الآية ٥٠ من سورة الشعراء] وقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ وَأَخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [الآية ٥١ من سورة سبأ] .

* * *

(١) يرأب : يجبر ويصلح - أثأت : فتقت وأفسدت - يد الغفلات : المقصود الأخطاء .

يتمنى عودة العمر الذي فات ليصلح ما أفسده بأخطائه في حياته ، وأنى تكون العودة ، فما فات

قد فات !!

الشاهد : دخول همزة الاستفهام على « لا » النافية للجنس في (ألا) فهي مكونة من كلمتين .

ظن وأخواتها

- ١ - الأفعال التي تنصب المبتدأ والخبر مفعولين (معانيها - شواهدا صورها) .
- ٢ - المقصود بالمصطلحات النحوية الثلاثة (الإعمال - الإلغاء - التعليق) .
- ٣ - إجراء القول مجرى الظن .

* * *

الأفعال التي تنصب المبتدأ والخبر :

لاحظ الأمثلة الآتية :

علمتُ الصدقَ منجياً
ووجدتُ الكذبَ مهلكاً
وأظن ذلكَ بدهياً

في الأمثلة السابقة : الأصل في الجمل أنها مكونة من مبتدأ وخبر ، هما على التوالي في الأمثلة (الصدق منج - الكذب مهلك - ذلك بدهي) ثم دخلت عليها الأفعال الناسخة (علم - وجد - أظن) بعد أن استوفت فاعلها فنصب - في كل مثال - المبتدأ مفعولاً أولاً ، والخبر مفعولاً ثانياً .

وينبغي التعرف على هذه الأفعال ومعانيها إجمالاً وتفصيلاً مع إيراد بعض الشواهد لها من الكلام العربي .

تنقسم أفعال الباب كلها إلى قسمين رئيسيين : (أفعال القلوب) و(أفعال التصيير والتحويل) وإليك تفصيل الحديث في هذين النوعين :

أولاً : أفعال القلوب :

ويقصد بها ما يدل على معنى يعود إلى قلب الإنسان مثل (العلم والظن) وهذه الأفعال صنفان :

الصنف الأول : أفعال اليقين :

وهي التي تفيد التحقق من نسبة الخبر للاسم ، كقولك : (علمتُ الله

موجودًا) فنسبة الوجود لله أمر محقق باستخدام الفعل (علم) - وأهم هذه الأفعال ستة هي : (رَأَى - عَلِمَ - وَجَدَ - دَرَى - أَلْفَى - تَعَلَّمَ بمعنى اعْلَمَ) .

١ - رَأَى : من رؤية القلب لا من رؤية البصر ، فهي التي تفيد العلم لا المشاهدة ، فإن الأخيرة تنصب مفعولا واحدا فقط ، ومثال (رَأَى) العلمية قول خدش بن زهير :

رَأَيْتُ اللَّهَ أَكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ محاولةً وأكثرهم جُنُوداً ^(١)

٢ - عَلِمَ : كقول الشاعر :

علمتكَ الباذِلَ المعروفَ فانبعثت

إليك يى واجفأت الشوقِ والأملِ ^(٢)

٣ - وَجَدَ : كقول الله تعالى : ﴿ وَمَا نَقْذِرُكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [الآية ٢٠ من سورة المزمل] .

٤ - دَرَى : كقولك : (دريتُ الخبرَ صحيحًا) .

٥ - أَلْفَى : بمعنى (وجد - علم) كقول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴾ [الآية ٦٩ من سورة الصافات] .

٦ - تَعَلَّمَ : بمعنى (اعْلَمَ) وهو ملازم للأمر - وسيأتى ذلك - كقول زياد بن سيار :

تَعَلَّمَ شِفَاءَ النَّفْسِ قَهْرَ عَدُوِّهَا فبالغِ بلُطْفٍ فِي التَّحْيِيلِ وَالْمَكْرِ ^(٣)

(١) الشاهد : فى (رأيتُ الله أكبر كل شيء) فإن (رأى) بمعنى (علم) تنصب مفعولين ، وأولهما كلمة (الله) وثانيهما كلمة (أكبر) .

(٢) واجفأت : جاء فى القاموس : وجف بمعنى اضطرب ، الواجف المضطرب ومن لوازم الاضطراب الاهتزاز ، فالمقصود بواجفأت الشوق والأمل : مرات الشوق والأمل .

الشاهد : فى (علمتكَ الباذِلَ المعروف) فإن (علم) ينصب مفعولين الأول ضمير المخاطب ، والثانى (الباذل) .

(٣) اعلم أن النفس الحرة يريحها قهر عدوها ، فاسلك لذلك كل ما تقدر عليه من وسائل المكر والحيلة .

الشاهد : فى الشطر الأول (تعلم شفاء النفس قهر عدوها) فإن الفعل (تعلم) بمعنى (اعلم) ينصب مفعولين ، الأول (شفاء النفس) والثانى (قهر عدوها) .

الصف الثاني : أفعال الرُّجْحَان :

وهى التى تفيد التردد بين نسبة الخبر للاسم وعدم نسبته له ، وإن كان الأرجح نسبته له ، وذلك (كالظن والزعَم) ونحو ذلك ، تقول : (اليوم أظن الجوَّ بارداً وأحسبُ المطرَ منهمرا) . وأهم هذه الأفعال سبعة : (ظَنَّ - حَسِبَ - خَالَ - زَعَمَ - عَدَّ - حَجَا - هَبَ بمعنى : افترض) .

١ - ظَنَّ : كقولك : (أظنُّ الفوزَ مؤكداً مع أنَّ الجهدَ شاقُّ) .

٢ - حَسِبَ : كقول ليبد :

حسبْتُ التَّقَى والجودَ خيرَ تجارةٍ رَبَّاحاً إذا ما المرءُ أصبح ثاقِلاً (١)

٣ - خَالَ : بمعنى (ظَنَّ) ومضارعه (يَخَالُ) بخلاف (خَالَ) بمعنى (سَاسَ وَرَعَى) فمضارعه (يُخُولُ) وليس مما نحن فيه ، ومن شواهد الناصب للمفعولين :

إِخَالَكَ - إن تغضُّضَ الطَّرْفَ - ذَا هَوَى

يَسْؤُوكَ ما لا يُسْتَطَاعُ مِنَ الْوَجْدِ (٢)

٤ - زَعَمَ : كقولك : (زعم الجاحدون القرآن كلامَ البشر) .

٥ - عَدَّ : بمعنى (ظن وحسب) لا بمعنى (ذكر مقدار الأعداد) تقول : (عددتُ الصداقةَ وفاءً فخانى الصديق) فهذه تنصب المفعولين بخلاف (عددت ما معى من التقود) بمعنى (أحصيته) فلا تنصب إلا مفعولاً واحداً . ومن شواهد الناصبة للمفعولين قول النعمان بن بشير :

(١) الثاقل : الميت ، فالبدن خفيف ما دام به الروح ، فإذا خرج الروح ثقل .

يقول : حين يموت المرء فخير ما يربحه من دنياه التقى والجود - هكذا حسب ليبد .

الشاهد : فى الشطر الأول (حسبت التقى والجود خير تجارة) فإن الفعل (حسب) من أفعال

الرجحان ينصب مفعولين ، الأول (التقى والجود) والثانى (خير تجارة) .

(٢) إخال : مضارع (خال) للمتكلم ، وينطق بكسر الهمزة وفتحها - تغضض الطرف : تصرف

النظر عن الحسان ومفاتنهن - يسومك : يكلفك ويحملك .

يقول : إذا لم تصرف عينيك عن الحسان ، فأظن أنك ستقع فى الحب ، وحينئذ تتحمل من

تباريحه وجدا فوق الطاقة .

الشاهد : (إخالك ذا هوى) فإن (إخال) من أفعال الرجحان ينصب المفعولين ، الأول ضمير

المخاطب ، والثانى (ذا هوى) .

فلا تعدُّد المولى شريكك فى الغنى
ولكنَّما المولى شريكك فى العُدم^(١)

٦ - حَبَا : بمعنى (ظن وحسب) أيضًا لا بمعنى (غلب فى المحاجة) وهى الجدل ، تقول : (حجوتُ العهدَ ثقةً ، فضاعَتْ الثقة) فهذه تنصب مفعولين ، بخلاف (حجوتُ المجادلَ) بمعنى (أفحمته وغلبته) فإنها تنصب مفعولا واحدا .

٧ - هَبَ : بمعنى (افرض) ومعناها بالنسبة للمخاطب : افرض مرجحا نسبة الخبر للاسم ، كقولك : (هَبْ قولك صحيحا فما رأى !!) وهذه تنصب مفعولين ، بخلاف (هَبْ) بمعنى (أعط) كقولك : (هَبْ مالاً للفقراء) فهذه تنصب مفعولا واحدا - ومن شواهد التى تنصب مفعولين قول عقبة بن هبيرة الأسدى يخاطب معاوية :

فهَبْهَا أُمَّةٌ هَلَكْتُ ضَيَاعًا يَزِيدُ أَمِيرُهَا وَأَبُو يَزِيدَ^(٢)

ثانيا : أفعال التَّصْيِيرِ والتَّحْوِيلِ :

وهى التى تفيد تحول معنى الاسم إلى معنى الخبر ، تقول : (صَيَّرَ النَجَّارُ الخَشَبَ كرسيًا وجعلَ الصائغُ الذهبَ قِلادةً) ، فمن البين أن الخشب قد تحول - بالصنعة - إلى كرسى ، وأن الذهب قد تحول - بمهارة الصائغ - إلى قلادة - وأهم أفعال التصيير والتحويل سبعة هى : (صَيَّرَ - جَعَلَ - اتَّخَذَ - تَخَذَ - رَدَّ - تَرَكَ - وَهَبَ) .

١ - صَيَّرَ : كقولك : (صيرتُ الصَّدقَ عادةً لى) .

٢ - جَعَلَ : بمعنى (صَيَّرَ) كقولك لصديق مريض : (جعلنى الله فداءك) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الآية ٢٣ من سورة الفرقان] .

(١) لا تعدد : لا تحسب - المولى : من معانيه الصديق والحليف - العدم : الفقر .

يقول : ليس الصديق صديق اليسر والغنى ، بل الصديق الحق صديق العسر والفقر .

الشاهد : فى الشطر الأول (لا تعدد المولى شريكك فى الغنى) فإن (تعدد) مضارع (عد) بمعنى

(حسب) وهى من أفعال الرجحان تنصب مفعولين الأول (المولى) والثانى (شريكك) .

(٢) هَبَ : بمعنى (افرض) وهى فى البيت نصبت مفعولين ، الأول (صديق الغنى) والثانى (أمة)

(أمة) .

٣ - اتَّخَذَ : بمعنى (صَيَّر) أيضا ، كقولك : (اتخذت الضمير هاديا في سلوكي واتخذت العقل مُرشدا في تفكيرى) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [الآية ١٢٥ من سورة النساء] .

٤ - تَخَذَ : بفتح التاء وكسر الخاء - وبذلك قرئت الآية : ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الآية ٧٧ من سورة الكهف] .

٥ - رَدَّ : بمعنى (حوّل) كما روى من قول عبد الله بن الزبير :

رَمَى الْجِدْثَانُ نِسْوَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارٍ سَمَدَنَ لَهُ سُموْدَا
فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ الشُّوْدَ بِيضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سَوْدَا^(١)

٦ - تَرَكَ : بمعنى (صَيَّر) والمقصود بذلك أنه صار على صفة الخبر ، ثم ترك بعد ذلك وصرف النظر عنه .

كقول أحد بنى مرة يعتب على ابنه العاق :

وَرَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتُهُ أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَغْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
فَلَمَّا رَأَى أَبْصَرَ الشَّخْصَ أَشْخَصًا قَرِيبًا ، وَذَا الشَّخْصَ الْبَعِيدَ أَقَارِبُهُ
تَغَمَّطَ حَقِيَّ بَاطِلًا وَلَوَى يَدِي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ^(٢)

٧ - وَهَبَ : بمعنى (جعل) ويذكر شاهدًا لذلك العبارة المشهورة : (وَهَبْنِي اللَّهُ فِدَاكَ) بمعنى (جعلني الله فداك) - وهذا الفعل ملازم للماضى .

(١) الحدثان بكسر الحاء وسكون الدال : نوازل الدهر ونوائبه - المقدار : حادث القدر غير المنتظر - سمدن : وقفن متحيرات حزينات .

الشاهد : فى البيت الأخير كله ، حيث استعملت (رد) من أفعال التصيير والتحويل ، فنصبت فى كلتا الشطرتين مفعولين .

(٢) استغنى عن المسح شارب - المقصود : أنه شب وقام بشئونه وحده - أبصر الشخص أشخصا : كناية عن ضعف البصر ، وأيضا « ذا الشخص البعيد أقاربه » فهو لا يرى البعيد إلا بالقرب منه ، ويرى القريب مهتزًا أمام عينيه فكأنه كثير - تغمط حقى : أضاعه واحتقره .

يقول : ربيته حتى استغنى بنفسه ، وصار له شأن بين قومه ، فلما كبرت وضعف بصرى ، أضاع حقى ، وأهاننى ، ومنه لله !! والله قوى يعاقبه على عقوقه وجهله .

الشاهد : قوله « تركته أخا القوم » فإن الفعل « ترك » بمعنى « صير » ينصب مفعولين ، أولهما « ضمير الغائب » وثانيهما « أخا القوم » .

صورها = تصرفها :

لاحظ ما يلي :

● ظن - يظن - ظنَّ - ظنًّا - ظانَّ - مظنون

● علم - يعلم - اعلم - علما - عالم - معلوم

الأفعال التي تنصب مفعولين جميعا - سواء في ذلك أفعال القلوب بنوعيها - اليقين والرجحان - أم أفعال التصيير والتحويل - تتصرف تصرفا كاملا فيأتي منها الماضي والمضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول - وفائدة ذلك نحويا أن كل ما تصرف منها يُنصب معه المفعولان أيضًا - تماما كما هو الشأن مع الماضي - تقول : (يعلم المؤمن لقاء الله حقًا ، أما الجاحدُ فظانُّ الحياة عبثًا وزاعمُ النشور خرافةً) .

لكن يستثنى من هذا الحكم السابق ثلاثة أفعال جامدة لا تتصرف حين استعمالها في هذا الباب ، وهي :

(١) تعلَّم : من أفعال اليقين ، وما دام بهذا المعنى فهو ملازم لصيغة الأمر .

(٢) هَبَّ : من أفعال الرجحان ، وما دام بهذا المعنى فهو ملازم لصيغة الأمر .

(٣) وهَبَّ : من أفعال التصيير ، وما دام بهذا المعنى فهو ملازم لصيغة الماضي .

* * *

هذا ، وينبغي في نهاية هذا العرض الذي طال للتعرف على هذه الأفعال التنبيه للملاحظتين الآتيتين :

الأولى : (أنَّ واسمها وخبرها) تأتي كثيرًا مع بعض هذه الأفعال فتسد مسدَّ المفعولين ، كقولك : (علمت أنَّ الحلمَ قوةً ، ورأيت أنَّ الحمقَ ضعفٌ) ، ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

فقلتُ تعلَّم أنَّ للصَّيْدِ غِرَّةً وإلا تُضَيِّعُها فإنك قاتله (١)

فتكون (أن للصيد غرة) فى محل نصب سدت مسد مفعولى (تعلم) .
ومن ذلك أيضًا قول عبيد الله بن مسعود :

فَذُقْ هَجْرَهَا ، قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ رِشَادٌ أَلَا يَا زُبَيْمًا كَذَبَ الزَّعْمُ ^(١)

فتكون (أنه رشاد) فى محل نصب سدت مسد مفعولى (تزعم) .

الثانية : جاء فى شذور الذهب ما يلى نصا :

« (ظن) بمعنى (اتَّهَمَ) تتعدى لواحد ، نحو قولك : (عُدِمَ لى مالٌ فظننتُ زيدا) ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [الآية ٢٤ من سورة التكوين] أى ما هو بمتهم على الغيب ، وأما من قرأ بالضاد ، فمعناه : ما هو ببخيل - وكذلك (عَلِمَ) بمعنى (عَرَفَ) نحو ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونٍ أَمْهَتَكُم لَّا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [الآية ٧٨ من سورة النحل] - و(رأى) من (الرأى) ، كقولك : (رأى أبو حنيفة جُلَّ كذا أو حُرْمته) و(حَجَا) بمعنى (قصد) نحو (حجوتُ بيتَ الله) - ومن (وَجَدَ) بمعنى (حزن أو حَقَدَ) فإنهما لا يتعديان بأنفسهما ، بل تقول : (وَجَدْتُ عَلَى الْمَيْتِ) و(وَجَدْتُ عَلَى الْمُسَىءِ) » . ا.هـ .

ومضمون هذا النص باختصار : أن أفعال هذا الباب إذا خرجت عن المعانى العامة التى سبق ذكرها - لم تكن قلبية أو للتحويل - لا تكون من هذا الباب ، فلا تنصب مفعولين ، بل تكون - مما ورد فى النص - كما يلى :

(١) ما ينصب واحدًا فقط ، وذلك (ظن) : بمعنى اتَّهَمَ - عَلِمَ : بمعنى عَرَفَ - رَأَى : من الرأى - حَجَا : بمعن قصد) .

(٢) ما لا ينصب شيئًا أصلا ، وذلك (وجد) : بمعنى حزن أو حقد) .

= البيت صورة رائعة يمكن أن تكون مثلا ، يقول : « إن للصيد غفلة ، فإذا لم تضعيها ورميته ، قتلتها » وهذا المعنى يمكن قوله فى كل موقف فى الحياة « فيه تحين الفرصة واستغلالها » .

الشاهد : فى (تعلم أن للصيد غرة) فإن الفعل (تعلم) بمعنى (اعلم) من أفعال اليقين ينصب المفعولين ، وقد سدت « أن واسمها وخبرها » مسدهما فى قوله (أن للصيد غرة) .

(١) يقول : كنت تزعم أن هواها هدى ، وكثيرا ما يكذب الزعم ، لقد هجرتك ، والهجر عذاب تذوقه الآن .

الشاهد : (تزعم أنه رشاد) فإن الفعل (تزعم) ينصب مفعولين ، وقد سدت مسدهما « أن واسمها وخبرها » فى (أنه رشاد) .

الإعمال والإلغاء والتعليق :

هذه المصطلحات الثلاثة خاصة بأفعال القلوب المتصرفة ولا شأن لها بأفعال التصيير ولا بأفعال القلوب غير المتصرفة (هَبْ - تَعَلَّمْ) فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

وجدتُ الخبرَ صادقاً { إعمال

الخبرُ - وجدتُ - صادقٌ { إلغاء

{ والإشاعةُ كاذبةٌ علمتُ

{ ما يدرى القاضى أحكمه صوابٌ أم خطأ ؟ لكنه مجتهد {

{ ولا يعلم الإنسانُ ما العاقبةُ عند الله ؟ لكنه يعمل { تعليق

الإعمال : معناه وجوب نصب المفعولين ، ويكون ذلك إذا تقدمت هذه الأفعال على المفعولين جميعاً ، كالمثال السابق (وجدتُ الخبرَ صادقاً) .

الإلغاء : معناه إلغاء نصب المفعولين لفظاً وتقديراً : فتعود الجملة مرة ثانية إلى باب المبتدأ والخبر - ويكون ذلك إذا توسطت هذه الأفعال بين المفعولين أو تأخرت عنهما ، كالمثالين السابقين (الخبرُ - وجدتُ - صادقٌ) و(الإشاعةُ كاذبةٌ علمتُ) - ومن شواهد التوسط قول منازل بن ربيعة :

أبا الأراجيز يا ابن اللؤم تُوعدُنِي
وفى الأراجيز - خلْتُ - اللؤمُ والخورُ^(١)

ومن شواهد التأخير قول الشاعر :

القومُ فى أثرى ظننتُ فإن يكنْ
ما قد ظننتُ فقد ظفرتُ وخائبوا^(٢)

(١) الأراجيز : جمع أرجوزة ، وهى المنظومة من بحر الرجز - توعدنى : تهديدنى - الخور : الضعف .

يسخر ممن هدده بشعر من بحر الرجز ، مقررًا أن الرجز صنعة اللؤم والضعف .

الشاهد : فى الشطر الثانى (فى الأراجيز - خلْتُ - اللؤم والخور) حيث توسطت (خلْتُ) بين المفعولين ، فعادت الجملة إلى باب المبتدأ والخبر ، لأن الفعل قد ألغى بالتوسط ، والجملة فى الأصل هى (فى الأراجيز اللؤم والخور) .

(٢) **الشاهد :** فى (القوم فى أثرى ظننتُ) فقد جاء الفعل (ظننتُ) متأخرًا عن المفعولين ، فآلغى ، وعادت جملة (القوم فى أثرى) إلى باب المبتدأ والخبر .

ومن ذلك أيضا قول أبي أسيدة الدبيري يشكو رئيسي قبيلته اللذين يستأثران بالغنى ولا يفيدان القبيلة خيرا ، وأنهما بهذا الغنى يتسلطان ويسودان :

وإنّ لنا شيخين لا ينفعاننا غنيّين لا يُجدي علينا غناهما
هما سيّدانا يزعمان وإنّما يسوداننا إنّ أيسرّت غنماهما (١)

وهنا ينبغي التنبيه إلى أن الإلغاء - مع التوسط والتأخير - جائز لا واجب إذ يصح الإعمال ، فتقول : (الخبر وجدّ صادقاً) أو (الخبر صادقاً وجدّ) .

التعليق : معناه إبطال العمل في اللفظ دون التقدير - ويكون ذلك إذا اعترض بين هذه الأفعال وبين المفعولين ما له صدارة الكلام - حينئذ يمتنع تأثيرها لفظاً ، ويبقى تأثيرها في التقدير أو المحل - وهذا غريب !!
ومن أهم الأمور التي تعترض بين هذه الأفعال والجملة بعدها ، فتؤدى إلى التعليق - بمعناه السابق - ما يتلخص في الآتي :

(أ) أدوات الاستفهام ، سواء أكانت حروفاً أم أسماء ، كقول الله تعالى عن أهل الكهف : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا ﴾ [الآية ١٢ من سورة الكهف] . وقوله : ﴿ وَسِعِلُّمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء] .

(ب) حروف النفي (ما - لا - إنّ) كقولنا في النصح : (اعلم ما الكذب أسلوب الأقوياء) وكذلك (أظنّ لا الكذب مفيد مرتكبه ولا التفاق) .

(ج) لام الابتداء الداخلة على المبتدأ - كقولنا : (أعلم للحرية في حاجة إلى مستوى راق من النفوس) .

(د) لام القسم - أي اللام التي تأتي في جواب القسم - كقول لبيد :
ولقد علمت لتأتين منيتي إنّ المنايا لا تطيش سهاها (٢)

(١) الشاهد : في البيت الثاني (هما سيدانا يزعمان) حيث تأخر الفعل (يزعم) عن المفعولين فألغى ، وعادت جملة (هما سيدانا) إلى المبتدأ والخبر .

(٢) المنايا : جمع « منية » وهي الموت - لا تطيش سهاها : لا تخطئ والمقصود : أن الموت لا بد منه .

الشاهد : في (علمت لتأتين منيتي) فإن الفعل (علمت) معلق عن العمل بواسطة لام القسم في (لتأتين منيتي) فإن اللام الواقعة في أول هذه الجملة تسمى « لام جواب القسم » وأصل الكلام (والله لتأتين منيتي) .

قال أصحاب صناعة النحو : والدليل على أن هذه الأفعال المعلقة عاملة في التقدير أنه يعطف على الجملة بعدها بالنصب ، ولولا أنها منصوبة تقديرا ما صح هذا العطف ، وذلك كقول كثير عزة :

وما كنت أذرى قبل عزة ما البكا؟؟ ولا موجعات القلب حتى تولت^(١)

فجملة (ما البكا) مكونة من مبتدأ وخبر في محل نصب بالفعل المعلق (أذرى) وكلمة (موجعات) معطوفة عليها ، وهى منصوبة بالكسرة .

ومن الطريف أن يذكر هنا ما قاله « ابن هشام » تعليقا على هذا المصطلح الأخير - التعليق - قال : « سمي ذلك تعليقا ، لأن العامل ملغى في اللفظ وعامل في المحل فهو عامل لا عامل ؛ فسمى معلقا أخذاً من المرأة المعلقة - التى أساء إليها زوجها فأهملها دون أن يطلقها ، فلا هى مزوجة ولا هى مطلقة - ولهذا قال ابن الخشاب - أحد النحاة : لقد أجاد أهل هذه الصناعة فى وضع هذا اللقب لهذا المعنى » . ا.هـ .

هذا ، وقد أشكل على هذه المصطلحات السابقة البيتان الآتيان :

* قول زهير بن أبى سلمى :

أرجو وأمل أن تدنو مودتها وما إخال لدينا منك تنويل^(٢)

فقد وردت جملة (لدينا منك تنويل) هكذا بالرفع ، دون وجود ما يقتضى الإلغاء أو التعليق للفعل (إخال) .

* قول الشاعر :

كذاك أدبْتُ حتى صار من خلقي أنى وجدتُ ملاك الشيمة الأدب^(٣)

(١) دلت كلمة (موجعات) على أن الفعل المعلق عامل فى المحل لا فى اللفظ فهى معطوفة على الجملة المعلق عنها الفعل وهى (ما البكا) ولولا أن هذه الجملة فى محل نصب ، ما نصبت كلمة (موجعات) .

(٢) رجاء بلا تحقق .. إنه يرجو قرب مودتها ، لكنها لا تنيله ذلك - هكذا يظن .

الشاهد : فى الشطر الثانى (ما إخال لدينا منك تنويل) حيث وردت الجملة بعد الفعل (إخال) مرفوعة ؛ ليس هناك ما يستوجب الإلغاء أو التعليق - والرد أن هذه الجملة فى موضع المفعول الثانى ، والمفعول الأول ضمير الشأن محذوف ، أو أن الجملة معلقة بلام ابتداء محذوفة .
(٣) الشيمة : الطبيعة والجملة .

فقد وردت جملة (ملاك الشيمة الأدب) هكذا بالرفع ، دون وجود ما يقتضى الإلغاء أو التعليق للفعل (وجد) .

وقد خضع هذان البيتان لتخريج الصنعة النحوية كما يلي :

أولا : أن ذلك أسلوب إعمال : والمفعول الأول ضمير الشأن محذوف والجملة الاسمية المذكورة فى محل نصب هى « المفعول الثانى » وتقدير الكلام (وما إخاله لدينا منك تنويل) و(وجدته ملاك الشيمة الأدب) .

ثانيا : أن ذلك أسلوب تعليق : والمعلق محذوف وهو « لام الابتداء » والجملة فى محل نصب بالفعل قبلها ، وتقدير الكلام (وما إخال لدينا منك تنويل) و(وجدت لملاك الشيمة الأدب) .

إجراء القول مجرى الظن :

الأصل فى مادة (ق . و . ل) أى (قال - يقول - قُل - قَوْل - قائل ... إلخ) أنها تدل على الحديث بشيء مفيد ذكره القائل ، وهذا الحديث المفيد أفته جملة ، سواء أكانت اسمية أم فعلية .

من أجل ذلك تفرد القول بصيغته المختلفة فى النحو بحكم خاص هو أن مفعوله لا بد أن يكون جملة ، ويطلق عليها نحويا (مَقُول القول) وربما جاء جملا متعددة ، ويطلق عليها جميعا أنها (مقول القول) أيضا ، مثل (مما قاله الرسول ﷺ : الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ) ومثل (مما قاله أنس خادمه : خدمتُ النبى ﷺ عشر سنين فما قال لى أف قط) .

هذا هو الأصل ، لكن يخرج عن هذا الأصل استعمال خاص لهذه المادة حين تستعمل بمعنى « الظن » ، وبعبارة أوضح : حين تخرج عن معناها الأصلي الكثير الاستعمال الذى يعود إلى اللسان وهو « التحدث » إلى معنى آخر يعود إلى القلب وهو « الظن » كما تسأل صديقك (أتقولُ العربُ مُتَّحِدِينَ بعد فُرْقَةٍ ؟؟) ومعناه - كما هو واضح - (أتظنُ العربُ مُتَّحِدِينَ بعد فرقة ؟) .

= الشاهد : فى الشطر الثانى (وجدت ملاك الشيمة الأدب) فقد جاءت الجملة بعد الفعل (وجدت)

ويبدو أن استعمالها في هذا المعنى الأخير إنما جاءها عن طريق ما يسمى (التضمين) وهو أن تحمل كلمة معنى كلمة أخرى ، فتعامل معاملة تلك الكلمة الأخرى نحويا .

على كل ، إذا جاء القول بمعنى الظن ، فقد استعمل في اللغة - مع جملته - كما يلي :

أولا : أن يعامل باعتبار الأصل ، فتكون الجملة بعده في محل نصب « مقول القول » كقولنا في المثال السابق : (أتقول : العرب متحدون بعد فُرقة ؟؟) .

ثانيا : يجوز إلى جوار الوجه السابق أن يعامل باعتبار معناه الذى طرأ عليه وهو « الظن » ، فينصب المبتدأ والخبر بعده مفعولين ، وذلك على التفصيل التالى :

(أ) قبيلة بنى سليم : روى عنها نطق المفعولين منصوبين مطلقا ، ومعنى الإطلاق أنه لا شروط فى صيغة القول نفسها ولا فى الجملة التى ترد فيها فما دامت بمعنى « الظن » فإنه يصح نصب المفعولين ، فعلى لغتهم يقال : (قُلْتُ الجَوَّ دافئا فإذا به باردٌ) ويقال : (قُلْ الخيرَ فى جانب الله) .

(ب) معظم قبائل العرب : لا ينصب فى نطقها المبتدأ والخبر إلا فى جملة اجتمع لها صفات أربع تجمعها العبارة التالية : (أن يكون القول فعلا مضارعا للمخاطب ، تقدم عليه استفهام ، ولا فاصل بينه وبين الفعل إلا الظرف أو الجار والمجرور) .

فإذا استوفى هذه الشروط وصح فيه نصب المفعولين بالإضافة إلى اعتبار الأصل ، وإلا فإنه يجب اعتبار الأصل فقط ، ومن شواهد ذلك ما يلي :

● قول هذبة بن خشرم العذرى :

متى تقول القُلص الرّوَاسِمَا يُدْنِيَنِ أَمَّ قاسِمٍ وقاسِمَا (١)

وهذا مستوف الشروط الأربعة .

(١) القلص : الإبل الشابة - الرواسم : السريعة السير .

● قول الشاعر :

أَبْعَدَ بُعْدٍ تَقُولُ الدَّارَ جَامِعَةً شَمَلِي بِهِمْ أَمْ تَقُولُ الْبُعْدَ مَحْتُومًا^(١)
والشطر الأول مستوفٍ الشروط - مع الفصل بالظرف - والشطر الثاني
مستوفٍ الشروط تمامًا .

* * *

(١) أجرى في هذا البيت القول مجرى الظن في الشطر الأول (أبعد بعد تقول الدار جامعة) وقد

استوفى الفعل الشروط ، فنصب المفعولين ، الأول (الدار) والثاني (جامعة) مع أنه فصل بين الفعل والاستفهام بالظرف (بعد) .

أعلم وأرى وأخواتهما

هذا الباب الأخير من النواسخ يقوم على فكرتين هما :

الأولى : أن الأفعال في اللغة العربية تستعمل معها همزة تسمى « همزة التعديّة » وهي تأتي في أول الأفعال الثلاثية قياسا ، وفائدتها النحوية أن الفعل معها يزداد مفعولا به ، ومعنى ذلك أنه إذا كان لازما ، تعدّى لواحد ، وإن كان متعديا لواحد تعدى لاثنتين ، وإن كان متعديا لاثنتين تعدى لثلاثة ، فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

نام الطفلُ في فراشه	{ أنامْتُ الأُمُّ الطفلَ في فراشه
لِيس الصغيرُ ملابسَه	{ ألبستُ الأُمُّ الصَّغيرَ ملابسَه
عَلِمَ الطفلُ الوقتَ متأخرا	{ أعلمْتُ الأُمُّ الطفلَ الوقتَ متأخرا

الثانية : ما سبقت الإشارة إليه من أن الفعل إذا ضُمِّن معنى فعل آخر فإنه يعامل نحويا معاملته .

إذا عرف ذلك ، فإنه بمقتضى الفكرة الأولى ، فإن الفعلين (علم - رأى) اللذين ينصبان المفعولين اللذين أصلهما المبتدأ والخبر إذا دخلت عليهما همزة التعديّة فصارا (أرى - أعلم) بمعنى (أريته الشيء وأعلمته به) أى (جعلته يراه ويعلمه) زاد كل منهما مفعولا ، فصار المنصوب بعدهما ثلاثة مفاعيل ، تقول : (أعلمْتُ الأُمِّيَّ القراءةَ مُفيدةً) وتقول : (أريتُ الجاحدَ اللهَ حقًّا) .

وبمقتضى الفكرة الثانية - التضمين - فإن هناك أفعالا خمسة تحمل معنى (أعلمه الشيء وأراه له) وهي (أُنَبِّأُ - نَبَّأُ - أَخْبَرُ - خَبَّرَ - حَدَّثَ) وينصب بعدها أيضًا ثلاثة مفاعيل ، تقول : (أُنَبِّأُ الأهلَ النجاءَ رائعا) وتقول : (خَبَّرْتُ الإذاعةَ الناسَ الحفلَ مؤجَّلا) .

وخلاصة الأمر في هذا الموضوع : أن الأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل - الثاني والثالث أصلهما المبتدأ والخبر - سبعة أفعال هي : (أَعْلَمُ - أَرَى - أُنَبِّأُ - نَبَّأُ - أَخْبَرُ - خَبَّرَ - حَدَّثَ) .

ومن شواهد هذه الأفعال ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [الآية

١٦٧ من سورة البقرة] .

● قول العوام بن عقبة بن كعب بن زهير :

وَحَبَّرْتُ سُدَاءَ الْغَمِيمِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ أَهْلِي بِمَصْرٍ أَعُودُهَا
فِيَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَغَيَّرَ بَعْدَنَا مَلَا حَةً عَيْنِي أُمُّ يَحْيَى وَجِيدُهَا
وَهَلْ أَخْلَقْتُ أَثْوَابُهَا بَعْدَ جِدَّةٍ أَلَا حَبْدًا أَخْلَقْتُهَا وَجَدِيدُهَا
وَلَمْ يَبْقَ يَا سُدَاءُ شَيْءٌ أَحَبُّهُ وَإِنْ بَقِيََتْ أَعْلَامُ أَرْضٍ وَبِيدُهَا ^(١)

* * *

(١) الشاهد : الشطر الأول من البيت الأول (خبرت سُدَاءَ الغمِيمِ مَرِيضَةً) فإن الفعل (خبر)

نصب بعده ثلاثة مفاعيل ، أولها ما صار « نائب الفاعل » وهو التاء ، والثاني (سُدَاءَ الغمِيمِ) والثالث (مَرِيضَةً) .

تدريبات

(١)

قال عنترة (١) :

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظله
وإذا الكَتِيبةُ أحجمت وتلاحظت
والخيل تعلم والفوارس أننى
بَكَرتُ تخوِّفنى الحُتوفَ كأننى
فأجبتها : إن المنيَّةَ منهل
فاقتنى حياءك لا أبا لك واعلمى
إن المنيَّةَ لو تُمَثَّلَ مَثَلُ
والخيل ساهمة الوجوه كأنما
وإذا حُمِلْتُ على الكريهة لم أقل

حتى أنالَ به كريم المأكَلِ
أُفَيْتُ خيراً من مُعَمِّ مُخَوِّلِ
فَرَقْتُ جمعهم بطعنة فيصَلِ
أصبحت عن غرض الحتوفِ بمعزِلِ
لا بد أن أسقى بكأس المنهلِ
أنى امرؤ سأموت إن لم أقتلِ
مثلى إذا نزلوا بضنك المنزِلِ
تُسقى فوارشها نقيع الحنظلِ
بعد الكريهة : ليتنى لم أفعلِ

* * *

- ١ - (أبيت على الطوى) هل تعرف صيغة أخرى لمضارع (بات) اذكرها وبين فى الجملة اسم الفعل الناسخ وخبره .
- ٢ - (أظله) طبق على هذه الجملة ما درسته من قاعدة اتصال الضمير وانفصاله فى باب الضمير .
- ٣ - (أُفَيْتُ خيراً من مُعَمِّ مُخَوِّلِ) لأى أبواب النواسخ تنسب هذه الجملة ! طبق ما تذكره على الجملة نفسها .
- ٤ - (بكرت تخوفنى الحتوف) انسب هذه الجملة لأحد أقسام (كاد وأخواتها) ثم حلّلها تفصيلاً .
- ٥ - (أصبحت عن غرض الحتوف بمعزِلِ) ما نوع خبر أصبح فى هذه الجملة ، مفرداً أو شبه جملة !! أيد ما تقول نحوياً .

(١) ديوان عنترة - طبع بيروت سنة ١٩٥٨ - والأبيات واردة بالترتيب غير بيتين بعد البيت

- ٦ - (لا بد أن أسقى بكأس المنهل) أسلوب متكامل « لا : النافية للجنس » حدد فيه الاسم والخبر ونوع كل منهما .
- ٧ - من العبارات التي استخدمت في الشتم قديما (لا أبا لك) وجه إعرابها باعتبار (لا) نافية للجنس .
- ٨ - (الخييل ساهمة الوجوه) أدخل هذه الجملة في أسلوبين أحدهما للإلغاء والآخر للتعليق ، ثم أعرب الجملتين .
- ٩ - أين مقول القول في البيت الأخير !! اذكر الموقع النحوي لجملة القول كلها ، والموقع النحوي لمقول القول وحده .

(٢)

قال قيس بن رفاعه يتهدد (١) :

من يصل نارى بلا ذنب ولا تيرة
أنا النذير لكم منى مجاهرة
فإن عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا
لترجعن أحاديثا ملعنة
من كان فى نفسه خوْجاء يطلبها
أقيم عَوْجته إن كان ذا عَوْج
وصاحب الوثر ليس الدهر مُدرّكه

يصل بنار كريم غير غدار
كى لا ألام على نهى وإنذار
أن سوف تلقون خيزا ظاهرا العار
لهو المقيم ولهو المدلج السارى
عندى ، فإنى له رهن بإضحار
يُقوّم قذخ النبعة البارى
عندى ، وإننى لدراك بأوتار

* * *

- ١ - فى البيت الأول كلمة (من) اسم شرط مبتدأ ، فأين خبره ؟ وما حكم الترتيب بين هذا المبتدأ وخبره ؟
- ٢ - (بلا ذنب ولا ترة) لماذا تعتبر « لا » غير نافية للجنس ؟؟ وما نوعها إذن ؟؟

(١) الأمالى ج ١ ص ١١ - ١٢ .

مفردات النص كله :

المدلج : السائر من أول الليل - حواء : حاجة - العوج : بكسر العين يستعمل غالبا فى الالتواء

فى الأُمور المعنوية - قديم : بهيم - النبعة : شجرة تؤخذ منها السهام - الوثر : الثأر - الإصحاح : الصحراء والعراء .

٣ - (اعترفوا أن سوف تلقون خزيًا) هذا أسلوب « أن » المخففة من الثقيلة ، فحدد سماته عمليا من هذه العبارة ، ثم أعربها كلها .

٤ - (لترجعن أحاديثا ملعنة) انسب هذه الجملة إلى باب « كان وأخواتها » ثم أعربها بالتفصيل .

٥ - بين اسم كان وخبرها في الجملتين (كان في نفسه حوجاء - كان ذا عوج) ثم اشرح الترتيب في الجملتين ، وحكمه من حيث الجواز والوجوب .

٦ - أين خبر الكلمات الآتية في البيت الأخير (صاحب الوتر - ليس - إن) بين بعد ذلك نوعه من حيث المفرد والجملة .

٧ - الكلمات (غير غدار - لهو المقيم - مجاهرة - اليوم - الدهر) أعربها كما وردت في النص ملتزما في الإعراب الوظيفة والشكل .

٨ - لماذا وردت كلمة (قيس) في التقديم للنص ممنوعة من الصرف وهي أصلا منصرفة ؟ ولماذا وردت كلمة (أحاديثا) منصرفة وهي أصلا ممنوعة من الصرف ؟؟

٩ - زِنُ الكلمات الآتية (ترة - ألام - مقال - أقيم - تلقون) ملتزما في الميزان نطقها في النص .

(٣)

نسبت الأبيات الآتية إلى أحد الأعراب الذين قدموا من البادية وعاشوا في بغداد في العصر العباسي الأول ، واسمه « أبو العميثل » ^(١) وهي :

كنْتُ مشغوفًا بكم إذ كنتم	دوحة لا يبلغ الطير ذراها
وإذا مُدَّتْ إلى أغصانها	كف جانٍ قُطعت دون جناها
فتراخى الأمر حتى أصبح	هملاً يطمع فيها من يراها
لا يرانى الله أرعى روضة	سهلة الأكناف من شاء رعاها
لا تظنوا بى إليكم رجعة	كشف التجرب عن عيني عماها

(١) هذه الأبيات منسوبة للشاعر محمد بن يوسف البحراني موفق الدين الإربلي ، توفي سنة

وصباياتُ الهوى أولّها طمُعُ النَّفس ، وهذا منتهاها

١ - الجملة الفعلية (لا يبلغ الطير ذراها) صفة لكلمة (دوحة) - أما الجملة الفعلية (يطمع فيها من يراها) فليست صفة لكلمة (هملا) بل هي من « تعدد الخبر » قدم الأدلة النحوية على هذا التوجيه للجملتين .

٢ - فى البيتين الرابع والخامس فعلان ناسخان ينصبان المبتدأ والخبر مفعولين ، حددهما ، وحدد مفعولَى كل منهما .

٣ - فى البيت الأخير ثلاث كلمات تعرب مبتدأ هى على التوالى (صبايات أولها - هذا) اذكر خبر كل منها .

٤ - من أى أنواع الأسماء المعتلة الكلمات (ذراها - جناها - عماها - منتهاها) زنها صرفياً ، ثم اذكر ما يقدر على كل منها من حركات الإعراب كما جاءت فى سياق النص .

٥ - كلمة (جان) حللها صرفياً ، وبناء على هذا التحليل أعربها كما وردت فى جملتها الشرطية .

(٤)

قال القاضى عبد العزيز الجرجانى عن « العلم » وتكريمه ^(١) :

يقولون لى : فيك انقباض وإنما	رأوا رجلا عن موقف الذلّ أحجمّا
ومازلت منحازاً بعرضى جانباً	من الدّم ، أعتدّ الصّيانة مغنماً
إذا قيل : هذا مشربّ ، قلت قدرأى	ولكنّ نفس الحر تحتمل الظّما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما	بدا طمع ، صيرته لى سلّما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتي	لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أشقى به غرسا ، وأجنيه ذلة ؟	إذن فاتباغ الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه ، صانهم	ولو عظّموه فى النفوس ، تعظّما
ولكن أذلّوه ، فهان ، ودنسوا	مُحيّاه بالأطماع حتى تجهمّا

- ١ - ما مسوَّغ مجيء المبتدأ نكرة في جملة (فيك انقباض) اذكر موقع ومحل هذه الجملة بالنسبة لما قبلها .
- ٢ - ما مسوَّغ اعتبار (زال) من النواسخ في جملة (مازلت منحازا) ورد لهذا الفعل ثلاث صيغ في المضارع هي (يزال - يزيل - يزول) فأَيُّ هذه هو الناسخ؟؟
- ٣ - (أعتدَّ الصيانة مغنما) جاء في بعض كتب اللغة : أعتدَّ وأعدَّ بمعنى واحد - وجه العبارة اللغوية توجيهها نحويا بالتطبيق على الجملة السابقة .
- ٤ - جاء في البيت الثالث الجمل (هذا مشرب - قد أرى - تحتل الظما) اذكر موقعها الإعرابي ومحلها كما وردت في سياق البيت .
- ٥ - (بدا طمع) أبدل بالفعل (بدا) الفعل (بدأ) وأكمل الجملة ، ثم وزن بين جملتي الفعلين معنى ونحوًا .
- ٦ - (صيرته لى سلّما) حدّد مفعولى (صير) في هذه الجملة - استعمل في موضع هذا الفعل فعلين آخرين مثله معنى ونحوًا .
- ٧ - من أدوات الشرط الخاصة بالأفعال (لو) فما الوظيفة النحوية للمصدر المؤول بعدها في جملة (لو أنَّ أهل العلم صانوه) .
- ٨ - الكلمات (جانبا - مهجتي - غرسا - ذلة - محياه) أعربها ملتزما الوظيفة والشكل - راجع سياقها كما وردت في النص قبل الإعراب .

* * *

القسم الثالث

الجملة الفعلية

تشمل مباحثها ما يلي :

أولا : مباحثها الأصلية :

١ - إعراب الفعل المضارع (رفعا ونصبا وجزما)

٢ - الفاعل

٣ - نائب الفاعل

٤ - أساليب المدح والذم

٥ - المفاعيل الخمسة

(المفعول به - المفعول المطلق - المفعول فيه - المفعول لأجله -
المفعول معه)

٦ - الحال

٧ - التمييز

٨ - أساليب الاستثناء

ثانيا : ما ألحق بالجملة الفعلية :

٩ - النداء على الأصل

١٠ - الاستغاثة

١١ - الندبة

١٢ - الترخيم

* * *



إعراب الفعل المضارع

تمهيد :

ينبغي - قبل الحديث عن إعراب المضارع - التنبيه للأمور التالية :

أولاً : أن الجملة الفعلية تتكون في صورتها المختصرة من (فعل وفاعل) أو من (فعل ونائب فاعل) ثم يليهما ما يطلق عليه في النحو اسم (الفَصْلَات) ومن نماذج الجملة الفعلية ما يلي :

نامت المدينة وسهر رجال الأمن .

يحافظُ رجالُ الشرطة على حياة المواطنين .

فاحترم هؤلاء الرجال وقدم لهم المعونة .

يلاحظ أن الفعل في الجملة الفعلية يأتي ماضياً (نام - سهر) ، أو مضارعاً مثل (يحافظ) ، أو أمراً مثل (احترم - قدم) ، فلماذا إذن يُهتَم بدراسة المضارع وحده من بين الأفعال في بداية الجملة الفعلية ؟؟

إن الفعل المضارع وحده هو المعرب ، إنه هو الذي يتغير مرة بالرفع ومرة بالنصب ومرة بالجزم ، إذ يشغل أحياناً وظيفة الرفع وأحياناً أخرى وظائف النصب وأحياناً وظائف الجزم ، فنقول :

ثُورِقَ الأشجارُ في الربيع .

عنيثُ بالحديقة كي تُورِقَ أشجارُها .

لكن ، لم تُورِقَ منها شجرةٌ ضعيفةُ الجذور .

أما الفعل الماضي فهو مبنى وكذلك فعل الأمر ، فهما لا يتغيران فيكتفى معهما بما ذكر عنهما في باب الإعراب والبناء من معرفة كيفية بناء آخرهما .

ثانياً : الفعل المضارع قد يأتي مبنياً إذا اتصلت به إحدى النونين - النسوة والتوكيد - مثل (الفتياتُ في الجامعة ينافِسنَ الشُّبانَ على التفوق) ومثل (لترتفعنَّ سمعة بلادنا عالية في كل مكان بفضل أبنائها المتعلمين) .

والذى ينبغى التنبيه له أن المضارع المبني وكذلك الفعل الماضى إذا جاء كل منهما فى موضع للنصب أو الجزم ، لم يكن منصوبا ولا مجزوما ، بل يكون فى محل نصب أو جزم ، تقول :

أهمنى أن غيبت فإن اعتذرت مرة أخرى فأخبرنا .

إن الفتيات العرييات إن يتخلين عن أنوثتهنَّ يفقدنَّ كلَّ شيء .

فمن البين أن الفعل (غاب) فعل ماض جاء بعد (أن) فهو فى محل نصب وليس منصوبا ، والفعل (اعتذر) فعل ماض جاء بعد (إن) الجازمة فهو فى محل جزم وليس مجزوما ، والفعالان (يتخلين - يفقدن) جاءا فعلى الشرط والجواب وهما مضارعان مبنيان ، فهما فى محل جزم ، وليسا مجزومين .. وهكذا .

أما الأمر ، فإنه لا يحل محل المضارع المعرب ، لكنه يأتى أحيانا فى جواب الشرط ، وحيثئذ تكون الجملة كلها - لا الأمر وحده - فى محل جزم .

ثالثا : الفعل المضارع المعرب يأتى على الصور الآتية :

- يتقدم - يُنافس - يتعلم - يتحضر { صحيح الآخر
- يبنى - يسئو - يرقى - يبقى { معتل الآخر
- يتعاونون - تترينين - يُذاكران معا { الأفعال الخمسة

ولكل من هذه الثلاثة كيفية إعرابه - وقد سبق شرحها بالتفصيل فى باب الإعراب والبناء - فالصحيح الآخر يعرب بالحركات الأصلية رفعا ونصبا وجزما - والمعتل الآخر تقدر عليه الضمة دائما ، وتقدر الفتحة على المعتل بالألف فقط وتظهر على المعتل بالواو والياء ، ولكنه يجزم بحذف حرف العلة على ما تقدم شرحه - والأفعال الخمسة ترفع بثبوت النون وتنصب وتجزم بحذف النون (راجع باب الإعراب والبناء) .

رابعا : أن المقصود بالدراسة هنا هو بيان الوظائف النحوية التى يأتى فيها المضارع المعرب رفعا ونصبا وجزما ، أى : متى يرفع ومتى ينصب ومتى يجزم؟؟ - أما المبني من المضارع والماضى فإنه يحل محله فى النصب والجزم فيكون مبنيا فى محل نصب أو جزم - كما سبق شرحه .

- ١ - رفع الفعل المضارع
- ٢ - نصب الفعل المضارع
- ٣ - جزم الفعل المضارع

* * *

رفع الفعل المضارع

لاحظ الأمثلة التالية :

تصدُرُ الصحفُ في البلادِ الراقية كلَّ يوم

ويتوالى ظهورُها صباحا ومساء

والصحفيون يتسابقون في الحصول على الأنباء والتحقيقات

حيث ينشرون ذلك كله للقارئ المتلهِّف

في الأمثلة السابقة أفعال مضارعة مرفوعة هي على التوالي (تصدر - يتوالى - يتسابقون - ينشرون) ومن الواضح أن علامة الرفع تختلف من فعل لآخر ، فهي الضمة ظاهرة في الأول ومقدرة في الثاني ، وثبوت النون في الفعلين الأخيرين .

والأفعال السابقة تجمعها كلها سمة واحدة - سواء أكانت في أول الكلام أو وسطه أم آخره - هي : أنها لم يتقدم عليها أداة من أدوات النصب ولا أداة من أدوات الجزم ، ومن أجل هذا اشتهر بين المشتغلين بالنحو العبارة التالية : (يرفع المضارع إذا تجرد من الناصب والجازم) .

وقد خاضت كتب النحو - فيما يختص بالمضارع المرفوع - في أمرين نشير إليهما باختصار لبيان الرأي فيهما :

الأول : لماذا أعرب المضارع !؟

وهذه نقطة خلاف بين الكوفيين والبصريين .

فالكوفيون : من رأيهم أن الفعل المضارع يتغير ، فهو معرب لهذا كما تعرب الأسماء .

والبصريون : يرون أن الإعراب في الفعل إنما هو للمشابهة بينه وبين الأسماء المعربة ، ومن أهم وجوه المشابهة - في حديث طويل - ما يلي :

(١) أنه يشغل وظائف الاسم فيأتي « خبرا وصفة وحالا » مثل (العلم يُفِيدُ)

موضع (العلم مُفِيدٌ) .

(٢) أنه يتغير من رفع لنصب لجزم - كما يتغير الاسم أيضا من رفع لنصب لجر .

(٣) أن الفعل المضارع يماثل اسم الفاعل في حركاته وسكناته ، فالكلمات (يُكرم - يُفهم - يتقدم) = (مُكرم - مُفهم - متقدم) في حركاتها وسكناتها . ومن البين أن هذه التعلّات كلها وغيرها لا معنى لها ، وأن الفعل المضارع ورد في اللغة معربا - كما اتفق على ذلك النحاة - وهذا يكفي ، أما لماذا أعرب ؟؟ فالإجابة عنه لا تفيد شيئا .

الثاني : لماذا رفع الفعل المضارع ؟!

لا بد - في رأى النحاة - من عامل يرفع المضارع ، وهذا العامل تفرق حوله الرأى كما يلى :

(أ) أن العامل هو التجرد من الناصب والجازم ، وهو عامل معنوى مثل (يُمَيِّزُ الذكي بين النافع والضار) .

(ب) ورأى آخر : أن العامل هو أنه يأتي في موضع الاسم المرفوع مثل (الذكي يُمَيِّزُ بين النافع والضار) تساوى (الذكي مُمَيِّزُ بين النافع والضار) .

(ج) ورأى ثالث : أن الذى رفع المضارع هو حروف المضارعة ، أى (الهمزة والتاء والنون والياء) التى تأتى في أول المضارع ، مثل (أقرأ - تقرأ - نقرأ - يقرأ) وهذا كلام غريب !!

(د) ورأى رابع : أن الذى اقتضى رفع المضارع هو مشابهته لاسم الفاعل - وقد تقدم ذلك .

ومن البين - بعد عرض هذه الآراء باختصار - أن هذا الكلام كله دعا إليه البحث عن العامل ، وهو بحث لا علاقة له باللغة ، فهو جهد ذهنى مشكور لكنه غير مفيد ، والمفيد حقا أن يقال : (يرفع المضارع إذا ورد في الجملة ولم يسبقه ناصب أو جازم) .

لكن ، قد وردت شواهد في اللغة لا تتفق مع ذلك - وإليك هذه الشواهد

* ما ينسب لأبي طالب - عم النبي ﷺ - من قوله يخاطب النبي ﷺ :
 محمدٌ تَفْدٍ نفسك كلُّ نفسٍ إذا ما خفَّت من شيءٍ تَبالاً ^(١)
 فالفعل (تَفْدٍ) حذف منه حرف العلة مع أنه متجرد من الناصب والجازم فلم
 يرفع .

● قول امرئ القيس :

فاليومَ أَشْرَبُ غير مُسْتَحْقِبٍ إثمًا من الله ولا وَاغِلٍ ^(٢)
 فالفعل (أشرب) مجزوم الآخر مع أنه متجرد من الناصب والجازم .

وقد حاول النحاة - كعادتهم - أن يخضعوا هذين البيتين للقاعدة السابقة
 قالوا : إن (تَفْدٍ) مجزوم بحرف الطلب المقدر ، والتقدير (لتَفْدٍ) واللام حرف
 جزم ، وأن (أشرب) حذفت منه الضمة للضرورة ، والأصل (أشْرَبُ) أو أن الأصل
 في البيت هو (أَسْقَى) ولكن غيَّره الرواة أو النحاة - وكثيرًا ما يفعلون ذلك .

والحق أن ذلك كله لا يفسره غير لغة الشعر الخاصة ، فقد حذفت الياء من
 الفعل (تَفْدٍ) من أجل الوزن ، وأن الفعل (أشرب) سكن أيضا لوزن البيت ، وللشعر
 أحكامه .

* * *

(١) التبال : الوبال ، ومعناها : الهلاك والدمار .

الشاهد : أن الفعل (تَفْدٍ) لم يرفع مع أنه متجرد من الناصب والجازم فقد ورد في صورة المجزوم
 بحذف حرف العلة ، وأصله (تَفْدِي) - وقد خرج النحاة على أنه مجزوم بلام طلب محذوفة ،
 والتقدير (لتَفْدٍ) - والرأي أن هذا يفسره لغة الشعر الخاصة .

(٢) مستحقب : مكتسب - واغل : المتطفل على الشارين دون دعوة .

يقول : أشرب اليوم من غير إحساس بالإثم أو شعور بالمهانة .

الشاهد : في (أشرب) حيث لم يرفع ، مع أنه متجرد من الناصب والجازم ، فقد ورد ساكن الباء

- وقد خرج النحاة على ضرورة الشعر ، أو أصله (أَسْقَى) فغيَّره الرواة أو النحاة - والرأي أن هذا
 يفسره لغة الشعر الخاصة .

نصب الفعل المضارع

- ١ - الحروف الأصلية لنصب المضارع (أَنْ - لَنْ - إِذَنْ - كَيْ). .
- ٢ - ينصب المضارع « بَأَنْ » مضمرة وجوبا بعد الحروف الخمسة الآتية :
(أ) حرفان للجزم هما (لام الجحود - حتى) .
(ب) ثلاثة حروف للعطف هي (أو - فاء السببية - واو المعية) .
- ٣ - ينصب المضارع « بَأَنْ » مضمرة جوازا في الجملة التي يتحقق فيها ما يلي :
(أ) وقوع الفعل بعد أحد حروف العطف الأربعة (الواو - الفاء - ثم - أَوْ) .
(ب) أن يسبق حرف العطف في الجملة باسم محض (المصدر غالبا) .
- ٤ - ينصب المضارع « بَأَنْ » مضمرة شذوذا في غير ما سبق مما سمع عن العرب .

الحروف الأصلية لنصب المضارع :

الحرف الأول « أَنْ » :

لاحظ الأمثلة التالية :

أرسلتُ إليه خطابا أَنْ احضر	{ مفسرة
بلغ القائدُ إشارةً أَنْ أطلقوا الرصاص	{
لَمَّا أَنْ ناداني الواجبُ أجبتُ	{ زائدة
وأقسمُ أَنْ لو طُلبتُ نفسي لقدّمْتُها راضيا	{
علمتُ أَنْ ستسافرُ اليوم	{
وكنتُ أظنُ أَنْ ستبقى معنا أياما	{ مخففة من الثقيلة
من الضَّارِّ أَنْ تُعاشِرَ متبلِّدَ الإحساس	{ مصدرية
ومن المفيدِ أَنْ يُصاحبَ الذَّكِيُّ اليقظَ	{

تستعمل (أَنْ) في اللغة العربية استعمالات أربعة بحسب الجملة التي ترد فيها .

الاستعمال الأول : المفسرة :

وهذه لا تنصب المضارع ، وإنما تكون مثل الحرف (أَيُّ) تماما ، فهي حرف تفسير لا موضع له من الإعراب .

وتأتى (أَنْ) مفسرة إذا جاءت في الكلام بعد « ما فيه معنى القول دون حروفه » مثل (أرسل - أوحى - أشار - كتب - عرّف) تقول : (كتبْتُ إلى صديقي أَنْ سَأُزوره قريبًا ، وعرّفته أَنْ سَأُمكنُ أيامًا معه) .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الآية ٢٧ من سورة المؤمنون] .

الاستعمال الثاني : الزائدة :

وهي تلك التي تقع حشوا في الكلام ، ولا يختل الكلام مع حذفها وإن كانت تفيد توكيده ، وهذه لا شأن لها بنصب المضارع ، وإنما هي حرف زائد لا محل له من الإعراب .

وتأتى زائدة في المواضع التالية :

١ - إذا جاءت بعد (لَمَّا - الْحِينَةَ) كقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ [الآية ٩٦ من سورة يوسف] .

٢ - إذا جاءت بين القسم وأداة الشرط (لو) مثل (أحلفُ بالله أن لو غضبتُ ما ظَلَمْتُ) ومن ذلك قول المسيب بن علس :

فأقسمُ أن لو التقينا وأنثُمُ لكان لكم يومٌ من الشرِّ مُظْلِمٌ^(١)

٣ - أن تقع بين حرف الجر (الكاف) ومجرورها ، تقول : (بدا السرابُ في الصحراء كأنَّ سحابًا) .

(١) الشاهد في الشطر الأول (أقسم أن لو التقينا) فإن الحرف (أن) زائد بين القسم وأداة الشرط

الاستعمال الثالث : المخففة من الثقيلة :

معنى « المخففة من الثقيلة » أن أصلها (أَنْ) الناسخة التي تنصب الاسم وترفع الخبر ولكن خففت نونها فأصبحت نونا واحدة ساكنة .

وتكون (أَنْ) مخففة من الثقيلة إذا سبقها فى الكلام ما يفيد اليقين أو الظن فيأتى الفعل بعدها مرفوعا ، ويفصل منها بأحد الحروف التالية (السين - سوف - النفي - قد - لو) ^(١) تقول : (علمتُ أَنْ ستبدلُ غايةَ جهدك بعد ما ظننتُ أَنْ لا تقدُرْ مسئوليتك) ومن ذلك قول الله تعالى :

● ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُؤٌ ﴾ [الآية ٢٠ من سورة المزل]

● ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ ﴾ [الآية ٧١ من سورة المائدة] - فى قراءة رفع تكون .

قال ابن هشام عن الواقعة بعد الظن : « يجوز أن تكون مخففة من الثقيلة فيكون حكمها - كما ذكرنا - ويجوز أن تكون ناصبة وهو الأرجح فى القياس والأكثر فى كلامهم ، ولهذا أجمعوا على النصب فى قوله تعالى : ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ ﴾ واختلفوا فى قوله تعالى : ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾ فقرأ بالوجهين « . أ.هـ .

ومعنى ذلك باختصار : أَنَّ (أَنْ) الواقعة بعد اليقين مخففة من الثقيلة دون توجيه آخر ، أما الواقعة بعد الظن فيصح أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون ناصبة للمضارع - وستأتى .

الاستعمال الرابع : المصدرية الناصبة للمضارع :

وهى غير ما سبق من استعمالات (أَنْ) الثلاثة .

● يقول أحد الشعراء المعاصرين :

أريدُ أَنْ أعشقَ أَنْ ألمسَ الأعماقَ أَنْ ألمسَ أعماقِي

أَنْ أعبدَ اللهَ كما لم أكن أعبدُه فى عمرى الباقي

بى ظمأ ، بى ظمأ قاتل ، فأين ينبوعك يا ساقى ^(١)

ويقال عنها فى الإعراب : (حرف مصدرى ونصب) فهى حرف مصدرى تؤول مع ما بعدها بمصدر يشغل الوظائف النحوية المختلفة - وهى حرف نصب لأنها تنصب الفعل المضارع .

لكن ورد من الشعر المجهول القائل :

يا صاحبيّ فدث نفسي نفوسكما وحيثما كنثما ، لاقيثما رشدا
إن تقضيّا حاجة لي خفّ حملها تشوّجبا مئةً عندي لها ويدا
أن تقرأن على أسماء ويحكمما متى السّلام وأن لا تُشعرا أحدا ^(٢)

وقد أثار البيت الأخير مناقشات حادة ، إذ جاء الفعل (تقرأن) مرفوعا بعد (أنّ) وهذا ما دعا إلى القول بأن الحرف (أنّ) يهمل ، فلا ينصب الفعل المضارع .

والحق أنه لا داعى لكل ذلك ، فهذه لغة الشعر ، ويؤيد ذلك الشطر الثانى من البيت ، إذ استخدمت فيه (أنّ) ناصبة للمضارع ، وهذا يناقض إهمالها ، إذ لا يعقل أن يستخدم الشاعر لغات متعددة لحرف واحد وفى بيت شعرى واحد .

الحرف الثانى : لن :

لاحظ الأمثلة الآتية :

لن أخونَ العهد ولن أقصّرَ فى الواجب

ولن أكذبَ ولن أغشّ ولن أخادعَ

يعبر المعربون عن الحرف (لن) بقولهم : (لن : حرف نفى ونصب واستقبال)

(١) من قصيدة بعنوان (النهر الظامئ) للشاعر المعاصر « محمد الفيتورى » وقد سيقّت الأبيات للتمثيل لا الاستشهاد .

وموضع التمثيل : استعمال « أن » مصدرية ناصبة للأفعال (أعشق - ألبس - أعبد) على التوالى .
(٢) يدعو صاحبيه ، ثم يدعو لهما بطول العمر والرشاد ؛ ليعطفهما إليه ويقول : إن لي حاجة خفيفة الحمل عظيمة النفع ، وإن تؤديها تصنعنا بى معروفا لا أنساه ، حاجتى أن تبلغا سلامى وأشواقى إلى حبيبتي « أسماء » سرّا ودون أن يشعر أحد .

الشاهد : فى (أن تقرأن) حيث جاء الفعل مرفوعا بعد (أنّ) مما حمل بعض النحاة على القول بأنها مهملة - والرأى أن ثبوت النون اقتضته لغة الشعر ، بدليل أنه حذف معها النون فى الشطر الثانى فى قوله : (أن لا تُشعرا أحدا) .

فهى تفيد النفى ، وينصب المضارع بعدها ، ويصير معناه خالصا للمستقبل بعد أن كان صالحا بدلالته على الحال والمستقبل - وإلى هنا اتفق النحاة والمعربون فى شأن « لن » .

أما أن هذا الحرف يفيد تأييد النفى ، بمعنى أنك إذا قلت : (لن أخطئ فى حق غيرى) فمعناه أنك لن تخطئ أبدا ، فيبدو أن الاستعمال العربى لا يؤيده - ولنتأمل الاستعمال القرآنى :

- * ما جاء على لسان مريم : ﴿ فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ { النفى مقيد باليوم
 { [الآية ٢٦ من سورة مريم] }
 { فهو غير مؤبد }
 * ما جاء عن الكفار والموت ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ { كلمة (أبدا) أفادت
 { [الآية ٩٥ من سورة البقرة] } التأييد ، لا (لن)

وأما أن هذا الحرف يفيد تأكيد النفى ، فإذا قلت (لن أنافق القوى ولن أحتقر الضعيف) فهو أقوى فى النفى من قولك (لا أنافق القوى ولا أحتقر الضعيف) فإن المتأمل للاستعمال العربى يتأكد لديه أنه لا مزية للحرف (لن) على غيره من أدوات النفى فى إفادة المعنى .

والخلاصة : أن الحرف (لن) يفيد النفى والنصب والاستقبال ، وما عدا ذلك لا يؤيده الاستعمال .

الحرف الثالث : إذن :

لاحظ المحادثة التالية :

- سألتقى بك الليلة فى الرابعة مساء .
- إذن نذهب معًا للنزهة .
- ولعلك تذكر حفل الكلية فى الثامنة مساء .
- إذن نتوجه إليه بعد ذلك .

يقول المعربون : (إذن : حرف جواب وجزاء) فهى بذلك تأتى فى جواب كلام سابق ، وهى أيضا تفيد المكافأة فى هذا الجواب - أما أنها تفيد الجواب فهذا أمر لازم لها لا يتخلف عنها ، وأما أنها تفيد الجزاء فليس أمرًا دائمًا والمحادثة السابقة لا جزاء فيها ، لكن فى المحادثة التالية :

- سأنتبه للأساتذة وأذاكر بفهم .

- إذن تتفوق .

ففى هذه المحادثة تتضح المكافأة وهى « التفوق » فهى هنا حقا حرف جواب وجزاء ، وسواء أفادت الجواب فقط أم الجواب والجزاء ، فإنها تنصب الفعل المضارع بعدها ، بشرط أن يتوافر لجملتها الصفات التالية :

(أ) أن تقع « إذن » فى أول جملة الجواب ، فلا يتقدمها شئ غيرها ، فإن وقعت حشوا لم تنصب المضارع ، بل يرفع ، كما يعلق رئيس العمال فى أحد المصانع على حسن سير العمل بقوله : (العمل إذن يتقدّم بسرعة ، والعمال إذن يؤدّون واجباتهم بإخلاص) .

(ب) أن يكون الفعل بعدها مستقبلا ، أى خلص معناه للمستقبل فلا يدل على الحال ، فإن دل على الحال لم ينصب المضارع ، بل يرفع ، كما يبدو فى المحادثة التالية :

- نزل الفريقان أرض الملعب وبدأت المباراة

- إذن يلعبان مباراة شائقة .

(ج) أن تتصل « إذن » بالفعل بعدها ، فلا يفصل بينهما فاصل - كما هو واضح فى الأمثلة السابقة - فإن فصل بينهما فاصل رفع الفعل بعدها . ولنتأمل ما يلى :

- أتمنى أن تُثَقِّفَ نفسك بقراءتك الذاتية

- إذن - فى الإجازة الصيفية - أحقق هذه الأمنية .

وقد استثنى من الشرط الأخير - « الفصل بالقسم » حيث ينصب الفعل المضارع مع الفصل به ، وأشهر ما ورد شاهداً لذلك قول حسان بن ثابت :

إِذْنٌ - والله نرْمِيهِمْ بحَرْبٍ تُشِيبُ الطِفْلَ من قبلِ المَشِيبِ^(١)

(١) الشاهد : فى قوله : (إذن والله نرْمِيهِمْ) فقد نصب الفعل (نرمى) بالحرف (إذن) مع الفصل

الحرف الرابع : كى :

تأتى (كى) فى اللغة بالاستعمالات الآتية :

الاستعمال الأول : حرف مصدرى ونصب :

لاحظ من الأمثلة ما يلى :

- جئْتُ لَكَ أَطْمَئِنَّ عَلَيْكَ .

- واحضَرْتُ الطَّيِّبَ لَكَ يَرَاكَ .

فالحرف (كى) فى هذا الاستعمال (مصدرى ونصب) مثل (أَنْ) الناصبة للمضارع تماما - وإنما تكون كذلك إذا تقدم عليها حرف الجر « اللام » ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ ﴾ [الآية ٢٣ من سورة الحديد] .

الاستعمال الثانى : حرف تعليل وجر :

لاحظ من الأمثلة ما يلى :

دَعَا اللَّهَ كَيْمَا أَنْ يُسَاعِدَنِي

وَرَجَوْتُهُ كَيْمَا أَنْ يَرْعَانِي

فالحرف (كى) هنا حرف تعليل وجر - مثل اللام تماما - وإنما تكون كذلك إذا فصل بينها وبين الفعل (أَنْ : المصدرية) .

وقد ورد على هذا الاستعمال قول جميل :

فَقَالَتْ أَكُلُّ النَّاسِ أَصْبَحَتْ مَانِحًا لِسَانَكَ كَيْمَا أَنْ تَغُرَّ وَتَخْدَعَا ^(١)

الاستعمال الثالث : حرف مصدرى ونصب - أو - تعليل وجر (وجهان)

لاحظ من الأمثلة ما يلى :

- الاستقامة عاملٌ مهمٌّ كى يتحقَّقَ الأمل .

- والانحرافُ عاملٌ مدمرٌ لكَيْمَا أَنْ تتعثرَ الحياة .

(١) مانحا : معطيا .

تعلته على حديثه مع الأخباريات ، إذ يكلمهن بكلام معسول يغرن ويخدعن .
الشاهد : فى (كَيْمَا أَنْ تَغُرَّ وَتَخْدَعَا) فإن (كى) حرف جر ، لتوسط (أَنْ) بينها وبين الفعل .

وفى هذا الاستعمال يصح فى الحرف (كى) الوجهان : أن تكون مصدرية ، وأن تكون تعليلية - وإنما تكون كذلك إذا خَلَتْ مما يجذبها للمصدرية أو التعليلية ، أو إذا تنازعا ما تكون به مصدرية وتعليلية ، ويأتى ذلك كما يلى :

١ - إذا لم يتقدم عليها (اللام) ولم تأت بعدها (أَنْ) المصدرية ، حيث تستعمل وحدها فى الجملة ، كقول الله عن المال : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [الآية ٧ من سورة الحشر] فيصح توجيهه (كى) مصدرية أو تعليلية .

٢ - أن يتقدم عليها (اللام) وتتأخر عنها (أَنْ) فاللام تقتضيها مصدرية ووجود (أَنْ) يقتضيها تعليلية - حينئذ يصلح توجيهها على أنها مصدرية أو تعليلية كما فى المثال السابق (الانحرافُ عاملٌ مدمرٌ لكَيْما أَنْ تتعثرَ الحياة) .

إضمار « أَنْ » وجوبا :

هكذا يرى جمهور النحاة : تضر « أَنْ » وجوبا ، فهى لم تظهر أبداً ومع ذلك فهى مقدرة بعد حرفين من حروف الجر ، وثلاثة من حروف العطف - ففى الأمثلة :

لولا الجامعةُ ما كنت لأتثقفَ علمياً أو لأتهذبَ اجتماعياً .

وإننى لأبذلُ غايةَ الجهدِ حتى أحققَ الغايتين معا .

الأفعال (أتثقف - أتهذب - أحقق) على التوالى منصوبة « بأن » مضمرة وجوبا - أى مضمرة دائماً ولا تظهر أبداً .

والذى دعا إلى هذا التقدير الغريب أمر ذهنى هو « الرغبة فى اطراد القواعد » وتوضيح ذلك فيما نحن بصده أن إضمار (أَنْ) - كما سنعرف بالتفصيل - يأتى بعد حرفين للجر هما (لام الجحود - حتى) وبعد ثلاثة للعطف هى (أو - فاء السببية - واو المعية) فإذا جاء المضارع منصوباً بعد الأولى يجب أن تبقى حروف الجر ، ويبحث له عن حرف نصب هو (أَنْ) المضمرة - وإذا جاء منصوباً بعد الأخيرة ، يجب أن تبقى حروف عطف ويبحث له عن ناصب هو (أَنْ) المضمرة .

ذلك منطقهم !! وهو منطق متكلف ، ومن السهل نقضه ، إذ أن استعمال هذه الحروف مع الأفعال المنصوبة يختلف عن استعمالها حروف جر أو عطف مع غيرها ، فلماذا يفرض استعمال على استعمال !! ولماذا لا تكون مع الأفعال

المنصوبة حروف نصب مثل الحرف (أَنْ) تماما !! - لعل ذلك كان وجهة نظر الكوفيين ومن يعتد بهم من النحاة - كابن مضاء - الذين قالوا بما يقرب من هذا الرأي السابق .

وعلى كل حال ، فسنتناول هذه الحروف الخمسة واحدًا بعد الآخر على أساس أن (أَنْ) مضمرة بعدها متابعة لجمهور النحاة .

الحرف الأول : لام الجحود (لام التعليل - لام العاقبة) :

لاحظ الأمثلة التالية :

غداة الهزيمة لم يكن هناك عريٌّ ليقبَل العار {
وما كان أحدٌ ليتوقَّع أن يحدث ما حدث { لام الجحود
لكن اليهود يبتئوا الغدرَ ليفاجئونا { التعليل
فهاجموا مواقعَ الطيران لينتصروا انتصارًا رخيصًا مُذهلاً { العاقبة

لام الجحود : الجحود معناه : شدة الإنكار والرفض ، ومن ذلك ما يقال « جحد الكفار الإسلام » أى : رفضوه أشدَّ الرفض - ولام الجحود تفيد النفي المؤكد .

وتحدد نحويًا بأنها هى التى تقع بعد (مَا كَانَ) أو بعد (لَمْ يَكُنْ) .

ومن البين أن (ما كان) نفى ، وأيضًا (لم يكن) نفى ، فتأتى اللام بعد ذلك مفيدة تأكيد النفى ، كقولك : (لم أكن منافقًا لأكذب وما كنت نمامًا لأفسيّد ما بين الناس) ومن ذلك قول الله تعالى :

• ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [الآية ١٣٧ من سورة النساء] .

• ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الآية ٣٣ من سورة الأنفال] .

وهذه اللام تضر (أَنْ) بعدها وجوبًا ، فالفعل منصوب (بأن المضمرة) هذا ... وتستعمل اللام أيضًا مع المضارع الاستعمالين الآتين :

لام التعليل : وهى التى يكون ما بعدها سببًا فيما قبلها ، إذ تفيد أن ما قبلها

يترتب على ما بعدها ، كقولنا : (جاهد الرسولُ لِيُسَلِّمَ النَّاسُ ، ورفض الطغاةُ ليعاندوه) ومن ذلك قول الله تعالى :

• ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الآية ١ .

٢ من سورة الفتح] .

• ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية ٤٤ من سورة

النحل] .

لام العاقبة : وتسمى أيضا (لام الصيرورة) و(لام المآل) وهى التى يكون ما بعدها غير متوقع بالنسبة لما قبلها ، فهو أمر مفاجئ لم يكن منتظرا كالمثال السابق (هاجمت إسرائيل لتنتصر انتصارا رخيصا مذهلا) فالانتصار - بهذا الوصف - كان مفاجأة بالنسبة للهجوم ، ومن ذلك قول الله تعالى عن موسى :

• ﴿فَالْقَظَّةُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [الآية ٨ من سورة

القصص] .

والفعل بعد اللامين الأخيرتين - لام التعليل والعاقبة - ينصب (بأن) مضمرة

جوازا .

قال النحاة : لأنه يمكن النطق بها بعد هذين الحرفين بخلاف لام الجحود .

لكن ينبغي التنبيه إلى استدراك على إضمار « أَنْ » مع لام التعليل ، هذا

الاستدراك توضحه الأمثلة التالية :

بَكَرْتُ فى اليقظة لئلاَّ أتأخَّرَ فى النَّومِ { ظهرت « أَنْ » بعد اللام

وجئتُ سريعا لئلاَّ يفوتَ الموعد { ظهرت « أَنْ » بعد اللام

وملخص هذا الاستدراك : أنه إذا توسط بين لام التعليل والفعل المضارع

حرف (لا) فإنه يجب إظهار (أَنْ) ولا يصح إضمارها .

ومن ذلك قول الله تعالى :

• ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾

[الآية ١٦٥ من سورة النساء] .

الحرف الثانى : حَتَّى :

ينبغى درس ما يتعلق بهذا الحرف من ناحيتين :

الأولى : استعمالات « حَتَّى » فى الكلام العربى .

الثانية : « حتّى » حين ينصب بعدها المضارع :

الناحية الأولى : « حتى » فى الكلام العربى :

تجىء فى اللغة كما يلى :

أولا : حرف جر :

- سنجاهد حتى الرمي الأخير .

- وسنحرّز أرضنا حتى آخر شهر فيها .

فهى فى ذلك حرف جر مثل (إلى) ولها شروط خاصة ستأتى فى مكانها فى باب (حروف الجر) .

ثانيا : حرف عطف :

لاحظ الأمثلة التالية :

- وَسِعَ قَلْبُ الرَّسُولِ كُلَّ النَّاسِ حَتَّى الْعَصَا .

- وَشَمِلَ عَدْلُ عَمْرِ الرِّعْيَةِ حَتَّى الظُّلْمَةِ .

فهى هنا حرف عطف ، وما بعدها تابع لما قبلها ، ولها صفات خاصة ستأتى فى مكانها فى باب (عطف النسق) .

ثالثا : حرف ابتداء :

لاحظ الأمثلة التالية :

- راقَتْ سَهْرَةُ اللَّيْلَةِ حَتَّى السَّهَادِ شَائِقٌ .

- وطالَتْ سَهْرَتُنَا حَتَّى انصَرَفْنَا فى الفجر .

- وكان الكونُ ساكِناً حتى يتجاوَبُ فيه الصمْتُ .

ففى هذه الأمثلة جميعا وقع بعد الحرف (حتى) جملة اسمية أو جملة فعلية ، فعلها ماض أو مضارع مرفوع ، فهى فى كل ذلك حرف ابتداء .

هذا وقد وقفت كتب النحو عند المضارع المرفوع بعد « حتى » - فى باب

إعراب المضارع - فوضعوا من شروطه ما تلخصه العبارة الآتية : (أن يكون

ما قبلها سببا فيما بعدها - وأن يكون المقصود بالفعل المضارع بعدها الزمن الحالي بالنسبة للمتكلم) .

وبالتطبيق على المثال السابق يتضح أن الفعل فى (يتجاوبُ فيه الصمت) سببه (سكون الكون) وأن هذا الفعل صاحب ما قبله ، فهو يحدث معه ، وهو أيضا صاحب وقت المتكلم به ، إذ نطقت هذه الجملة بعد سهرة شائقة بين أصدقاء خرجوا بعدها يجوبون الشوارع فى صمت الفجر .

هذا ويمثل النحاة للفعل المضارع المرفوع بمثال مشهور هو (مرض زيد حتى لا يرجونه) .

رابعاً : ما ينصب بعدها المضارع :

لاحظ الأمثلة التالية :

- يناقشُ القاضى الأدلةَ حتى تظهرَ الحقيقة .

- وكلُّ إنسانٍ برئٌ حتى تثبت إدانته .

- وكلُّ متهمٍ تحت الشك حتى تبرأ ساحتُهُ .

فى هذه الأمثلة ينصب الفعل بعد (حتى) باعتبارها حرف جر والفعل منصوب (بأن) مضمرة على ما هو رأى جمهور النحاة ، أو باعتبار (حتى) حرفا ينصب المضارع على ما هو رأى الكوفيين ، وقد اشترط لنصب المضارع بعدها شرط هام تلخصه العبارة التالية : (أن يكون الفعل الذى بعدها مستقبلا بالنسبة لما قبلها - سواء أكان مسببا عنه أم لا) .

وبتأمل الأمثلة السابقة يتضح فيها جميعا أن ما بعد (حتى) مستقبل بالنسبة لما قبلها - وربما يكون مستقبلا أيضا بالنسبة للمتكلم ، مما يحدده ظروف النطق بها .

ومن شواهد هذه الاستعمال الرابع ما يلى :

* قول الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [الآية ١٨٧ من سورة البقرة] .

* وقوله : ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ [الآية ٩١

الناحية الثانية : معانى (حتى) مع نصب المضارع :

تأمل الأمثلة التالية :

{ سأسهرُ الليلَ حتى يطلعَ الصباح
{ وسأصابِرُ السَّفيه حتى يفارقَ
{ بمعنى (إلى)

{ سأعملُ بجِدٍّ حتى أتفوّقَ
{ وأؤدّي الواجبَ حتى أرضى ضميرى
{ بمعنى (كى)

الحرف (حتى) الذى ينصب بعده المضارع يأتى بالمعانى الآتية :

(أ) بمعنى (إلى) إذا كان ما بعدها غاية لما قبلها - كما هو واضح فى المثالين الأولين ، ومن ذلك ما يمثل به النحاة من قولهم : (لأسيرنَّ حتى تطلّع الشمس) .

(ب) بمعنى (كى) إذا كان ما قبلها سببا فيما بعدها - كما هو واضح فى المثالين الأخيرين ، ومن ذلك ما يمثل به النحاة من قولهم : (أسلمنَّ حتى تدخل الجنة) .

(ج) قد تصلح للمعنيين السابقين جميعا إذا كان الظرف اللغوى الذى ورد فيه الكلام صالحا لهما .

الحرف الثالث : أو :

لاحظ الأمثلة الآتية :

{ أتقنُ عملى بإخلاصٍ أو أرضى ضميرى
{ وأناضلُ ضدَّ الزَّيف أو تنجلي الحقيقة
{ بمعنى إلى

{ لا أتركُ ما أفتنحُ به أو يثبت أنه خطأ
{ وأصدقُ حديثَ النصحِ أو أحسَّ غشه
{ بمعنى (إلا)

يأتى هذا الحرف فى اللغة وبعده الفعل المضارع المنصوب - وفى هذه

(أ) أن تكون بمعنى (إلى) إذا كان ما بعدها غاية لما قبلها - ويمثل له النحاة بقولهم : (لَأُزِمَّنَّكَ أوْ تَقْضِيَنِي حَقِّي) ، ومن ذلك قول الشاعر :

لَأُسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أوْ أُدْرِكَ المَنَى فما انقادت الآمالُ إلا لصابر ^(١)

(ب) أن تكون بمعنى (إلا) إذا كان ما بعدها مستدركا على ما قبلها - ويمثل له النحاة بقولهم : (لَأَقْتُلَنَّ الكَافِرَ أوْ يُسْلِمَ) ، ومن ذلك قول زياد الأعجم :

وكنْتُ إذا غمزتُ قناةَ قومٍ كسرتُ كُعبَها أو تستقيما ^(٢)

قال علماء النحو : إنها تعطف مصدرا مؤولا على مصدر متوهم - والمؤول يجيء من (أن) المضمرة والفعل بعدها ، والمتوهم يتخيل مما قبلها .

الحرف الرابع : فاء السببية :

لاحظ الأمثلة الآتية :

هل نتعلمُ من الماضي فنعتبرَ في الحاضر !!

الحقيقة : أن بعضنا لا يتعلمُ منه فيقعُ في الخطأ

فهلأ أخذنا جذرنا فنتجنب العثرات

اسمها « فاء السببية » لأن ما بعدها يترتب على ما قبلها ، أو بعبارة أقرب يتسبب عما قبلها ، كما هو ملاحظ من أن (الاعتبار في الحاضر) يترتب على (التعلم من الماضي) في المثال الأول ، وكذلك (الوقوع في الخطأ) الذي يترتب على (عدم التعلم من الماضي) وهكذا .

وهذه الفاء يأتي المضارع بعدها منصوبا - على الرأي الشائع - بأن مضمرة وجوبا ، وإنما يكون ذلك إذا سبقها ما يلي :

(١) الشاهد : في (أو أدرك المنى) إذ نصب المضارع بعد (أو) التي بمعنى (إلى) .

(٢) غمزت : جاء في القاموس : غمره : نخسه ، والمقصود هنا أمسكت - قناة : رمح - الكعوب : المسافات بين كل عقدتين في الرمح .

يقول : إذا أردت أمرا فإما أن أحققه وإما أن أحطمه ، كالرمح إذا أمسكته إما أن يستقيم أو ينكسر .

(أ) الطلب بأنواعه المختلفة (الأمر - النهي - الدعاء - الاستفهام - العرض - التحضيض - التمني - الرجاء) .

(ب) النفي .

ومما ورد شاهداً لذلك ما يلي :

* قول الله تعالى عن أهل النار : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ [الآية ٣٦ من سورة فاطر] .

* وقوله : ﴿ يَلَيِّتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الآية ٧٣ من سورة النساء] .

* قول الشاعر :

رَبِّ وَفَّقْنِي فَلَا أَعْدِلَ عَنْ سَنَنِ السَّاعِينَ فِي خَيْرِ سَنَنِ^(١)

* قول الآخر :

هَلْ تَعْرِفُونَ لُبَانَاتِي فَأَرْجُو أَنْ تُقْضَىٰ فِيرْتَدَّ بَعْضُ الرُّوحِ لِلْبَدَنِ^(٢)

وهكذا بقية أنواع الطلب وصور النفي .

الحرف الخامس : واو المعية :

لاحظ الأمثلة الآتية :

الإنسانُ الذكيُّ لا يعتدى على الناس ويأخذُ جذره منهم

فلا تُسألِمُ النَّاسَ وتأمَنَّهُم ، فَإِنَّ ذَلِكَ بِلَاهَةِ

تسمى « واو المعية » ومعناها : مصاحبة ما بعدها لما قبلها ، وعلامتها أن يصح وضع كلمة (مع) مكانها ، ولا يختل المعنى .

(١) سنن : جمع سنة ، وهى السيرة والطريقة .

الشاهد : فى الشطر الأول (رب وفقنى فلا أعدل) فقد نصب الفعل (أعدل) بعد فاء السببية ، وقد سبقها للدعاء .

(٢) لباناتى : جمع لبانة ، وهى الرغبة النهمة .

الشاهد : فى (هل تعرفون لباناتى فأرجو) فقد نصب الفعل (أرجو) بعد فاء السببية ، وقد تقدم عليه الاستفهام .

هذه الواو ينصب المضارع بعدها - على ما هو الشائع - بأن مضمرة وجوبا في المواضع نفسها التي ترد فيها فاء السببية ، وهى جمل النفى والطلب . ومما ورد لذلك الشواهد الآتية :

* قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الآية ١٤٢ من سورة آل عمران] .

* قول الحطيئة :

أَلَمْ أَكُ جَارِكُمْ وَيَكُون بَيْنِي وبينكم المودَّةُ والإخاء (١)

* قول أبى الأسود :

لا تَنَّةَ عن خُلُقٍ وتأتى مثله عارٌّ عليك إذا فعلت عظيم (٢)

وهكذا بقية أنواع الطلب وصور النفى .

إضمار « أَنْ » جوازا :

لاحظ الأمثلة الآتية :

لولا الضميرُ فيزجرُ الغصاةَ لتمادوا في الشر

ولولا الحربُ ويرتدعُ الطَّغاةُ لعمَّتِ الفوضى

ومن دلائل الإيمان مجاهدةُ المرءِ نفسه أو يحاولُ هذه المجاهدة

ومن المفيد فى الحياة استقامةُ خُلُقِ الإنسانِ ثم يُداومَ على ذلك

فى الأمثلة السابقة أفعال مضارعة منصوبة هى على التوالى (يزجر - يرتدع - يحاول - يداوم) وبمعاودة النظر لهذه الجمل يتضح الآتى :

(أ) أن الفعل قد جاء بعد أحد حروف العطف الأربعة (الواو - الفاء - أو -

ثم) .

(١) الشاهد : فى (ألم أك جاركم ويكون) حيث نصب الفعل (يكون) بعد واو المعية ، وقد تقدم عليه الاستفهام .

(٢) الشاهد : فى الشطر الأول (لا تنه عن خلق وتأتى مثله) فإن الفعل (تأتى) منصوب بعد « واو المعية » وقد سبقه النهى - وسياق ذكر هذا البيت مرة أخرى فى المفعول معه .

(ب) أنه قد سبقه اسم معطوف عليه هو على التوالى فى الأمثلة (الضمير - الحرب - مجاهدة - استقامة) .

قال النحاة : ولا بد أن يكون هذا الاسم - المعطوف عليه - خالصا من التأويل بالفعل أ . ه .

ومعنى هذا أنه لا يصح وضع الفعل موضعه ، وغالبًا ما يكون مصدرًا أو اسم ذات .

وبناء على ذلك : فالفعل المضارع الذى يرد بعد أحد حروف العطف الأربعة السابق ذكرها - ويتقدم عليه الاسم الخالص معطوفاً عليه ، هذا المضارع ينصب - على ما هو الشائع - بأن مضمرة جوازًا ، ويصح إظهارها فى الكلام .
ومن ذلك الشواهد التالية :

* قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ [الآية ٤١ من سورة الشورى] .

* قول ميسون بنت بَحدَل زوج معاوية تشكو حياة الترف :
وَلُبِسَ عَبَاءَةً وَتَقَرَّرَ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ (١)

* قول أنس بن مدركة الخثعمي :
إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكًا ثُمَّ أَعْقَلُهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتِ الْبَقْرُ (٢)

إِضْمَارُ « أَنْ » شَذُوذًا :

سبق عرض الحروف التى يرد المضارع منصوباً بعدها ، وأن ذلك النصب فى الرأى الشائع - بأن مضمرة وجوبًا أو جوازًا .

(١) الشفوف : الثياب الرقيقة .

الشاهد : فى الشطر الأول (لبس عباءة وتقرر عيني) فقد نصب الفعل (تقر) بأن مضمرة جوازًا بعد واو العطف ، وسبقه اسم خالص وهو المصدر (لبس) .

(٢) سليك : هو سليك بن السلكة من صعاليك الشعراء ، وقد قتله الشاعر فى قصة تروى - أعقله : أذفع ديتة - والبيت يضرب مثلاً لكل موقف يضرب فيه القوى ، فيخاف الضعيف .

الشاهد : فى (قتل سليكاً ثم أعقله) فقد نصب الفعل المضارع (أعقل) بأن مضمرة جوازًا بعد واو العطف ، وسبقه معطوف عليه هو (قتل) وهو اسم خالص من التأويل بالفعل .

أما ما ورد من العبارات منصوبا فيه المضارع من غير المواضع السابقة فيقتصر فيه على السماع من العرب ، ويعتبر منصوبا « بأن مضمرة شذوذا » ومن ذلك :
 * قول العرب فى المثل : (تسمع بالمُعَيِّدِ خَيْرٌ من أن تراه) تقديره : أن تسمع .

* قول العرب فى المثل : (خذ اللصَّ قبل يأخذك) تقديره : أن يأخذك .

* قول العرب : (مُزّه يحفرها) تقديره : أن يحفرها .

* قول طرفة بن العبد :

ألا أيهذا الزَّاجِرِ أَحْضَرَ الوغى
 وَأَنْ أَشْهَدَ اللذاتِ هل أنت مُخْلِدِي ^(١)

تقديره (أن أحضر الوغى) .

ويبدو - إن لم يجانبني التوفيق - أن من رَوَوْا هذه العبارات النثرية عن العرب قد أخطأوا السماع ، فسقط الحرف (أَنْ) من النطق فى الرواية ثم درست كذلك - أما البيت الشعرى - وأمثاله - فقد سقط منه (أَنْ) لإقامة الوزن ضرورة .

* * *

(١) الشاهد : فى (أحضر الوغى) فقد نصب المضارع (أحضر) بأن مضمرة شذوذا - والرأى

- * * *

الجزء في جواب الطلب :

لاحظ الأمثلة التالية :

- استقيم تغنم راحة الضمير ورضا الله .
- وتعلم من أخطائك تتجنب الوقوع في غيرها .
- لا تتردد تحقق ما تريد .

الأفعال (تعنم - تتجنب - تحقق) فى الأمثلة السابقة مجزومة ، وقد تقدم عليها ما يدل على الطلب وهو الأمر فى المثالين الأولين ، والنهى فى المثال الثالث ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [آية ١٥١ من سورة الأنعام] ويطلق المعربون - كما هو مشهور - على الفعل المجزوم أنه (مجزوم فى جواب الطلب) .

هذا الأسلوب ينبغي أن تتحقق له الصفات التالية :

(أ) أن يتقدم الطلب قبل الفعل المجزوم ، فإن كان الكلام مثبتاً أو منفياً لا يجزم المضارع ، بل يرفع ، تقول : (إنك منافقٌ تدعى صداقتي تؤدُّ عدوى) . وتقول : (إنك صديق مخلص ، فأنت لا تخذلني تنصروني) .

(ب) أن يكون المضارع المجزوم مترتباً على الطلب السابق ، بأن يكون مسبباً عنه في العادة والعرف ، فإن لم يكن كذلك رفع المضارع ، مثل (اغنم من الحياة فرصةً تسنح لك) و (خذ من حياتك لنفسك ساعةً تمرح فيها) فالمضارع في المثالين غير مسبب عن الطلب السابق ، فهو مرفوع على أنه صفة لما قبله .

(ج) أن يكون النهى - وهو واحد من صور الطلب - في الجملة مما يمكن رفعه من الكلام ويوضع موضعه (أداة شرط + لا النافية + فعل شرط) ويصح المعنى - وحيثئذ يجزم المضارع ، فإذا لم تصلح تلك التجربة رفع الفعل المضارع ، ولم يجزم - لاحظ الآتي :

لا تُصادقُ الأشرارَ تتقَيَّ الشبهات يصح : إن لا تصادقُ الأشرارَ تتقَيَّ

الشبهات - الفعل مجزوم .

لا تُصادقُ الأشرارَ تتحملُ وزرهم لا يصح : إن لا تصادقُ الأشرارَ تتحملُ

وزرهم ؛ لفساد المعنى - الفعل مرفوع .

ويبدو أن السبب في هذا الشرط الأخير هو الشرط الثاني ، فإن هذه التجربة الذهنية السابقة لصحة المعنى إنما هي وسيلة - مع النهى خاصة - لمعرفة ترتب الفعل على الطلب أو عدم ترتبه عليه ، وبذلك يكون جزمه أو رفعه . وقد وضع ابن هشام لذلك علامة في قوله :

« وشرط الجزم بعد النهى كون الجواب أمراً محبوباً كدخول الجنة والسلامة في قولك : (لا تكفرْ تدخلُ الجنة) و (لا تدنُ من الأسد تسلم) فلو كان أمراً مكروهاً كدخول النار ، وأكل السبع في قولك : (لا تكفرْ تدخلُ النار) و (لا تدنُ من الأسد يا كلك) نعين الرفع » أ . ه .

الحروف التي تجزم فعلا واحدا :

وهي أربعة أحرف (لَمْ - لَمَّا - لام الطلب - لا : الطلبية) ويمكن الحديث عنها في مجموعتين على النحو التالي :

المجموعة الأولى : لَمْ - لَمَّا :

لاحظ الأمثلة الآتية :

الشعب الواعي من لم ينخدع بالمظاهر والكذب
 لكن : ألم نكذب على أنفسنا حتى فاجأنا الحقيقة ؟؟
 وألما نناقض الأقوياء ونُغفل صوتَ العقل ؟؟
 ومع ذلك فلما نفقد كلَّ الأمل بعد

من حروف جزم المضارع (لم - لَمَّا) ويطلق على الأول أنه (حرف نفى وجزم وقلب) ومعنى ذلك أنه ينفي المضارع المثبت ، ويجزمه ، ويقلب معناه للماضي - ويطلق على الحرف الثاني - لَمَّا - مثل الأول تماما .

وتدخل على كل منهما همزة الاستفهام ، كقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الآية ١ من سورة الشرح] وقول العرب : (أَلَمَّا تصحُ والشيبُ وازغُ) .
 وإلى هنا يتفق الحرفان الجازمان (لم - لما) لكنهما يختلفان بعد ذلك من حيث تحديد المعنى والاستعمال اللغوي .
 أما من حيث تحديد المعنى - مع أنهما يفيدان النفي - فيتمثل ذلك في أمرين :

(أ) أن « لَمْ » تنفي الماضي مطلقا بصرف النظر عن استمرار النفي حتى وقت التكلم ، أما « لَمَّا » فإنها تنفي الماضي حتى زمن التكلم .
 (ب) أن « لَمْ » تنفي الماضي ولا شأن لها بالمستقبل ، أما « لَمَّا » فإنها تنفي الماضي مع توقع حدوث ما نُفِي في المستقبل .

فلنلاحظ الشواهد التالية :

* قول الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [الآية ١ من سورة الإنسان] .

* وقوله : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الآية ١٤ من سورة الحجرات] .

* قول الشاعر :

فإن كنت مأكولاً فكن خيراً آكلٍ وإلا فأدركنى ولما أُمزق^(١)

وأما الذى يتعلق بالاستعمال اللغوى فأمران أيضا :

(أ) أن الحرف « لم » يأتى بعد أداة الشرط « إن » فتقول : (إن لم تتعلم من أخطائك وقعت فيها) ولا يصح ذلك مع « لَمَّا » فلا تقول (إن لَمَّا) .

(ب) أن « لم » لا يحذف المضارع بعدها بخلاف « لَمَّا » فإنه يصح فى النثر والشعر حذف المضارع بعدها ، تقول : (كدت اليوم أخرج للنزهة لكن لَمَّا أى (لَمَّا أخرج) .

المجموعة الثانية : لام الطلب - لا : الطلبية :

لاحظ الأمثلة التالية :

ليتمسك الأحرار بحريتهم .

وليدفعوا عنها بكل ما يستطيعون .

فلا تعتد على حريات الآخرين .

ولا تترك غيرك يعتدى على حريتك .

تسمى اللام فى المثالين الأولين (لام الطلب) كما تسمى فى المثالين الأخيرين (لا : الطلبية) والفرق بين الاثنين أن الأولى تطلب الفعل ، أما الثانية فإنها تطلب الترك .

فإن كان طلب الفعل للتوجيه فهى « للأمر » كخطاب الله لأهل الغنى :

(١) البيت - كما يقول الصبان - لشاعر جاهلى غير معروف ، وقد تمثل به عثمان (رضى الله عنه) حين حاصره الثوار فى بيته ، فكتب إلى على (رضى الله عنه) كتابا وفيه هذا البيت .

الشاهد : (لما أُمزق) حيث جزمت (لما) الفعل المضارع « أُمزق » ومعناها نفى الماضى حتى

الوقت الحاضر مع توقع حدوث ما نفى فى المستقبل ، ولا شك أن عثمان كان يتوقع « التمزيق » وقد مزق فعلا .

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفْسَقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا ءَاتَاهَا﴾ [الآية ٧ من سورة الطلاق] .

وإن كان طلب الفعل للاستعطاف فهي « الدعاء » كخطاب أهل النار لخازن النار : ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الآية ٧٧ من سورة الزخرف] .

وكذلك إن كان طلب الترك بالحرف « لا » للتوجيه ، فهي « للنهي » مثل (لا تنس حقك على نفسك ، ولا تهمل حق الله عليك) ومن ذلك قول الرسول ﷺ لأبي بكر : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [الآية ٤١ من سورة التوبة] . وإن كان طلب الترك للاستعطاف فهي « للدعاء » مثل ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [الآية ٢٨٦ من سورة البقرة] .

ما يجزم فعلين :

إن تراقب ضميرك تُتَقِنَ عملك .

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الآية ٢ من سورة الطلاق] .

هي الأدوات التي تدخل جملة تفيد تعليق أمر على آخر بواسطة هذه الأدوات ، وتسمى هذه الجملة (جملة شرطية) وتتكون من :

(أ) أدوات الشرط : الإحدى عشرة العجيزة .

(ب) جملة الشرط : وتحتوى على الفعل المضارع المجزوم ، ويسمى « فعل الشرط » .

(ج) جملة جواب الشرط : وتحتوى على الفعل المضارع المجزوم ويسمى « فعل جواب الشرط » .

هذه الأدوات الإحدى عشرة تنقسم من حيث نوع الكلمة العربية إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول : إن - إذما :

وهما من الحروف ، الأداة الأولى باتفاق النحاة ، والأداة الثانية على الاتجاه المشهور - فلنلاحظ الأمثلة التالية :

إن تحافظ الأمة على علمائها ، تُصَنِّه من الابتذال

وَإِذَا يَسُئِدُ هَذَا الْخَلْقُ فِيهَا ، يُسَاعِدُ عَلَى رُفْيِهَا

* قال الله تعالى : ﴿ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ ﴾ [الآية ٢٩ من سورة آل عمران] .

* قال الشاعر :

وإنك إذما تأت ما أنت أمرٌ به تُلفٍ من إيَّاه تأمرُ آتيا ^(١)
القسم الثاني : مَنْ - مَا - مَهْمَا - متى - أَيَّانَ - أَنَّى - حَيْثُمَا - أَى :
هذه جميعها تشترك في أنها (أسماء للشرط) لكن يختلف استعمالها بحسب
الأصل على التفصيل التالي :

١ - مَنْ :

وهى فى الأصل لمن يعقل ، ثم ضمنت معنى الشرط ، كقول زهير :

ومن لم يُصانِعْ فى أمورٍ كثيرةٍ يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويوطأ بِمَنَسِمٍ ^(٢)

٢ - مَا - مَهْمَا :

وهما فى الأصل لما لا يعقل ، ثم ضُمَّتَا معنى الشرط ، ومن ذلك :

* قول الله تعالى : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ [الآية ١٩٧ من سورة البقرة] .

* قول زهير :

ومهما تكن عند امرئ من خَلِيقَةٍ وإن خَالَهَا تخفى على النَّاسِ تُغْلَمُ ^(٣)

(١) القدوة فى العمل لا فى الكلام ، فإذا أمرت بشئٍ وفعلته ، فعله أيضا من أمرته .

الشاهد : أن (إذما) حرف شرط يجزم فعلين ، فعل الشرط (تأت) وفعل الجواب (تلف) .

(٢) يضرس : يطحن بالأضراس - المنسم - كما جاء فى القاموس - خف البعير . والمقصود بذلك كله : التلف والهلاك .

يقول : إن من لم يصانع الناس ، ويتسم بالمرونة ، يعرض نفسه للتلف والهلاك كأنما يطحن بالأضراس ويهلك تحت خف البعير .

الشاهد : فى (من) اسم شرط جازم لفعلين ، وفعل الشرط (لم يصانع) كلها فى محل جزم ، وجواب الشرط (يضرس) وما عطف عليه .

(٣) الشاهد : أن (مهما) اسم الشرط لغير العاقل تجزم فعلين ؛ أولهما (تكن) وثانيهما (تعلم)

٣ - مَتَى - أَيَّانَ :

الأصل فيهما أنهما اسمان للزمان ، ثم ضمنا معنى الشرط ، ومن ذلك :
* قول الحطيئة :

متى تأتبه تغشوا إلى ضوء ناره تجد خير ناري عندها خير موقد^(١)

* قول الآخر :

أيَّانَ نُؤْمِنُكَ تَأْمَنُ غَيْرَنَا وإذا لم تُدْرِكَ الأَمَنَ مِنَّا لم تزل حذرا^(٢)

٤ - أَيْنَ - أَنَّى - حَيْثَمَا :

الأصل فيها أنها أسماء للمكان ، ثم ضمنت معنى الشرط ، ومن شواهد ما يلي :

* قول الله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾
[الآية ٧٨ من سورة النساء] .

* قول الشاعر :

خليلي أننى تأتيايى تأتيا أخوا غير ما يرضيكما لا يحاول^(٣)

* قول الآخر :

حيثما تستقيم يُقدِّرُ لك الله نجاحا في غابر الأزمان^(٤)

٥ - أَىَّ :

لاحظ الأمثلة التالية :

(١) تعشو : الأعشى : سئ البصر بالليل ، والمقصود بالفعل « تعشو » هنا المجيء من غير قصد .

الشاهد : أن (متى) اسم شرط للزمان يجزم فعلين ، أولهما (تأتبه) وثانيهما (تجد) .

(٢) الشاهد : أن (أيان) اسم شرط للزمان يجزم فعلين ، فعل الشرط « تؤمنك » وفعل الجواب

« تأمن » .

(٣) الشاهد : كلمة « أنى » اسم شرط للمكان يجزم فعلين ، فعل الشرط والجواب وهما

« تأتيايى » - « تأتيا أخوا » .

(٤) الشاهد : أن « حيثما » اسم شرط للمكان يجزم فعلين ، فعل الشرط « تستقيم » وفعل

الجواب « يقدر » .

{ استعملت للعاقل	أَيَّ امرئٍ تصادقَه تنصحه
{ استعملت لغير العاقل	وأَيَّ شئٍ يؤذِك مرة تحذره
{ استعملت للزمان	وأَيَّ وقتٍ تسنخ فيه الفرصة تغتنمه
{ استعملت للمكان	وأَيَّ مكانٍ تجدُ رزقك فيه تسكنه

قال النحاة : كلمة (أَيَّ) بحسب ما تضاف إليه ، فهي تستمد معناها من المضاف إليه ، فإن كان للعاقل أو لغيره فهي له ، وإن كان للزمان أو المكان فهي له ، ومن شواهد ما قول الله تعالى : ﴿ أَيُّ مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الآية ١١٠ من سورة الإسراء] .

اقتران أسماء الشرط بـ (ما) الزائدة :

ذكر الأشموني أن الأداتين (إذ - حيث) لا بد أن تقتربا بالحرف (ما) الزائد حين استعمالهما للشرط ، فيقال : (إذما - حيثما) .

وأن الأدوات (إن - متى - أيان - أين - أي) يجوز اقترانها بالحرف (ما) أو عدم اقترانها به - راجع ما سبق من شواهدا .

أما باقى الأدوات (من - ما - مهما - أنى) فلا تقترب به مطلقا .

اقتران جواب الشرط بالفاء :

لاحظ الأمثلة التالية :

من يُرد الاستقامة ، فبابُ الله مفتوح
ومن يتعلّق بالشرّ ، فلن يلوّم إلا نفسه
فإن تُطع الخُلُق الكريم ، فعسى أن تستفيد

يقترن جواب الشرط بالفاء فيما لخصه النحاة فى جملة واحدة هى : (كل ما لا يصح أن يقع جملة شرط) - ثم فصلوا ذلك موضحا فى الآتى :

(أ) الجملة الاسمية .

- (ج) الجملة التي يأتى فى أولها فعل جامد مثل (عسى - ليس - نعم - بئس) .
 (د) الجملة التي يأتى فى أولها أحد حرفى النفى (ما - لن) .
 (هـ) الجملة التي يأتى فى أولها أحد حروف الاستقبال (السين - سوف) .
 (و) الجملة التي يأتى فى أولها الحرف (قد) .

فكل واحد من هذه المواضع إذا جاء « جملة الجواب » يجب اقترانه بالفاء وجوباً ، بل زاد بعضهم فنظمها شعراً فى قوله :
 اسمية طلبية وبجامد وبما ولن وبقد وبالتنفيس
 فلتأمل الآيات التالية :

* ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية ١٠٧ من سورة يونس] .

* ﴿وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية ٧٤ من سورة النساء] .

* ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية ٧٧ من سورة يوسف] .

هذا ، وينبغى أن يذكر هنا أن حرف « الفاء » فى هذه المواضع واجب الذكر ، ولا يصح إسقاطه إلا حين يضطر الشاعر لذلك لضيق الوزن والقافية ، ويطلق على هذا اسم (ضرورة الشعر) ومن ذلك :

* قول كعب بن مالك :
 مَنْ يَفْعَلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ ^(١)
 * وقول الآخر :

وَمَنْ لَا يَزُلْ يَنْقَادُ لِلْعَيِّ وَالصُّبَا سَيْلَفَى عَلَى طَوْلِ السَّلَامَةِ نَادِمًا ^(٢)

(١) الشاهد : فى (الله يشكرها) حيث وقعت جملة جواب الشرط اسمية وحذفت منها الفاء ضرورة .

العطف بين الشرط والجزاء أو بعدهما :

لاحظ الأمثلة التالية :

من يُخلص ويستمر على إخلاصه يثق به الناس {
ومن يُنافق فيشتهر بالنفاق ، يحتقره الناس { العطف بين الشرط
ومن يحب نفسه فقط يكرهه الناس ويجتنبه { والجزاء
{ أصدقاؤه

ومن يبذل من نفسه للآخرين يقدّره { العطف بعد الشرط
الناس فيُرعّم أعداؤه على احترامه { والجزاء

يأتى العطف « بالواو أو الفاء » بين الشرط والجزاء - كالمثالين الأولين
وحينئذ لك فى الفعل المعطوف بعدهما نصبه وجزمه - فإن جاء العطف بعد
الجزاء - كالمثالين الآخرين - فلك رفعه ونصبه وجزمه - وهكذا ورد فى اللغة .
* قال الله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفِرُ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الآية ٢٨٤ من سورة البقرة] .
* قول الشاعر :

ومن يقترب منا ويخضع نؤوه : ولا يخش ظُلماً ما أقام ولا هَضْماً^(١)

* قول زهير :

ومن لا يُقدِّم رجله مطمئنة فيثبتها فى مُستوى الأرض يزلق^(٢)

(١) نؤوه : يجد عندنا المأوى والإكرام - هضما : ضياعا لحقوقه .

الشاهد : فى قوله (ويخضع) حيث عطف بالواو بين الشرط والجواب فيصح النصب والجزم ،
وقد جاء الفعل فى البيت منصوباً باعتبار الواو للمعية .

(٢) يزلق : يتزحلق .

البيت كله صورة لعدم التثبت قبل الإقدام على الأمر ، فيؤدى ذلك للألم والندم ، تماماً كمن
يمشى فى الأرض الموحلة الملساء ولا يثبت رجله ، فإنه يزلق ويقع ويتألم .

الشاهد : فى (فيثبت) حيث عطف بالفاء بين الشرط والجواب ، فيصح النصب والجزم ، وقد
ورد البيت بالنصب وهو أحد الوجهين .

فقد قرئت الآية فى الفعل (يغفر) بالرفع والنصب والجزم .

وجاء البيت الأول بنصب (يخضع) والبيت الثانى بنصب (يثبت) فقط .

قال النحاة : والرفع على أن الحرفين - الفاء والواو - للاستئناف والنصب على أن الواو للمعية والفاء للسببية ، والجزم للعطف على الشرط أو الجواب .

اجتماع الشرط والقسم :

ينبغى قبل فهم هذا الموضوع معرفة صفات الجملة التى تقع جوابا للشرط أو جوابا للقسم ، وذلك على التفصيل التالى :

(أ) جواب الشرط يكون مجزوماً أو مقترنا بالفاء على ما تقدم الحديث عنه .

(ب) جواب القسم يأتى على التفصيل التالى :

أولاً : الجملة المثبتة :

إذا كانت الجملة الفعلية فعلها مضارع أكد باللام - لام جواب القسم - ونون التوكيد ، كقولك : (والله لأنالز حقى ولو بعد حين) وإذا كانت فعلية فعلها ماض ، وجاء معه اللام - لام جواب القسم - والحرف (قد) مثل قولك : (أقسم لقد اغترت الطغاة والغرور هلاك) .

فإن كانت الجملة المثبتة اسمية ، جاءت معها إن - المكسورة الهمزة - واللام - لام الابتداء - مثل قولك : (والله إن الراحة لمطلوبة ، وإن النفوس المجاهدة لقليلة الإنتاج) .

ثانياً : الجملة المنفية :

سواء أكانت فعلية أم اسمية ، فإنه يجب أن تنفى بأحد حرفى النفى (ما - لا) تقول : (أقسم ما نجت أمة بغير أخلاق ، ولا هلكت أمة مع التمسك بالأخلاق) .

إذا علم ذلك ، فماذا يكون الأمر إذا اجتمع الشرط والقسم ، وكل منهما فى حاجة إلى الجواب ؟؟ - لاحظ الأمثلة الآتية :

والله إن تمكنت لأصعق المعروف { الجواب للقسم ، وحذف جواب

وإن لم أتمكن أقسم فما قصرْتُ { الجواب للشرط ، وحذف
فى الخير { جواب القسم

المعروفُ والله إن فعلته فعاقبته { الجواب للشرط ، وحذف جواب
خير { القسم

قال علماء النحو - رحمهم الله - : إذا اجتمع الشرط والقسم ، واتجه
معناهما لجواب واحد ، فإن المتقدم منهما يأخذ الجواب ، أما المتأخر فيحذف
جوابه - كما ترى فى المثالين الأول والثانى .

فإن تقدم على كل من الشرط والقسم مبتدأ - كما فى المثال الثالث - روى
الشرط تقدم أو تأخر ، فكان الجواب له .

هذا هو الأصل فى استعمال اللغة ، وما ورد غير ذلك مرفوض ما لم يكن
ضرورة لشاعر ، لضيق الأمر عليه بالوزن والقافية ، والضرورات يُبحرُ
المحظورات .

الحذف فى الجملة الشرطية :

الأصل فى الكلام العربى أن يكون كله مذكورا ، فالحذف على خلاف
الأصل ، ومما يحذف جملة الشرط أو جملة الجواب أو هما معا ، وهذا الأخير
أمره عجيب !! إذ تغيب الجملة الشرطية كاملة ولا يبقى منها سوى الأداة .

وكل ذلك إنما يصح فى الكلام إذا كان المحذوف معلوما من السياق لفظاً
أو دلالة .

وعلى ذلك جاء الحذف على النحو التالى :

أولاً : حذف جملة الجواب :

وهذا كثير فى اللغة ، تقول : (أنت ناج إن احترست) والمثال المشهور فى
كتب النحو (أنت ظالم إن فعلت) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ
تَنْبَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ ﴾ [الآية ٢٥ من سورة الأنعام] تقدير الجواب
المحذوف (فافعل) .

ثانيًا : حذف جملة الشرط :

وهذا قليل في اللغة ، وأغلب ما يأتي مع أداة (الشرط) (إن) وبعدها (لا) :
النافية) كقول الأحوص يتحدث عن حبيبته التي زوّجوها من غيره واسمه «مطر» :

سلامُ اللهِ يا مطرٌ عليها وليس عليك يا مطرُ السلامُ
فإن يكنْ النكاحُ أحلَّ شيءَ فإنْ نكاحها مطرًا حرامُ
فلا غفرَ الإلهُ لمنكحِها ذنوبهم وإنْ صلُّوا وصاموا
فطلّقها فلستَ لها بكُفءٍ وإلاَّ يغلُ مفرّقك الحسامُ^(١)

ثالثًا : حذف الجملتين جميعًا :

وهذا نادر في اللغة ، وأكثر ما يرد في الشعر ، ومن استعماله في النثر ما يقال
في مواقف العناد والتحدّي (وإن) أو (ولَوْ) فالتقدير (وإن اعتذر فلن أقبل اعتذاره)
وأيضًا (ولو هدّد فلن أخاف) .

أدوات الشرط غير الجازمة :

هي تلك الأدوات التي تقوم بالربط بين شيئين أحدهما يترتب على الآخر ،
فهذه الأدوات تستدعي إذن جملة شرطية كاملة فيها (أداة الشرط + جملة الشرط
+ جملة جواب الشرط) لكن هذه الأدوات لا تجزم الأفعال لا في الشرط ولا في
الجواب - فلنلاحظ الأمثلة التالية :

لو أنصفَ الناسُ ، استراح القاضي الأداة (لو)
لولا اختلافُ الأذواقِ ، لبارث السلع الأداة (لولا)
إذا عرفتَ عدوكَ ، أمِنْتَ غِرَّتَه الأداة (إذا)
كلما ازدادَ المرءُ علمًا ، قلَّ جهلاً الأداة (كلما)
لَمَّا اشتدَّتْ الأزمةُ ، انتظرتُ الفرجَ الأداة (لَمَّا : الحينية)
أشهر أدوات الشرط غير الجازمة خمس هي (لَوْ - لَوْلا - إِذَا - كُلَّمَا - لَمَّا :

(١) معظم أبيات هذه المقطوعة من شواهد النحو ، والشاهد هنا في البيت الأخير (ولا يعل) إذ
حذفت جملة الشرط ، وأصل الكلام (ولا تطلقها يعل) وقد جاء ذلك بعد (إن) الشرطية و (لا) النافية .

الحينية) وإليك معانى هذه الأدوات كما ينطقها المعربون ووصفا مختصرا للجملة الشرطية التى تقع بعدها ، وشواهدا من الاستعمال العربى .

• لو :

هى - كما يقول المعربون - (حرف امتناع لامتناع) ومعنى ذلك أن الجملة التى تأتى بعدها مجرد افتراض ، إذ تفيد امتناع حدوث الجواب لامتناع الشرط ، وتكون جملتها الشرطية كما يلى :

أولا : جملة الشرط : تأتى على الصورة التالية :

(أ) أن يكون فعل الشرط فيها فعلا ماضيا فى اللفظ والمعنى ، وهذا هو الغالب فيها فى اللغة ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبَ لَاسْتَكُنْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ ﴾ [الآية ١٨٨ من سورة الأعراف] .

(ب) أن يكون فعل الشرط ماضيا لفظا ومستقبلا فى المعنى ، مثل قول الله تعالى : ﴿ وَلَيَحْشَنَّ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُ ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ [الآية ٩ من سورة النساء] .

(جـ) أن يكون فعل الشرط مضارعا ، ولكن معناه الماضى ، كقول كُثِّير عَزَّة :

رهبانٌ مدينَ والذين عهدتهم يكون من حذرِ العذاب قُعودا
لو يسمعون - كما سمعت - كلامها خروا لعزّة رُكعا وسجودا^(١)

(د) أن تأتى بعدها جملة (أنّ واسمها وخبرها) وهذا كثير فى اللغة ومن ذلك قول توبة بن الحمير :

ولو أنّ لَيْلى الأخيلىّة سلّمت علىّ ودونى جندلَ وصفائِ^(٢)
لسلّمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقا إليها صدّى من جانبِ القبرِ صائِج

وحينئذ يكون المصدر المؤول من (أنّ واسمها وخبرها) فاعلا لفعل محذوف على رأى المشهور .

(١) الشاهد : فى البيت الثانى ، إذ جاء فعل الشرط للحرف (لو) مضارعا (يسمعون) لكن معناه الماضى ، لأن سياق البيت يدل على ذلك ، فكأنه قال (لو سمعوا) .

(٢) الجندل : الحجارة الصلبة - صفائح : الحجارة العراض التى تغطى فتحات القبور - زقا : صاح - الصدنى : رجع الصوت .

ثانيا : جملة الجواب : وتأتى على الصور التالية :

(أ) أن يكون فعلا ماضيا مثبتا ، مثل (لو قَدَّرَ اللّٰثِيْمُ عَلَى الْكَرِيْمِ لَأَهَانَهُ ، ولو قدر عليه الكريم لعفا عنه) .

(ب) أن يكون فعلا ماضيا منفيا بالحرف (ما) مثل (لو أَهْمِلَ الْعِلْمُ فِي الْأُمَّةِ ، ما بقيت لها حضارة) وفي كلتا الصورتين السابقتين يصح أن يأتى فى أول الجواب لام تسمى « لام جواب الشرط » .

(جـ) أن يأتى الجواب فعلا مضارعاً منفيا بالحرف (لم) مثل (لو حكمتُ لم أظلم ، ولو ارتقيتُ لم أغترّ) .

* لَوْلَا :

يقول عنها العربون : إنها (حرف امتناع لوجود) ومعنى هذه العبارة أن جوابها امتنع لوجود الشرط ، فإذا قلت : (لولا لطفُ الله لهلك العَصاة) فمعنى هذه الجملة أنه امتنع هلاك العصاة لوجود لطف الله .

وتأتى : الجملة بعدها كما يلى :

أولاً : جملة الشرط : وهى جملة اسمية يذكر المبتدأ فيها بعد (لولا) ويحذف الخبر وجوبا .

ثانيا : جملة جواب الشرط : وهى جملة فعلية على التفصيل السابق فى حرف الشرط (لو) .

* من الدعاء المأثور (اللهم لولا أنت ، ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ، فأنزلن سكينه علينا ، وثبت الأقدام إن نادينا) .

* قول الشاعر :

لولا رجاء لقاء الظّاعنين لما أبقت نواهم لنا زُوحاً ولا جسداً^(١)

= يقول : لو كنت فى قبرى حيث سد على بالأحجار والصفائح ، ثم جاءت ليلى فسلمت على ، لأجبتها مبتهجتاً ، أو لسمعت صباحاً من القبر هو صدى صوتى ؛ إذ حيل بينى وبينها .

الشاهد : فى (لو أن ليلى سلمت) فقد جاء بعد (لو) أن واسمها وخبرها ، وعلى الرأى المشهور يكون المصدر المؤول فاعلاً لفعل محذوف هو فعل الشرط وتقدير الكلام (لو حدث تسليم ليلى) .

(١) الظّاعنين : الراحين - نواهم : بعدهم وغيابهم .

* إذا :

يقول عنها المعربون : (ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه ، منصوب بجوابه) ومعنى هذه العبارة تفصيلا ما يلي :

(أ) أن (إذا) مع إفادتها الشرط ، فإنها اسم بمعنى (حين) وهى منصوبة على الظرفية فى محل نصب .

(ب) أن الشرط والجواب يكون معناهما فى المستقبل ، سواء أجا لفظهما ماضيا أم مضارعا أم جاء الجواب أمرا .

(ج) أن جملة الشرط كلها تكون فى محل جر بالإضافة إلى (إذا) .

(د) أن الذى ينصب (إذا) هو الجواب ، فهو - فى رأى النحاة - عامل الظرف .

من العبارات المأثورة : (كان عمر بن الخطاب إذا تكلم أسمع ، وإذا ضرب أوجع ، وإذا مشى أسرع) .

* كَلَّمَا :

يقول عنها المعربون : (حرف يفيد الاستمرار ، أداة شرط) ومعناه استمرار تكرار الجواب كلما تكرر الشرط ، تقول : (كَلَّمَا ارتفعَ قَدْرُ الكريم ، ازداد تواضعا ، وكَلَّمَا ارتفعَ شأنُ اللئيم ، ازدادَ خِسَّةً) ومن البين أن هذا الارتباط لا يتوقف على الماضى أو الحاضر أو المستقبل ، إذ يمكن أن يتحقق فيها جميعا .

* قال الله تعالى : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾

[الآية ٣٧ من سورة آل عمران] .

* ومن شعر العقاد يشكو صدمته فى الأصدقاء الأوفياء :

أَكَلَّمَا لَاحَ لى نجمٌ فأتبعه	خبا الضياءُ ، فلم أُبْصِرْ سوى كَدَرٍ
أَكَلَمَا قَلْتُ : هذا جوهرٌ ، نطقُ	عليه دون بَنَانِي خِسَّةُ الحَجَرِ
أَكَلَمَا قَلْتُ : هذا كوثرٌ خَصِرٌ	تجمَّعَ الصَّابُ لى فى الكوثرِ الخَصِرِ

= الشاهد : أن (لولا) جاء بعدها اسم مرفوع هو (لقاء) وهو مبتدأ خبره محذوف والجملة الاسمية

هي الحقيقة أنساها وأذكرها في كل يوم ولما يُجدني حذري^(١)
 * لَمَّا : الحينية :

هكذا يصفها المعربون فيقال : (لَمَّا : حينية ، أداة شرط) ومفهوم هذا الوصف أنها بمعنى (حين) فتفيد أيضا تعليق الجواب على الشرط ، تقول : (لَمَّا التقى الجمعان ، ثبَّت الشجاع وفرَّ العبان) ومن ذلك قول المتنبي :

ولمَّا صار وُدُّ النَّاسِ حِجْبًا جزيثٌ على ابتسام بابتسام
 وصرْتُ أشكُّ فيمن أضطفيه لعلمي أنه بعضُ الأنام^(٢)

* * *

(١) بناني : كفى - كوتر خصر : نهر شديد العذوبة - الصاب : المر - لما يجدني : لما يفدني .

التمثيل بهذه الأبيات لأداة الشرط (كلما) حيث وردت الجملة الشرطية معها في الأبيات الثلاثة الأولى .

(٢) حجا : خداعا - أضطفيه : أصادفه وأختاره - الأنام : الناس .
 موضع التمثيل في البيت الأول ، إذ هو جملة شرطية كاملة ، استخدمت فيها الأداة (لما) .

الفاعل

- ١ - المقصود بالفاعل لدى النحاة .
- ٢ - من أهم مباحث الفاعل الأمور التالية :
- (أ) الفاعل وعامله من حيث الذكر والحذف .
- (ب) عامل الفاعل من حيث الإفراد والتثنية والجمع .
- (ج) عامل الفاعل المؤنث من حيث التأنيث والتذكير .
- (د) الترتيب في الجملة بين الفعل والفاعل والمفعول .

الفاعل :

لاحظ الأمثلة التالية :

يظلم الأمة ضعفها أمام الطغاة { الفاعل اسم صريح
يظلم الأمة أن تضعف أمام الطغاة { الفاعل اسم مؤول بالصریح

هل يتجبر الطغاة على الأمة إلا بضعفها { عامل الفاعل فعل صريح
هل متجبر الطغاة على الأمة إلا بضعفها { عامل الفاعل اسم شبيه بالفعل

أذل الجبن أعناق الرجال { لقد قام الفاعل بالفعل وعمله
ذل رجال من طبعهم الجبن { لقد قام الفعل بالفاعل فنسب إليه

الفاعل - كما جاء في قطر الندى - اسم صريح أو مؤول به وأسند إليه فعل
أو شبيه به ، مقدم عليه بالأصالة ، واقعا منه أو قائما به أ . ه .

ومن هذا التعريف المركز يمكن أن توصف الجملة التي يأتي فيها الفاعل
بالصفات التالية :

(أ) أن الفاعل يكون اسماً صريحاً سواء أكان ظاهراً أم مضمراً ، تقول :
(أوحى الله الرسالة للبين فبلغوا للبشر ما سمعوه) . وقد يكون اسماً مؤولاً

بالصريح ، والحروف التي تؤوّل بالصريح هنا ثلاثة هي (أَنْ - أُنْ - مَا) تقول :
(سَاءَنِي أَنْكَ مَرِيضٌ ، وَسَرَّنِي أَنْ شُفِيتَ ، إِذْ أُبْهِجْنَا مَا نَجَوْتَ مِنَ الْخَطَرِ) .

(ب) أَنْ يكون عامله فعلا أو شبه الفعل (اسم فاعل - أمثلة مبالغة - صفة مشبهة - اسم التفضيل ... إلخ) تقول : (الشر نَادِمٌ فاعله) أو (الفسادُ نَمَاطٌ نَاقِلُهُ) .

(ج) أَنْ يقوم الفاعل بالفعل ويعمله ، فيقع منه ، أى يفعله حقيقة ، مثل (صنعتُ المعروفَ وتناسيتُ صنعه) . أو ينسب الفعل للفاعل دون أن يعمله مثل (انتصرَ الحقُّ ، وانهزمَ الباطلُ) ومثل (تحطمتُ الطائرةُ ، واصطدمت بالأرض) فليس معنى أنه (فاعل) أنه قام بالعمل فعلا ، بل قد يقوم به ، وقد ينسب إليه - كما هو واضح في الأمثلة .

الفاعل وعامله من حيث الذكر والحذف :

يقصد بعامل الفاعل - لدى النحاة - ما رفع به الفاعل ، سواء أكان فعلا أم شبه فعل ، والأصل - كما سبق - ألا يحذف شيء من الكلام العربي بل يكون الكلام كله مذكورا ، فلا يقدّر شيء على ما هو مذكور فعلا ، لكن من منهج النحاة الحذف ، فما هو الرأى فى حذف كل من العامل والفاعل ؟

أولا : حذف العامل :

لاحظ المحادثة التالية :

- هل لَبِى الأصدقاء دعوتك لهم ؟

- نعم .. بعضُهم

- ألم يعتذِرْ إليك الغائبون ؟

- بلى .. الغائبون بل الحاضرون نيابة عنهم .

ففى هذه المحادثة جاء فى الرد الأول حذف الفعل ، فأصل الجملة (نعم لَبِى بعضُهم) وكذلك فى الرد الثانى حذف من الجملة فعلا ، وأصلها (بلى اعتذر الغائبون بل تأسّف الحاضرون نيابة عنهم) وكل ذلك لأن الكلام قد فهم منه ذلك المحذوف ، ومن ذلك الشواهد التالية :

* قول الله تعالى : ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ الآية

* قول الشاعر :

تجلدْتُ حتى قيل لم يغمُر قلبه

من الوجد شيء قلْتُ بل أعظم الوجد^(١)

لكن : يصبح هذا الحذف واجبا بعد أداتَي الشرط (إِنْ - إِذَا) إذا وجد بعدهما اسم مرفوع وقد تأخر عنه مفسر للمحذوف ، تقول : (إِنْ سَفِيَةً أَهَانِكَ فَلَا تَجِبْهُ ، وَإِذَا كَرِيمٌ غَضِبَ مِنْكَ فَصَالِحُهُ) ومن ذلك الشواهد التالية :

* قول الله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الآية ٧ من سورة التوبة] .

* قول أمية بن أبي الصلت لابنه :

إذا ليلةً نابتكَ بالشكوى لم أبِثْ لشكواكَ إلا ساهراً أتملَمَل^(٢)

ثانياً : حذف الفاعل :

من المعلوم أن هناك فرقاً بين الاستتار والحذف ، فالاستتار يوصف به «الضمير» وهو في حكم المذكور - أما الحذف فهو من صفات «الاسم الظاهر» والمحذوف يعتبر غير موجود أصلاً .

فالأصل في الفاعل أن يكون مذكوراً ، مثل (طال الليلُ وسهر المتعبون) وقد يكون مستتراً مثل (تَحَيَّرَ الأوقاتُ المناسبةَ لزيارة أصدقائك ولا تُزعِجْهم في غير تلك الأوقات) .

أما حذف الفاعل ، فالرأى المشهور عنه أنه ممنوع - إلا في مواضع خاصة تذكر في أبوابها .

هذا وتسوق كتب النحو الحديث التالي : (لا يزنَى الزانى حين يزنَى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)^(٣) ، إذ يشعر هذا الحديث أن

(١) تجلدت : أظهرت الصبر - لم يعر قلبه : لم يصبه - الوجد : الشوق والحب .

الشاهد : في (بل أعظم الوجد) فإنه فاعل بفعل محذوف جوازاً يدل عليه الكلام السابق ، وتقدير الكلام (بل عراه أعظم الوجد) .

(٢) نابتك : أصابتك ، والمقصود : حدث فيها ما تشكو منه - أتملَمَل : أتقلب .

الشاهد : في (إذا ليلةً نابتك بالشكوى) حذف الفعل وجوباً بعد (إذا) وتقدير الكلام (إذا نابتك ليلة

نابتك) وكلمة (ليلة) فاعل بهذا الفعل المحذوف .

(٣) صفوة صحيح البخارى ج ٤ ص ١٠٧ .

فاعل (يشرب) محذوف ، إذ لا يمكن أن يكون ضميرًا يعود على (الزاني) لأن هذا غير ذاك - لكن اتساقا مع الرأي المشهور اعتبر فاعله ضميرًا مستترًا يعود على (الشارب) من مضمون الكلام .

عامل الفاعل من حيث الأفراد والتثنية والجمع :

لاحظ الأمثلة التالية :

قدّم العلم أجّل الخدمات لمدينة عصرنا { العامل مفرد - الفاعل مفرد
وأدّى العلماء دورهم في خدمة الإنسانية { العامل مفرد - الفاعل جمع

وتتسابق الدولتان الكبريان في العالم لاحتواء {

العلماء { العامل مفرد - الفاعل مثنى

عامل الفاعل قد يكون فعلا وقد يكون اسمًا شبيهًا بالفعل - كاسم الفاعل مثلا - والدلالة على التثنية في الفعل تكون بإلحاق ألف الاثنين به ، والدلالة على الجمع تكون بإلحاق علامة الجمع به - أما الشبيه بالفعل فيكون بتثنيته أو جمعه . إذا علم ذلك ، فإن الأصل في اللغة المشتركة أن تبقى العامل مفردًا دائمًا فلا يثنى ولا يجمع - كما هو ملاحظ في الأمثلة السابقة - سواء كان الفاعل مفردًا أم مثنى أم مجموعا - وهكذا وردت النصوص اللغوية التي يعتد بها شعرا ونثرا . لكن ، يبدو أن الخطأ في منهج جمع اللغة حيث أخذت عن قبائل متعدّدة قد كان له أثر في الاستدراك على هذه الفكرة السابقة .

قال ابن هشام : « وحكى البصريون عن « طيّئ » وبعضهم عن « أزد شنوءة » نحو (ضربوني قومك وضربيني نسوئك وضرباني أخواك) » . أ . ه .

ومعنى ذلك أن بعض قبائل العرب تلحق علامات التثنية والجمع بعامل الفاعل المثنى أو المجموع - وتروى لذلك الشواهد التالية :

* قول عبد الله بن قيس الرقيات :

تولّى قتالَ المارقين بنفسه وقد أسلمناه مبعّدٌ وحميم^(١)

(١) المارقين : الخارجين عن الدين - مبعّد وحميم : أجنبي وصديق - والبيت من قصيدة في

قول العتبي :

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بِعَارِضِي فَأَعْرَضَنِي عَنِ الْخُدُودِ التَّوَاضِعِ (١)

هذا وقد حمل على هذه اللغة قول الرسول ﷺ : (يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ) (٢) حيث ألحقت علامة الجمع بالفعل (يتعاقبون) . كما حمل عليها أيضا قول الرسول ﷺ في حديثه مع « ورقة بن نوفل » إذ قال له : (وَسَيَخْرُجُكَ قَوْمُكَ) (٣) فقال عليه السلام : (أَوْ مُخْرِجِيْ هُمْ) بتشديد الياء ، أصلها (مُخْرِجُوِي) بإلحاق علامة الجمع .

والحق أن هذين الحديثين كثر حولهما حديث الناس في التأويل والتخريج - وأحسن ما يختار من ذلك ما يلي :

أن الحديث الأول رُوِيَ ناقصا ، وأصله (إن الله ملائكة يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) - ولا شاهد فيه على هذه الرواية .

وأن الحديث الثاني - فيما أظن روايته الصحيحة (أو مُخْرِجِيْ هُمْ) دون تشديد الياء - وعلى ذلك لا شاهد فيه .

وتطلق كتب النحو على هذه اللغة (لغة أكلوني البراغيث) وسماها ابن مالك لغة (يتعاقبون فيكم ملائكة) إشارة للحديث السابق .

والذي أراه أن هذه اللغة رديئة ، بدليل أنه لا يستعملها في وقتنا الحاضر إلا الصبيان الصغار الذين لم يتمرّسوا بالفصاحة ، وكذلك عوام الناس في اللهجة الدارجة ، حيث يقول الصغار في موضوعات الإنشاء : (انصرفوا الطلبة) ويقول العوام (صُحُوا الأطفال) .

عامل الفاعل المؤنث من حيث التأنيث وتركه :

ينبغي قبل الحديث عن هذا الموضوع فهم أمور ثلاثة هي (كيفية تأنيث العامل فعلا أو شبه فعل - المؤنث الحقيقي التأنيث - المؤنث المجازي التأنيث) .

= الشاهد : في قوله (أسلماه مبعد وحميم) حيث ألحق علامة التثنية بالفعل (أسلماه) لأن الفاعل اثنان (مبعد وحميم) وهذا على لغة بعض العرب .

(١) الشاهد : (رَأَيْنَ الْغَوَانِي) حيث ألحق علامة الجمع المؤنث بالفعل (رَأَيْنَ) لأن الفاعل جمع وهو (الغواني) وهذا على لغة بعض العرب .

(٢) انظر صحيح مسلم ج ١ ص ٤٢٩ .

(٣) انظر صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٢ .

(أ) فأما تأنيث العامل ، فإنه إن كان فعلا ماضيا لحقته تاء التأنيث الساكنة ، مثل (أورقت - سمث - أثمرت - ترامت) . وإن كان فعلا مضارعا ، فإن تأنيثه يكون بمجىء حرف المضارعة (التاء) فى أوله إشارة للمفردة الغائبة ، مثل (تنمو - تورق - تثمر - تحصد - تجمع - تُثرى) . وإن كان العامل اسما يشبه الفعل - كاسم الفاعل أو اسم المفعول - فإن تأنيثه يكون بإلحاق التاء المتحركة فى آخره ، تقول : (مؤدبة - طيبة - محافظة - متبرجة - مذمومة - مهانة) .

(ب) أما المؤنث الحقيقى فيقصد به كل ما يبيض أو يلد من الإنسان والحيوان والطيور ، مثل (فاطمة - سعاد - زينب - الزرافة - الحمامة - اليمامة - الحداة) .

(ج) أما المؤنث المجازى فهو كلمات فى اللغة استعملت مؤنثة وإن كانت مما لا يبيض أو يلد ، وقد دلّ على استعمالها مؤنثة أنه يشار إليها على أنها مؤنثة ، ويعود الضمير المؤنث عليها فى الكلام ، مثل : (شجرة - برتقالة - يد - شمس - طريق) تقول : (اهتزّت شجرة البرتقال فسقطت منها برتقالة فالتقطتها) .

إذا علم ذلك ، فإن تأنيث العامل مع الفاعل المؤنث على التفصيل التالى :

أولا : وجوب التأنيث :

يكون ذلك فى موضعين :

١ - أن يكون الفاعل مؤنثا حقيقى التأنيث ، ولم يفصل بينه وبين عامله فاصل مثل (تثقت الفتاة فى مجتمعنا ، وأدّت المرأة دورها بجوار الرجل) . وتقول : (زاملت الطالبة الطالب فى الجامعة ، وأدّت واجبها مثله فى الحياة العملية) .

٢ - أن يكون الفاعل ضميرا مستترا متصلا يعود على مؤنث سابق مثل قولك : (الجامعة أدّت أجلّ الخدمات للوطن ، فقد صنعت حضارة وخبرة أضاءت حياتنا وحياة غيرنا من الشعوب) . وتقول : (الفتاة العربية تسىء إلى نفسها إذ تنازل عن شخصيتها لتقلّد غيرها فى النافع والضار) .

هذا هو الأصل فى وجوب التأنيث ، وقد وردت شواهد على غير هذا الأصل ، وإليك نموذجا من هذه الشواهد :

* قول لبيد يخاطب ابنته :

فَقُومَا وَقُولَا بِالذِي تَعْلَمَانِهِ وَلَا تَخْمِشَا وَجْهَهَا وَلَا تَحْلِقَا شَعْرَ
 وَقُولَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ أَضَاعَ ، وَلَا خَانَ الْخَلِيلَ وَلَا غَدَرَ
 إِلَى الْحَوْلِ ، ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَدَرَ^(١)

وقد حمل ترك تاء التأنيث في هذا البيت على لغة الشعر الخاصة إذا اعتبر الفعل ماضيا ، وأصله (تَمَنَّتْ) ، أما إذا اعتبر الفعل مضارعا (تَتَمَنَّى) فإن ترك التاء الأولى جائز صرفيا .

جواز التأنيث وتركه :

يصح تأنيث العامل وترك تأنيثه مع الفاعل المؤنث إذا جاء في جملته على الصفات التالية :

١ - أن يكون الفاعل مؤنثا حقيقى التأنيث ولم يتصل بالعامل ، بل فصل بينهما ، تقول : (روث عن النبي في بيته عائشة زوجها ، وعاشت بعده شهورا قليلة فاطمة ابنته) . ومن ذلك قول الشاعر :

إِنَّ امْرَأًا غَرَّهَ مِنْكَ وَاحِدَةً بَعْدَى وَبَعْدَكَ فِي الدُّنْيَا لَمَغْرُورٌ^(٢)

٢ - أن يكون الفاعل مؤنثا مجازيا مطلقا ، تقول : (أقلعت الطائرة من المطار) أو (أقلع الطائرة من المطار) وتقول : (أورقت الشجرة في الربيع) أو (أورق الشجرة في الربيع) قال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الآية ٥٧ من سورة يونس] وقال : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ ﴾ [الآية ٧٣ من سورة الأعراف] .

٣ - أن يكون الفاعل جمع تكسير - باتفاق النحاة - تقول : (سَتَقَشْعُ

(١) لا تخمشا وجهها : لا تجرحاه من شدة اللطم - فقد اعتذر : فقد قدم عذره ؛ إذ أدى ما عليه .

الشاهد : في البيت الأول في (تمنى ابتناى) فإن الفاعل مؤنث حقيقى التأنيث ولم يفصل بينه وبين الفعل فاصل ، والواجب في هذا الموضوع التأنيث ، بأن يقول (تمنت) إذا اعتبر الفعل ماضيا ، أو (تتمنى) إذا اعتبر الفعل مضارعا ، لكنه جاء بالفعل دون تأنيث ، ويحمل هذا على لغة الشعر الخاصة في الماضى ، ويحمل ترك التأنيث في المضارع على حذف إحدى التاءين من أوله - وهذا جائز صرفيا .

(٢) الشاهد : في (غره منكن واحدة) حيث جاء الفاعل مؤنثا حقيقى التأنيث (واحدة) وفصل

بينه وبين الفعل بضمير الغائب والجار والمجرور فيصح التذكير والتأنيث ، وقد جاء الفعل بدون تأنيث .

السُّحْبُ عَنْ حَيَاتِنَا وَتَصِفُو الْأَيَّامَ) وَلَكْ أَنْ تَقُولَ : (سَيَنْقُشُ السُّحْبُ عَنْ حَيَاتِنَا وَيَصِفُو الْأَيَّامَ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا ﴾ [الآية ١٤ من سورة الحجرات] وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴿ [الآية ٣٠ من سورة يوسف] .

ومثل هذا الجمع فى جواز التأنيث وتركه اسم الجمع - ما لا واحد له - مثل (قوم - رهط - نسوة) واسم الجنس الجمعى - ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء أو ياء النسب - مثل (شجر - جُند - رُوم) .

أما جمع المؤنث السالم فإن العامل - على رأى المشهور - يؤنث معه مثل (فى حروب الإسلام تحمَّلت المجاهدات نصيبهنَّ مع المجاهدين) .

أما جمع المذكر السالم ، فإن العامل - على رأى المشهور أيضا - يجب تذكيره ، كقولك : (فى عهد أبى بكر تمسك المسلمون بعقيدتهم ، وقتلوا دفاعا عنها ، فثاب المرتدُّون إلى الحق بعد الضلال) .

هذا هو الأصل فى هذه المسألة - يلخصه ما يأتى :

(أ) جمع التكسير : يصح فى العامل معه التذكير والتأنيث .

(ب) جمع المؤنث السالم : يجب تأنيث العامل معه .

(ج) جمع المذكر السالم : يجب تذكير العامل معه .

وفى هذه المسألة خلاف حادِّ حول (جمع المؤنث السالم وجمع المذكر السالم) لا داعى لذكره هنا ، ولك - إن شئت - العودة إليه فى (أوضح المسالك لابن هشام) .

الترتيب بين الفعل والفاعل والمفعول :

لاحظ الأمثلة التالية :

لاحثُ الفرصةُ فانتَهزها الجسورُ

الفرصةُ لاحثٌ فالجسورُ انتَهزها

من أحكام الفاعل أن يأتى بعد عامله ، ولا يتقدم عليه ، فإن تقدم على العامل ترك وظيفة « الفاعل » إلى وظيفة أخرى هى « المبتدأ » .

الفعل ويتأخر الفاعل ، وإنما الترتيب الذى يحدث فى الجملة يكون عن الطرف الأخير - المفعول - فهو الذى يترك موضعه ليتوسط أحيانا بين الفعل والفاعل أوليتقدم عليهما معا ، وذلك على التفصيل التالى :

أولا : توسط المفعول بين الفعل والفاعل :

وهذا أمر مباح فى اللغة ، وهو كثير جدا فى النصوص العربية ، تقول : (بلغ الرسالة الرسول) وتقول : (وَقَرَّ الْكَبِيرَ الصَّغِيرُ وَعَاوَنَ الصَّغِيرَ الْكَبِيرُ) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴾ [الآية ٤١ من سورة القمر] .

لكن ، يصبح هذا التوسط أمرا ضروريا فى مسألتين :

الأولى : أن يتصل الفاعل بضمير يعود على المفعول :

لاحظ الأمثلة التالية :

أحبَّ الوطنَ أهله

إذ يتعشقُ الأرضَ فلاّحوها

ويحبُّ المصانعَ عُمالُها

ففى الأمثلة السابقة يجب أن يتأخر الفاعل عن المفعول ، ولا يصح تقدمه .

* قال الله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ [الآية ١٢٤ من سورة البقرة] .

* وقال : ﴿ يَوْمَ لَا يَفْعُ الْأَظْلَمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ ﴾ [الآية ٥٢ من سورة غافر]

فالترتيب فى هذه الصورة يكون هكذا :

الفعل + المفعول + الفاعل .

ولم ترد على الأصل إلا لغة الشعر ، ومن ذلك قول سليط بن سعد :

جَزَىٰ بنوه أبا الغِيلَانِ عن كِبَرٍ وحسنِ فعلٍ كما يُجْزَىٰ سَيْنَمَارُ^(١)

(١) أبا الغيلان : كنية رجل - سنمار : يقال : إنه رجل رومى بنى قصرا لملك الحيرة ، فلما فرغ من بنائه ألقاه الملك من أعلى القصر ، لئلا يبنى مثله لغيره - ويضرب بذلك المثل فى سوء الجزاء .

الشاهد : فى (جزى بنوه أبا الغيلان) إذ كان الواجب أن يكون الترتيب فى هذه الجملة هكذا

(جزى أبا الغيلان بنوه) لاتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول ، لكنه جاء فى البيت على الأصل توسعا فى لغة الشعر .

الثانية : أن يكون الفاعل محصورا بطريقتي (إنما - إلا) :

لاحظ الأمثلة التالية :

- إنما يقدّس الحرية الأحرارُ

- ولا ييغضُ الكرمُ إلا اللؤماءُ

فالترتيب في هذه الصورة أيضا يكون هكذا : الفعل + المفعول + الفاعل .
ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [الآية ١٨ من سورة فاطر] ولم يرد الترتيب على الأصل مع (إلا) في غير لغة الشعر ، ومن ذلك :

ما عابَ إلا لثيمٌ قعلَ ذى كرمٍ ولا جفا قط إلا جبأ بطلا (١)

ثانيا : تقدم المفعول على الفعل والفاعل :

لاحظ الأمثلة التالية :

الصدقُ التزمْتُ والكذبُ اجتنبتُ

الصراحةُ أحببتُ والغشُّ كرهتُ

في كل مثال من الأمثلة الأربعة السابقة تقدم المفعول على الفعل والفاعل جميعا ، وهذا شائع في لسان العرب ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [الآية ٨٧ من سورة البقرة] .

لكن يصبح هذا التقديم واجبا في ثلاث مسائل هي :

الأولى : أن يكون المفعول مما له صدارة الكلام :

لاحظ الأمثلة التالية :

أى الدراستين تحبُّ النحو أم الأدب !!

(١) جفا : من الجفوة ، وهى الكراهية - جبأ : جبان .

يقول : لا يعيب الكريم إلا اللثيم ، ولا يكره الشجاع إلا الجبان .

الشاهد : فى الشطرين ، الأول (ما عاب إلا لثيم فعل ذى كرم) إذ كان من الواجب توسط المفعول وتأخر الفاعل ، لأن الأخير محصور بالحرف (إلا) لكنه قدم الفاعل على الأصل توسعا فى لغة الشعر . وفى الشطر الثانى (ما عاب قط إلا جبأ بطلا) ما يماثل الشطر الأول .

وماذا اخترت لدراستك العليا منهما ؟!

كلمة (أَيّ) في المثال الأول ، وكلمة (ماذا) في المثال الثاني ، كل منهما مفعول مقدم - بل واجب التقديم - في المثالين ، لأنهما من (أسماء الاستفهام) وأسماء الاستفهام لا ترد داخل الكلام ، بل لها - كما يقول النحاة - صدارة الكلام ، ومثلها أيضا (أسماء الشرط) .

الثانية : في مثل قول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الآيتان ٩ ، ١٠ من سورة الضحى] .

فكل من الكلمتين (اليقيم) و (السائل) مفعول مقدم ، بل هو واجب التقديم . جاء في أوضح المسالك تحديد هذه المسألة بقوله : « أن يقع عامله بعد الفاء وليس له منصوب غيره مقدم عليها ، نحو ﴿ وَرَبِّكَ فَكِّزْ ﴾ [الآية ٣ من سورة المدثر] و ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ بخلاف (أما اليوم فاضرب مزيدا) « . أ . ه .

الثالثة : أن يكون المفعول ضميرا منفصلا ، لو تأخر وجب اتصاله كقول الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الآية ٤ من سورة الفاتحة] ولو تأخر ، كانت الجملة (نَعْبُدُكَ) وهذا غير مراد ، والمراد الانفصال .

* * *

نائب الفاعل

- ١ - وصف جملة النائب عن الفاعل وصفا إجماليا .
 - ٢ - توضيح مفصل لما يتعلق بجملة النائب عن الفاعل ويشمل :
(أ) الأغراض التي يحذف لأجلها الفاعل .
(ب) ما ينوب عن الفاعل .
(ج) شكل الفعل المبني للمجهول .
 - ٣ - ما ورد من الأفعال مبنيا للمجهول دائما .
- جملة النائب عن الفاعل إجمالا :
- لاحظ الأمثلة التالية :

(أ) مبني للمعلوم (ب) مبني للمجهول

يُرَاعَى القاضى جانبَ الحق يُرَاعَى جانبُ الحق

ويُنَحِّثُ عن الحقيقة بين الكذب ويُنَحِّثُ عن الحقيقة بين الكذب

فِيُحْكَمُ على المتهم بالعدل فِيُحْكَمُ على المتهم بالعدل

جملة النائب عن الفاعل هي : « كل جملة حذف منها الفاعل لغرض من الأغراض ، وأقيم غيره مقامه ، مع تغيير شكل الفعل للمبني للمجهول » . أ . هـ .

فجملة النائب عن الفاعل تتكون مما يلي تفصيلا :

(أ) أنه يحذف منها الفاعل كما هو واضح في الأمثلة ، بحذف كلمة

(القاضى) في المثال الأول ، وما يعود عليه من الضمائر في الجملتين التاليتين .

(ب) إقامة غير الفاعل مقام الفاعل ، كما هو واضح في الأمثلة في (جانب -

عن الحقيقة - على المتهم) .

(ج) يغير شكل الفعل ليطلق عليه حينئذ أنه مبني للمجهول ، مثل (يُرَاعَى -

يُنَحِّثُ - يُحْكَمُ) .

أغراض حذف الفاعل :

الحق أن جملتي الفاعل والنائب عن الفاعل مختلفتان تماما في المعنى والاستعمال ، مثلا (رَأَى الْمُؤْمِنُ ضَمِيرَهُ) تختلف عن (رُؤِيَ الضَّمِيرُ) من حيث المعنى ومن حيث الاستعمال .

لكن النحاة ربطوا بين الجملتين ذهنيا ، فجعلوا جملة النائب عن الفاعل محوَّلة عن جملة الفاعل ، أو بعبارة أوضح : اعتبروا جملة الفاعل هي الأصل ، وأن الفاعل قد حذف منها ، فراحوا يبحثون عن أسباب حذفه .
ولو اقتصر على الاستعمال بالتفريق بين الجملتين ، لما كان هناك داعٍ بالمرّة للبحث عن الفاعل المحذوف .

ومع ذلك فإن هذا البحث عن الفاعل المفقود إنما هو مبحث أسلوبى يهتم به دارس البلاغة ، ولا يهم كثيرا دارس النحو .

لذلك ، فإنه ينبغي التعرف على أسباب غياب الفاعل بصورة موجزة فيما يلى :

(أ) أن يكون الفاعل مجهولا جهلا تاما للمتكلم ، فهو لا يعرفه ، بل يعرف آثار فعله فقط ، كأن نسمع (يُشَاعُ كذا وكذا) إذا لم يعلم صاحب الإشاعة ، وكذلك ما يأتى فى كتب الحديث (رُؤِيَ الحديثُ الدينى ...) دون أن يعرف الراوى ، ويمثل النحاة لذلك بقولهم : (سُرِقَ المتاعُ) إذا لم يعلم السارق .

وربما تعمد المتكلم تجاهل الفاعل قصدا - مع أنه يعرفه - بهدف التَّعْمِيَةِ على المخاطب تحقيقا لمصلحته الشخصية أو مصلحة الفاعل وسلامته ، كقول شخص لآخر : (نُقِلَ إِلَيَّ ذِكُّكَ لى) أو قوله : (يُقَالُ عَنْكَ كذا وكذا) فلا شك أن هناك شخصا قد نقلَ الكلام إلى المتكلم - وهو يعرفه - وكذلك لا شك أن هناك شخصا قد تحدث عن المخاطب بما يقوله المتكلم - وهو يعرفه لكنه تحقيقا لسلامة الناقل أو القائل أو تحقيقا لمصلحته الشخصية - كيلا يعاتب على ذلك - يرفض ذكر الفاعل فى الكلام .

(ب) أن يكون الفاعل معلوما تماما ، بحيث يكون من العبث وفضول الكلام ذكره ، كقولك لأحد المثقفين : (أَلْقَيْتَ الْقَبْلَةَ الذَّرِيَّةَ عَلَى الْيَابَانِ سنة ١٩٤٥) أو قولك : (أَوْقَفْتَ الْحَرْبَ الْعَالَمِيَةَ الْأُولَى سنة ١٩١٨) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿لَا حَقَّ لِلنَّاسِ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الآية ٣٧ من سورة الأنبياء] فالخالى معلوم وهو الله .

(ج) أن يصرف النظر عن الفاعل تمامًا ، لأنّ الذهن متجه لغيره ، فليس من المفيد علمه أو جهله ، كقولك :
 (أُغْلِبْتُ نتيجة الامتحان ، فنجحت ونجح الزملاء) ويقال : (يُكْرَمُ القريب لرحمه ، ويُكْرَمُ الغريب لوحده) .
 (د) استقامة موسيقى الكلام – سواء كان سجعاً أم شعراً – ومن أشهر ما يساق لذلك قولهم في الحكمة : (من طابَّتْ سريرته ، خُيِّدَتْ سيرته) .
 وقول الشاعر :

وما السامُّ والأهلون إلا ودائعٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ (١)

مبنى للمعلوم	مبنى للمجهول	نائب الفاعل
يُقَدِّمُ الجادون العملَ على الكلام	يُقَدِّمُ العملُ على الكلام من الجادّين	المفعول به
ويُقَدِّمُ المهرجون الكلامَ على العمل	ويُقَدِّمُ الكلامُ على العمل من المهرجين	المفعول به
يُيَمَادَى الظالمون في الغرور والعَصَاف	يُيَمَادَى في الغرورِ والعَصَاف من الظالمين	الجار والمجرور
ويُنْتَظَرُ المظلومون أياً طويلاً للخلاص	ويُنْتَظَرُ أيّام طويلاً للخلاص	الظروف
حيث يُيْتَهَجُونَ ابتهاجاً صحيحاً بالحرية	حيث يُيْتَهَجُ ابتهاج صحيح بالحرية	المصدر

(١) المشاهد : في البيت حذف الفاعل في (ترد الودائع) وأصلها (يرد الناس الودائع) وحذف الفاعل من الأسلوب الأخير لإقامة موسيقى البيت .

ينوب عن الفاعل - بعد حذفه - أحد شيئين مرتبين كما يلي :

الأول: المفعول به - إذا كان الفعل متعديا - كما هو واضح في القسم الأول من الأمثلة ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [الآية ٤٤ من سورة هود] .

وقول الشنفرى :

وإن مُدَّت الأيدي إلى الزَّاد لم أكن
بأعجلهم إذ أجشعُ القومِ أعجلُ^(١)

الثانى : الجار والمجرور أو الظرف أو المصدر - إذا كان الفعل لازما - كما هو واضح في القسم الثانى من الأمثلة ، ومن ذلك :

* قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَدَّلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا ﴾ [الآية ٧٠ من سورة الأنعام] .

* وقوله : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [الآية ١٣ من سورة الحاقة] .

ويشترط في هذه الثلاثة - كما قال ابن مالك - أن تكون قابلة للنيابة عن الفاعل ، بأن تكون مفيدة في استعمالها ويتحقق هذا في الظرف والمصدر خاصة بأن يكون كل منهما (متصرفا - مختصا) كما في الأمثلة والشواهد السابقة (سيأتى فهم هذين المصطلحين فى بائى : المفعول المطلق والظرف) .

هذا هو أصل الموضوع ، ينوب المفعول به أولا ، فإن لم يوجد فى الكلام مفعول به كان النائب واحدا من الأمور الثلاثة السابقة - وعلى ذلك رأى جمهور النحاة .

لكن بعض النحاة يرى أنه يصح أن ينوب واحد من هذه الثلاثة مع وجود المفعول به فى الكلام ، ويوردون لذلك بعض الشواهد ، ومنها :

* قول جرير يهجو الفرزدق :

(١) أشجع : الشديد الرغبة والنهم والطمع .

ولو ولدث قُفَيْرَةُ جَزَوْ كَلْبٍ لَسَبَ بذلك الجَزْوِ الكلابا (١)
* قول الآخر :

وإنما يُرْضَى المنيبُ رَبِّه ما دام مَعْنِيًا بذُكْرِ قلبه (٢)
هذان البيتان وأمثالهما موضع أخذ وردّ كثير بين النحاة حول هذه القضية مما لا داعي لذكره هنا .

شكل الفعل المبني للمجهول :

يحدث في شكل الفعل المبني للمجهول تغير على النحو التالي :

أولا : الفعل الماضي :

الأصل فيه أن يضم أوله ويكسر ما قبل آخره ، مثل (سَمِعَ - كُتِبَ - أُكْرِمَ - أُهِنَ) وهذا مطرد في كل الأفعال الماضية .
ويضاف لهذا الأصل أن الفعل إذا بدئ بقاء زائدة ، وجب ضم الحرف الثاني منه أيضا ، تقول (تُعَلِّمَ - تَزَوَّيَ - تُنَوِّدِي - تُرَوِّكِمَ - تُشَوِّرِكِ) .
فإذا بدئ الفعل الماضي بهمزة وصل ، وجب ضم الحرف الثالث منه زيادة على ضم الأول ، مثل (ابْتَدِئَ - انْتَصَرَ - اسْتَعْفَرَ - اسْتُيْعِجَ) .
فإذا كان الفعل الماضي أجوف مثل (سَامَ - لَامَ - نَامَ - قَالَ - رَامَ - بَاعَ - رَادَ - لَانَ) فقد ورد عن العرب في تشكيل فائه ونطق عينه - ثلاث لغات هي :
(أ) كسر فاء الفعل فيكون حرف العلة ياء ، وحينئذ فالنطق هو (سِيَمَ - لِيَمَ - نِيَمَ - قِيلَ - رِيَمَ - بِيَعَ - رِيَدَ - لِين) .

(ب) ضم فاء الفعل فيكون حرف العلة واوا ، وحينئذ فالنطق هو (سُومَ - لُومَ - نُومَ - قُولَ - رُومَ - بُوعَ - رُودَ - لُون) ومن ذلك ما ورد منسوبا لرؤية من قوله :

(١) الشاهد : في قوله (لسب بذلك الجزو الكلابا) حيث ناب عن الفاعل الجار والمجرور (بذلك الجزو) وترك المفعول (الكلابا) وهذا اتجاه لبعض النحاة .

(٢) المنيب : النائب - معنيا : المهتم .

الشاهد : في الشطر (ما دام معنيا بذكر قلبه) فإن (معنيا) اسم مفعول يجيء بعده النائب عن الفاعل المنى للمجهول ، وقد ناب عن الفاعل بعده الجار والمجرور (بذكر) وترك المفعول به منصوبا ، وهو (قلبه) وهذا اتجاه لبعض النحاة .

لَيْتَ ، وهل ينفع شيئا « لَيْتُ » لَيْتَ سَبَابًا بُوعَ فاشتريتُ (١)

(ج) الإشمام : وهو - كما يقول ابن عقيل - الإتيان بالفاء بحركة بين الضم والكسر ، ولا يظهر ذلك إلا فى اللفظ ، ولا يظهر فى الخط أ . ه .

هذه اللغات الثلاث نطقت بين العرب ، ونقلها عنهم النحاة ، وكلها - فى رأيهم - صحيحة فصيحة ، وإن كان أفصحها هو اللغة الأولى ، تليها الثانية ثم الأخيرة .

وهنا ينبغى فهم الملاحظات التالية :

* قرئت بعض الأفعال المبنية للمجهول فى الآية ﴿ وَقِيلَ يَكَارِضُ أَيْلَى مَاءٍ لِي وَكَسَمَاءُ أَقْلَى وَغِيصَ أَلْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [الآية ٤٤ من سورة هود] بالوجوه الثلاثة السابقة .

* إذا كان الفعل على وزن (افْتَعَلَ) أو (انْفَعَلَ) وهو أجوف مثل (اختار - اعتاد - انقاد - انجاب) فقد ورد فى الحرف الذى قبل عينه اللغات الثلاث السابقة حين يبنى للمجهول .

* إذا بنى الفعل الثلاثى الأجوف للمجهول - وكان نائب الفاعل ضمير متكلم أو مخاطب أو غائب مثل العبارتين (لأمنى الجاهلون وجاءنى لؤمهم) أو (لأملك الجاهلون وجاءك لؤمهم) حين تبنى الأفعال فيها للمجهول فيكون ضمير المتكلم أو المخاطب أو الغائب هو نائب الفاعل ، والأحسن حينئذ ما يلى :

(أ) أن ينطق ما أصله واوياً بالكسر أو الإشمام فقط منعا للخلط بينه وبين المبنى للمعلوم ، فيقال : (لِمْتُ - أو - لِمْتُ) .

(ب) أن ينطق ما أصله يائياً بالضم أو الإشمام فقط منعا للخلط بينه وبين المبنى للمعلوم ، فيقال : (جُؤْتُ - جُؤْتُ) .

ثانيا : الفعل المضارع :

يضم أوله ويفتح ما قبل آخره بلا تفصيل مثل (يُفْهَم - يُسْمَع - يُقَال - يُنْتَقَى - يُرْتَجَى - يُسَبَّح) .

(١) الشاهد : فى « بوع » حيث بنى الفعل الماضى الأجوف « باع » ، للمجهول وضم أوله

ثالثا : المرفوع بعد الوصف المشتق - لاحظ الأمثلة التالية :

إنَّ الحقَّ عالٍ صَوْتُهُ كلمة (صَوْتُهُ) فاعل بعد كلمة (عالٍ)
وإنَّ الباطلَ مهزومٌ صَاحِبُهُ كلمة (صَاحِبُهُ) نائب فاعل بعد (مهزوم)
هذه نقطة دقيقة ، فإن المرفوع بعد الاسم المشتق الدال على الصفة الذي يطلق عليه (اسم المفعول) يكون نائب فاعل ، كقولك : (هذا الإنسانُ محمودٌ سِيرَتُهُ) .

فإذا كان المرفوع بعد الوصف المشتق غير ذلك - كاسم الفاعل - رفع على أنه فاعل لا نائب فاعل ، فنقول : (أبالغُ المسافرُ غايَتَهُ) .

وأساس هذا الموضوع أن اسم المفعول يبنى صرفيا من الفعل المبني للمجهول ، وأما غيره من أسماء الصفات فتأتى من الفعل المبني للمعلوم ، بدليل أنك لو وضعت فى الجملة التى يردان فيها فعلا مناسبا بديلا عنهما ، لجاء مبنيًا للمجهول بدل اسم المفعول ، ومبنيًا للمعلوم بدل اسم الفاعل وأمثلة المبالغة واسم التفضيل والصفة المشبهة .

ما ورد من الأفعال مبنيًا للمجهول دائما :

أورد كتاب « شذا العزف » ما يلى من هذه الأفعال :

(عُنِيَ) بمعنى : اهْتَمَّ ، (رُهِىَ) بمعنى : تكبَّرَ ، (فُلِجَ) أصابه الفالج ، (حُمَّ) أصيب بالحمى ، (سُلَّ) أصابه السَّل ، (جُرَّ) ذهب عقله ، (عُمَّ الهلال) احتجب ، (أُعِمِّيَ عليه) عُشِيَ عليه ، (شُدَّ) تحير ، (امْتَقَعَ أو انْتَقَعَ لونه) تغير .

والمرفوع بعدها فاعل لا نائب فاعل أ . هـ

أساليب المدح والذم

تأتى أساليب المدح والذم فى اللغة العربية فى المجموعات الثلاث التالية :
المجموعة الأولى : نعم بئس - ساء :

لاحظ الأمثلة التالية :

نَعَمْ الصَّدِيقُ أَبُو بَكْرٍ
نَعَمْ صَدِيقُ الرَّسُولِ أَبُو بَكْرٍ
نَعَمْ صَدِيقًا أَبُو بَكْرٍ

* * *

بِئْسَ الرَّجُلُ أَبُو جَهْلٍ
بِئْسَ رَجُلُ الْأَذَى أَبُو جَهْلٍ
بِئْسَ رَجُلًا أَبُو جَهْلٍ

* * *

سَاءَ الشَّعْبُ الْيَهُودُ
سَاءَ شَعْبُ الْعَدْرِ الْيَهُودُ
سَاءَ شَعْبًا الْيَهُودُ

تتكون جملة المدح والذم مع هذه المجموعة من : فعل المدح أو الذم +
الفاعل + المخصوص بالمدح أو الذم - ولكل واحد من هذه الثلاثة حديث
يخصه .

(أ) فعل المدح أو الذم : وهو (نعم - بئس - ساء) وهى أفعال جامدة ماضية
لإنشاء المدح أو الذم ، والأول منها وهو (نعم) يفيد المدح والأخيران يفيدان الذم
- وهكذا يعبر عنها المعربون ، فيقولون فى (نعم) مثلاً (نعم : فعل ماض جامد
لإنشاء المدح) .

(ب) فاعل هذه الأفعال لا بد أن يكون فيه الألف واللام أو مضافا لما فيه
الألف واللام أو ضميرا مستترا مفسرا بتمييز بعده - كما ترى فى الأمثلة السابقة .

(ج) المخصوص بالمدح أو الذم : ويأتى بعد الفعل والفاعل أو قبلهما معا ،

ويقصد به الاسم المحدد الذى تمدحه الجملة الفعلية أو تدمه ، وهو فى الأمثلة السابقة (أبو بكر - أبو جهل - اليهود) .

ويعرب هذا الاسم على أنه مبتدأ - تأخر أو تقدم - وخبره الجملة الفعلية وهذا أحسن الآراء فى إعرابه (راجع ابن عقيل) .

وربما حذف هذا الاسم - المخصوص - إذا كان مفهوما من الكلام .

ومن شواهد تلك المجموعة ما يلى :

قول الله تعالى : ﴿ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴾ [الآية ٤٠ من سورة الأنفال]

وقوله : ﴿ وَلَنِعَمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الآية ٣٠ من سورة النحل] وقوله : ﴿ يَتَسَكَّرُ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الآية ٢٩ من سورة الكهف] .

وقول الشاعر :

لنعم مؤثلاً المولى إذا حُذِرَتْ

بأساء ذى البغى واستيلاء ذى الإحن ^(١)

المجموعة الثانية : حَبْذا - لا حَبْذا :

لاحظ الأمثلة التالية :

حَبْذَا الصَّدْقُ وَلَا حَبْذَا الْكَذْبُ

حَبْذَا الصَّرَاحَةُ وَلَا حَبْذَا الْغُشُّ

تتكون الجملة فى هذه المجموعة من الآتى :

(أ) الفعل (حَبَّ) الماضى لإفادة المدح ، وينفى بالحرف (لا) لإفادة الذم .

(ب) كلمة (ذَا) اسم الإشارة فاعل الفعل فيهما .

(ج) المخصوص بالمدح أو الذم ، وهو مبتدأ ، خبره الجملة الفعلية .

(١) مؤثلاً : ملاذا وعونا - المولى : الحليف والنصير - بأساء : شدة الإحن والأحقاد .

يقول : إذا خفت من باغ أو حقوق ، فإنى أجد الملاذ والنصرة فى هذا الحليف النصير .

الشاهد : فى (نعم مؤثلاً المولى) فيه الفعل (نعم) وفاعله ضمير مستتر وكلمة (مؤثلاً) مبتدأ .

والمخصوص بالمدح (المولى) .

وهذا الذى ذكر هنا أحسن ما قيل عن هذا الموضوع (راجع ابن عقيل) .

ومن شواهد ذلك قول ذى الرمة :

أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ الْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرْتُ مَعِي فَلَا حَبَّذَا هِيَا
على وجه مَعِي مَسْحَةٌ مِنْ مَلَا حَةٍ وَتَحْتَ الثَّيَابِ الْعَارُ لَوْ كَانَ بَادِيَا ^(١)

المجموعة الثالثة : ما جاء على وزن (فَعْل) :

كل فعل ثلاثى يصح مجيئه على وزن (فَعْل) بقصد المدح أو الذم سواء أكان على هذا الوزن أصلاً أم حوّل إليه بهذا القصد - وحيثُذ تتكون جملته مما تتكون منه جملة (نعم - بئس) تقول : (شَرُفَ الرَّجُلُ الرَّسُولُ) و (قَبِيحَ الرَّجُلُ أَبُو لَهَب) و (خَبِثَتِ الْمَرْأَةُ حِمَالَةُ الْحَطَبِ) .

* * *

(١) الملا : الحى الذى تقطنه « حبيبه » .

الشاهد : فى البيت الأول حيث جاءت (حبذا - لا حبذا) مرة للمدح وفى قوله « لا حبذا أهمل

الملا » وأخرى الذم فى قوله « لا حبذا هيا » .

المفعول به

- ١ - المقصود بالمفعول به كما حدّده النحاة .
- ٢ - الأساليب النحوية الثلاثة المرتبطة بالمفعول به ، وهى :
 - (أ) أسلوب الاختصاص .
 - (ب) أسلوب الإغراء .
 - (ج) أسلوب التحذير .

* * *

المفعول به :

من المروءة أن يُعاوَنَ القوىَّ الضعيفَ المحتاجَ
ومن حسنِ المروءة أن يتجاهلَ المرءُ المعروفَ بعد أدائه
فى المثالىن السابقين كلمتان وقعتا مفعولا به ، هما (الضعيف - المعروف)
فالضعيف يقصد بالمعاونة من القوىِّ والمعاونة متجهة إليه ، والمعروف يقصد
بالتجاهل من المرء والتجاهل منصب عليه .
لذلك يعرف المفعول به كما جاء فى قطر الندى : المفعول به ما وقع عليه
فعل الفاعل كضربتُ زيدًا أ . هـ
وهو وظيفة نحوية من وظائف النصب ، فكل اسم يشغله فهو منصوب
بحركة أصلية أو فرعية أو مقدرة ، أو مبنيا فى محل نصب .
هذا . والذى ينصب المفعول به هو الفعل المتعدى وحده دون اللازم وربما
كان للفعل المتعدى أكثر من مفعول ، وسيأتى تفصيل ذلك فى باب (عمل
الأفعال فى الجملة) .

وقد يحذف الفعل الذى نُصِبَ فى جملته المفعول به اختصارًا إذا كان
مفهوما من الكلام ، كقولك لصديقك الذى يسألك عن مقصد الرحلة : (الغيوم)
تقديره (نقصدُ الغيوم) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ مَا ذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرٌ ﴾
[الآية ٣٢ من سورة النحل] ومن ذلك قول العقاد :

يَدَيْكَ فامْنَحْ ضَنْيَ يَا مَوْتُ فِي كَبْدِي
فَلَسْتُ تَمْحُوهُ إِلَّا حِينَ تَمْحُونِي

فالتقدير (امدّد يدك) .

أسلوب الاختصاص :

لاحظ الأمثلة التالية :

نحن - الجامعيّين - نصنع حضارة الشعب
وأنتم - طلاب العلم - ملزمون بتقديم الخبرة والجهد لأمتكم
وأنتم - أهل الوطن - ملزمون بمعاونة الطلاب مادّيًا ومعنويًا

في الأمثلة السابقة أسماء منصوبة على الاختصاص هي (الجامعيّين - طلاب العلم - أهل الوطن) ومعنى نصبها على الاختصاص أنها منصوبة بفعل محذوف وجوبًا تقديره (أُخِصَّ) .

وينبغي لمعرفة هذا الأسلوب الإحاطة بأمرين عنه ، هما : تحديده من تعريف النحاة له مع وصف جملته وصفًا شاملاً - ثم الأغراض التي يأتي لها هذا الأسلوب .

أسلوب الاختصاص ووصف جملته :

نحن - أهل الأرض - نتطلّع لغزو الفضاء

ولكم الفضلُ في ذلك أيُّها العلماء

جاء في شذور الذهب : « حقيقته أنه اسم ظاهر معرفة قُصِدَ تخصيصه بحكم ضمير قبله » . أ . هـ

ومن هذا التعريف المركز يتضح لنا الآتي :

أولاً : أن المنصوب على الاختصاص اسم ظاهر لا ضمير ، وهو معرفة لانكرة فهو إذن باختصار - كما قال ابن هشام - اسم ظاهر معرفة ، وهو بالتحديد ما يلي :

١ - أن يكون مقترنا « بآل » كما جاء عن العرب قولهم : (نحن العرب أفزى

٢ - أن يكون مضافاً لمعرفة مطلقاً ، كما نسب للرسول ﷺ قوله : (إِنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ ^(١)) .

٣ - أن يكون كلمة (أَيَّ - أَيْة) فتعامل كما تعامل في النداء ، بمعنى أنها تبنى على الضم وتوصف باسم فيه « ال » كقولك : (لنا تاريخٌ مجيدٌ أيُّها المصريون) .

ثانياً : يتقدم على المنسوب على الاختصاص ضمير ينسب له معنى من المعاني ، والمقصود بهذا المعنى في الحقيقة إنما هو الاسم المنسوب على الاختصاص إذ هو الهدف من الجملة كلها - وهذا الضمير والمعنى المنسوب له يلاحظ فيهما ما يلي :

١ - الغالب في الضمير أن يكون لمتكلم ، ويقل أن يكون لمخاطب ، ويندر أن يكون لغائب .

٢ - المعنى الذي ينسب للضمير قد يأتي متأخراً عن المنسوب على الاختصاص - كما ترى في المثال الأول - وقد يأتي متقدماً عليه - كما ترى في المثال الثاني .

أغراض أسلوب الاختصاص :

الباعث على استخدام أسلوب الاختصاص ما يلي :

١ - الفخر : مثل قولنا (نحن - المسلمين - خيرُ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناس) .

ومن ذلك قول الشاعر :

لنا - مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ - مجدٌ مؤثَّلٌ
يَرْضَائِنَا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدَا ^(٢)

٢ - التواضع والاستعطاف : كقول أحد الفلسطينيين : (نحن - اللاجئين - طُرِدْنَا مِنْ أَرْضِنَا ظُلْمًا وَعُدْوَانًا) .

(١) الحديث رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٧٤٩ .

(٢) مجد مؤثَّل : مجد عريق عظيم - لقد اكتسب الأنصار المجد العظيم بإرضاء الرسول ﷺ ونصرته ، وهذا حق .

الشاهد فيه : أسلوب الاختصاص في الشطر الأول (لنا معشر الأنصار مجدٌ مؤثَّلٌ) وقد قصد به الفخر والتعظيم .

٣ - البيان : كقولنا : (نحن - الجامعيين - نعرفُ واجبًا تجاه الأمة) .
وقولك : (نحن - المصريين - نعرف مكانًا ومكانتنا في العالم) .

الإغراء والتحذير :

إغراء	المروءة المروءة
	المروءة والنجدة
تحذير	النفاق النفاق
	النفاق والكذب
	إيّاك والنفاق

الإغراء : دعوة المخاطب إلى أمر محبوب ليلزمه .

التحذير : تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليتجنبه .

وكل من الإغراء والتحذير يأتي على الصورتين الآتيتين :

١ - التكرار : والمقصود بذلك أن يتكرر اللفظ نفسه ، فيؤكد الثاني الأول
توكيدًا لفظيًا مثل (التَّصْمِيمُ التَّصْمِيمُ) أو (الغشُّ الغشُّ) ومن ذلك قول مسكين
الدارمي :

أخاك أخاك إنَّ من لا أخا له كساعٍ إلى الهَيْجاءِ بغير سلاح^(١)
وإن ابنَ عمِّ المرءِ - فاعلم - جناحه وهل ينهضُ البازي بغير جناح

٢ - العطف : ويقصد به عطف اسم مفرد على آخر ، مثل (الإرادة
والتصميم) وأيضا (الغشُّ والتَّفاق) .

وفي هاتين الصورتين يكون الاسم الأول منصوبا بفعل محذوف وجوبا تقديره
في الإغراء (الزَّم) وفي التحذير (احذرن) والاسم الثاني توكيد له أو معطوف عليه .

(١) الهيجا : الحرب ، ويقال فيها الهيجا - بالقصر والمد - البازي : نوع من الصقور .

الشاهد : في البيت الأول (أخاك أخاك) أسلوب الإغراء جاء على صورة التكرار .

وينبغي التنبيه هنا إلى مسألة خاصة بأسلوب التحذير وحده وهى استعمال الضمير (إِيَّاكَ) - هكذا للمخاطب - سواء أ جاء مكررا أم معطوفا عليه أم بدون عطف ولا تكرار ، ومن شواهد ذلك :

* قول الشاعر :

فإِيَّاكَ إِيَّاكَ المِرَاءَ فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبٌ ^(١)

* وقول الآخر :

فإِيَّاكَ والأَمْرَ الذى إِنْ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ أُعِيَتْ عَلَيْكَ مَصَادِرُهُ ^(٢)

وينبغي أيضا معرفة أن العطف فى التحذير مع (إِيَّاكَ) ليس من عطف المفردات - فى أحسن الآراء - بل هو من عطف الجمل ، ففى قول عمر لمعاوية : (إِيَّاكَ والاحتجاج دون الناس) يقدّر لكلمة (إِيَّاكَ) فعل تقديره (أحذر) أما كلمة (الاحتجاج) فيقدر لها فعل آخر تقديره (اجتنب) ثم تعطف الجملة الثانية كلها على الأولى .

* * *

(١) المراء : المجادلة بالباطل .

الشاهد : فى قوله (إِيَّاكَ إِيَّاكَ) حيث استخدم فى التحذير كلمة (إِيَّاكَ) مكررة .

(٢) موارده : مصارفه - مصادره : الجهات التى يأتى منها .

يقول : احذر الأمر الذى إِنْ تَوَسَّعَتْ مصارفه أتعبتك مصادر نفقاته .

والبيت يستخدم فى كل شئ يتوسع فيه أكثر من الطاقة .

الشاهد : فى قوله (إِيَّاكَ والأمر) فإن (إِيَّاكَ) استخدمت فى التحذير بالعطف عليها ، وهو - فى

أحسن الآراء - لعطف الجمل لا المفردات .

المفعول المطلق

- ١ - تمهيد صرفى : عن المصدر وأنواعه ، وإفراده وتثنيته وجمعه .
- ٢ - المقصود بالمفعول المطلق لدى النحاة ، ومعرفة صوره فى اللغة .
- ٣ - ما ينوب عن المصدر فى المفعول المطلق
- ٤ - حذف عامل المفعول المطلق جوازًا ووجوبًا .

* * *

لاحظ الأمثلة الآتية :

{	لَمَسَ الطبيبُ موضعَ الألمِ لَمَسًا رقيقًا
{	ثم فحص المريض فحصًا دقيقًا
{	لمس الطبيب موضعَ الألمِ مَلَمَسًا رقيقًا
{	ثم فحص المريض مَفْحَصًا دقيقًا
{	وبعد أن لقط لمرضه لَقْطَةً بالأشعة
{	أمره أَنْ يشرب الدواء جَزْعَةً كل يوم
{	وطلب منه طِلْبَةً الحريص على مصلحته
{	أن يعيش مدَّةَ عَيْشَةٍ الراحة
- { مصدر : اسم مرّة
- { مصدر : اسم هيئة

يأتى المصدر فى اللغة العربية على الصور التالية :

المصدر الأصلي : وهو الذى يدل على مطلق الحدث الموجود فى الفعل المشتق منه ، مثل (لَمَس - فَحَص - شِجَاعَة - اقْتِحَام - عَمَل - جِدَّ) .

المصدر الميمى : هو الذى بدئ بميم زائدة ودل على الحدث ، مثل (مَلَمَس - مَفْحَص - مَوْعِد - مُزْتَقَى - مُلْقَى - مُعْتَقَد) إذا جاءت فى الجملة بمعنى المصدر الأصلي ، فتكون بمعنى (لَمَس - فَحَص - وَعَد - اِزْتَقَاء - اِئْتِقَاء - اِعْتِقَاد) .

اسم المرة : هو الذى يدل على حصول الحدث مرة واحدة ، مثل (جَزَعَة - لَقْطَة - رَمْيَة - اِثْسَامَة) .

اسم الهيئة : هو الذى يدل على هيئة الحدث حين فعله ، مثل (طَلَبَة - عَيْشَة - رِغْشَة - رِغْدَة) .

هذه أنواع المصادر الأربعة ، والثلاثة الأخيرة منها أنواع خاصة من المصدر - وكل هذه الأنواع تصاغ بطرق خاصة يرجع إليها فى كتب الصرف .

المهم هنا أن يعلم أن (اسم المرة والهيئة والميمى) يصح تثنيتهما وجمعهما فى رأى جمهور النحاة ، فتقول (رَمَيْتِى تَماَس - رَمِيَاتِ التَّماَس) وتقول (جَزَعْتَيْن - جَزَعَات) وتقول (رِغْدَتَيْن - رِغْدَات) وتقول (ضربت له موعدين أو مواعيد) . أما المصدر الأصلي فحول تثنيته وجمعه كلام طويل وخلاف حاد لا داعى لذكره ، والحق - فيما أظن - يتلخص فى أن المصدر الأصلي يمكن تثنيته وجمعه فى حالتين :

(أ) إذا كان بالتاء فى آخره ، مثل (تجربة - مُقابلة - مُهادنة) تقول (تجربتين - وتجارب) و (مقابلتين ومقابلات) و (مهادنتين ومهادنات) .

(ب) إذا دل على التنوع مثل (احتمال) تقول (فى هذا الموضوع احتمالان بل احتمالات) وكذلك (اتجاه) تقول (يَحْتَمِلُ الرَّأْيُ اتجاهاين أو اتجاهات) ومن ذلك أيضًا (إجراء - إنشاء) حيث نسمع كثيرًا (إجراءات - إنشاءات) .

المفعول المطلق :

لاحظ الأمثلة التالية :

ابتهجت روى برؤية البحر ابتهاجا

وجعلت أنفُسُ الهواءِ تَنفُسًا عميقًا

وفجأة هاج البحرُ هَيَجَانًا الغاضِبِ

وعَلَّتْ الأمواجُ ارتفاعًا

جاء فى قطر الندى : « هو عبارة عن مصدر فضلة تسلط عليه عامل من لفظه

ومن ذلك تعرف الصفات التي تتوافر فيما يقع مفعولا مطلقا وهي :

(أ) أن يكون مصدرا - أى نوع من المصادر السابقة .

(ب) أن يكون فضلة ، ويقصد بذلك ما يقع بعد تمام ركنى الجملة الأساسيين (الفعل والفاعل - المبتدأ والخبر) .

(ج) أن يسبقه فى الجملة فعل أو شبه فعل (كاسم الفاعل والمصدر) بحيث يكون هذا الفعل أو شبهه من لفظ المصدر مثل (ابتهجت روحى ابتهاجا) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [الآية ١٦٤ من سورة النساء] أو يكون من معناه فقط دون لفظه ، مثل (علت الأمواج ارتفاعا) وقولك (فرحت جذلاً) .

ومن ذلك قول زيد الفوارس عن امرأة تشكو من زوجها :

تَأَلَّى ابْنُ أَوْسٍ حَلْفَةً لِيُرْذُنِي إِلَى نَسْوَةٍ كَانَتْهُمْ مَفَائِدُ (١)

الصور اللغوية للمفعول المطلق :

يرد المفعول المطلق على الصور الثلاث التالية :

الصورة الأولى : المؤكّد لعامله :

تلمعُ النجومُ فى الليلَ لَمَعَانًا

فتهدى الناسُ فى الظلماتِ هُدًى

يقصد بهذه الصورة ما كان المصدر دالا على الحدث الذى يدل عليه العامل السابق فى الجملة ، فهو لا يفيد شيئا جديداً عليه ، بل يفيد مجرد التوكيد له ومن هذا قول الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الآية ٥٦ من سورة الأحزاب] .

الصورة الثانية : المبيّن للنوع :

تلمعُ النجومُ فى السماءِ لمعانا شديدا

(١) تألى : حلف - مفائد : جمع مفاد بكسر الميم وفتح الهمزة ، وهى : الخشبة التى تحرك بها

النار فى التنوير ، وعادة تكون سوداء قبيحة المنظر .

تقول : إنه حلف لردنى الى بيته ، وفيه ضرائر قبيح منظرهن ، كريمة صحتهم
الشاهد : فى (تألى ابن أوس حلفة) حيث نصب المفعول المطلق بفعل من معناه لا من لفظه .

فتَهْدِي الناس في الظلمات هُدَى التَّجَاةِ

يلاحظ أن (اللمعان) في المثال الأول قد وصف بالشدة ، إذ تبين لنا صفة اللمعان ونوعه ، ويلاحظ أيضا أن (الهُدَى) في المثال الثاني قد أضيف إلى (النجاة) فبينت أيضا نوع الهدى وسمته ، ويطلق على هذه الصورة اسم المفعول المطلق المبين للنوع ، حيث يتضح المقصود منه بواسطة الوصف أو الإضافة غالبا .

الصورة الثالثة : المبين للعدد :

قَذَفَ اللَّاعِبُ الْكَرَّةَ نَحْوَ الشُّبَالِكِ قَذْفَةً مُحْكَمَةً

فَضَرَبَهَا حَارِشُ الْمَرْمَى ضَرْبَتَيْنِ ، فَأَبْعَدَهَا عَنْ مَرَمَاهُ

يقصد بهذه الصورة أن يكون المصدر دالاً على المرة ، أو يكون مثنى أو مجموعاً - كما ترى في الأمثلة - ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الآية ١٤ من سورة الحاقة] .

ما ينوب عن المصدر في المفعول المطلق :

ينوب عن المصدر في المفعول المطلق أمور كثيرة ، من أهمها الأمور الخمسة التالية :

١ - اللفظتان (كُلٌّ - بعض) مضافتين للمصدر ، تقول : (بعد أن نمثُ بعض النَّوْمِ أَرَقْتُ كُلَّ الْأَرْقِ) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْمِلُوا كُلَّ الْمِثْلِ ﴾ [الآية ١٢٩ من سورة النساء] .

وقول المجنون :

إذا جئتكم بالليل لم أدر ما هيا ؟	فياليل كم من حاجة لي مُهِمَّة
خليلاً إذا أنزفت دمعى بكى لي	خليلى إلا تبكيا لي ألتمس
ولا أنشد الأشعار إلا تداوبا	فما أعرف الأيقاع إلا صباة
يظنان كل الظن أن لا تلاقيا (١)	وقد يجمع الله الشئتين بعد ما

(١) هذه الآيات من قصيدة للمجنون تسمى (المؤنسة) الأيقاع : التلال - الشئتين : البعدين

أشد البعد .

الشاهد في الأخرى (يظنان كل الظن) فإن كلمة (كل) نافية عن المفعول المطلق

لإضافتها إلى (الظن) .

٢ - أسماء الأعداد المضافة للمصدر أو المميّزة به ، مثل قولنا : (اعتدت إسرائيل على العرب ثلاثة اعتداءات ، وأدانها الأمم المتحدة خمسين إدانةً) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ [الآية ٤ من سورة النور] .

٣ - صفة المصدر إذا حذف وأقيمت مقامه ، مثل قولك : (نمتُ كثيرا بعد أن سهرتُ طويلا) .

٤ - المصدر المرادف للفعل وليس من لفظه ، مثل (رجعتُ القهقري) و(فرحتُ جذلاً) و (كرهتُه بُغْضًا) .

٥ - الضمير المتصل المنصوب العائد على مصدر سابق ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُم فَأِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [الآية ١١٥ من سورة المائدة] .

حذف عامل المفعول المطلق :

يحذف عامل المفعول المطلق جوازاً إذا دل عليه سياق الكلام كقولك في التهينة بالحج : (حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً) وكقولك لصديق قابلته : (مؤخّباً بك) .

لكن يصير هذا الحذف واجباً في مواضع - أكثر فيها شراح الألفية - من أهمها :

١ - مصادر وردت في اللغة منصوبة دائماً دون أن تستعمل معها أفعال أبداً ، مثل (سبحان الله - معاذ الله - ويحّه - ويئله - أيضاً) .

٢ - مصادر استعملت في اللغة في أسلوب الخبر منصوبة - دون أفعال - ودلت القرائن على أفعالها ، كأن يقول من يحمد الله ويشكره : (حمداً وشكراً لا كُفراً) وقول من يؤاسى نفسه : (صَبِيراً لا جَزَعاً) .

٣ - المصادر التي تدل على الطلب ، بأن تكون خطاباً من شخص لآخر يطلب منه شيئاً بواسطة (الأمر - النهي - الاستفهام - الدعاء) ومن ذلك :

* قول أعشى همدان يصف بعض اللصوص :

يَمْرُونُ بِالذَّهْنِ خِفَافًا عِيَابُهُمْ وَيَزْجَعْنَ مِنْ دَارَيْنِ يُجْبِرُ الْحَقَائِبِ
عَلَى حِينِ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ فَتَذَلًا - زُرَيْقُ - الْمَالَ تَذَلُ الثَّعَالِبُ^(١)

- * وما ورد عن العرب فى التوبيخ من قولهم : (أتوانيتا وقد علاك المشيب) .
 * ما ورد عن العرب من قولهم فى الدعاء : (سَقِيَّا لَكَ وَرَعِيَّا) .
 ٤ - المصادر التى تقع بعد (إِذَا : التفصيلية) منصوبة ، كقول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ فَسُدُّوا أَلْوَاكَ فَإِمَّا مَثًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ [الآية ٤ من سورة محمد] .
 وقول الشاعر :

لأَجْهَدَنَّ فِيمَا رَدَّ وَإِقَاعِي تُخْشَىٰ وَإِمَّا بُلُوغَ السُّؤْلِ وَالْأَمَلِ^(٢)

- ٥ - أن يجيء المصدر « مكررا - أو محصورا » وقد تقدمه « مبتدأ اسم ذات » وحين يقدر العامل المحذوف يكون خبرا عن هذا « المبتدأ » مثل (أهرامُ الجيزة دلالة دلالة على صبر الإنسان المصرى وإيمانه ، وإِنَّمَا أبو الهول رمزًا للعقل والقوة) بنصب الكلمات (دلالة ، دلالة - رمزًا) .

- ٦ - المصدر الذى يفهم معناه من جملة سابقة عليه ، سواء أكان هذا الفهم نصًّا أم احتمالا - وقد مثَّل لذلك صاحب الألفية بالمثالين (له على ألف اعترافا) و(أنت ابني حقا) .

- ٧ - المصدر الذى يدل على معنى متجدد ، ويحمل معنى المشابهة - فى قوة المشبّه به - وتقدمته جملة كاملة فيها من ينسب له معنى المصدر - صاحب المصدر - وهو أسلوب كثير الاستعمال فى مقام التهويل والتفخيم مثل (كان لهذا الشعب الغاضب هديرٌ هدير الموج ، وسمع له زئيرٌ زئير الأسود ، بل إنَّ له إرادة إرادة الله) .

= هى أوعية الثياب كالجراب والحقيبة - دارين : مدينة بالبحرين بها سوق للتجارة - بجر الحقائق : حقائقهم ممثلة مما سرقوه - ندلا : خطفا فى سرعة وخفة كما هى عادة اللصوص - زريق : اسم واحد من اللصوص وربما كان اسماً رمزياً .

يصف هؤلاء اللصوص : بأنهم يمرون « بالدناء » وحقائبهم فارغة ، ويعودون من « دارين » وحقائبهم ممتلئة ، وأنهم حين يسرقون يستغلون انشغال الناس بأمورهم لينادى أحدهم الآخر فيقول له : يا زريق ، اخطف المال فى خفة كخفة الثعالب .

الشاهد : فى (ندلا) فإنه مفعول مطلق بفعل محذوف وجوباً تقديره (اندل) .

(١) المعنى : لأبذلن غاية جهدى ، ولن يذهب جهدى عبثاً ، لأننى إما أن أدفع ما يخاف منه ، وإما أن أبلغ ما أريده - وكلاهما مفيد .

الشاهد : فى (إِذَا واقعة) فإن (رد) مفعول مطلق لفعل محذوف وجوباً لوقوعه بعد (إِذَا) التفصيلية ، ومثله تماماً (وإِذَا بلوغ السؤل) .

ظرفا الزمان والمكان = المفعول فيه

١ - المقصود بالمصطلحات النحوية (اسم الزمان - اسم المكان - المبهم - المختص).

٢ - صفات ما ينصب على الظرفية = تعريف الظرف لدى النحاة .

٣ - ما ينصب على الظرفية من أسماء الزمان والمكان بالتفصيل .

٤ - من المسائل المهمة التي تتعلق بالظرف ما يلي :

(أ) ما ينوب عن الظرف في استعمال اللغة .

(ب) الظرف المتصرف وغير المتصرف .

(ج) حذف عامل الظرف .

المصطلحات النحوية الأربعة :

لاحظ الأمثلة التالية :

{	* اليوم - الليلة - غُدوة - بكرة - سحرا -
{	غدا - غَئمة - صباحا - مساء - أبدا - أمدا -
{ اسم زمان	حينا - ساعة - بُرهة - لحظة - دهر - زمان
{	* أمام - خلف - قدام - وراء - فوق - تحت -
{	عند - إزاء - جِذاء - تِلقاء - ثَمَّ - هُنا -
{ اسم مكان	بين - حيثُ - لَدَى
{	* ظهر - عصر - عشاء - برهة - لحظة - يوم -
{ زمان مبهم	وقت - حين
{	* شمال - خلف - فوق - تحت - إزاء - حيث
{ مكان مبهم	- لَدَى
{	* يوم الجمعة - صباح السبت - سحرا رائقا - وقتا
{	ممتعا - رمضان - شوال - اليوم - الساعة - شهر
{ زمان مختص	- عام - حول - أسبوع

* البيت - الطريق - الكلية - المدرج - الحديقة
 - الساحة
 { مكان مختص

اسم الزمان : يقصد به الكلمات التي وردت في اللغة ومعناها الزمن .

اسم المكان : يقصد به الكلمات التي وردت في اللغة ودلت على مساحة من الأرض أو الفضاء .

المبهم : هو - كما يقول ابن هشام - ما لا يختص بزمان بعينه أو مكان بعينه ، بل هو شائع في الأزمنة والأمكنة .

المختص : وفيه تفصيل على النحو التالي :

أولاً : من أسماء الزمان ، يقصد به ما دل على وقت محدد ، وذلك بأن يكون معناه محددًا مثل (عام - شهر - أسبوع) أو يكون فيه (ال) مثل (اليوم - الساعة) أو يوصف مثل (يوماً جميلاً - سحراً رائعاً) أو يضاف مثل (عصر الجمعة - ليلة السبت) .

ثانياً : من أسماء المكان ، وهو - كما يقول ابن عقيل - ما له أقطارٌ تحويه ، مثل (البيت - الشارع - المسجد - الكلية) .

المقصود بالظرف لدى النحاة :

استمتعتُ يومَ الجمعةِ بَيْنَ حدائقِ القناطرِ
 ركبنا صباحاً قارباً شراعياً في النيلِ
 ومشينا ظهراً بَيْنَ الأشجارِ والأزهارِ
 وغدنا مساءً فَوْقَ مركبٍ بخاريٍّ سريعٍ

نلاحظ في الأمثلة السابقة أسماء وقعت ظرف زمان أو مكان هي على التوالي (يوم الجمعة - صباحاً - ظهراً - بين - مساءً - فوق) وكلها منصوبة على الظرفية حيث استوفت الصفات التي يجب أن تتوافر لما ينصب على الظرفية في التعريف التالي :

الظرف : هو ما ذكر فضلة لأجل أمر وقع فيه من اسم زمان مطلقاً أو مكان

ومن هذا التعريف يمكن أن نستنتج الصفات التي يجب أن تتوافر في الاسم الذي ينصب على الظرف « المفعول فيه » وهى :

(أ) أن يكون اسم زمان أو مكان - على التفصيل الذى سيأتى فيما بعد .

(ب) أن يكون فضلة ، ويقصد به - كما سبق - ما يأتى بعد استيفاء الجملة ركنيها الأساسيين .

(ج) أن يكون بمعنى (فى) .

* مما استوفى الشروط النصوص التالية :

قول الله تعالى : ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ [الآية ١٨ من سورة سبأ] .

وقوله : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [الآية ٨٨ من سورة غافر] .

وقوله : ﴿ وَسَيَحْمِلُهُ كُرْهُ وَأَصِيلًا ﴾ [الآية ٤٢ من سورة الأحزاب] .

* ومما تخلفت فيه بعض الصفات ، فلا ينصب على الظرفية ، بل له إعراب آخر ما يلى :

قول الشاعر :

{ ما مَضَى فَاتَ والمُؤْمَلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ التى أنت
فيها ^(١) } فضلة

قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴾ {

{ [الآية ١٠ من سورة الإنسان]

وقوله : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ { ليس بمعنى « فى »

{ [الآية ١٢٤ من سورة الأنعام]

(١) هذا من أبيات التفاضل السائرة على الألسنة ؛ إذ مضمونه : عش الحاضر ولا شأن لك بالماضى أو الآتى .

وفيه دليل : على أن اسم الزمان إذا لم يكن فضلة لا يكون ظرفا ، بل يعرب كأى اسم آخر ، فقد جاء فى البيت فى (لك الساعة) وهو فى الجملة مبتدأ خبره الجار والمجرور .

ما ينصب على الظرفية من أسماء الزمان والمكان :

أولاً : أسماء الزمان :

كل ما كان من أسماء الزمان وانطبق عليه الصفتان الأخريان من صفات تحديد الظرف (فضلة - بمعنى في) فإنه ينصب على الظرفية سواء أكان مبهماً أم مختصاً لا فرق بين الاثنين في ذلك ، تقول : (سيقفُ الظالمون والمظلومون يوماً أمام الله ، وحينذاك لن يُفْلَتَ الظالمون من عدالة السَّماءِ يومَ الحساب) .

ثانياً : أسماء المكان :

ليست كل أسماء المكان صالحة للنصب على الظرفية وإن استوفت الصفتين الأخريين من صفات ما ينصب على الظرفية ، بل ذلك على التفصيل التالي :

(أ) أسماء المكان المبهمة :

هذه هي التي تنصب على الظرفية إذا استوفت الشرطين الباقيين ، وهي كما يلي :

١ - أسماء الجهات الست ، وهي (فوق - تحت - أعلى - أسفل - يمين - شمال - ذات اليمين - ذات الشمال - أمام - خلف - قدام - وراء) تقول : (صَعِدَ المؤدِّدُ فوقَ المئذنة ، ليتمكَّنَ من رؤية الهلال أسفل الأفق) .

٢ - ما ليس اسم جهة ، ولكن يشبهه في الإبهام ، بمعنى أنه يدل على مكان غير محدّد ولا محصور ، وذلك مثل (أرض - مكان - حيث - لدى - بين - عند - مع) فمن البين أن هذه الكلمات صالحة لاستعمالها في مواطن كثيرة فهي هكذا شائعة مبهمة ، تقول : (جلستُ مع المتفرجين حيثُ أشاهد العرض الممتع) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِّقًا ﴾ [الآية ١٣ من سورة الفرقان] وقوله : ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ [الآية ٩ من سورة يوسف] .

٣ - ما كان دالاً على مساحة من الأرض يمكن استخدامه في أية بقعة منها للقياس والمساحة ، مثل (ميل - فَرْسَخ - بَرِيد) ^(١) فالاسم نفسه محدد المقدار ،

(١) الميل - كما نعرف - ١٦٧٠ متراً - البريد - بمقياسنا الحالي - اثنا عشر ميلاً - الفرسخ :

لكن استعماله هو المبهم ، فهو يستخدم فى مواطن كثيرة فى الأرض أو الفضاء أو الماء ، ولعل ذلك المعنى الأخير هو السبب فى اعتباره من أسماء المكان المبهمة - فى رأى بعض النحاة - تقول : (تنتقل سفينة الفضاء أميالا فى الفضاء قبل أن تنتقل الطائرة ميلا فى مجال الأرض) وتقول : (استخدم العرب قديما الخيول فى نقل الرسائل ، فسير بريدا من الأرض لتسلمها لغيرها) .

(ب) اسم المكان القياسى :

ويقصد به الذى يشتق بطريقة القياس الصرفى ليدل على المكان مثل (موقف - مصيف - مجزى - مجلس - مزى - مبكى - متحف - متجّع) - راجع صياغته فى الصرف .

هذا النوع من أسماء المكان ينصب على الظرفية إذا استوفى أيضا الشرطين السابقين (فضلة - بمعنى فى) ويضاف إلى ذلك أن يكون الفعل الذى تقدم عليه فى الجملة من مادته ، أى من معناه وحروفه ، تقول : (جرى النيل مجزاه من آلاف السنين) وتقول : (وقف موقف السيارات) و (جلس مجلس العلم) قال الله تعالى : ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ لِّلسَّمْعِ﴾ [الآية ٩ من سورة الجن] .

فإن استوفى هذا النوع من أسماء المكان الشرطين الآخرين ، ولم يتقدم عليه فعل من مادته بل مادة أخرى ، ينبغى جره بالحرف (فى) لفظا تقول : (انتظرت فى موقف السيارات) و (سار النيل فى مجراه من آلاف السنين) و (استمعت فوائد كثيرة فى مجلس العلم) أو (يشفخ اليهود دموعهم فى مبكى سليمان) .

(ج) اسم المكان المختص :

تقدم أن المكان المختص « ما له أقطار تحويه » مثل (الكلية - المدرج - البيت - الحديقة - الشارع - المسجد) .

هذا النوع من أسماء المكان إذا استوفى الشرطين الآخرين (فضلة - بمعنى فى) فإنه يجر بحرف (فى) لفظا ولا ينصب ، تقول : (تخرجت فى الكلية) و (جلس فى المدرج) و (صليت فى المسجد) ولا يصح نصبه .

أما ما ورد غير ذلك فهو توسع فى التعبير ، ومن ذلك :

● قولهم : (ذهب الشام) .

● قول الشاعر يذكر النبي ﷺ وأبا بكر حين هاجرا :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجازى وسؤدد^(١)

والشاهد في (قالا خيمتي أم معبد) وكان حقه أن يقول (قالا في خيمتي أم معبد) فنصبه على التوسع .

أهم المسائل التي تتعلق بالظرف :

(أ) وردت استعمالات وتعبيرات في اللغة تعرب الكلمات فيها على أنها نائبة عن الظرف لا ظرف .

● فمن الاستعمالات قولهم :

سرت كل اليوم أو بعض اليوم

وقطعت رحلتى ستين ميلا

وقد استرحت في الطريق قليلا من الوقت

حتى وصلت قرب المساء

● ومن التعبيرات :

قول العرب : أحقق أنك ذاهب

قول العرب : غير شك أنك قادم

(١) رفيقين : الرسول ﷺ وأبو بكر ، قالا : بمعنى « قिला » وهو الراحة وقت الظهيرة في الظل - البر : بكسر الباء وفتحها ومن معانيها : الإحسان - ترحلا : رحلا وسافرا - يا لقصى : « قصى ، من أجداد الرسول ﷺ ، والجملة إما أن تفهم كما هي فهي أسلوب استغاثة ، وإما أن يكون المقصود منها « يا آل قصى » وحذف جزء كلمة « آل » - ما زوى الله : أسلوب استفهام المقصد منه : أى شئ صرف الله عنكم ؟؟ - سؤدد ، بفتح الدال الأولى أو ضمها : الشرف والنبيل .

الشاهد : في (قالا خيمتي أم معبد) حيث نصب اسم المكان المختص (خيمتي) على التوسع ،

قول العرب : جُهِدَ رأى أنه برىء^(١)

(ب) تنقسم أسماء الزمان والمكان إلى نوعين :

١ - ما يستعمل ظرفا بشروطه السابقة ، فإذا لم تتوافر الشروط أخذ وظائف نحوية أخرى ، مثل (اليوم - الساعة - اللحظة - الميل) .

ويطلق على هذا النوع اسم (المتصرف) وهو أكثر أنواع أسماء المكان والزمان .

٢ - ما لا يستعمل إلا ظرفا ، مثل (قَطُّ - عَوْضُ) فإذا خرج عن الظرفية ، جُرَّ بحرف الجر ، مثل (قبل - بعد - لَدُنْ - عند) .

ويطلق على هذا النوع اسم (غير المتصرف) وهو أقل من النوع الأول .

(ج) إذا وقع الظرف (صلة - خبرا) فإنه - في رأى النحاة - منصوب بعامل محذوف وجوبا - على ما يشرح فى أبوابه .

* * *

(١) إعراب (جهد رأى أنه برىء) جهد : نائب عن الظرف منصوب بالفتحة ، شبه جملة خبر -

رأى : مضاف إليه ، وباء المتكلم مضاف إلى « رأى » (أنه برىء) أن واسمها وخبرها فى تأويل مصدر مبتدأ مؤخر تقديره (برائه) .

المفعول لأجله

- ١ - المقصود بالمفعول لأجله لدى النحاة .
- ٢ - ما يقع علة لغيره من حيث الجر والنصب .

* * *

المفعول لأجله :

لاحظ الأمثلة التالية :

تناولَ المريضُ الدَّواءَ رَغْبَةً في الشفاء
وذهبَ المُجْهَدُ إلى الرِّيفِ طَلْبًا للراحة
وصامَ المؤمنُ تَهْذِيئًا للنفس

في الأمثلة السابقة أسماء وقعت مفعولا لأجله هي (رغبةً - طَلْبًا - تهذيا)
وقد استوفت صفات الجملة التي ينبغي أن تتوافر لما يقع مفعولا لأجله ، وهي في
عبارة واحدة (كل مصدر قلبي ذكر علة لحدث سابق واتحد مع هذا الحدث في
الزمان والفاعل) أ . هـ

ومن هذه العبارة نستنتج الصفات الآتية في الاسم الذي يقع مفعولا لأجله
وهي :

(أ) أن يكون مصدرًا .

(ب) أن يكون هذا المصدر قلبيًا ، أى دالا على معنى من المعاني القلبية
لا الحسية .

(ج) أن يكون علة لحدث سابق .

(د) أن يكون مشاركًا لهذا الحدث السابق في الزمان ، إذ يحدثان في وقت
واحد .

(هـ) أن يكون مشاركًا لهذا الحدث السابق في الفاعل - فاعلهما واحد .

● قال الله تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي ذُرَاهِهِمْ مِّنَ الصُّوْعِ حَذَرُ الْمَوْتِ ﴾

• وقال : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الآية ١٦ من سورة السجدة] .

ما يقع علة لغيره من حيث الجر والنصب :

أشهر حروف الجر التي تستعمل للتعليل في اللغة هو حرف (اللام) كقولنا :
(أَنْصَتُ لِلْفَهْمِ) (ونمتُ للراحة) - ومن حروف التعليل أيضا على قلة (من - في)
كقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا أَوْلَدَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ [الآية ١٥١ من سورة الأنعام]
وقول الرسول ﷺ : (دخلت امرأة النار من جرّاءِ هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا
هي تركتها تُزمرُ من خشاش الأرض ^(١) حتى ماتت هزلا) .

إذا علم ذلك ، فإن الاسم إذا وقع علة لغيره ، ولكن لم يستوف الشروط الباقية
للمفعول لأجله - كلها أو بعضها - ففي هذه الحالة يجب جره بحرف التعليل ،
وذلك كقولك : (أحضرتُ الكتابَ لصديقي) وقولك : (بذلتُ جهداً لفتحِ الشُّباكِ
المغلق) وقولك : (أجتهدُ اليومَ لبُلوغِ المجد غداً) ومن ذلك :

* قول امرئ القيس :

فجئتُ وقد نضتُ لنومٍ ثيابها لدى السَّيرِ إلا لبسةً المتفضِّل ^(٢)

فإن (النوم) يختلف في زمن فعله عن زمن (نَضَّ الثياب) أى : خلعها .

* قول أبي صخر الهذلي :

وإني لتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ هِرَّةٌ كما انتفضَ العصفورُ بِلَلَّةِ القطرِ ^(٣)

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٣ - والخشاش - بفتح الخاء وكسرهما وضمها - حشرات الأرض - هزلا - بفتح الهاء وضمها - المصدر من هزل المبنى للمعلوم - ومصدر المبنى للمجهول « هزال » .

(٢) نضت : خلعت - لبسة المتفضل : اللبس الخفيف جدا كجلباب النوم .

الشاهد : في (نضت لنوم) فإن زمن خلع الثياب يكون عادة سابقا لزمن النوم ، فلم يتحد المصدر مع الحدث السابق في الزمن ، لذلك جر بلام التعليل .

(٣) تعروني : تصيبنني - هرة : رعشة - القطر : قطرات المطر .

يقول : حين أذكرك تصيبنني رعشة لذكراك ، فانتفض انتفاض العصفور ينثر قطرات الماء عن

ريشه .

الشاهد : في (تعروني لذكراك هرة) فإن الذي « يعروه » هو الهرة ، وإن الذي يذكر حبيبته هو الشاعر ، فاختلف الفاعل ، لذلك جر المصدر بحرف التعليل .

فإن فاعل (الذكرى) يختلف عن فاعل (تعرونى) ففاعل الذكرى هو (الشاعر) والذى يعروه (الهزة) .

أما إذا استوفى الاسم الشروط السابقة للمفعول لأجله ، فإنه يصح نصبه ويصح جره بحرف التعليل ، وكلاهما صحيح فى اللغة ، وهذا معناه أن نصب المفعول لأجله - مع استيفاء الشروط - جائز لا واجب . كل من النصب والجر إذن جائز ، لكن التفصيل إنما هو فى الأرجح منهما على ما يلى :

١ - المفعول لأجله المجرد من أل والإضافة - النصب أحسن من الجر بحرف التعليل ، تقول : (صَلَّى المؤمنُ لربِّه إيماناً واختِساباً) ويصح (صَلَّى المؤمنُ لربِّه لإيمانٍ واختِسابٍ) .
ومن الجر قول الشاعر :

من أُمِّكُمْ لرغبةٍ فيكم جُبِرَ ومن تكونوا ناصِريه ينتصر (١)

٢ - المفعول لأجله المقترن « بأل » - الجر بلام التعليل فيه أحسن من النصب ، تقول : (ذهبْتُ للقناطر للترويح عن النفس) ويصح (ذهبْتُ إلى القناطر الترويح عن النفس) . ومن النصب قول قُرَيْط بن أُنَيْف يذم قومه لجبنهم مع كثرتهم :

لكنَّ قومي وإن كانوا ذوى عَدَدٍ	ليسوا من الشرِّ فى شىء وإن هَانَا
يَجْزُونَ من ظُلْمِ أهلِ الظُّلْمِ مغفرةً	ومن إِساءَةِ أهلِ الشُّوءِ إِحْسَانَا
كأنَّ ربَّكَ لم يَخْلُقْ لخشيتِهِ	سواهم من جميع الخلقِ إِنْسَانَا
فليت لى بهم قومًا إذا ركبوا	شَدُّوا الإغارةَ فُرْسَانَا ورُكْبَانَا (٢)

(١) أمكم : قصدكم - جبر : الأصل فيه جبر الكسر ، والمقصود : العون على نواحى الضعف فى الحياة .

الشاهد : فى (أمكم لرغبة) فهذه جملة مستوفاة لشروط المفعول لأجله والمفعول لأجله (رغبة) مجرد من « ال وإضافة » يصح فيه النصب - وهو الأحسن - والجر بلام التعليل ، وقد جاء فى البيت مجرورًا باللام .

(٢) هذه الأبيات من مقطوعة شعرية مغيظة أوردها « ديوان الحماسة » فى بدايته .

الشاهد : فى (شدوا الإغارة) فإن المفعول لأجله فيه « ال » فيصح نصبه وجره بحرف التعليل -

٣ - المفعول لأجله المضاف - وهذا يصح فيه الوجهان على حد سواء ،
تقول : (قام الطالبُ لأستاذِه احترامَه) ويصح (قام الطالبُ لأستاذِه لاحتِرامِه) .

ومن النصب قول حاتم الطائي :

وأغفر عَوْرَاءَ الكَريمِ ادِّخَارُهُ وَأُغْرَضُ عَنْ شَتَمِ اللّٰئيمِ تَكْرُمًا (١)

وخلاصة هذه الفكرة كلها : أن ما لم يستوف الشروط وهو مذكور علة لغيره
يجب جره بحرف التعليل - اللام غالبا - وأن ما استوفى الشروط صح نصبه وجره
على التفصيل والترجيح السابقين .

* * *

(١) عوراء الكريم : عيوبه وإساءاته - ادخاره : إبقاء له .

الشاهد : في (أغفر عوراء الكريم ادخاره) فإن المفعول لأجله (ادخاره) مضاف ، فيصح فيه

النصب والجر بلام التعليل على سواء ، وقد ورد في البيت منصوبا .

المفعول معه

- ١ - المقصود بالمفعول معه لدى النحاة .
- ٢ - الاسم الواقع بعد الواو بين العطف على ما قبله والنصب على المفعول معه .

* * *

المفعول معه :

لاحظ الأمثلة التالية :

استيقظ النَّائمُ وأذانَ الفجرِ
سارتِ العربةُ وخطَّ السَّكةَ الحديدِ
دَعَّ الشَّريرَ والزَّمانَ

في الأمثلة السابقة أسماء وقعت مفعولا معه هي (أذان الفجر - خط السكة الحديد - الزمان) وقد استوفت الشروط التي يجب توافرها في جملة المفعول معه .

جاء في ابن عقيل : « هو كل اسم فضلة وقع بعد واو بمعنى « مع » وتقدمه فعل أو شبهه ، ولم يصح عطفه على ما قبله » . أ . ه .
ويفهم من هذا التعريف المركز أن المفعول معه ينبغي أن تتوافر له الصفات التالية :

- (أ) أن يكون اسما لا فعلا ولا حرفا .
- (ب) أن يكون فضلة وقد سبق تحديدها .
- (ج) أن يكون هذا الاسم واقعا بعد واو بمعنى (مع) .
- (د) أن يتقدم على هذه الواو والاسم معها فعل أو شبه فعل .
- (هـ) ألا يصحّ عطف هذا الاسم على ما قبله لاختلال المعنى - إذ لا تتحقق المشاركة - أو لمانع نحوي ، لتخلف صفة من الصفات التي تشترط لصحة العطف .

وهذه الصفات واضحة في الأمثلة السابقة ، ومن ذلك ما يمثل به في كتب النحو من (سُرْتُ والنَيْلَ) و (استوى الماء والخَشْبَةَ) و (ذاكِرْتُ والمصباح) قال الله تعالى : ﴿ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ [الآية ٧١ من سورة يونس] .
وعلى ذلك ، فليس من المفعول معه الشواهد التالية :
* قول أبي الأسود الدؤلي :

لا تَنَّةٌ عن خُلُقِي وتأتِي مثله غَاڑَ عليك - إذا فعلت - عَظِيمٌ ^(١)
إذ أن الواقع بعد الواو (تأتِي) وهو فعل لا اسم ، وهو منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الواو .
* قول الآخر :

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وماءً باردًا حتى عَدَتْ هَمَالَةً عيناها ^(٢)
فإن (ماء) لا يصح نصبه على المفعول معه ، لأن الواو ليست بمعنى (مع) كما أنها لا تصلح لعطف المفردات ، وإنما هي لعطف الجمل .
* قول الراعي النميري :

إذا ما الغاياتُ برزْنَ يوماً وَزَجَّجْنَ الحواجبَ والعُيونَا ^(٣)
فكلمة (العيون) لا تنصب على المفعول معه ؛ لأن الواو ليست بمعنى (مع) ولا تصلح أيضا لعطف المفردات ، وإنما هي لعطف الجمل كالبيت السابق .
الاسم بعد الواو بين العطف والنصب على المفعول معه :

ينبغي التنبيه إلى أن استخدام الواو للعطف في اللغة العربية هو الأكثر استعمالا

(١) تقدم ذكر هذا الشاهد ، وجاء هنا لبيان الفرق في مجيء واو المعية مع الاسم المنصوب والفعل المنصوب ، الأول مفعول معه ، والثاني ينصب بأن مضمرة كما جاء في البيت في (وتأتِي) و(أن : المضمرة) والفعل في تأويل مصدر هو المفعول معه .
(٢) الشاهد : في الشطر الأول (علفتها تبنا وماء باردا) فإن الواو ليست بمعنى (مع) وإنما هي لعطف الجمل ، وتقدير الكلام (علفتها تبنا وسقيتها ماء) .
(٣) الغايات : الجميلات جمالا طبيعيا - برزن : خرجن وظهرن - زججن الحواجب : جملنها بالتدقيق والتسوية .

الشاهد : في الشطر الثاني (زججن الحواجب والعيونا) فإن الواو ليست بمعنى (مع) بل هي

وأقرب إلى الذهن ، وأن استخدام الواو للمعية إنما هو أمر محصور في أساليب خاصة في اللغة .

وعلى ذلك ، فإن الاسم الواقع بعد الواو يكون على النحو التالي :

١ - ما يجب فيه العطف :

وذلك إذا صح العطف دون مانع لفظي أو معنوي ، ويتحقق هذا إذا أمكن مشاركة ما بعد الواو لما قبلها دون إخلال بالمعنى أو باللفظ ، مثل (تعيش في الحياة الفضيلة والرذيلة) و (تجد بين الناس الكريم والليثيم) .

٢ - ما يجب نصبه على المفعول معه :

وذلك إذا امتنع العطف - أي امتنعت مشاركة الثاني للأول - بسبب الإخلال بالمعنى مثل (غادرت القاهرة وطلوع الشمس) و (دخلت قريتي وطلوع القمر) أو بسبب صفات لفظية في العطف ، مثل (سعيث وصديقاً لي لإدراك الحفل) ^(١) .

٣ - ترجح المفعول معه على العطف :

وذلك إذا أوهم العطف معنى لا يريده المتكلم أو معنى بعيدا يحتاج للتأويل ، ومن شواهد ذلك قول الشاعر :

فكونوا أنتم وبنى أبيكم مكان الكليتين من الطحال ^(٢)

فإنه لو قدر العطف يكون المعنى أنه يطلب منهم ومن بنى أيهم ما طلبه في الشطر الثاني ، وهذا غير مقصود للشاعر ، وإنما يقصد أن يطلب منهم فقط أن يكونوا مع بنى أيهم كما صور في الشطر الثاني ، ومن أجل ذلك ترجح النصب مفعولا معه على العطف على ما قبله .

(١) في هذا المثال لا يصح العطف ، لأن الضمير المتصل المرفوع لا يصح العطف عليه إلا بعد توكيده بضمير منفصل ، بأن يقال (سعيث أنا وصديق لي) وما لم يوجد التوكيد ، لا يصح العطف .

(٢) الكليتين : تثنية كلية بضم الكاف - الطحال : بكسر الطاء - بنى أيكم : الإخوة وأولاد العم .

الشاهد : في (كونوا أنتم وبنى أبيكم) إذ يطلب ممن يخاطبهم فقط أن يكونوا مع أبناء أيهم متماسكين متصلين تماسك الكليتين مع الطحال ، وهذا المعنى يناسبه أن تكون الواو بمعنى (مع) ولو جعلت الواو للعطف لكان مقتضى الكلام أنه يطلب ممن يخاطبهم ومن بنى أيهم أيضا التماسك والاتصال ، وهذا المعنى لا يريده الشاعر ، بل يريد المعنى الأول ، ولذلك ترجح أن تكون (بنى أبيكم) منصوبة على أنها مفعول معه .

الحال

- ١ - الحال عند اللغويين والنحاة .
- ٢ - عامل الحال (الفعل - شبه الفعل - ما فيه معنى الفعل) .
- ٣ - الحال وصاحبها من حيث التعريف والتنكير .
- ٤ - يطلق على الحال المصطلحات الآتية :
 - (أ) المُبَيَّنَّة - وهى الأصل - ويقابلها المؤكَّدة .
 - (ب) المنتقلة - وهى الأصل - ويقابلها اللازمة .
 - (ج) المشتقة - وهى الأصل - ويقابلها المؤطَّقة والجامدة .
 - (د) المتفرَّدة - وهى الأصل - ويقابلها المتعدَّدة .
 - (هـ) المفردة - وهى الأصل - ويقابلها الجملة وشبه الجملة .
- ٥ - من مسائل الحال المهمة ما يلى :
 - (أ) مجيء الحال من المضاف إليه .
 - (ب) تقدم الحال على صاحبها أو عاملها .
 - (ج) حذف عامل الحال .

* * *

الحال والحالة فى اللغة العربية : ما عليه الإنسان من خير وشر ، ومن ذلك السؤال العادى بين الناس : (كيف حالك !!) .

وكلمة الحال تستعمل فى اللغة مذكرة ومؤنثة ، فيقال : (هذا حال حسن) أو (هذه حالة حسنة) ومن التأنيث قول الشاعر :

إذا أعجبك الدهر حال من امرئ فدعهُ وواكل أمره والليالي^(١)

ومن التذكير قول المتنبي :

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالٌ فليُسعدُ التُّطقُ إن لم يُسعدُ الحالُ^(١)

ومع جواز الأمرين - التأنيث والتذكير - فى لفظة الحال ، فإن التأنيث هو الأفصح فى استعمال اللغة العربية .

أما الحال لدى النحاة فيقصد به - كما جاء فى ابن عقيل - الاسم الوصف
الفضلة المبين لهيئة صاحبه ، تقول : (يعيش الذليلُّ حقيراً ويعيش الحرُّ كريماً) .

ومن ذلك قول عدى بن الرعلاء :

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميتُ مَيِّتُ الأحياء
إنما الميتُ من يعيش كثيراً كاسِفاً باله قليلَ الرجاءِ^(٢)

ومن هذا التعريف السابق يتضح أنه يجب أن تتوافر فى الحال الصفات
التالية :

(أ) أن يكون الحال وصفاً ، والمقصود به - كما سبق - ما دل على معنى
وصاحبه ، وهو من المشتقات (اسم الفاعل - اسم المفعول - الصفة المشبهة -
اسم التفضيل - أمثلة المبالغة) مثل (ضاحك - مسرور - شهم - أهدأ - لَمَاح)
فهذه الصفات هى التى تقع حالا ، أما مجيء الحال غير مشتق وغير وصف فله
حديث سيأتى .

(ب) أن يكون الحال فضلة ، والمقصود بها - كما سبق - ما تجيء بعد
استيفاء الجملة ركنيها الأساسيين من فعل وفاعل أو مبتدأ وخبر ، وليس معنى
« الفضلة » أنها من فضول الكلام ويصح الاستغناء عنها من حيث المعنى .

(ج) أن يكون مبينا لهيئة صاحبه ، أو بعبارة أخرى : للكيفية التى هو عليها ،

(١) يدل البيت على استعمال كلمة (الحال) مذكرة بدليل تذكير الفعل لها فى (يسعد) .

(٢) الميت : بسكون الباء مثل « الميت » بتشديد الباء فى المعنى .

يقول : ليس الميت من يفارق الحياة فيستريح ، إنما الميت - فى رأيه - من يموت فى الحياة ،
إذ ينسحق تحت أحداثها ، فيعانى الكآبة وخيبة الرجاء .

ولقد احتوى البيت الثانى على ثلاث كلمات وقعت حالا هى على التوالى (كثيراً - كاسفاً باله -

أو بعبارة ابن هشام فى قطر الندى : أن يكون صالحا للوقوع فى جواب السؤال بكلمة (كيف) - وتلك علامة الحال التى نلجأ إليها لمعرفة فى الجملة .

تلك الصفات الثلاث يجب توافرها مجتمعة متضامنة فى الاسم الذى يطلق عليه نحويًا « حال » لتكون الكلمة التى يطلق عليها ذلك منصوبة فى الجملة التى ترد فيها .

عامل الحال :

الاسم المنصوب الذى يقع حالا شأنه شأن الأسماء الأخرى المنصوبة فى أن عامله هو الفعل أو ما يشبه الفعل ، فنقول : (أقبلَ الرّبيعُ منعشا) أو (الرّبيعُ مقبلٌ منعشا) فالعامل فى الجملة الأولى هو الفعل (أقبل) وفى الثانية اسم الفاعل (مقبل) وهو اسم يشبه الفعل .

لكن يضاف هنا عامل آخر خاص بالحال يسمى « العامل المعنوى » ويقصد به : ما تضمن معنى الفعل دون حروفه « كأسماء الإشارة وحرف التمنى وكاف التشبيه » فإنها تتضمن معنى أفعال هى على الترتيب (أشير - أتمنى - أشبه) تقول : (تلك أرضنا خضرَاء منبسطةٌ كأنها الجنة مصورة) .

والخلاصة أن العامل فى الحال واحد من ثلاثة :

١ - الفعل : بأقسامه الثلاثة الماضى والمضارع والأمر .

٢ - ما يشبه الفعل : وهو ما تضمن معنى الفعل وحروفه من الأسماء كاسم الفاعل والمفعول ... إلخ

٣ - العامل المعنوى : وهو ما تضمن معنى الفعل دون حروفه ، كالأشارة والتشبيه والتمنى .

صاحب الحال من حيث التعريف والتكثير :

صاحب الحال هو الاسم الذى وصفته الحال ، أو بعبارة أخرى : بينت هيئته ووضحت كيفيته .

وفى هذا الموضوع ينبغى أن نتذكر الصلة بين الحال والخبر ، لأن كلا منهما صفة لما هو له ، أو حكم عليه ، ومن أجل ذلك اشترط هناك فى المبتدأ أن يكون

معرفة ، ولا يكون نكرة إلا بصفات ذكرت في موضعها من مباحث المبتدأ - وهنا أيضا :

أولا : الأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة ، فنحن نقول : (ركبْتُ السيارةَ مزدحمةً) أو (قطعتُ الشارعَ ماشيًا) أو (أقبلُ صديقي مستبشراً) فأصحاب الحال في هذه الأمثلة - كما هو واضح - من المعارف .

ثانيا : يأتي صاحب الحال نكرة بمسوغات تشابه تلك التي ذكرت في باب المبتدأ وهي على التحديد ما يلي :

١ - أن تقع النكرة عامة في سياق النفي أو الاستفهام ، كقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [الآية ٢٠٨ من سورة الشعراء] ، وكقول الشاعر :

يا صاح هل حُمَّ عيشٌ باقيا فترى لنفسك العُذْرَ في إبعادها الأَملا^(١)
٢ - أن تخصص النكرة بالوصف أو بالإضافة ، كقول الله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ [الآية ١٠١ من سورة البقرة] وقول الشاعر :

نَجَّيْتَ يَا رَبِّ نوحًا واستجبتَ له في فُلكٍ مآخِرٍ في اليمِّ مشحونا
وعاش يدعو بآياتٍ مُبَيِّنَةٍ في قومه أَلْفَ عامٍ غيرَ خمسينا^(٢)
وقول الله تعالى : ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [الآية ١٠ من سورة فصلت] .
٣ - أن تتقدم الحال على صاحبها النكرة ، كقول الشاعر :

لَمَيَّةٌ موحِشًا طَلَلُ يلوحُ كأنه خِلَلُ^(٣)

(١) حم : قدر .

يقول : هل قدر دوام الحياة لأحد فتعلق بالآمال البعيدة !! لا أظن ، والحياة أقصر مما تظن .
الشاهد : في جملة (هل حم عيش باقيا) فإن صاحب الحال (عيش) وهو نكرة ، سوغها وقوعها في سياق الاستفهام ، فتفيد العموم .

(٢) فلك - بضم اللام وإسكانها - السفينة - مآخر في اليم : يشق الماء .

الشاهد : في الشطر الثاني للبيت الأول (في فلك مآخر في اليم مشحونا) فصاحب الحال (فلك) نكرة ، ومسوغ مجيئه نكرة وصفه بكلمة (مآخر في اليم) .

(٣) مية : اسم الحبيسة - موحشا : خاليا - طلل : آثار الديار - خلل : الثياب المنزقة .
يقول : إن ما بقي من ديار « مية » بعد رحيلها خراب مهدم كالثياب القديمة .

وقول الآخر :

وبالجسم متى بَيَّنَّا لَوْ علمته
شحوبٌ وإن تستشهدى العينَ تشهد^(١)

ثالثا : يأتي صاحب الحال نكرة بدون أحد المسوغات الثلاثة السابقة وهذا قليل جدًا ، ومن هذا الحديث الذي روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : (صلى رسول الله ﷺ في بيته وهو شاكٍ ، فصلَّى جالسًا وصلَّى وراءه رجالٌ قيامًا) .

والخلاصة في هذا الموضوع : أن الأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة ، ويأتى نكرة بمسوغ من المسوغات ، وهذا خلاف الأصل ، ويأتى نكرة بلا مسوغ على الإطلاق ، وهذا قليل في اللغة .

الحال من حيث التعريف والتذكير :

الأصل في الحال أن تكون نكرة ، فلا تكون معرفة ، هذا هو مذهب جمهور النحاة .

وقد وردت عبارات في اللغة العربية يبدو من لفظها أن الحال فيها معرفة لا نكرة ، لكن النحاة اتفاقاً مع قاعدتهم في أن الحال لا بد أن تكون نكرة لا ييقون تلك العبارات على ظاهر لفظها المعروف ، بل يؤولونها بالنكرة أو بعبارة أوضح : يتخيلون لفظاً منكراً من معانى ألفاظ الحال التي وردت معرفة . وهذا التأويل أو التخيل - في رأى النحاة - هو وسيلة الاتفاق بين القاعدة وبين ما ورد من عبارات مأثورة لا تتفق معها .

والحق أن هذه العبارات المأثورة التي وردت فيها الحال معرفة لا يكاد أكثرها يستعمل الآن ، والقليل منها هو المستعمل فقط ، وإليك هذه العبارات وتأويل النحاة لها :

* ما قرئ من قوله تعالى :

= الشاهد : في (لمية موحشا طلل) فإن صاحب الحال (طلل) وهو نكرة ومسوغ مجيء الحال منها تقدم الحال عليها ، وأصل الجملة (لمية طلل موحش) .

(١) الشاهد : في (بالجسم متى بينا شحوب) فإن صاحب الحال (شحوب) وهو نكرة ، ومسوغ مجيء الحال منه تقدم الحال عليه وهى (بيناً) وأصل الجملة (بالجسم متى شحوب بين) .

﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [الآية ٨ من سورة المنافقون] ^(١) وتأويلها : ذليلا .

- * ما نعبر به من قولنا : آمنْتُ بالله وخَدَه - وتأويلها : منفردا .
- * من كلام العرب : اذْخُلُوا الْأَوَّلَ فالأَوَّل - وتأويلها : مترتين .
- * ومنه أيضا : أرسلَهَا الْعِرَاكَ - وتأويلها : متزاحمة
- * ومنه أيضا : جاءُوا الْجَمَاءَ الْغَفِيرَ - وتأويلها : جميعا .
- * ومنه أيضا : جاءُوا قَضَهُمْ بِقَضِيضِهِمْ - وتأويلها : جميعا .

وبعد : فلعلنا بعد هذا الحديث المستفيض عن تحديد معنى الحال ، ثم عن الحال وصاحبها من حيث التعريف والتنكير يمكننا أن نفهم وأن نناقش تلك العبارة النحوية المشهورة بين المشتغلين بالنحو التي تقول : (ولا تكون الحال إلا نكرة ، ولا يكون صاحبها إلا معرفة ، ولا تكون الحال إلا بعد تمام الكلام) .

المصطلحات النحوية في باب الحال :

من المفيد أن يذكر هنا أن باب الحال طويل جدا ، وقد خرجت من تأملى لهذا الباب فى الكثير من مراجع النحو أنه مما يعين على دراسة هذا الباب - على طوله - فهم المصطلحات النحوية التى تتردد فى حديث النحاة عنه ، وقد اخترت منها ١٢ مصطلحا تحيط - فيما أعتقد - بأهم ما ينبغى معرفته فى هذا الباب .

الحال المَبِينَةُ (المؤسَّسة) والحال المؤكدة :

{ جاء إلى صديقى ضاحكا	{ جاء إلى صديقى مقبلا
{ جلس الطلابُ كُلُّهم منصتين	{ جلس الطلابُ كُلُّهم جميعا
{ هذا أبى مهندسًا	{ هذا أبى عطوفًا على

الحال المَبِينَةُ : هى التى يصدق عليها التعريف الذى ذكر للحال فيما سبق بأنها اسم وصف فضلة مبین للهیئة ، ويتضح من هذا التعريف لماذا سميت « المَبِينَةُ » إذ تبين صفة صاحبها أو هيئته أو الكيفية التى هو عليها ، ويحددها النحاة بقولهم :

(١) والقراءة المشهورة (ليخرجن الأعز منها الأذل) بضم الباء وكسر الراء ، وهى القراءة لا دليل

هى التى لا يستفاد معناها بدون ذكرها - فهى إذن تعتبر أساسا لمعنى جديد لا يفهم من الجملة قبلها ، ولهذا يطلق عليها أيضا اسم « المؤسّسة » .

الحال المؤكدة : هى التى يستفاد معناها من الكلام السابق عليها فى جملتها ، وفائدتها إذن تأكيد هذا المعنى المستفاد ، ولهذا سميت « المؤكدة » ولها الصور الآتية :

١ - المؤكدة لعاملها : وذلك إذا كان معناها فى هذا العامل ، كقول الله تعالى : ﴿ فَابْتَسَرَ ضَاحِكًا ﴾ [الآية ١٩ من سورة النمل] وقوله : ﴿ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الآية ٦٠ من سورة البقرة] .

٢ - المؤكدة لصاحبها : وهى التى يستفاد معناها من صاحبها ، كقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [الآية ٩٩ من سورة يونس] .

٣ - المؤكدة لمضمون الجملة : هى التى يستفاد معناها من النسبة بين الخبر والمبتدأ ، على معنى أنه إذا ذكر المبتدأ ونسب له الخبر بعد ذلك ، فهم معناها دون ذكرها ، إذ تتضمن هذه النسبة معناها عادة ، كما نقول : (الأستاذ قوى) فى مادته (مفهمًا) وكما نقول : (هذا أخوك ناصراً لك) أو (هذا أبى رحيمًا بى) ومن ذلك قول الشاعر :

أنا ابنُ دارةٍ معروفًا بها نسبى وهل بدارةٍ يا للناسِ من عارٍ ^(١)

الحال المُثَقِّلَة واللازمة :

يَقَى المسلمون نهارَ رمضان صائمين { خلق الله جسم الإنسان مستقيماً

ويقطعون مُعْظَمَ ليله ساهرين { ومنه العقلُ مفكراً

ويَتَجَهَّون إلى الله مبتهلين خاشعين { وشرع له الدِّينَ الحقَّ هادياً

تقدم فى تعريف الحال أنها لا بد أن تكون وصفا ، فهى فى الحقيقة صفة

(١) دارة : اسم أم الشاعر .

تنسب إلى صاحبها ، وهذه الصفة قد تكون صفة عارضة للمتصف بها ، بمعنى أنها تحدث له ثم تزول عنه ، وقد تكون صفة ملازمة له لا تنفك عنه لسبب عُرفي أو خِلقي ، ويُطلق على النوع الأول اسم « الحال المنتقلة » وهي الأصل في الحال ، وأكثرها شيوعاً في الكلام العربي - ويطلق على النوع الثاني اسم « الحال اللازمة » ، وهذه أقل من الأولى في الكلام العربي ، وإن وردت فيه .

وعلى هذا يتحدد معنى المصطلحين السابقين كالآتي :

الحالة المنتقلة : هي ما جاءت دالة على وصف عارض ، يجيء ثم يذهب بالنسبة لصاحبه ، تقول : (نَمَا الثَّابِتُ مَخْضِرًا) أو (تَدَلَّتْ فُرُوعُ الْأَشْجَارِ مِثْمَرَةً) .

الحال اللازمة : كما يقول ابن هشام نصاً - هي ما جاءت دالة على وصف ثابت ، كقول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ [الآية ١١٤ من سورة الأنعام] أى (مبيناً) وقول العرب : (خَلَقَ اللَّهُ الزَّرَافَةَ يَدَيْهَا أَطْوَلُ مِنْ رِجْلَيْهَا) أ . هـ

ومن الشواهد التي أوردها « ابن عقيل » لهذه الحال الأخيرة - اللازمة - قول الشاعر :

فجاءتْ به سِبْطُ الْعِظَامِ كَأَنَّمَا عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرِّجَالِ لَوَاءٌ ^(١)

فسبْطُ العظام - بمعنى طولها وامتدادها - وصف خِلقي ملازم لصاحبه وهو دليل القوة والهيبة ، يقابله قصر العظام ، وهو دليل القماعة والضعف .

الحال المُشْتَقَّة والمُوطَّئَة والجامدة :

مرة أخرى يذكر أنه اشترط في تعريف الحال أن تكون وصفاً ، ويقصد به الأسماء التي تؤخذ من مصادر عن طريق الاشتقاق دالة على الصفة « كاسم الفاعل أو اسم المفعول أو أفعل التفضيل أو الصفة المشبهة » .

فالاسم الذي يقع حالاً يكون من هذا الصنف غالباً ، لكن ليس ذلك دائماً .

(١) سبط العظام : طول العظام مستوى الخلقة - لواء : علم .

يقول : ولدته أمه مستوى الخلقة طول العظام ، فشب على ذلك ، فإذا سار بين الناس ظهرت

عِمامته - أطول قائمته كأنها علم منشور فوق الناس .

الشاهد : في (جاءت به سبط العظام) فإن الحال (سبط العظام) حال لازمة لأن ذلك أمر خلقي .

إذ يأتي أحيانا اسما جامدا موصوفا بمشتق أو غير موصوف بشيء على الإطلاق ،
والجامد الموصوف بالمشتق يطلق عليه اسم « الحال الموطئة » في مقابل « الحال
الجامدة » التي لم توصف بشيء على الإطلاق .

وعلى ذلك تُحدد المصطلحات الثلاثة السابقة بما يلي :

المشتقة : يقصد بها أن تكون وصفا مأخوذا من مصدر (اسم فاعل - اسم
مفعول - صفة مشبهة - اسم تفضيل) كقولنا : (ارتفعت الشمس متوهجة
وأرسلت الحرارة مُحْرِقة) .

الموطئة : وهي ما كانت اسما جامدا موصوفا بمشتق ، مثل (تساقط الماء
من السماء مطرا غزيرا) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَمٌ
وَحِدَةٌ ﴾ [الآية ٥٢ من سورة المؤمنون] وقوله : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [الآية ١٧ من
سورة مريم] .

ومعنى كلمة « موطئة » ممهدة ، فكأن الحال في الحقيقة هي الكلمة المشتقة
التي وقعت صفة ، أما الاسم الجامد فقد مهد لذلك المشتق ، وكان وسيلة له .
الجامدة : هي الحال التي جاءت اسما جامدا ، ويقصد به : ما لم يؤخذ من
غيره سواء أكان اسم ذات أم اسم معنى - يلتزم بعض المعربين تأويلها بالمشتق -
ومن أهم المواضع التي ترد فيها الحال الجامدة ما يلي :

١ - أن تدل على سعر : مثل (بعته القمح إردبًا بعشرة جنيهاً^(١)) تأويلها :
مسعرا .

٢ - أن تدل على المفاعلة : مثل (بعته يدًا بيد) أى (مُقابضا) أو (قابلتُ
صديقي وجهاً لوجه) أى (مواجهها) أو (سلمتُ عليه يدًا بيد) أى (مُصافحا) .

٣ - أن تدل على تشبيه : بأن تكون الحال في قوة « المشبه به » كقولنا :
(بدت الأرض من الفضاء كرة) فهي في قوة (مُشابهةً للكرة) .

ومن ذلك قول هند بنت عتبة تحرض قريشا :

(١) أحسن ما يقال في إعراب هذه الجملة أن (إردبا) حال ، وأن الجار والمجرور بعدها صفة

للحال - ومثلها تماما (بعته يدا بيد) وما يشبههما .

أَفَى السَّلَمِ أَعْيَارًا جَفَاءً وَغِلْظَةً وَفِي الْحَرْبِ أَشْبَاهَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ^(١)
وقول أحد أصحاب على :

فَمَا بَالُنَا أَمْسِ أَسَدَ الْعَرِينِ وَمَا بَالُنَا الْيَوْمَ شَاءَ النَّجَفِ^(٢)

٤ - أن تكون الحال مصدرًا ، وذلك كثير في اللغة العربية ، كقولنا : (تغير الجو فجأة) و (جاء الفرس ركضًا) و (قُتِلَ المجرم شتقًا) .

ومن الغريب أن هذا النوع الأخير مع كثرته يحكم عليه بأنه غير قياسي في اللغة .

والذي أراه أنه قياسي ، وأن لنا أن نستعمله كما استعمله العرب فنأتي بالحال مصدرًا كما استعملوا ذلك .

الحال المتفرّدة والمتعدّدة :

لاحظ الأمثلة التالية :

دعا المؤمنُ ربّه راکعًا ساجدًا قائمًا قاعدًا { صاحب الحال واحد

{ الحال متعددة

ناجى المؤمنُ ربّه غفورًا تائبًا { صاحب الحال متعدد

{ الحال متعددة - الدليل معنوی

كَبُرَ الْحُجَّاجُ لِلّهِ سَمِيعًا مُخْلِصِينَ { صاحب الحال متعدد

{ الحال متعددة - الدليل لفظی

(١) الأعيار جمع « عير » بفتح العين وسكون الباء وهو : الحمار ، ويقول القاموس : إنه غلب على الوحشى - النساء العوارك : النساء الحائضات تذهم في حالتي السلم والحرب ؛ فهم في السلم كالحمير جفاء وغلظة ، وفي الحرب كالنساء ضعفاء وخوفا .
الشاهد : في الشطر الأول (أفى السلم أعيارًا) فإن كلمة (أعيارًا) حال جامدة ، إذ دلت على المشابهة .

(٢) العرين : مكنى الأسد - النجف : حى من أحياء العراق .

انتصر العدل على القوة مندحرة قويًا { صاحب الحال متعدد

{ الحال متعددة - الدليل لفظي

اختصم الباطل والحق قويًا مقهورًا { صاحب الحال متعدد

{ الحال متعددة - لا دليل

سبق في باب خبر المبتدأ أن الخبر قد يأتي مفرداً أو متعدداً ، وهذا الأمر الأخير غير العطف ، تقول : (الحق قوي) وتقول : (الحق قوي قاهر غلاب) .
وهنا أيضاً في الحال تأتي مفردة ومتعددة على التوضيح التالي :

الحال المفردة : هي ما كانت وصفاً واحداً ، وذلك هو الغالب في الحال حيث تأتي في اللغة العربية بكثرة من هذا الصنف : مثل (يدافع المؤمن عن قيمه شجاعاً) .

الحال المتعددة : هي ما كانت أكثر من صفة ؛ سواء أكانت لواحد فقط أم لمتعدد ، تقول : (دافع المؤمن عن قيمه مقتنعا شجاعاً) بدون عطف .
والحال المتعددة تأتي على صورتين التاليتين :

الصورة الأولى : أن تكون الحال متعددة وصاحبها واحداً فقط ، مثل (أحب المرأة صادقاً مستقيماً) ومن ذلك ما ينسب قوله للمجنون :

عَلَى إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلَى بِخَفِيَّةٍ زِيَارَةَ بَيْتِ اللَّهِ رَجُلَانِ حَافِيَا
شُكُورًا لِرَبِّي حِينَ أَبْصَرْتُ وَجْهَهَا وَرَوَيْتُهَا قَدْ تَسْقِنِي الشَّمَّ صَافِيَا^(١)

الصورة الثانية : أن تكون الحال متعددة وأصحابها متعددون أيضاً وتحت هذه الصورة التفصيل التالي :

(أ) أن يكون هناك دليل معنوي يوجه كل حال لصاحبها ، مثل قولك :
(تحدث الأستاذ مع الطالب مستمعاً ناصحاً) فمن البين أن (المستمع) هو الطالب عادة ، وأن (الناصح) هو الأستاذ - وحينئذ لا داعي لترتيب الأحوال المتعددة .

(١) خفية بضم الخاء وكسرهما : دون أن يراني أحد - رجلاً : حافياً ماشياً دون نعل - قد

تسقين : هكذا وردت بالأصل (تسقينى) وحذفت الياء لضرورة الشعر .
الشاهد : في البيت الأول : إذ تعددت الحال (رجلاً حافياً) لواحد هو ياء المتكلم في قوله (على) .

(ب) أن يكون هناك دليل لفظي يوجه كل حال لصاحبها - كالتشبية والجمع أو التذكير والتأنيث - كما تقول : (عشق المجنون ليلى مدللها عفيفة) أو تقول : (زار الأصدقاء المريض ممتئا مواسين) - فمن البين أنه في المثال الأول توجّه الأحوال المتعددة بالتذكير والتأنيث ، وفي المثال الثاني يوجّهها لإفراد والتشبية والجمع ، ومن هذا قول الشاعر :

لَقِيَ ابْنِي أَخَوَيْهِ خَائِفًا مُنْجِدِيهِ فَأَصَابُوا مَغْنَمًا (١)
وقول امرئ القيس :

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشَى تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى أَثَرَيْنَا ذَنَلٌ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ (٢)
وهنا أيضا لا حاجة إلى ترتيب الأحوال المتعددة .

(ج) ألا يكون هناك دليل يوجه الأحوال المتعددة لأصحابها ، وحينئذ لا بد من الترتيب التالي :

تعتبر الحال الأولى للثاني والثانية للأول ، وهكذا ... وهذا غريب !؟ ومن أمثلة النحو (لَقِيْتُهُ مُصْعِدًا مُنْجِدِيًّا) فكلمة (مصعدا) حال من ضمير الغائب ، وكلمة (منحدرا) حال من ضمير المتكلم .

والذى أراه - إن لم يجانبني الصواب - أنه يجب هنا أن ترتب الحال ترتيبا على الأصل ، بحيث تكون الأولى لصاحبها الأول ، والثانية للثاني وهكذا ؛ لأن ذلك هو الذى يتجه إليه الذهن حين النطق ، فَلِمَ نَعكس الأمر بهذه الصورة الغريبة !! فإذا قلنا : (عامل الصديق صديقه وَدُودًا مخلصًا) كانت (ودودا) للأول (الصديق) وكانت (مخلصا) للثاني (صديقه) ولا داعى لعكس الموضوع .

وخلاصة هذا الموضوع كله : أن الحال المتعددة لمفرد أو المتعددة لمتعدد مع وجود الدليل المعنوى أو اللفظي لنسبتها لمن هى له لا يلزم فيها ترتيب .

(١) من البين فى قوله (لقى ابني أخويه خائفا منجديه) أن (الخائف) هو (الابن) وأن (منجديه) هما (أخويه) فالحال متعددة ، وتوجه لأصحابها بالإفراد والتشبية .

(٢) المرط - بكسر الميم وسكون الراء - ثوب المرأة - مرطل : مخطط .

الشاهد : فى (خرجت بها أَمْشَى تَجُرُّ وَرَاءَنَا) هنا حالان جملتان : الأولى (أَمْشَى) والثانية (تَجُرُّ وَرَاءَنَا) ومن البين أن صاحب الحال الأولى هو ضمير المتكلم فى (خرجت) ، وأن صاحب الثانية هو ضمير الغائبة فى (بها) يدل على ذلك التذكير والتأنيث والتكلم والغيبة .

وأما إذا تعددت لمتعدد بلا دليل ، فإنها - فى رأى - يجب ترتيبها على الأصل .

الحال المفردة والجملة وشبه الجملة :

لاحظ الأمثلة التالية :

{	وقف الشرطى منظماً حركة المرور
{ الحال مفردة	ويسهر رجال الأمن محافظين على المواطنين
{	يؤدى شرطى المرور واجبه بين مفارق
{ الحال شبه جملة	الطرق فى الزحام
{	ويسهر رجال الأمن والمواطنون نائمون
{ الحال جملة	فيطاردون الجريمة وهم معرضون للخطر

تأتى الحال مفردة وجملة وشبه جملة - تماماً كما كان الأمر فى خبر المبتدأ - والأصل فى الحال أن تكون مفردة ، ويقابلها فى ذلك شبه الجملة والجملة على التحديد التالى :

الحال المفردة : هى ما كانت غير جملة ولا شبه جملة ، وإن كانت مثناة أو مجموعة ، تقول : (من حقّ العامل للمجتمع أن يعيش مستريحاً) وتقول : (من حقّ العاملين لخير المجتمع أن يعيشوا مستريحين) وكلا المثالين من نوع المفرد .

شبه الجملة : يقصد بذلك أن تكون الحال ظرفاً أو جاراً ومجروراً ، مثل قولك : (إن الحرمان وقت الحاجة أقلُّ ألماً من العطاء مع المنّ) وتقول : (استعمتُ للنصيحة من لسانِ مخلص) - قال ابن هشام : ويتعلقان « بمستقر أو استقر محذوفين » .

الجملة : هى ما تكونت من مسند ومسند إليه ، سواء أكانت اسمية أم فعلية ، تقول : (سهرتُ والناسُ نائمون) وتقول : (انتشر الناسُ فى الأرضِ يتبعون الرزق) .

هذا ، ومن أهم شروط الجملة التى تقع حالا - فعلية أم اسمية - أن يكون بها رابط يربطها بصاحبها ، وهذا الرابط واحد من أمور ثلاثة :

(أ) الواو : وتسمى « واو الحال » وعلامتها - كما يقول ابن عقيل - صحة وقوع « إذ » موقعها ، تقول : (ربما يتعب الجسم والضمير مستريح وربما يرتاح الجسم والضمير متعب) قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ اللَّذْتُبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ [الآية ١٥ من سورة يوسف] .

(ب) الضمير وحده : ويقصد بذلك الضمير الذى يرتبط بصاحب الحال ويعود إليه ، تقول : (يعيش العلماء فى عصرنا حياتهم لغيرهم) ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [الآية ٣٦ من سورة البقرة] .

(ج) الواو والضمير جميعا : كقولك : (تتحرك عين المنافق وهى قلقة وتستقر عين المخلص وهى هادئة) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ [الآية ٢٤٣ من سورة البقرة] .

ذلك أصل الموضوع ، أن الرابط فى الجملة قد يكون الواو فقط أو الضمير فقط أو الواو والضمير جميعا ، ويستدرك على هذا الأصل الملاحظتان التاليتان :

الأولى : أن الجملة الفعلية الواقعة حالا إذا كان فعلها مضارعا مثبتا ، وتقدم عليها الحرف « قد » فإنها يجب أن يتقدم عليها « واو الحال » ولا تأتى بدونها ، مثل قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [الآية ٥ من سورة الصف] .

الثانية : أن واو الحال مجيئها مع بعض الجمل التى من أهمها ما يلى :

(١) الجملة الفعلية المبدوءة بمضارع مثبت ، مثل (وقف المنتصر يتتسم وجلس المهزوم ينتحب) .

(٢) الجملة الفعلية المبدوءة بمضارع منفى بالحرف « لا » كقول الشاعر :
ولو أن قوماً لارتفاع قبيلة
دخلوا السماء دخلتها لأحجب^(١)

(٣) الجملة الفعلية المبدوءة بمضارع منفى بالحرف « ما » كقول مسكين الدارمي :

(١) يفخر بقومه ، وبأنهم أسمى من كل القبائل ، فلو طالت قبيلة السماء ودخلتها لكانت قبيلته .

الملاحظ : أن جملة الحال الفعلية (لا أحجب) تقدم عليها حرف النفى (لا) وهذا لا تأتى الواو

رابطا معها .

عَهْدْتُكَ مَا تَصُبُّو فِيكَ شَبِيئَةً فَمَا لَكَ بَعْدَ الشَّيْبِ صَبًّا مُتَيَّمًا ^(١)

(٤) الجملة الحالية التي تأتي مؤكدة لمضمون الجملة قبلها ، كقولنا : (هو الحق لا شك فيه) وقول الله تعالى : ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الآية ٢ من سورة البقرة] .

مسائل مهمة تتعلق بالحال :

الأولى : مجيء الحال من المضاف إليه :

لاحظ الأمثلة التالية :

من آيات الله إمساك الأرض في الفضاء مُعَلَّقَةً

ومن أعظم آياته أن يستقرَّ ماء الأرض عليها مَكْوَرَةً

ومن رائع حكمته أن يبقى هواء الأرض حولها جاذبةً له

من رأى جمهور النحاة أن الحال لا تأتي من « المضاف إليه » في اللغة العربية

إلا إذا جاء « المضاف » على الصفات التالية :

(أ) أن يكون المضاف اسما يقوم بوظيفة الفعل (كالمصدر واسم الفاعل

إلخ) مثل (من آيات الله إمساك الأرض في الفضاء مُعَلَّقَةً) ومن ذلك قول مالك بن الربيع :

تَقُولُ ابْنَتِي إِنَّ انْطِلَاقَكَ وَاحِدًا إِلَى الرُّوْعِ يَوْمًا تَارِكِي لَا أَبَا لِيَا ^(٢)

(ب) أن يكون المضاف جزءا من المضاف إليه ، مثل (ومن أعظم آياته أن

يستقرَّ ماء الأرض عليها مَكْوَرَةً) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [الآية ١٢ من سورة الحجرات] .

(١) الشاهد : أن جملة الحال الفعلية (ما تصب) تقدم عليها حرف النفي (ما) وهذه لا تأتي الواو

رابطا معها ، فهي ممنوعة .

(٢) الروع : الحرب .

الشاهد : في الشطر الأول (إن انطلاقتك واحدا) فإن الحال (واحدا) جاء من المضاف إليه وهو

المصدر المضاف لأن المضاف (الانطلاق) مصدر يعمل عمل الفعل ، والمصدر مضاف إليه من إضافة المصدر للمصدر لفاعله .

(ج) أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ كَجُزءٍ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، مِثْلَ (وَمِنْ رَائِعِ حِكْمَتِهِ أَنْ يَبْقَى هَوَاءُ الْأَرْضِ حَوْلَهَا جَازِيَةً لَهُ) وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [الآية ١٢٣ من سورة النحل] .

هذا ، وَمِنْ رَأْيِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارْسِيِّ - وَهُوَ إِمَامُ نَحْوِي جَلِيلٍ - جَوَازُ مَجِئِ الْحَالِ مِنَ « الْمُضَافِ إِلَيْهِ » مُطْلَقًا دُونَ هَذِهِ الصِّفَاتِ السَّابِقَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ تَأْبُطْ شَرًّا :

سَلَبْتُ سِلَاحِي بِائِسًا وَشَتَمْتَنِي فَيَا خَيْرَ مَسْلُوبٍ وَيَا شَرَّ سَالِبٍ ^(١)

وَيَبْدُو أَنَّ لِهَذَا الرَّأْيِ الْأَخِيرَ وَجَاهَتَهُ الَّتِي يُؤَدِّيهِهَا الِاسْتِعْمَالُ ، إِذْ نَقُولُ : (نَسْتَقْبِلُ أَضْوَاءَ الصَّبَاحِ بَاكِرًا) وَ (نَسْتَقْبِلُ أَحْدَاثَ الْيَوْمِ جَدِيدًا) وَ (نَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَعَالِمَ الْحَيَاةِ مُتَجَدِّدَةً) .

الثانية : تَرْتِيبُ جُمْلَةِ الْحَالِ :

الْأَصْلُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ يَصِحُّ تَأْخُرُ الْحَالِ عَنْ عَامِلِهَا وَصَاحِبِهَا وَيَصِحُّ تَوْسُطُهَا بَيْنَهُمَا أَوْ تَقَدُّمُهَا عَلَيْهِمَا مَعًا ، وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الصُّورَ الْآتِيَةَ كُلَّهَا صَحِيحَةٌ لَجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ .

يَذْهَبُ الطَّالِبُ إِلَى الْجَامِعَةِ نَشِيطًا

يَذْهَبُ نَشِيطًا الطَّالِبُ إِلَى الْجَامِعَةِ

نَشِيطًا يَذْهَبُ الطَّالِبُ إِلَى الْجَامِعَةِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ حَزَامٍ :

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاكِعِينَ لِرَبِّهِمْ خُشُوعًا وَفَوْقَ الرَّاكِعِينَ رَقِيبٌ

لَعَنَ كَانَ بَرْدُ الْمَاءِ هَيْمَانَ صَادِيًا إِلَى حَبِيبًا إِنَّهَا لِحَبِيبٍ ^(٢)

(١) الشاهد : فِي (سَلَبْتُ سِلَاحِي بِائِسًا) حَيْثُ جَاءَتْ الْحَالُ (بَائِسًا) مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ (يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ) وَلَمْ يَكُنِ الْمُضَافُ عَلَى صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي اشْتَرَطَهَا النُّحَاةُ - وَهَذَا اتِّجَاهٌ مُفِيدٌ مَنْسُوبٌ لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارْسِيِّ .

(٢) هَيْمَانُ : مُشْتَقٌّ - صَادِيًا : ظَمَانٌ - بَرْدُ الْمَاءِ : الْعَذَابُ .

يَقُولُ : أَحْلَفُ بِالرَّاكِعِينَ وَرَبِّهِمْ إِنِّي مُشْتَقٌّ إِلَيْهَا ظَامئٌ لَلْقَاهَا ، فَأَنَا أَحْبَبُهَا حَبِيٍّ لِلْمَاءِ وَأَنَا رَاغِبٌ

فالكلمتان (هيمنان - صاديا) حالان من ضمير المتكلم المجرور في (إلى) وهو متأخر .

لكن ، يستدرك على هذا الأصل الأمران التاليان :

الأول : إذا كان الحال هو الاسم (كيف) فإنه يجب تقدمه .

هذا ، وينبغي التنبيه إلى أن كلمة (كيف) اسم مبنى على الفتح ، وله - كما يقال - صدارة الكلام ، وتستعمل - كما جاء في « مغنى اللبيب » - كما يلي :

١ - أن تكون أداة شرط غير جازمة ، ويحيى بعدها فعلاً متفقاً في اللفظ والمعنى ، مثل : (كيف تصنعُ أصنعُ) .

٢ - أن تكون اسم استفهام - وهو الاستعمال الغالب فيها - فإن كانت الجملة بعدها تحتاج إلى خبر ، أعربت خبراً ، مثل قولنا : (كيفَ حالكُ ؟؟) و (كيفَ كانتَ ليلتُكُ ؟) و (كيفَ علمتَ الحقيقةَ ؟) .

فإن كانت الجملة بعدها لا تحتاج إلى خبر ، أعربت حالا - وهذا هو المقصود هنا - ومن ذلك قول حافظ إبراهيم :

كَيْفَ يَحْلُو مِنَ الْقَوَى التَّشْفَى فِي ضَعِيفٍ أُلْقِيَ إِلَيْهِ الْقِيَادَا ^(١)

الثاني : يجب تأخر الحال في مواضع ، أهمها أن يكون العامل (فعل تعجب - اسم تفضيل - اسم فعل - عامل معنوي) كما يلاحظ في الأمثلة التالية :

ما أَجْمَلَ الْقَمَرَ فِي لِيَالِي الرَّيْفِ مَشْرِقًا

هَوَاءُ الرَّيْفِ أَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ نَقِيًّا

فَتَلَكُ هِبَاتُ الطَّبِيعَةِ لَنَا سَخِيَّةٌ

الثالثة : حذف عامل الحال :

الأصل - كما سبق غير مرة - ألا يحذف من الكلام العربي شيء ، وأن

(١) من قصيدة حافظ إبراهيم في « مأساة دنشواي » وقد سبق البيت للتمثيل به .

تكون كل أجزائه مذكورة ، لكن فى صناعة النحو صحة الحذف ، ومن الأشياء التى تحذف أحيانا من جملة الحال عاملُ الحال ، كما يلاحظ فى النصوص التالية :

* قول الله تعالى : ﴿ اَيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَلَّا يَجْمَعَ عِظَامُهُ بَلَىٰ قَدَرَيْنَ عَلَيَّ اَنۢ يُّسَوَّىٰ بَنَانُهُ ﴾ [الآيتان ٣ ، ٤ من سورة القيامة] .

- * قول العرب للقادم من الحج : (راشدًا مأجورًا) .
- * قول العرب فى التوبيخ : (أتميمًا مرة وقيسيًا أخرى) .
- * قولنا بعد الطعام والشراب : (هنيئًا لك) .

* * *

التمييز

١ - المقصود بالتمييز لدى اللغويين والنحاة ؛ والموازنة بينه وبين الحال .

٢ - الأمور المبهمة التي يفسرها التمييز نوعان :

(أ) المفردات الأربعة المبهمة (الأعداد - المقادير - أشباه المقادير - فرع التمييز) .

(ب) النسب الأربعة المبهمة (الفعل والفاعل - الفعل والمفعول - المبتدأ والخبر - النسبة مطلقاً) .

* * *

التمييز لدى اللغويين والنحاة :

عاشت حضارة العرب أربعة عشر قرناً
وتأثر بها العالم ثقافة وأخلاقاً
ويقرر المؤرخون ذلك إنصافاً وعدلاً
ويشكك أعداء العرب فيها زوراً وكذباً

يقول اللغويين : الألفاظ الثلاثة (تمييز - تفسير - تبين) بمعنى واحد فهي ألفاظ مترادفة تفيد توضيح الشيء وإزالة الغموض عنه ، وبهذا المعنى ورد قول الله تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [الآية ٣٧ من سورة الأنفال] . بمعنى : يفصل كلا منهما عن الآخر ، فيتضح وحده ، ويوم القيامة يقال : ﴿ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [الآية ٥٩ من سورة يس] أى : اظهروا وحدكم بلا خفاء ولا اختلاط .

يقول ابن هشام : « التمييز اسم نكرة فضلة جامد يرفع إبهام اسم أو إجمال » نسبة أ . هـ

إذا تأملنا هذا التعريف اتضح لنا أنه يشتمل على صفات خمس لما يقع تمييزا

هى على الترتيب :

٢ - أن يكون نكرة .

٣ - أن يكون فضلة .

٤ - أن يكون جامدا .

٥ - أن يوضح إبهام ما قبله .

والأمور الأربعة الأولى قد مر تفسيرها - فيما سبق - فنحن قد عرفنا « الاسم والنكرة والفضلة والجامد » فلا حاجة إلى إعادة توضيحها ، أما القيد الأخير ففي حاجة إلى توضيح ، لأن فكرة التمييز تقوم عليه .

إن التمييز - كما في المعنى اللغوي والنحوي - يبين شيئا مبهما في جملته أو بعبارة أخرى : يوضح أمرا غامضا في تلك الجملة ، فيرفع الإبهام والغموض وهذا الشيء المبهم أو الغامض هو ما نسميه (المميّز أو المفسّر) ولو أنه ذكر وحده دون التمييز لحارت النفس فيه ، وذهبت بها حيرتها في كل اتجاه .

إذا عاودنا النظرة إلى الأمثلة السابقة ، وقلنا في المثال الأول : (عاشت حضارة العرب أربعة عشر) - هكذا دون التمييز - لأثار ذلك تساؤلا هو أى شيء هذه الأربعة عشر ؟ (يوما - شهرا - أسبوعا - قرنا) فإذا ذكر التمييز (قرنا) ذهبت تلك الحيرة - وفي المثال الثانى لو قلنا : (تأثر بها العالم) - هكذا دون التمييز - لأثار ذلك تساؤلا هو : بأى شيء تأثر العالم ؟! في (الحضارة - التخلّف - العقيدة - الثقافة - الأخلاق - التاريخ ؟!) كل هذه احتمالات لا تزول إلا بذكر التمييز ، (فإذا ذكر التمييز (ثقافة وأخلاقا) زالت هذه الاحتمالات جميعا ، وبان الأمر ، فقرّت النفس .

بين الحال والتمييز :

بالنظر إلى الصفات التى يجب توافرها فى كل من الحال والتمييز يمكن الموازنة بينهما نحويا بما يلى :

أولا : يتفق كل من الحال والتمييز فى أمرين :

(١) كل منها نكرة لا معرفة .

(٢) كل منها فضلة لا عمدة .

ثانيًا : يفترقان في أمرين :

(١) الحال مشتق في الأصل ، ولا يكون جامدًا إلا في مواضع خاصة .
والتمييز جامد دائما .

(٢) الحال يبين هيئة صاحبه ، ويجب عن السؤال بكلمة (كيف) . أما
التمييز فيوضح المبهمة قبله ، ويجب عن السؤال (من أي جهة؟؟) .

الأمور المبهمة وأنواعها :

تنقسم الأمور المبهمة التي يوضحها التمييز إلى صنفين :

الصنف الأول : مفردات مبهمه تحتاج إلى ما يوضحها ، ويسمى التمييز في
هذه الحالة (تمييز المفرد) أو (تمييز الذات) لأنه يفسر اسما مفردا يدل على ذات
مبهمه .

والمفردات التي تحتاج إلى التفسير والتوضيح أمور أربعة هي :

١ - الأعداد من (١١ - ٩٩) - ولو جاءت مع المائة فما فوقها - لأن هذه
الأعداد يأتي بعدها التمييز منصوبا ، كقول الله تعالى : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ
كُوكَبًا ﴾ [الآية ٤ من سورة يوسف] وقول زهير :

سَمِعْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا - لَا أَبَا لَكَ - يَسَامُ (١)

٢ - أسماء المقادير : ويقصد بها ما يدل على مقدار منضبط وزناً أو كيلاً
أو قياساً تعارف عليه الناس وارتضوه للوزن أو الكيل أو القياس ، ومن ذلك :

* موازين : الطن - القنطار - الأقة - الكيلو - الرطل - الأوقية - الدرهم -
الجرام .

* مكايل : الإردب - الكيلة - القدح - الجريب - الصّاع .

* مقاييس : الفدان - القيراط - السهم - القصبة - المتر - الياردة - الكيلو
متر .

(١) سَمِعْتُ : ملئت وكرهت - لا أبا لك : جملة تستخدم للدعاء على الشخص قديماً ، كأنه
قال : عدت الأب وصرت مضيعاً .

كقولنا : (تزنُ القِلادةُ أوقيةً ذهبًا) أو (بعضُ الفلاحين يملك فقط فدانًا أرضًا فَيَعْلُ عليه عددا من القناطر قُطُنًا وعددا آخر من الأرادب قمحًا) .

٣ - أشباه المقادير : ويقصد بها ما تدل على مقدار غير منضبط وزنا أو كيلا أو قياسا ، ولم يتعارف الناس عامة على استعمالها لذلك .

تقول : (شربتُ بعد الإفطار كُوبًا شايًا بعد أن أضفتُ إليه إناء لَبَنًا) . فهذا يشبه الكيل ، ومن كلام أهل الريف : (نَمَّا النَّبَاتُ حتى بَلَغَ باعًا طولًا ثم نَمَّا حتى بلغ قامَةً رجل ارتفَاعًا) فهذا يشبه القياس ، ومن كلام أبناء البلد : (اشتريتُ وَزَنَ حَجَرٍ عِنَبًا) فهذا يشبه الوزن ، وقد جاء من ذلك ما يلي :

* قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾

{ يشبه الوزن [الآية ٧ من سورة الزلزلة] .

* قول العرب « ما فى السَّمَاءِ قدرٌ راحيةٍ سحابًا » { يشبه القياس

(٤) أن يكون الاسم المبهم فرعًا للتمييز ، على معنى أن يكون التمييز المفسر هو الأصل ، والمفسر بعض منه ، كقولنا : (هذا ثوبٌ حريرًا) أو (هذا خاتِمٌ ذهبًا) .

الصنف الثانى : النسب المبهمة بين شيئين فى الجملة ، أو بعبارة أخرى العلاقة المبهمة - غير المفصلة - بين أمرين فى الجملة ، ويسمى التمييز فى هذا الصنف (تمييز النسبة) لأنه قد جاء ليوضح تلك النسبة المبهمة ، وليفصل ويبين تلك العلاقة المبهمة بين الشيئين فى الجملة .
والنسب المبهمة أربعة أنواع :

(١) النسبة المبهمة بين الفعل والفاعل ، ويسمى التمييز فى هذه الحالة (محوًلا عن الفاعل) كقولك : (انتصرت قضيتنا عدلاً) و (ارتفع طلابُ العلم فى وطننا شأنًا) ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَأَسْتَعْلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [الآية ٤ من سورة مريم] .

(٢) النسبة المبهمة بين الفعل والمفعول ويسمى التمييز فى هذه الحالة (محوًلا عن المفعول) كقول الفلاح : (زرعتُ الأرضَ شَجَرًا) وقولى : (شرحْتُ الكتابَ نَحْوًا) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [الآية ٢٠ من سورة المزمل] .

(٣) النسبة بين الخبر والمبتدأ كقولنا : (المثقف أفضل من الجاهل خُلُقًا) وأيضا (الأساتذة أفضل من الناس عِلْمًا) ومنه قول الله تعالى : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الآية ٣٤ من سورة الكهف] ويسمى التمييز فى هذه الحالة (محولاً عن المبتدأ) .

(٤) النسبة المبهمة مطلقا : وهى النسبة المبهمة فى الجملة غير الأمور الثلاثة السابقة ، ويسمى التمييز فى هذه الحالة مفسرا للنسبة المبهمة فقط ، وهو (غير محول) عن غيره .

وقد ورد هذا النوع الأخير - غير المحول - فى نماذج من الأمثلة ترد غالبا فى موقف التعجب والتأثر ، ومن ذلك :

- قول العرب : (لله دَرَّةٌ فَارِسًا) أسلوب تعجب سماعى - فارسا : تمييز .
 - قولنا : (أَكْرِمَ بِهِ أَبًا) أسلوب تعجب قياسى - أبا : تمييز .
 - قولنا : (ما أَشْجَعَهُ رَجُلًا) أسلوب تعجب قياسى - رجلا : تمييز .
- ما ينسب للأعشى من قوله :

بِأَنْتِ لَتَحْزُنُنَا عَفَاَرَهُ يَا جَارَتَا مَا أَنْتِ جَارَهُ ^(١)

يقول ابن هشام عن هذا البيت : « (ما) استفهام مبتدأ و (أنت) خبره ، والمعنى (عَظُمْتَ) كما يقال (زيدٌ وما زيدٌ) أى شىء عظيم ، و (جارة) تمييز - وقيل (ما) نافية و (أنت) اسمها و (جارة) خبر ما الحجازية أى : لست جارة ، بل أنت أشرف من الجارة ، والصواب الأول » . أ . ه .

وبعد : فلعلنا بعد هذا العرض للمفردات المبهمة وأنواعها ، وللنسب المبهمة وصورها يمكننا أن نفهم وأن نشرح عبارة « ابن هشام » المشهورة بين المشتغلين بالنحو وهى : (التمييز يرفع إبهام اسم أو إجمال نسبة) بعد أن مر علينا بالتفصيل الأسماء المبهمة والنسب المجملة .

* * *

أساليب الاستثناء

(١) المقصود بأسلوب الاستثناء لغة ونحو - مع بيان أجزاء جملته التي يتكون منها .

(٢) المقصود بالمصطلحات النحوية الأربعة (الكلام التام - الكلام الموجب - المستثنى المتصل - المستثنى المنقطع) .

(٣) المستثنى بعد الحرف (إلا) يتبع ما قبله أو ينصب بحسب أساليبه المختلفة .

(٤) المستثنى بالاسمين (غير - سوى) مجرورا دائما وتعرب الكلمتان إعراب ما بعد (إلا) .

(٥) المستثنى بالكلمات (خلا - عدا - حاشا) ينصب إذا اعتبرت أفعالا ، ويجز إذا اعتبرت حروفا .

(٦) مسألة تكرار « إلا » .

* * *

أسلوب الاستثناء وأجزاؤه :

ينضُرُ المواطنون بلادهم إلا الخونة

لا يشمتُ الناسُ في الضَّعيف إلا اللُّؤماء

يحترم الصادقون آراءهم إلا الكذوب

في حياتنا العادية الدارجة تتردد كلمات لها صلة بهذا الموضوع ، إذ يقال حين محابة شخص دون المجموعة بشيء ما : (دا يا عمّ مستثنى من المجموعة) ويقصد بذلك أنه متفرد عنها لا يسرى عليه ما يسرى عليها ، وأشهر العبارات بين المثقفين عن ذلك (الاستثناء يثبت القاعدة) على معنى أن لكل شيء شذوذه ، وأن بعض الأشياء أو الناس قد تخرج عما هو مقرر لأمثالها ، وذلك لا يخل بالقاعدة ، لأنه طبعى .

فالتألب الذى ىطلب منه عدم الاشتراك فى الرحلة ، فىترك زملاءه استثنى من مجموعهم ، وخرج عن زمريهم .

أما لى النحاة : فأسلوب الاستثناء هو الأسلوب الذى ىتحقق فىه الإخراج بواسطة أداة من أدوات الاستثناء (إلاّ وأخواتها) - ففى المئال (ىنصر الموائون بلادهم إلاّ الخونة) هذا أسلوب استثناء مكامل ، إذ خرج (الخونة) من (الموائون) الذين ىنصرون وئهم بواسطة الأداة (إلاّ) وئكون جملة الاستثناء المئكاملة من الأمور التألىة :

المستثنى : هو الاسم الواقع بعد أدوات الاستثناء ، وىحدد علميا بأنه الاسم المخرج من أمئاله الذين نقرر لهم حكم خاص فى الجملة قبل أداة الاستثناء وهو فى الأمئلة السابقة على التوالى (الخونة - اللؤماء - الكذوب) .

أدوات الاستثناء : هى كلمات خاصة تستعمل فى الجملة لتفید إخراج ما بعدها من حكم ما قبلها ، وهى بالئحديء (إلاّ - غير - سوى - خلا - عدا - حاشا) وهئاك أدائان أخريان (لىس - لا ىكون) وقد مرّ ذكرهما فى النواسخ .

المستثنى منه : وىقع قبل أدوات الاستثناء ، وىحدد علميا بأنه الاسم العام الذى ىنسب له الحكم فى الجملة ومنه ىكون إخراج المستثنى ، وهو فى الأمئلة السابقة على التوالى (الموائون - الناس - الصاءقون) .

الحكم : هو المعنى الذى ىنسب للمستثنى منه - إئبائا أو نفيا - بئىث ىكون إخراج المستثنى من المستثنى منه إخراجا من هذا الحكم فى الوقت نفسه وهو فى الأمئلة السابقة مستفاد من (ىنصر - لا ىشمت - ىحترم) .

وهنا ىنبغى التئبه إلى أمرين :

الأول : أن أدوات الاستثناء لىست حروفا كلها ، بل منها حروف وأسماء وأفعال - كما سىأتى .

التانى : أن المستثنى لىس منصوبا دائما ، بل ىكون منصوبا ومرفوعا ومجرورا - كما سىأتى بالتفصیل .

المصئلحات النحوىة الأربعة :

مذكورا فيه ، كقولنا : (أخلص أهل المدينة للرسول إلا اليهود) وتقول : (ينام أهل القاهرة إلا رجال الأمن) .

الكلام الموجب : هو ما لم يتقدمه في جملته نفى أو نهى أو استفهام كقولك : (سهرت الليل غير ساعة) فإن تقدمه نفى أو نهى أو استفهام سمى (كلاما غير موجب) كقولك : (لا يشمت الناس في الضعيف إلا اللؤماء) وأيضا (هل يهاب الناس الأعداء إلا الجبناء) .

المستثنى المتصل : يقصد به ما كان المستثنى من جنس المستثنى منه بأن يكون المستثنى والمستثنى منه من واحد ، بحيث إذا لم يذكر المستثنى في الكلام كان معناه متضمنا في المستثنى منه ، كقولك : (أدب الصلوات في أوقاتها إلا الفجر) .

المستثنى المنقطع : يقصد به أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، على معنى أن المستثنى والمستثنى منه ليسا من صنف واحد ، بحيث إذا ذكر المستثنى منه ، ثم ذكر المستثنى بعده ، كان وروده على الذهن غريبا ، كقولنا : (يتحمل الرجال مشاق الحياة إلا المرأة ، وتحمل النساء تربية الأطفال إلا الرجل) .

ويمثل النحاة لذلك بمثال يجسد الفكرة ويقربها وهو (شرب الخيل إلا حمرا) فمن الواضح أن (الحمار) ليس من جنس الخيول .

بعد هذه المقدمة الضرورية لمعرفة جملة الاستثناء وما يطلق عليها من مصطلحات نحوية ندرس أدوات الاستثناء متوالية من حيث كيفية ورود كل منها في الكلام العربي ، وأحكام المستثنى مع كل منها رفعا ونصبا وجزا .

الاستثناء بالحرف (إلا) :

يجب التنبيه إلى أن (إلا) حرف استثناء مبنى ، وليست فعلا ولا اسما وهي أشهر أداة من أدوات الاستثناء ، والاسم الذي يقع بعدها يختلف الحكم عليه باختلاف الأسلوب الذي ترد فيه .

والجملة التي ترد فيها (إلا) في الكلام العربي تأتي على صور ثلاث تفصيلها

الصورة الأولى :

أورقت الأشجار إلا واحدة

تُمَتِّعُنَا فصولُ العامِ إِلَّا الصَّيْفَ

تحلو فترات العمر إلا الشيخوخة

أن ترد في كلام تام موجب ، ومن الين - بعد ما تقدم - أن المراد بهذه الصورة أن يكون المستثنى منه مذكورا والكلام خالي من النفي والنهي والاستفهام - وفي هذه الصورة يجب نصب المستثنى ، كما ترى في الأمثلة السابقة من نصب الكلمات (واحدة - الصيف - الشيوخوخة) وجوبا ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ [الآية ٢٤٩ من سورة البقرة] وقوله : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ [الآيتان ٣٠ و ٣١ من سورة الحجر] وقول الشاعر :

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ إِلَّا الْحَمَاقَةَ أَعْيَتْ مِنْ يُدَاوِيهَا ^(١)

الصورة الثانية :

لا تُرى الكواكب بالعين المجردة إلا القمر

لا تُرى النجوم بالعين المجردة إلا القمر

ما بقيتُ فرصُ الحرية إلا القتال

ما بقيت المساعي السلمية إلا القتال

أن يكون الكلام تاما غير موجب ، بأن يكون المستثنى منه مذكورا في الكلام ، وتقدمه نفى أو نهى أو استفهام - وفي هذه الصورة تفصيل كما يلي :

أولا : إذا كان الاستثناء متصلا - بأن كان المستثنى من جنس المستثنى منه - صح في المستثنى أمران :

(أ) الإتيان للمستثنى منه في إعرابه رفعاً ونصباً وجراً ، فيعرب - على الرأي
الراجح - بدلاً منه ، بدل بعض من كل ، والبدل كما سيأتي أحد التوابع .

(١) معنى البيت : لكل داء دواء يشفيه ، والحماقة داء ؛ لكن لا دواء لها .

الشاهد : في (لكل داء دواء يستطب به إلا الحماسة) فإن كلمة (الحماسة) مستثني واجب

(ب) النصب على الاستثناء ، فيكون ما بعد (إلا) منصوبا كما في الصورة الأولى .

ففي المثال (لا تُرى الكواكب بالعين المجردة إلا القمر) يصح في كلمة (القمر) الإتيان لكلمة (الكواكب) بدلا منها ، فترفع ، كما يصح نطقها بالنصب على الاستثناء ، ومثله أيضا (ما بقيت فرص الحرية إلا القتال) .

كلا الوجهين إذن جائز في المستثنى المتصل ، لكن الأفصح في اللغة هو الإتيان ، وعلى ذلك جاء نطق الحجازيين والتميميين ، وأيدته قراءات القرآن .

● قال الله تعالى : ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾ [الآية ٦٦ من سورة النساء] قرئت (قليل) بالرفع والنصب .

● وقال : ﴿ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكُّ ﴾ [الآية ٨١ من سورة هود] قرئت (أمرئك) بالرفع والنصب .

قال ابن هشام : « فإن كان متصلا ، جاز في المستثنى وجهان ، أحدهما - وهو الراجح - أن يعرب بإعراب المستثنى منه على أن يكون بدلا منه بدل بعض من كل ، والثاني النصب على أصل الاستثناء ، وهو عربى جيد والإتيان أجود منه » . أ . ه .

ثانيا : إذا كان الاستثناء منقطعا - بأن كان المستثنى من غير جنس المستثنى منه - فقد ورد عن العرب ما يلى :

(أ) أهل الحجاز يلتزمون نصبه ، ويصف النحاة هذه اللغة بأنها اللغة العليا .

(ب) بنو تميم يرجحون نصبه ، والإتيان لديهم جائز وهو أقل فصاحة .

ففي المثال (لا تُرى النجوم بالعين المجردة إلا القمر) فإن المستثنى (القمر) ينصب وجوبا على لغة أهل الحجاز ، وعلى لغة بنى تميم الأفصح نصبه أيضا لكن يصح رفعه إتيانا لكلمة (النجوم) ومثله أيضا المثال (ما بقيت المساعي السلمية إلا القتال) .

ولكل من النطقين ما يؤيده من شواهد اللغة :

* ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا أَتْبَاعًا وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [الآيتان ١٩

- ٢٠ من سورة الليل] .

* ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ [الآية ١٥٧ من سورة النساء] .

لكن ورد على لغة بنى تميم شعر فصيح وفيه الإتياع ، ومن ذلك قول الراجز :

يا ليتنى وأنت يا لميس
فى بلدة ليس بها أنيس
إلا اليعافير وإلا العيس^(١)

ثالثا : هذا التفصيل السابق إنما هو فى المستثنى المتأخر عن المستثنى منه ، أما إذا تقدم على المستثنى منه ، فيجب نصبه سواء أكان متصلا أم منقطعا لا فرق بين الاثنين فى ذلك ، وقد أوردت معظم كتب النحو الشاهد التالى فى مدح آل البيت ، قال الكميت :

وما لى إلا آل أحمد شيعَة وما لى إلا مذهب الحق مذهب^(٢)

بنصب كلمة (آل) فى الشطر الأول - ونصب كلمة (مذهب) فى الشطر

الثانى .

الصورة الثالثة :

لا يكذب إلا الجبان

فلا يعرف القوى إلا الصراحة

ولا يتحدث إلا بالصدق

أن يكون الكلام غير تام وغير موجب ، والمقصود بهذه الصورة إذن أن يكون

(١) اليعافير : البقر الوحش - العيس : الإبل .

أمنية غريبة حببية : أن يكون مع حبيته « لميس » فى بلدة لا أحد فيها إلا البقر الوحش والإبل .

الشاهد : (ليس بها أنيس إلا اليعافير) فهذا كلام تام غير موجب منقطع وقد جاء المستثنى

(اليعافير) بالرفع على الإتياع ، وهذا جائز فى لغة بنى تميم .

(٢) الشاهد فى هذا البيت : تقدم المستثنى منه فى كلا الشطرين فيجب نصبه ، وقد ورد

منصوبا فى الشطرين (ما لى إلا آل أحمد شيعَة) وأيضا (ما لى إلا مذهب الحق مذهب) .

الأسلوب خاليا من المستثنى منه ، وأن يتقدمه نفى أو شبهه - كما ترى في الأمثلة السابقة .

في هذه الصورة تصبح (إلا) ملغاة لا عمل لها ، ويقول عنها النحاة في الإعراب : (إلا : أداة استثناء ملغاة لا عمل لها) ويعرب الاسم الذي بعدها بحسب ما يقضى به نظام الجملة ، فإن احتاجت إلى فاعل أو نائب فاعل رفع ، وإن احتاجت لاسم منصوب نصب ، وإن احتاجت لاسم مجرور جاء مجرورا . ففي المثال (لن يُفِيدَ إلا النضال) كلمة (النضال) فاعل مرفوع - وفي الجملة (هل يخسرُ اللاجئُ إلا خيمته) كلمة (الخيمة) منصوبة مفعول به - وفي الجملة (لا تُنصتُ إلا للكلامِ المفيد) الفعل لازم ، فاحتاج إلى جار ومجرور هو (للكلام) .

وينبغي الإشارة هنا إلى أمرين مهمين :

الأول : أن النحاة يطلقون على هذه الصورة - غير التام وغير الموجب - أحد مصطلحين (الاستثناء المفرغ - أو - الاستثناء الناقص) ولكل من التسميتين تسويغه لديهم ، فهو استثناء مفرغ - كما يقول ابن هشام - لأن ما قبلها قد تفرغ للعمل فيما بعدها ، وهو استثناء ناقص ، لأن جملة الاستثناء نقصت ركنا مهما من أركانها هو « المستثنى منه » .

الثاني : أن العلامة التي تُعرف بها هذه الصورة من الاستثناء أن تحذف (إلا) مع حرف النفي أو شبهه ويبقى الكلام سليما والجملة متكاملة ، فتقول مثلا في (لن يفيد إلا النضال) تقول : (يفيد النضال) وهكذا .

المستثنى بالاسمين (غير وسوى) :

ينبغي التنبيه إلى أن الكلمتين (غير - سوى) من الأسماء المعربة والأولى معربة بحركات ظاهرة ، والثانية معربة بحركات مقدرة ، لأنها اسم مقصور .

ويتلخص رأى النحاة في أساليب الاستثناء بهما في العبارتين التاليتين :

(أ) المستثنى مجرور بهما دائما بالإضافة إليهما .

(ب) الكلمتان (غير - سوى) اسمان معربان ، وحكهما في الإعراب حكم الاسم الواقع بعد (إلا) بحسب أساليبه المختلفة التي سبق شرحها .

{	أشرفت الشمس كلَّ ساعاتِ النهارِ غيرَ ساعةٍ
{ تام وموجب	أضاءت مصابيحُ الشارعِ سوى مصباحٍ
{	ما وطئ القمرَ بشرٌ غيرَ بضعةٍ رجالٍ
{ تام غير موجب	ما فازَ الكسالى سوى المجدِّ
{	ما فازَ سوى المجدِّ
{	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَيْسُوا
{ مفرغ	غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الآية ٥٥ من سورة الروم]

فى الأمثلة السابقة جاء المستثنى بعد الكلمتين (غير - سوى) مجرورا دائما بالإضافة إليهما ، أما الكلمتان أنفسهما (غير - سوى) فقد خضعتا فى الإعراب لما يخضع له الاسم الواقع بعد (إلا) ، وفى الكلام التام الموجب يجب نصبهما على الاستثناء - وفى الكلام التام غير الموجب يتبعان ما قبلهما أو ينصبان بحسب نوع المستثنى متصلا أو منقطعا ، وما ورد من اختلاف النطق بين الحجازيين والتميميين - وفى الاستثناء المفرغ يعربان بحسب ما يقتضيه سياق الكلام قبلهما - ويمكن تطبيق هذا الفهم على هاتين الكلمتين فى الأمثلة السابقة .

وقد ورد من شواهد الاستثناء المفرغ مع كلمة (سوى) قول الفُرد الزماني :

فلما صرَّح الشرُّ وأمسى وهو عُريانُ
ولم يبقَ سوى الغدوانِ دناهم كما دأبوا

(١) صرح الشر : بان وظهر - وهو عريان : كناية عن ظهوره أيضا - الغدوان : الظلم - دناهم كما دانوا : عاقبناهم بما يعاقبوننا به .
يقول : حين أعلن الشر بيننا وبين أعدائنا ، ولم يبقَ غيره ، عاقبناهم كما يعاقبوننا ، وظلمناهم كما يظلموننا .

الشاهد : فى (لم يبقَ سوى الغدوان) وردت (سوى) فى كلام مفرغ فتعرب بحسب ما يقتضيه سياق الكلام ، وسياق الكلام يقتضى أن تكون فاعلا للفعل قبلها - أما المستثنى (الغدوان) فهو مجرور .

وقول أبى دهبيل الجمحى :
أتركُ لَيْلَى ليس بينى وبينها سوى ليلة ، إئنّى إذن لصبور^(١)

المستثنى بالكلمات (خلا - عدا - حاشا) :

سَيَفْنِي كُلُّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ مَا خِلا وَجَهَ اللَّهِ
وَكُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ مَا حَاشَا الْأَنْبِيَاءَ
وَيَغْفِرُ اللَّهُ كُلَّ الذَّنُوبِ مَا عِدا الشَّرْكَ بِاللَّهِ

يرى النحاة أن هذه الكلمات الثلاث (خلا - عدا - حاشا) تستعمل أفعالا جامدة ماضية أو حروف جر ، وهذا غريب !! إذ كيف تستعمل الكلمة الواحدة فعلا مرة وحرف جر مرة أخرى !!

لكن ، يبدو أن لكلام النحاة توجيهها صحيحا ، لأنهم حين استقرأوا الأساليب العربية التي ترد فيها هذه الكلمات ، وجدوا أن الاسم بعدها يرد منصوبا أحيانا ومجرورا أحيانا أخرى ، وفي حالة نصبه بعدها وجدوها تقبل بعض علامات الأفعال ، مثل تاء التأنيث فيقال (خلت - عدت) ومن ذلك العبارة المأثورة عند العرب من قولهم : (عدت القبيلة طورها) - كذلك في حالة نصب الاسم بعدها تتقدم عليها (ما المصدرية) وهي لا تكون إلا مع الأفعال ، بخلاف ما إذا ورد الاسم بعدها مجرورا فإنها لا تقبل هذه العلامات ، فحكموا بأنها أفعال في الاستعمال الأول وحروف في الاستعمال الثاني .

والخلاصة : أن الأسلوب الذى ترد فيه هذه الأدوات أفعالا يختلف عن الأسلوب الذى ترد فيه حروفا للجر ، فلا غرابة إذن فى قول النحاة ولا تناقض .

إذا تقرر ذلك ، فإن الذى يلخص أساليب الاستثناء بهذه الكلمات عبارة واحدة هي : (إنما ينصب المستثنى بعدها إن قدرتها أفعالا ، ويجر إن قدرتها حروفا جارة للمستثنى) وتفصيل هذه العبارة المختصرة يتحقق فى الصور الثلاث التالية :

الأولى : أن يتقدم على هذه الكلمات الثلاث (ما : المصدرية) فتكون أفعالا قطعاً ؛ لأن (ما المصدرية) لا تدخل إلا على الأفعال ، وحيث يجب نصب

(١) الشاهد : فى (ليس بينى وبينها سوى ليلة) جاءت (سوى) فى استثناء مفرغ ، فهى اسم

المستثنى بعدها على أنه مفعول به لهذه الأفعال ، كقولنا : (سيفنى كلُّ شيءٍ ما خلا وجه الله) وقولنا : (كلُّ ابنِ آدمَ خطّاءٌ ما حاشا الأنبياء) ومن ذلك :

● قول ليبد :

ألا كلُّ شيءٍ - ما خلا الله - باطلٌ وكلُّ نعيمٍ - لا محالةً - زائلٌ ^(١)

● ما ينسب للرسول ﷺ : « أسامةُ أحبُّ الناسِ إليَّ ما حاشا فاطمة » . ^(٢)

الثانية : ألا يتقدم عليها (ما المصدرية) وتعتبر أفعالا - حينئذ ينصب المستثنى بعدها أيضا على أنه مفعول به ، فنقول : (سيفنى كلُّ شيءٍ خلا وجه الله) ونقول : (كلُّ ابنِ آدمَ خطّاءٌ حاشا الأنبياء) .

الثالثة : ألا يتقدم عليها (ما المصدرية) وتعتبر حروفا للجـر - حينئذ يجب جر المستثنى بعدها بها ، تقول : (سيفنى كلُّ شيءٍ خلا وجه الله) وتقول : (كلُّ ابنِ آدمَ خطّاءٌ حاشا الأنبياء) .

تكرار « إلا » :

{ اخضرت أشجار الحديقة إلا واحدة إلا أوراقها

{ أثمرت أشجار الحديقة إلا شجرة برتقال وإلا شجرة

{ ليمون المجموعة الأولى

{ أثمرت أشجار الحديقة إلا شجرة برتقال إلا شجرة ليمون

ما نضجت الثمار فى الحديقة إلا ثمرة برتقال إلا ثمرة

{ ليمون

{ ما نضج من الثمار إلا ثمرة برتقال إلا ثمرة ليمون المجموعة الثانية

(١) مر هذا البيت من قبل - وقد جاء هنا شاهدا فى الاستثناء فى (ما خلا الله) تقدمت (ما :

المصدرية) على الفعل (خلا) فنصب المستثنى بعده مفعولا به .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى مسند عبد الله بن عمر ، وحمله « ملحاشا

فاطمة » من كلام ابن عمر . انظر : مجمع الزوائد ٢٨٦/٩ .

تأتى (إلا) مكررة ، إذ يجيء بعد (إلا) الأولى واحدة أخرى أو اثنان أو أكثر ، فيكون حكمها النحوى كالآتى :

أولا : أن يأتى بعد (إلا) المكررة ما يكون «بدلا» مما قبله ، أو « معطوفاً عطف نسق » على ما قبله ، وحينئذ توجه الجملة نحويا كما يلى :

١ - تعامل (إلا) الأولى بحسب الأصل فى صورته المختلفة التى سبقت دراستها ، بل إنها لتتعين لذلك .

٢ - تعتبر (إلا) المكررة بعد الأولى « ملغاة » تفيد التوكيد فقط ، ويعبر عنها فى الإعراب (إلا : حرف توكيد ملغاة) وما بعدها بدل أو معطوف على ما قبله - كما ترى فى مجموعة الأمثلة الأولى (راجعها وطبق عليها ما فهمت) .

ثانيا : أن تتكرر (إلا) ولا يكون ما بعدها « بدلا أو عطف نسق » وحينئذ يوجه حكمها النحوى كالآتى :

١ - تعامل (إلا) الأولى بحسب الأصل فى صورته المختلفة التى سبقت دراستها ، وجاء فى « أوضح المسالك » : إنها لا تتعين لذلك بل تترجح .

٢ - تعتبر (إلا) المكررة عاملة ، فينصب ما بعدها على الاستثناء واحداً أو أكثر (راجع مجموعة الأمثلة الثانية ، وطبق عليها ما فهمت) .

* * *

أساليب النداء

تمهيد : النداء ونوع جملته :

النداء فى اللغة معناه : دعوة المخاطب للانتباه والاستماع بأى لفظ كان .
والنداء لدى النحاة : الدعوة إلى الانتباه والاستماع بواسطة حروف خاصة يطلق عليها حروف النداء ، وهى (يا : وأخواتها) .
والمنادى : هو الذى وجهت له الدعوة من إنسان أو غيره من الأشياء إذا افترضت فيها الحياة والفهم .

لكن ، لماذا اعتبرت جملة النداء ملحقة بالجملة الفعلية ؟؟

لقد سبق أن الجملة فى النحو إما اسمية أو فعلية ، وجملة النداء تؤدى معنى كاملاً ، ولا تندرج تحت واحدة من هاتين الاثنتين ، فإذا قلنا (يا محمد) أدت هذه الجملة معنى كاملاً ، وليست فعلية ولا اسمية .

لذلك حاول النحاة قشرها على الدخول تحت الجملة الفعلية باعتبار المعنى إذ وجدوا أن (يا محمد) تساوى من حيث المعنى (أدعو محمدًا) وما دامت بمعناها فهى مثلها ، بل إن بعض النحاة اعتبر الحرف (يا) فى الإعراب بمنزلة الفعل (أدعو) ودرس « ابن هشام » باب « النداء » فى بعض كتبه بعد « المفعول به » مباشرة ، فقال (ومنه المنادى) .

هذا الافتراض السابق يمكن مناقشته ونقضه ، فإن الجملتين (يا محمد) و(أدعو محمدًا) مختلفتان لفظياً كالأتى :

● يا محمد : أداة نداء + اسم بعدها .

● أدعو محمدًا : فعل + فاعل مستتر + مفعول به .

فجملة النداء بالتحليل اللغوى مستقلة عن الجملة الفعلية ، ولذلك آثرُ دراستها « ملحقة بالجملة الفعلية » .

النداء على الأصل

(١) حروف النداء مع ذكر معانيها في نداء القريب والبعيد وشواهدا من الكلام العربي .

(٢) حرف النداء (يا) يصح حذفه من الكلام - والمنادى قد يحذف في مواضع خاصة .

(٣) الأسماء التي تنادى هي (المفرد العلم - النكرة المقصودة - النكرة غير المقصودة - المضاف - الشبيه بالمضاف) .

(٤) حكم المنادى المضاف لياء المتكلم والمضاف إلى مضاف للياء .

(٥) كيفية نداء الاسم المعرف بالألف واللام .

حروف النداء :

أهم حروف النداء ستة أحرف هي (الهمزة - أئى - يا - أيا - هيا - وا) وأشهرها تداولا بيننا الحرف (يا) - وإليك هذه الحروف الستة ومعانيها وشواهدا .

١ - الهمزة : لنداء القريب ، وقد ذكر السيوطى أنه « قد جمع من كلام العرب أكثر من ثلاثمائة شاهد للنداء بالهمزة ، وأنه قد أفرد هذا الموضوع بتأليف » ومن شواهدا :

● قول امرئ القيس :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإئى مُقيّم ما أقام عسيب^(١)
أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

٢ - أئى : اختلف حولها الرأى فى استعمالها لنداء القريب أو البعيد ، فمن رأى المبرّد - وهو إمام نحوى جليل - أنها لنداء القريب ، ومن رأى ابن مالك أنها

(١) الخطوب : الأحداث - عسيب : الجبل الذى مات الشاعر عند سفحه فى بلاد الروم .
الشاهد : فى البيتين أن الهمزة للنداء فى (أجارتنا) .

لنداء البعيد ، ورأى المبرد - فيما أرجح - هو الأقرب لاستعمال اللغة ، ومن ذلك :

● قول الرسول ﷺ يناجى ربه : (أَيُّ رَبِّ ، إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي) .

● قول أعرابية توصى ابنها : (أَيُّ بَنِي ، إِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ ، فإنها تزرع الصَّغِينَةَ ، وتُفَرِّقُ بين المحبين) .

٣ - يَا : يقول ابن مالك : (وللمنادى النَّائِي أو كَالنَّائِي « يا ») فمن رآه إذن أنها لنداء البعيد فقط - وهناك آراء أخرى ، فيقول أبو حيان - وهو إمام نحوي جليل - « هي أعم الحروف وتستعمل للقريب والبعيد مطلقا » . ويرى ابن هشام هذا الرأي في قوله : « وأعمها (يا) فإنها تدخل على كل نداء » .

والم تأمل لاستعمال الحرف (يا) في النداء يصح لديه أنها تستعمل حقا للقريب أو البعيد بلا تفريق ، تقول لصديقك (يا محمد) فتناديه سواء أكان قريبا منك أم بعيدا عنك - وشواهدا أكثر من أن تحصي .

● حين ظفر الرسول ﷺ بقریش قال لهم : « يا معشرَ قريش ، ما تظنون أني فاعلٌ بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » . أ . ه .

فلا شك أن الرسول ﷺ كان يخاطبهم وهم بالقرب منه ؛ بدليل أنهم أجابوه حين سألهم .

٤ - أَيَا : يبدو أنها - كما يقول ابن مالك - لنداء البعيد ، ومن شواهدا :
* قول المجنون :

أَيَا شِبْهَ لَيْلَى لَا تُرَاعِي فَإِنِّي لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَحْشِيَّةٍ لَصْدِيقُ^(١)

٥ - هَيَا : يبدو أيضا أنها تستعمل لنداء البعيد ، وهي تماثل الحرف السابق (أيا) والهمزة والهاء يتبادلان صوتيا في اللغة العربية ، لأنها من مخرج واحد ، كقولنا : (هَيَا مُحَمَّدُ تَعَالَى) .

(١) أيا شبه ليلي : يقصد الظبية - لا تراعى : لا تخافى - وحشية : وحشة وانفراد

الشاهد : في (أيا شبه ليلي) باستعمال الحرف (أيا) للنداء .

ويتلخص هذا الموضوع فى الآتى :

(أ) الهمزة : لنداء ما هو قريب ، وكذلك (أى) على رأى الراجح الذى يؤيده الاستعمال .

(ب) يا : لكل من القريب والبعيد على رأى الراجح الذى يؤيده الاستعمال .

(ج) أيا - هيا : لنداء البعيد دون خلاف يستحق الذكر .

ويبقى حرف واحد هو (وا) ويستعمل فى أسلوب خاص للنداء هو أسلوب التذبة ، وسيأتى ذكره هناك .

حذف حرف النداء :

ينبغى التنبيه إلى أن هذا الحكم خاص بالحرف (يا) وحده دون أخواته فالأصل فى حرف النداء أن يكون مذكورا ، وهذا ما ينطبق على كل حروف النداء غير (يا) ، أما هذا الحرف فقد ورد فى استعمال اللغة محذوفا تخفيفا واختصارا ، لكثرة دوران استعماله على الألسنة ، ومن شواهد حذفه :

● قول الله تعالى : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [الآية ٢٩ من سورة يوسف] .

● وقوله : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الآية ٣١ من سورة الرحمن] .

● قول الشاعر :

أحقا عبادَ الله أن لستُ صادِرًا ولا وارِدًا إلا على رقيب^(١)

ففى هذه الشواهد وأمثالها حذف حرف النداء (يا) جوازًا ، ولو ذكر لكان الكلام واردا على الأصل دون اعتراض .

لكن يصبح هذا الحذف واجبا فى كلمة (اللهم) وهى مكونة من لفظ الجلالة (الله) ومن ميم مشددة متصلة به جاءت عوضا عن حرف النداء المحذوف ، وهذه الكلمة - بهذه الصورة - هى المستعملة بكثرة فى نداء اسم الله تعالى ، ويقل أن يستعمل لفظ الجلالة وحده دون الميم المشددة .

فإذا استعملت الصورة الأولى (اللهم) وجب حذف حرف النداء ويشذ

ذكره ، وإذا استعملت الصورة الثانية (الله) وجب ذكر حرف النداء ويشذ حذفه ،
فلنتأمل الشواهد الآتية :

* قول الله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ [الآية ٢٦ من سورة آل عمران] .

* قول أمية بن أبى الصلت :

رَضِيتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبًّا فَلَنْ أَرَى أَدِينُ إِلَهًا غَيْرَكَ اللَّهُ ثَانِيَا ^(١)

حذف المنادى :

الأصل فى المنادى أن يكون مذكورًا ، لكنه قد ورد محذوفًا فى الكلام العربى أحيانا ، وذلك فى الموضعين الآتيين :

أولا : إذا ورد بعد حرف النداء (يا) فعل أمر أو فعل ماضٍ قُصِدَ به الدعاء ،
فيلزم حينئذ تقدير منادى بين حرف النداء والفعل ، كقولك : (كان الحادثُ
مرؤعا يا أجازَكَ الله ، وجئتُ مستغيثا بك يا رَعَاكَ الله) .
ومن ذلك :

* قراءة الكسائى : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾ [الآية ٢٥ من سورة النمل] بنطق
(اسجدوا) فعل أمر .

* قول الفرزدق :

يَا أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفًا أَنْتَ حَامِلُهُ يَا إِذَا الْخَنَى وَمَقَالِ الزُّورِ وَالْخَطَلِ ^(٢)

ثانيا : إذا ورد بعد الحرف (يا) أحد الحرفين (ليت - زُبَّ) فيقدر بين حرف
النداء وهذين الحرفين منادى محذوف ، ومما ورد لذلك الشواهد الآتية :

* قول الله تعالى : ﴿ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ [الآية ٢٦ من سورة يس] .

(١) هذا بيت من أبيات التوحيد التى كان يقولها « أمية بن أبى الصلت » مع أنه لم يسلم .

الشاهد : استخدم فى الشطر الأول « اللهم » بحذف حرف النداء « يا » وهذا أصل فى تلك
الكلمة مع الميم المشددة ، ثم حذف حرف النداء من « الله » فى الشطر الثانى ، وهذا خلاف
الأصل ، لأن لفظ الجلالة بدون الميم إذا نودى فإنه يجب ذكر حرف النداء معه .

(٢) تقدم هذا البيت ضمن مقطوعة كاملة - والاستشهاد هنا لدخول (يا) على الفعل (أرغم)
فيقدر لها منادى محذوف .

● قول الرسول ﷺ : (يَا رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) على أنه ينبغي أن تنتبه للملاحظة المهمة الآتية أخيراً عن حذف المنادى فإن بعض النحاة يرى أن المنادى لا يحذف مطلقاً ، وأن (يا) في الموضعين السابقين إنما هي « حرف تنبيه » ولا علاقة لها بالنداء .

الأسماء التي تنادى :

الأسماء التي تنادى أو أنواع المنادى خمسة ، وإليك هذه الخمسة وحكمها حين تنادى من حيث البناء والإعراب .

المفرد العلم : يقصد هنا بالمفرد - كما هو في باب لا : النافية للجنس - ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف وإن كان مثنى أو مجموعاً ، ويقصد بالعلم - كما مر في باب المعرفة والنكرة - ما دلّ على مسماه دون واسطة ، وذلك مثل (محمد - خالد - فاطمة) أو (محمدان - فاطمتان) الخ .

النكرة المقصودة : هو الاسم الذي يكون لفظه نكرة ، بحيث يمكن إطلاقها على أفراد كثيرين ، ولكنّ واحداً من هؤلاء الأفراد يتعين بظروف الكلام - أو بتعريف النحاة « هي التي يقصد بها واحد معيّن مما يصح إطلاق لفظها عليه » . أ . هـ . فلنفترض مثلاً محاكمة سياسية ، يشير فيها الادّعاء إلى أحد المتهمين قائلاً (يا خائن أنت تستحقّ الإعدام) أو في محاكمة عادية يقول الادّعاء فيها (يا مجرم ، لا بدّ أن يقتصّ منك المجتمع) فمن الواضح أن لفظتي (خائن - مجرم) نكرتان ، لكن معنهما تحدّد بظروف الكلام ، فقصّد بهما أحد الأشخاص .

هذان النوعان (المفرد العلم - النكرة المقصودة) حين يناديان بينان على ما يرفعان به ، فتقول مثلاً (يا محمد) بالبناء على الضم - وتقول (يا محمدان) بالبناء على الألف و (يا محمدون) بالبناء على الواو .

النكرة غير المقصودة : هي التي تبقى شائعة دون تحديد لفظاً ومعنى أو بتعريف النحاة : « هي التي يقصد بها واحد غير معيّن مما يصح إطلاق لفظها عليه » أ . هـ . ومن ذلك ما يقوله خطيب المسجد - والمسجد غاصّ بالناس - (يا غافلاً تنبّه ، ويا ظالمًا لك حسابٌ عسير) وما يقوله متسوّّل أعمى مثلاً (يا مُحْسِنِينَ لِلَّهِ) .

المضاف : هو - كما مر في باب لا : النافية للجنس - ما كمل معناه بواسطة اسم آخر مجرور هو « المضاف إليه » كقولنا (يا صديقِ العُمري) أو (يا طالبِ العلم) أو قول المؤمن داعيا (يا ربَّ السماوات والأرض) .

الشبيه بالمضاف : هو - كما مر في باب لا : النافية للجنس - ما كمل معناه بواسطة ما يأتي بعده مما له صلة به غير صلة المضاف بالمضاف إليه ، كقولنا مثلا (يا متطلِّعا للمجدِ اجتهدْ) أو (يا قارئاً الكفِّ ، هذا دَجَلٌ) أو (يا طيِّبا قلبه ، لك الجنة) .

وحكم هذه الثلاثة (النكرة غير المقصودة - المضاف - الشبيه بالمضاف) أنها تنصب وهي معربة ، فهي إذن تنصب بالفتحة كقولنا (يا طالبِ العلم) أو ما ينوب عنها كالياء ، مثلا في المثني إذا قلت (يا طَالِبَيِ العلم ، اجتهدا) أو بالألِف في الأسماء الستة كقولنا (يا ذا المالِ ، أنفقْ على المحتاجين) وهكذا . فلنحاول التعرّف على نوع المنادى في النصوص التالية :

● قول الله تعالى : ﴿ يَنْتَوُحُّ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَانَا ﴾ [آية ٥ من سورة

هود] .

● قول العرب قديما : (يا عظيمًا يُرجى لكلِّ عظيم ، ويا حليماً لا يُعجل ، ويا جَوَادًا لا ييخل) .

● قول عبد يغوث الحارثي :

أيا راكبا إمّا عرضت فبلّغْ نَدَامَايَ من نجرانَ أنْ لا تَلَاقيَا ^(١)

المنادى المضاف لياء المتكلم ، والمضاف إلى مضاف للياء :

المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ، كقولك (يا صاحبي) و (يا صديقي) و (يا حبيبي) هو نوع من المنادى المضاف ، فهو إذن منصوب ، لكن بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم .

(١) عرضت : معناه : مررت عرضا بأهلي وبلدي - نداماي : أصحابي في أوقات البهجة .

يقول وهو سجين : أيا راكبا ، إن مررت بأهلي وأصدقائي ، فبلغهم رسالة من سجنى في « نجران » بأننا لن نتلاقى ، لأننى أتوقع النهاية فى هذا السجن !!

الشاهد : فى (أيا راكبا) المنادى نكرة غير مقصودة ، لأنه لا يقصد راكبا معينا ، ولذلك جاء منصوبا .

لكن العرب استخدموا هذا النوع من المنادى بالذات على خمسة وجوه أو بعبارة أخرى وردت فيه خمس لغات هي :

(١) صورة الأصل وهي إثبات الياء الساكنة : كقولنا (يا صديقي) ومنه قول الله تعالى : ﴿ يَنْعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الآية ٦٨ من سورة الزخرف] .

(٢) إثبات الياء مفتوحة : كقولنا (يا صديقي) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الآية ٥٣ من سورة الزمر] .

(٣) حذف الياء وإبقاء الكسرة دليلا عليها : كقولنا (يا صديق) ومنه قول الله تعالى : ﴿ يَعْجَادِ فَأَتَّقُونِ ﴾ [الآية ١٦ من سورة الزمر] .

(٤) قلب ياء المتكلم ألفا مع قلب الكسرة قبلها فتحة ، كقول المهمل (يا أسفا على ما فات) وقول الله تعالى : ﴿ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ [الآية ٥٦ من سورة الزمر] .

(٥) حذف الألف مع بقاء الفتحة قبلها : كقولنا (يا صاحب) على أن المراد (يا صاحبي) .

هذا : والنحاة يلاحظون الصورة الأصلية - التي تثبت فيها الياء - حين يعربون الصور الأخرى ، وبعبارة أخرى أوضح : أنهم يفرضون الصورة الأصلية على بقية الصور ، ويتحدثون عن تلك الصور صناعة باعتبار أنها تطور نطقا للصورة الأصلية هكذا :

يا صديق : « صديق » منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف .

يا صديقاً : منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفا والمفتوح ما قبلها .

يا صديق : منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل المتكلم المنقلبة ألفا المحذوفة تخفيفا والمفتوح ما قبلها .

ولعل أحسن ما يختم به هذه الفكرة قول « ابن مالك » ملخصا هذه اللغات

واجعل منادى صَحَّ إن يُضَفَّ لينا كَعَبْدِ عَبْدِي عَبْدَ عَبْدًا عَبْدِيَا

أما المنادى المضاف إلى مضاف للياء مثل (يا ابنَ خالي) و (يا ابنَ أخي) و (يا صديقَ صديقي) فليس فيه إلا لغتان هما إثبات الياء سواء أكانت مفتوحة أم ساكنة .

ويستثنى من ذلك تعبيران في اللغة العربية هما (ابن عمِّي - ابن أُمِّي) - إذا نوديا - فقد ورد عن العرب في المضاف للياء فيهما اللغات السابقة في المنادى المضاف لياء المتكلم ، فلنلاحظ الآتي :

* قول أبي زيد الطائي يرثي أخاه :

يا ابن أُمِّي ويا شَقِيقَ نَفْسِي أَنْتَ خَلَفْتَنِي لَدَهْرٍ شَدِيدٍ (١)

* قرئ قوله تعالى : ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي ﴾ [الآية ١٥٠ من سورة الأعراف] بفتح الميم وكسرها .

ويلاحظ هنا أيضًا أن الصورة الأولى - يائبات الياء - تتحكم ذهنيًا في إعراب الصور الأخرى ، كما حدث في المضاف إلى الياء .

كيفية نداء الاسم المعروف بالألف واللام :

من المعتذر نطقًا أن يجمع بين حرف النداء (يا) وما فيه الألف واللام من الأسماء ، فمن العسير على اللسان أن ينطق (يا الإنسان) أو (يا المُجِدُّ) ومن الواضح أن السبب هنا صوتي هو : تلاقي ساكنين ألف « يا » والحرف الساكن في الاسم المعروف بالألف واللام .

تخلصًا من هذا الثقل لجأت اللغة العربية إلى كلمات تعتبر وسائط بين حرف النداء وما فيه « ال » وهي كما يلي :

(١) إحدى الكلمتين (أَيَّ - أَيْة) فتقول (يا أَيُّها المجاهد) أو (يا أَيُّها الزميل) وقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الآية ٦ من سورة الانفطار] ، وقوله : ﴿ يَأَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الآية ٢٧ من سورة الفجر] .

(١) الشاهد : في قوله (يا ابن أُمِّي) فالمنادى مضاف إلى مضاف إلى الياء وقد ثبتت الياء في

(٢) اسم الإشارة الخالي من كاف الخطاب ، كقول أحد الزهاد : (يا هذه الدنيا غُرِّي غيري) .

(٣) كل من الكلمتين (أَيّ + اسم الإشارة) كقولك في خطاب لصديقك : (يا أيُّ هذا الصديقُ إليك تحياتي) ومنه قول ذي الرِّمّة :

ألا أيُّ هذا المنزلُ الدَّارُ الذي كأنَّكَ لَمْ يَعْهَدْ بِكَ الْحَيَّ عَاهِدُ^(١)

هذا ، وقد جاء في الأشموني نصا عن إعراب ما فيه « ال » بعد (أَيّ - آية) ما يلي : « ظاهر كلام ابن مالك أنه صفة مطلقا - وقد قيل عطف بيان - وقيل إن كان مشتقا فهو نعت ، وإن كان جامدا فهو عطف بيان ، وهذا أحسن » . أ . هـ .

إعراب يا أيُّها المجاهدُ : يا : حرف نداء - أَيّ : منادى مبنى على الضم في محل نصب - ها : حرف تنبيه - المجاهدُ : صفة كلمة (أَيّ) على اللفظ مرفوع بالضمّة أو عطف بيان - والأول أحسن .

إعراب يا أيُّها الإنسان : كلمة (أيُّها) مثل السابق - الإنسان : صفة أو عطف بيان - والأخير أحسن (ما فيه « ال » بعد اسم الإشارة مثل السابق) .

* * *

(١) الشاهد في (ألا أيُّ هذا المنزل) فأصله (ألا يا أيُّ هذا المنزل) قبل حذف (يا) وأخذ هذا الأصل

في نداء ما فيه الألف واللام (المنزل) فكانت الوسيلة (أيُّ هذا) المكونة من (أَيّ + اسم الإشارة) .

أسلوب الاستغاثة

- (١) المقصود بأسلوب الاستغاثة كما يراه النحاة .
 (٢) الصور التي ترد عليها جملة الاستغاثة في الاستعمال العربي .

* * *

لاحظ الأمثلة الآتية :

يا للطَّيِّبِ لِلْمَرِيضِ
 يا لَرِّجَالِ المَطَافِيِّ لِلْحَرِيقِ المَرْوَعِ
 يا عُمَرَا لِلظُّلَمِ والطُّغْيَانِ
 يا صلاحِ الدِّينِ لِلْقُدْسِ الضَّائِعَةِ

معنى الاستغاثة :

يقول ابن هشام : « من أقسام المنادى المستغاث به ، وهو كل اسم نودى ليخلص من شدة أو يعين على دفع مشقة » . أ . ه .
 وعلى ذلك فأسلوب الاستغاثة يقصد به : ما اشتمل على منادى القصد من ندائه أن يخلص من شدة أو يعين على دفع مشقة - ويتضح هذا في قول عمر بن الخطاب من : (يا لله للمسلمين) فلا شك أن عمر قال ذلك والمسلمون في شدة أو مشقة - بعد أن طعنه أبو لؤلؤة - فهو يستغيث بالله ليخلصهم من هذه الشدة أو المشقة - وكما نرى تحقق هذا الأسلوب في كل الأمثلة السابقة .

صور الاستغاثة :

تأتى جملة الاستغاثة على ثلاث صور هى :

الصورة الأولى : وهى الصورة الأصلية فى الاستغاثة ، وتتكون من : حرف الاستغاثة (يا) وبعده المستغاث به مجرورا بلام مفتوحة ، ثم المستغاث له مجرورا بلام مكسورة كقولنا : (يا للطَّيِّبِ لِلْمَرِيضِ) وكما مر من قول عمر : (يا لله للمسلمين) .

وفى هذه الصورة إذا عطف على المستغاث به مستغاث به آخر ، بأن كانت الاستغائة باثنين لا بواحد ، كان المستغاث به الثانى مثل الأول تماما إن تكرر معه حرف الاستغائة فيجر بلام مفتوحة مثله ، كقولنا : (يا للعربِ ويا للمسلمين للمقدساتِ الدينية) ومن ذلك قول الشاعر :

يا لِقَوْمِي ويا لَأَمْثَالِ قَوْمِي لِأَناسٍ عُتُّوْهُمْ فِى اَزْدِيَادِ (١)

أما إذا لم يتكرر (يا) مع المستغاث به الثانى ، فإنه يجر بلام مكسورة كقولنا فى المثال السابق (يا للعربِ وللمسلمين للمقدساتِ الدينية) ومن ذلك قول الشاعر :

يبيك ناءٍ بعيدُ الدَّارِ مغتربُ يا للكهلِ وللشَّبَانِ لِلْعَجَبِ (٢)

الصورة الثانية : وتكون جملة الاستغائة فيها من حرف الاستغائة (يا) ثم المستغاث به خاليًا من اللام فى أوله لكن يلحقه ألف فى آخره تسمى (ألف الاستغائة) ثم المستغاث له مجرورا بلام مكسورة .

فهذه الصورة لا تختلف عن الأولى إلا فى المستغاث به ، حيث إنه فى الأولى مجرور بلام مفتوحة ، أما هنا فهو خالٍ من اللام وفى آخره الألف - كما تختلف هذه الصورة عن الأولى فى الاستعمال العربى ، فهى أقل من الأولى استعمالا ، وذلك كقولنا : (يا رَبًّا للشاكين المحزونين) وكقول الشاعر :

يا يَزِيدًا لآمِلٍ نَيْلَ عِزٍّ وَغِنًى بَعْدَ فَاقَةٍ وَهَوَانٍ (٣)

(١) عتوهم : طغيانهم وظلمهم .

يقول : إننى أستغيث بقومى وأمثالهم فى النجدة والفتوة لتأديب هؤلاء المتجبرين الطغاة .
الشاهد : فى (يا لقومى ويا لأمثال قومى لأناس) أسلوب استغائة - تكرر فيه المستغاث به ، وكررت (يا) مع المستغاث به ، وكررت (يا) مع المستغاث به الثانى ، فكان مثل الأول حيث جر بلام مفتوحة مثله .

(٢) ناء : بمعنى : بعيد الدار ومغترب - الكهل : الكهل : ما جاوز الأربعين سنة .
البيت فى الرثاء ومعناه : إنه لعجب أن تموت ، وليبك عليك الغرباء المنقطعون عن أهلهم ومالهم .
الشاهد : فى (يا للكهل وللشبان للعجب) أسلوب استغائة ، تكرر فيه المستغاث به دون تكرر الحرف (يا) معه ، ولذلك كسرت لام الجر مع المستغاث به الثانى .

(٣) أمل : من عنده الأمل - فاقة : فقر - هوان : ذلة .

يقول : إنك موضع الأمل للغنى والعز بعد الفقر والذل .
الشاهد : فى (يا يزيدا لآمل نيل عز) أسلوب استغائة ، جاء المستغاث به متصلا بالألف فى آخره .

الصورة الثالثة : وتتكون أيضًا من حرف الاستغاثة (يا) ثم المستغاث به خاليًا من كل من اللام في أوله أو الألف في آخره ، ثم المستغاث له مجرورًا باللام المكسورة .

ومن البين أن هذه الصورة تختلف عن الصورتين السابقتين في المستغاث به أيضًا ، حيث يخلو من اللام والألف ، ويصبح - من الناحية النحوية - منادى عاديًا وإن أفاد معنى الاستغاثة - وهذه الصورة أقل استعمالًا في الاستغاثة من الصورتين السابقتين كقولنا (يا شعبنا الشجاع للمعتدين الغزاة) .

يقول ابن هشام عن هذه الصورة نصا : « وحينئذ يجرى على المستغاث به حكم المنادى ، فتقول على ذلك (يا زيدُ لعمرُو) بضم زيد ، و (يا عبدَ الله لِزيدِ) بنصب عبد الله ، قال الشاعر :

أَلَا يَا قَوْمٍ لِلْعَجَبِ الْعَجِيبِ وَلِلْغَفْلَاتِ تَعْرِضُ لِلْأَرِيبِ » . (١)

والخلاصة في الفرق بين الصور الثلاث :

(أن المستغاث به قد يجر بلام مفتوحة أو تلحقه ألف في آخره أو يتجرد من اللام في أوله والألف في آخره) .

* * *

(١) الأريب : العاقل الحكيم .

الشاهد : في (يا قوم للعجب العجيب) أسلوب استغاثة ، المستغاث به خلا من اللام في أوله والألف في آخره ، فعومل معاملة المنادى الأصلي ، وأصله (يا قومي) وحذفت ياء المتكلم .

أسلوب النَّدبة

- (١) المقصود بأسلوب الندبة كما يراه النحاة .
 (٢) الصور التي ترد عليها جملة الندبة في الاستعمال العربي .

* * *

- * صاحت السيدة زينب أَلْقَوْمَ بعد موقعة كربلاء : « وَأُمَحْمَدَاه ، هذا الحسينُ بالعرء ، وبنائك سَبَايَا ، وذَرِيَّتُكَ مُقَتَّلَةٌ ، تَسْفَى عليها الصَّبا » .
 * صاحت البسوس حين علمت بقتل ناقتها : « وأذُلَّاهُ يا بنى بكر إنَّكم رِغَاع وضيْفكم مُضَاع » .
 * صاحت امرأة مسلمة أسيرة فى وجه من أسروها من الروم : « وأُمُعْتَصِمَاه وأُمُعْتَصِمَاه » .
 * من العبارات الشائعة : واثكلاه - وإسلاماه - وأُمَاه - واقلباه - واراساه - واطهره - واحسرتاه .

أسلوب الندبة :

جاء فى القاموس المحيط « ندب الميت ، إذا بكى عليه وعدد محاسنه » ، فالبكاء على الميت والحديث عنه أثناء هذا البكاء يسمى « ندبًا له » وهذا المعنى هو الذى يشير إليه الشاعر بقوله :

رَأَيْتُ رَجَالًا يَكْرَهُونَ بَنَاتِهِمْ وفيهِنَّ - لا تُغْدَمُ - نِسَاءُ صَوَالِحِ
 وفيهِنَّ - والأيام يعثرن بالفتى - نوَادِبُ لا يَمْلَلْنَهُ وَنَوَائِحِ

وحتى الآن تسمع فى القرى عن « النَّدابة » وهى التى تغشى المآتم فتشعل قلوب النساء نارا ، وتستدر دموعهن مدرارًا ؛ بما تقوله عن الميت من كلام مؤثر ومثير .

أما أسلوب الندبة لدى النحاة فيحدده ابن هشام بقوله : « الندوب هو المنادى المتفجع عليه أو المتوجع منه » أ . ه .

وأسلوب الندبة إذن هو الأسلوب الذى يشتمل على منادى متفجع عليه

أو متوجع منه ، والذي يستعمل له من حروف النداء هو (وا) مطلقاً أو (يا) إذا فهم من الأسلوب الندبة .

والمتفجع عليه عادة هو الميت حقيقة كما يقول الحزين لفقد أمه : (وأُمّاه) .

وقد يكون المتفجع عليه حيّاً ، لكنه ينزل بمنزلة الميت ، لأنه لم يقم بعمل كان من الواجب أن يقوم به ، فيجعل حينئذ بمنزلة الميت ، كما قال عمر بن الخطاب من عن نفسه وقد أخبر بجذب أصاب المسلمين : (واعْمَرَاه - واعْمَرَاه) يقول ذلك متفجعاً على نفسه ، فكأنه مفقود - وكما قالت المرأة المسلمة في أسر الروم : (وامتعصماه - وامتعصماه) تعتبره مفقوداً - لأسرها وإهانتها من أعداء المسلمين وهو خليفة للمسلمين .

وأما المتوجّع منه فقد يكون مكان الألم ، كقولنا (واقلباه - واطهره) وقد يكون المتوجع منه ما يثير الألم ، كقولنا (وامصبيته - واهزيمته) .

صور جملة الندبة :

الصور التي ترد عليها جملة الندبة ثلاث مرتبة في الاستعمال العربي على الترتيب التالي :

الصورة الأولى : تتكون من حرف الندبة (وا - يا) ثم المندوب متصلة به ألف الندبة التي تقتضى فتح ما قبلها ، ثم تلى الألف هاء تسمى (هاء السكت) ساكنة حين الوقف ومتحركة حين الوصل ! وذلك كقولنا (وارأساه - وأذُلَّاه) وقول المتنبي :

واحرَّ قلباه ممَّن قلبه شيمٌ ومن بجسمي وحالي عنده سَقَمٌ^(١)

الصورة الثانية : تتكون من حرف الندبة (وا - يا) ثم المندوب متصلاً به

(١) الشيم : بكسر الباء - البارد - حالي : ما عليه الإنسان من خير وشر ويقصد : النفس - السقم - بفتح السين والقاف - المرض .

يندب حظه وقلبه ، فقلبه حار متوقد ، وقلبه حبيبه بارد خامد ، ويقول إنني سقيم النفس والجسد ولا أحد مثلي .

موضع التمثيل : قوله (واحر قلباه) حيث اتصل بآخر المندوب الألف وهاء السكت ، وأصل العبارة (واحر قلب) .

ألف الندبة دون هاء السكت ، كقولنا (وارأساً - وأدلاً) ومن ذلك قول جرير يرثى
عمر بن عبد العزيز :

حُمِلَتْ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبِرْتُ لَهُ وَقَمْتُ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمَرَا ^(١)
وقول المجنون :

فَوَاكِدًا مِنْ حُبِّ مَنْ لَا يَحِبُّنِي وَمِنْ عَبْرَاتِ مَا لَهْنٌ فَنَاءٌ ^(٢)

الصورة الثالثة : تتكون من حرف الندبة (وا - يا) ثم المندوب المنادى فقط دون ألف أو هاء ، وحينئذ يعامل المندوب معاملة المندوب الأصلي تمامًا ، فيبنى على الضم إذا كان مفردا ، كقولنا (وامحمد) وينصب إذا كان مضافا ، كقولنا (وا أمير الشعراء) وما يمثل به النحاة من قولهم (وا أمير المؤمنين) .

هذه الصور - كما ترى - تختلف في استعمال المندوب من حيث اتصال الألف والهاء به أو اتصال الألف به فقط ، أو تجرده منهما معا .

والصورة الأولى أكثر استعمالا ، تليها الثانية فى الكثرة ، والأخيرة أقلها .

ولعل السبب فى ذلك أن المقام الذى يرد فيه هذا الأسلوب هو - كما سبق - مقام التفجع ، والتوجع ، فيحتاج لإطالة الصوت واتصال الأنين . والصورة الأولى أنسب لذلك ، تليها الثانية ، ثم الثالثة .

* * *

(١) أَمْرًا عَظِيمًا : الخلافة وأمر المسلمين وأمانة الأمة - اصطبرت له : تحملت مشقة حمله .

الشاهد : فى (يا عمرا) حيث أدخل على المندوب ألف الندبة فى آخره دون الهاء .

(٢) العبرات : الدموع الحارة - ما لهن فناء : ما لهن انتهاء .
الشاهد : فى (واكبدا) فالمندوب مكان الألف « الكبد » ، وقد لحق بآخره ألف الندبة فقط .

أسلوب الترقيم

- ١ - معنى كلمة الترقيم فى اللغة والمقصود به لى النحاة .
- ٢ - كىفة ترقيم المنادى ويشمل :
 - (أ) ترقيم المنادى المختوم بئا الأئىث وكر المختوم بها .
 - (ب) حذف حرف أو حرفىن أو كلمة كاملة منه .
 - (ج) لغة من ىنظر ولغة من لا ىنظر بعد الحذف .
- ٣ - ترقيم كىر المنادى فى ضرورة الشعر .

* * *

معنى الترقيم :

كأ فى القاموس : رُحِمَ الكلام ككرم فهو رخم : لان وسهل كَرَحَمَ كَنَصَرَ والجارية صارت سهلة المنطق . فهى رخمىة ورخمى ، ومنه الترخم فى الأسماء لأنه تسهيل للنطق بها أ . هـ . وفى أساس البلاغة : كلام رخمى ورخمى الحواشى : رقيق أ . هـ .

وىستخلص من ذلك أن الترخم فى اللغة معناه : التلىن والتسهىل والركة .

وىبدو أن النحاة قد راعوا هذه المعانى كىن حددوا معنى الترخم اعتباراً للظروف التى ىرد فىها فى المنادى ، إذ ىرد فى مقام اللىن والركة ؛ وىقصد به غالباً التلىل للصغار أو الأحباب أو الأصدقاء ، وىستدعى ذلك تخفىف النطق وتسهىله بحذف آخر الكلام .

لذلك عرف الترخم بما ىقوله ابن هشام : « من أحكام المنادى الترخم ، وهو حذف آخره تخفىفا » .

ثم علق على ذلك بقوله : « وهى تسمى قديمة ، وروى أنه قىل لابن عباس : إن ابن مسعود قرأ (ونَادَوْا يا مالٍ) ىقصد (مالك) خازن النار ، فقال : ما كان أشغل أهل النار عن الترخم » . أ . هـ .

وكانما ىقصد ابن هشام من هذا التعليق ، أن إطلاق لفظ الترخم على حذف

آخر المنادى تسمية قديمة قبل أن يطلقها عليه النحاة فيما بعد ، فقد أطلقها العرب قبل النحاة ، وهذا أمر يحتاج إلى تحقيق أكثر من ذلك .

كيفية ترخيم المنادى :

ينبغي أولاً معرفة ما يرخم من الأسماء التى تنادى بلا شروط وما لا يرخم إلا بشروط ، وهى خطوة ينبغي معرفتها قبل القيام بالترخيم - ثم تأتى خطوة أخرى لمعرفة كمية الحروف التى تحذف من الاسم حين القيام بترخيمه وأخيراً معرفة شكل آخر الاسم المرخم بعد أن حذف منه ما حذف .

هى إذن خطوات ثلاث ينبغي منطقياً فهمها بهذا الترتيب ، وينبغي نحوياً معرفتها جميعاً متضامنة لفهم الطريقة التى نحصل بها على الاسم المرخم فى صورته النهائية - وإليك شرحها بهذا الترتيب :

(أ) ترخيم المنادى المختوم بالتاء والمجرد منها :

إذا كان المنادى مختوماً بتاء التأنيث جاز ترخيمه مطلقاً بلا شروط .

ومعنى ذلك أن المختوم بالتاء يصح ترخيمه سواء أكان مفرداً علماً كقولنا فى (فاطمة - عائشة) (يا فاطمَ ويا عائشَ) أم كان نكرة مقصودة كقولنا فى (مُهملة ومُسلمة) (يا مُهملاً ويا مُسلمَ) وسواء أكانت التاء واردة بعد ثلاثة أحرف فأكثر كالأمثلة السابقة أم كانت واردة بعد أقل من ثلاثة أحرف مثل (هبة) فتنادى مرخمة (يا هِبَ) كما يستوى فى ذلك المختوم بالتاء أن يكون علماً لمؤنث كما سبق أو علماً لمذكر كما نقول فى (معاوية - طلحة) (يا معاوىَ - يا طلحَ) - هذا هو المراد بالإطلاق .

ومن شواهد ذلك ما يلى :

قول امرئ القيس :

أفاطمَ مُهْلاً بعضَ هذا التَدَلُّلِ

وإن كنتِ قد أَرَمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمِلِي ^(١)

(١) التَدَلُّلُ : بمعنى « الدلال » وهو جرأة المرأة على الرجل فى رقة - أَرَمَعْتَ صَرْمِي : عزمت

على مقاطعتى وفراقى - فَأَجْمِلِي : فترفقى فى ذلك .

يقول : كفى يا فاطمة هذا التَدَلُّلِ على ، فقد أتعبتني ، فإن كنت عازمة على الفراق ، فليكن فراقاً جميلاً .
الشاهد : فى « أفاطم » أصلها « أفاطمة » فهو منادى به تاء التأنيث ، ورخم بحذف التاء .

قول عنترة :

يدعون عنترَ والرِّمَّاح كأنها أشطانُ بئرٍ في لبَّانٍ الأُدْهَمِ (١)
أما إذا كان المنادى غير مختوم بالتاء ، فقد اشترط النحاة لجواز ترخيمه أن
تجتمع له الصفات التالية ، وهى :

(١) أن يكون المنادى علم أو نكرة مقصودة - وفى الثانى منهما كلام طويل
لا حاجة إليه هنا .

(٢) أن يكون المنادى مبنيًا على الضم ، فلا يصح الترخيم فى نحو
(يا محمدان - يا محمدون) والأول يبنى على الألف ، والثانى يبنى على الواو .

(٣) أن يكون على أربعة أحرف فأكثر .

فلا بد إذن لصحة الترخيم من اجتماع هذه الشروط الثلاثة ، وذلك مثل
(أحمد - جعفر) تقول فيهما مرخمين (يا أحم - يا جعف) وكذلك (سعاد -
زينب) تقول (يا سعا - يا زين) .

ومن ذلك قول الشاعر :

يا حارٍ لا أزمينُ منكم بداهية لم يَلْقَها سَوْقَةٌ قبلى ولا مَلِكُ (٢)

وقول الآخر :

يا صاحٍ إِمّا تجدُنِي غيرَ ذى جِدَةٍ فما التَّخَلَّى عن الخِلاَّنِ من شِيمَى (٣)

(١) أشطان بئر : الحبال التى تربط بها الدلاء لتنزح الماء من البئر - لبان : - بفتح اللام والباء -
صدر - الأدهم : الفرس .

يقول : إننى أعرف وقت الشدة ، فحين يشتد القتال ، وتصير الرماح فى صدور الجياد كالحبال
فى البئر يبحثون عنى وينادون باسمى .

الشاهد : فى « عنتر » وأصله « يا عنترة » حذف منه « يا » حرف النداء وحذفت تاء التأنيث
اللفظى منه للترخيم .

(٢) الداهية : المصيبة العظمى - سوقة : عوام الناس .

الشاهد : فى (يا حار) أصله (يا حارث) ورخم بحذف التاء ، وقد استوفى الشروط المطلوبة فيما
خلا من تاء التأنيث .

(٣) جدة : غنى - الخلان : الأصدقاء والأحباب - شيمى : طبيعتى وخلقى .

يقول : إن أكن غير غنى فأنا شهم ، لا أترك لإخوانى وأصدقائى فى وقت الشدة ، وليس هذا من
طبيعتى وأخلاقى .

(ب) ما يحذف حين الترخيم :

يحذف للتخيم من آخر المنادى حرف واحد أو حرفان أو كلمة كاملة .
 أما حذف حرف واحد فهو الأصل في الترخيم ، وهو الكثير ، ومن ذلك
 الكلمات (عائشة - فاطمة - نادية - أحمد - خالد)

على الترتيب (يا عائش - يا فاطم - يا نادى - يا أحَم - يا خال) .
 ومن ذلك ما قرئ في القرآن حكاية عن كلام أهل النار ﴿ وَنَادَوْا يَامَالِ ﴾
 [الآية ٧٧ من سورة الزخرف] بحذف الكاف ، وقد مرّ قول ابن عباس عن ذلك « ما
 كان أشغل أهل النار عن الترخيم » لأنه يأتى فى مقام التذليل ، وأهل النار فى مقام
 الجزع والندم .

أما حذف حرفين من آخر الكلمة حين الترخيم فلا يتحقق إلا فى الاسم الذى
 اجتمعت فى حروفه الصفات التالية :

(١) أن يكون الاسم المرخم على خمسة أحرف فصاعدا .

(٢) أن يكون الحرف الذى قبل الحرف الأخير معتلا ساكنا .

(٣) أن يكون هذا الحرف زائدا لا أصليا .

ومن الكلمات التى اجتمعت فيها هذه الشروط (مروان - أسماء - نعمان -
 منصور) فنقول حين تنادى مرخمة (يا مرو - يا أسم - يا نُعم - يا منصُ) ومن
 ذلك الشواهد الآتية :

* قول الفرزدق :

يا مرو إن مَطِيتى محبوسةٌ ترجو الحِباءَ وربُّها لم يَيْأسِ^(١)

= الشاهد : فى (يا صاح) أصلها (يا صاحب) فحذفت الباء للتخيم ، وهو مستوف للشروط فيما
 خلا من تاء التأنيث .

(١) مطيتى : ما يمتطى ويركب من الدواب - محبوسة : واقفة ببابك - الحباء : العطاء -
 ربها : صاحبها - لم يَيْأس : لم يصبه اليأس من عطائك .

الشاهد : فى (يا مرو) أصله (يا مروان) فحذف منه حرفان ، وقد استوفى الشروط اللازمة
 لحذفهما .

* قول لبيد :

يا أَسْمَ صَبْرًا على ما كان من حَدَثٍ

إِنَّ الحَوَادِثَ مُلْقِيٌّ وَمُنْتَظَرٌ ^(١)

أما حذف كلمة كاملة فإنما يكون في حالة واحدة هي المركب المزجيّ إذا نودي ، فالعرب قديما يقولون في (معديكرب) (يا مَعْدِي) حين الترخيم .

والخلاصة : أن الأصل في الاسم حين يرخم أن يحذف منه حرف واحد وذلك بلا شروط ، وأن حذف حرفين منه يكون في أسماء خاصة تقدمت صفاتها ، وأن حذف كلمة كاملة لا يكون إلا في المركب المزجيّ فقط .

(ج) لغة من ينتظر ولغة من لا ينتظر :

(من ينتظر ومن لا ينتظر) هاتان صفتان لاستعمالين عربيين للاسم المرخم بعد أن حذف من آخره ما حذف ، فلأى شيء يكون الانتظار أو عدم الانتظار ؟! من الواضح أن الاسم المنادى بعد أن حذف منه ما حذف صار كلمة مشوهة ناقصة الحروف ، كما أن الحرف الأخير منه بعد الحذف ليس هو الحرف الأخير منه قبل الحذف ، فقولنا مثلا (يا فاطمة) قبل الحذف غير قولنا (يا فاطم) سواء من حيث الحروف أو من حيث آخر الكلمة .

هذا الاسم المنادى الذي حذف آخره يستعمله العرب بعد هذا الحذف على لغتين هما : لغة من ينتظر ولغة من لا ينتظر ، ويقصد بالانتظار : التوقف عند ما بقي من الكلمة بعد الحذف ، فلا يغير فيها شيء ، لأن ما حذف منها كأنه موجود تقديرا ، فنقول مثلا في (يا عائشة) (يا عائش) بفتح الشين ، ونقول في (يا أحمد) (يا أحَم) بفتح الميم .

أما من لا ينتظر ، فهو الذي لا يتوقف انتظارا للمحذوف ، بل يعامل ما بقي

(١) حدث : نازلة من نوازل الدهر .

يقول : يا أسماء ، لنصبر على أحداث الحياة ، فإنها ستصيبنا حتما ، ونحن منها بين أمرين ، إما أن تحدث وتمضي ، وإما أن تأتي مستقبلا ولا بد أن تأتي .

الشاهد : (يا أَسْمَ) أصلها (يا أسماء) فرخم بحذف حرفين منه ، وقد استوفى شروط حذف الحرفين .

من الكلمة على أنه كلمة مستقلة ؛ فيضم آخرها مبنية فيقول فى المثالين السابقين (يا عائشُ) و (يا أحْمُ) وعلى ذلك :

فلغة من ينتظر : هى تلك اللغة التى تعامل الاسم المرخم على اعتبار أنه اسم غير كامل الحروف فتتوقف عند ما بقى من حروفه على ما هى عليه دون تصرف فيه انتظار للمحذوف مثل (يا فاطمَ) .

أما لغة من لا ينتظر : فهى تلك اللغة التى تعامل الاسم المرخم على اعتبار أنه اسم مستقل قد قطع عما حذف منه ، وحينئذ يتصرف فى آخره بما يقتضيه بناؤه على الضم مثل (يا فاطمُ) .

ولعلنا بعد هذا الشرح يمكن أن نفهم قول ابن هشام نصا :

« الترخيم يجوز فيه قطع النظر عن المحذوف ، فتجعل الباقي اسما برأسه فتضمه ، ويسمى لغة من لا ينتظر ، ويجوز ألا تقطع النظر عنه ، بل تجعله مقدرا ، فيبقى ما كان على ما كان عليه ، ويسمى لغة من ينتظر ، فتقول على اللغة الثانية فى « جعفر » (يا جَعَفَ) ببقاء فتحة الفاء ، وفى « مالك » (يا مالٍ) ببقاء كسرة اللام - وهى قراءة ابن مسعود - وتقول على اللغة الأولى (يا جَعَفُ ويا مالُ) بالضم » . أ . ه .

الترخيم لضرورة الشعر :

الأصل فى الترخيم أنه حكم من أحكام المنادى ، بمعنى أن الاسم الذى يصح ترخيمه هو الاسم المنادى فقط ، فإذا كان الاسم غير منادى لا يصح ترخيمه ، بل يستعمل كاملا دون حذف شيء منه .

هذا هو الأصل : لكن النحاة استثنوا من ذلك ما يضطر إليه الشاعر فى شعره ، ولا يجد مفرًا من حذف بعض الكلمة ، حينئذ يجوز له الحذف مع أن الاسم غير منادى ، لأن مجال الشاعر فى استعمال الكلمات ضيق ، لحاجته للوزن والقافية والتقديم والتأخير فيباح له ما لا يباح للنائر ، ويطلق على هذا المباح له اسم « ضرورة الشعر » ، ومن ذلك المباح حذف أواخر بعض الكلمات دون أن تكون مناديات .

لَنِعْمَ الْفَتَى تَغْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
طَرِيفُ بْنُ مَالٍ لَيْلَةَ الْجُوعِ وَالْخَصَرِ (١)

ومن ذلك أيضًا قول جرير :

أَلَا أَضَحْتُ حِبَالَكُمْ رِمَامًا وَأَضَحْتُ مِنْكَ شَاسِعَةً أُمَامًا (٢)

* * *

(١) تغشوا إلى ضوء ناره : تقصدها - الخصر - بفتح الصاد - شدة البرد .

الشاهد : (طريف بن مال) أصله (طريف بن مالك) فرخمت (مالك) مع أنها غير منادى لضرورة الشعر .

(٢) أضحت : بمعنى صارت - حبالكم : يقصد روابط المودة والألفة - رماما : بالية متقطعة - شاسعة : بعيدة عنك بعدا شديداً - أماما : اسم حبيته .

يقول : لقد انقطع الود والحب وبعدت أمامة عنى بعدا شديدا ، بعدا لا لقاء بعده .

الشاهد : في (أماما) أصلها (أمامة) وهى اسم (أضحى) مؤخر ، فليست منادى ، ورخمت لضرورة الشعر .

تدريبات

(١)

أورد الجاحظ ^(١) الرسالتين الآتيتين لعمر بن الخطاب قال :

كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية وهو عامله على الشام : « أمّا بعد ، فإنني لم أَلَكْ في كتابي إليك ونفسي خيرا ، إِيّاك والاحتجاب دون الناس ، وأُذُنٌ للضعيف وأُذُنُهُ حَتَّى يَنْبَسِطَ لِسَانُهُ وَيَجْتَرِئَ قَلْبُهُ ، وَتَعَهَّدَ الْغَرِيبَ فَإِنَّهُ إِذَا طَالَ حَبْسُهُ ، وَضَاقَ إِذْنُهُ ، تَرَكَ حَقَّهُ ، وَضَعَفَ قَلْبُهُ ، وَإِنَّمَا أَتَوَى حَقَّهُ مِنْ حَبْسِهِ » . أ . هـ .

وكتب مرة أخرى إلى أبي موسى الأشعري : « آسِ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِكَ وَوَجْهَكَ حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ ، وَلَا يِيَّاسٌ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ سَعِدَ بِهِ النَّاسُ ، وَأَشْقَاهُمْ مَنْ شَقُّوا بِهِ » . أ . هـ .
(١) (وهو عامله على الشام) هذه جملة حالية ، اذكر نوعها وصاحبها وربطها .

(٢) من التعبيرات المتعارف عليها في الرسائل والخطابات (أمّا بعد) حلل هذا التعبير نحويًا .

(٣) (لم أَلَكْ خيرا) تصور جملة أخرى مساوية لهذه الجملة في المعنى ثم اذكر الوظيفة النحوية لكلمة « خيرا » بعد هذا التصور .

(٤) (إِيّاك والاحتجاب دون الناس) من أي صور التحذير ؟ أعرب التعبير كله .

(٥) من أسماء المكان التي وردت في النص (بعد - دون - بين - عند) انسبها إلى المبهم أو المختص وإلى التصرف أو عدم التصرف - اذكر السند النحوي لهذه النسبة .

(١) رسائل الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - القسم الثاني ص ٣١ - ٣٢ .

(٦) الفعلان (أدن - آس) يتفقان من حيث البناء ، ويختلفان من حيث التعدى واللزوم ، اشرح ذلك من استعمالهما فى النص .

(٧) (إنما أتوى حقه من حبسه) حدد فى هذه الجملة الترتيب بين الفعل والفاعل والمفعول ، ثم اذكر سببه .

(٨) انسب إلى باب الفاعل أو المفعول الكلمات الآتية كما وردت فى جملها (لسانه - إذنه - حقه - قلبه) .

(٩) من أبواب النواسخ الفعل (اعلم) اشرح علاقته النحوية بالجملة التى جاءت بعده فى كلام عمر .

(٢)

قال أبو تمام فى رثاء محمد بن حميد الطوسي^(١) :

فَقَتَّى مَاتَ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مِيتَةً	تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مُضْرَبٌ سِيفِهِ	مِنَ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا الشُّمْرُ
وَقَدْ كَانَ فُوتَ الْمَوْتَ سَهْلًا ، فَرَدَّه	إِلَيْهِ الْحِفَاطُ الْمَرْ وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ
وَنَفْسٌ تَعَافُ الْعَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا	هُوَ الْكَفَرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَوْ دُونَهُ الْكَفْرُ
فَأُثْبِتَ فِي مُسْتَقْعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ	وَقَالَ لَهَا : مِنْ دُونِ إِخْمَصِكَ الْحَشْرُ
غَدَا غُدُوَّةَ وَالْحَمْدُ نَشْجَ رَدَائِهِ	فَلَمْ يَنْصَرَفْ إِلَّا وَأَكْفَانَهُ الْأَجْرُ
تَرَدَّى ثِيَابُ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا دَجَا	لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خَضْرُ
لَئِنْ غَدَرْتُ فِي الرُّوعِ أَيَّامَهُ بِهِ	فَمَا زَالَتِ الْأَيَّامُ شِيَمَتَهَا الْغَدْرُ
مَضَى طَاهِرُ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةٌ	غَدَاةٌ تَوَى إِلَّا اشْنَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفًا ، فَإِنْنِي	رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحَرَّ لَيْسَ لَهُ عُمْرُ

* * *

(١) الكلمتان (ميتة - مقام) فى البيت الأول ، من أى الصيغ . انسب كل واحدة منهما إلى أحد المفعولات الخمسة .

(١) انظر ديوان أبى تمام ومختارات البارودى ج ٣ ص ٣٠٣ - والأبيات العشرة المذكورة هنا

- (٢) الكلمتان (غدوة - غداة) وردتا في البيتين السادس والتاسع زُنهما ، ثم اذكر الوظيفة النحوية لكل منهما .
- (٣) من أى المشتقات كلمة (مضرب) فى البيت الثانى ، اذكر وظيفتها النحوية فى البيت ، واستعملها بعد ذلك مفعولا فيه فى جملة مفيدة .
- (٤) (لم ينصرف إلا وأكفانه الأجر) من أى صور الاستثناء هذه الجملة ، أعرب بالتفصيل ما جاء بعد (إلا) فقط .
- (٥) أين خبر المبتدأ فى جملة (وهى من سندس خضر) أعرب هذه الجملة كلها كما وردت فى البيت .
- (٦) تكررت كلمة (الأيام) مرتين فى البيت الثامن ، لماذا لم تعتبر مفعولا فيه ؟ وما موقعها النحوى فى الشطرين ؟
- (٧) عين تمييز النسبة فى جملة (عليك سلام الله وقفاً) فى البيت الأخير تصور جملة الأصل وبين كيفية تحويل التمييز عنها .
- (٨) أعرب الكلمات الآتية كما وردت فى النص (نفس - الحشر - حمرا - شيمتها الغدر - طاهر الأثواب - عمر) .

(٣)

قال سعد بن ناشب المازنى وكان قد ظلم بهدم داره وحرقها بالبصرة :
 سأغسل عني العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا
 وأذهل عن دارى وأجعل هدمها لعرضى من باقى المذمة حاجبا
 ويصغر فى عيني تلادى إذا انشت يمينى بإدراك الذى كنت طالبا
 فإن تهدموا بالغدر دارى فإنها ثراث كريم لا يُبالى العواقبا
 أحيى غمرات لا يريد على الذى يُهمُّ به من مقطع الأمر صاحبا
 إذا هم لم تُردع عزيمة هممه ولم يأت ما يأتى من الأمر هائبا
 فيالريزام رشحوا بى مقدما إلى الحرب خوفاً إليها الكتائبا
 إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانباً
 ولم يستشر فى رأيه غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

- (١) وردت كلمة « جالبا » فى البيت الأول منصوبة مرتين ، وازن بينهما .
- (٢) حدد الفاعل وعامله فى العبارات الآتية كما وردت فى النص (جالبا على قضاء الله - إدراك الذى كنت طالبا - مقدما إلى الحرب - خوفا إليها الكتابيا) .
- (٣) جملة (لا يبالى العواقبا) فى البيت الرابع يجب أن تعرب صفة لا حالا ، وجه ذلك نحويا .
- (٤) من أى أساليب النداء (بالرزام) - صف هذا الجملة بطريقة مفصلة .
- (٥) طبق صفات المفعول فيه على كلمة (جانبا) فى جملة (تنكب عن ذكر العواقب جانبا) .
- (٦) يجب نصب أداة الاستثناء (غير) فى جملة (لم يستشر فى رأيه غير نفسه) - اذكر قاعدة ذلك وطبقها على الجملة .
- (٧) يجب نصب المستثنى فى جملة (لم يرض إلا قائم السيف صاحباً) . اذكر سند ذلك وطبقه على الجملة .
- (٨) أعرب الكلمات الآتية تفصيلا كما وردت فى النص (حاجبا - أخى - غمرات - عزيمة - هائبا) .

(٤)

قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ ﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤ ﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّلِينَ غَفُورًا ٢٥ ﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدُرْ بُدْرًا ٢٦ ﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ٢٧ ﴾ وَإِمَّا تَعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيَّسُورًا ٢٨ ﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿ [الآيات ٢٣ - ٢٩ من سورة

(١) حدّد نوع (أَنْ) فى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ اذكر المستند النحوى لما تقول .

(٢) استخراج من الآيات (مفعول مطلق مؤكد لعامله - مفعول مطلق مبين النوع - نائب عن المفعول المطلق - مفعول مطلق حذف عامله - مفعول لأجله) .

(٣) ما حكم الترتيب بين الفعل والفاعل والمفعول فى الجملتين (لا تعبدوا إلا إياه - يبلغنّ عندك الكبر أحدهما) أيد ما تقول نحويا .

(٤) لماذا جاءت الفاء فى جواب الشرط مع الجمل (تقل لهما أف - إنّه كان للأوابين غفورا - قل لهم قولا ميسورا) .

(٥) الفعل (آت) بمعنى (أعط) ينصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر - حددهما من الجملة بعده .

(٦) عبارة (ربّ ارحمهما) أصلها (يا ربّي ارحمهما) ناقش ما حذف حتى صار المنادى على الصورة التى وردت فى الآية .

(٧) فى الآية الأخيرة جاءت ثلاث كلمات منصوبة هى (فتقعد ملوما محسورا) - قدّم من قواعد النحو ما يسوّغ نصبها .

(٨) صف نوع الاشتقاق للكلمات الآتية (كريم - صغير - أوّابين - مبذرين - كفرا - ملوما - محسورا) ثمّ زنها جميعا .

(٩) وردت كلمة (إنّ) فى الآيات ثلاث مرات للشرط ، حددها ، ثمّ بين أجزاء الجملة الشرطية فى كل منها .

* * *

القسم الرابع

ما يتعلق بالجملتين الاسمية والفعلية

يشمل ذلك ما يلى :

١ - حروف الجر

٢ - الإضافة

٣ - التعجب السماعى والقياسى

٤ - التوابع الخمسة وهى :

(أ) النعت

(ب) التوكيد

(ج) عطف البيان

(د) عطف النسق

(هـ) البدل

٥ - وظائف الأفعال فى الجملة = عمل الأفعال فى الجملة

٦ - الأسماء التى تقوم بوظائف الأفعال

(أ) اسم الفعل

(ب) المصدر واسم المصدر

Uploaded By: Linda Hamdan
(ج) اسم الفاعل

- (د) أمثلة المبالغة
- (هـ) اسم المفعول
- (و) الصفة المشبهة
- (ز) اسم التفضيل

حروف الجر

- ١ - حروف الجر - كما عدّها ابن مالك في الألفية - عشرون حرفاً .
- ٢ - تقسيم حروف الجر من حيث كثرة الاستعمال وقلته في اللغة العربية .
- ٣ - الحروف المتداولة - في رأى ابن هشام - باعتبار ما تجرّه من الأسماء الظاهرة والمضمرة .
- ٤ - زيادة (ما) مع بعض حروف الجر - بينها وبين مجرورها .
- ٥ - حذف حرف الجر (رُبّ) مع بقاء عمله في المجرور .
- ٦ - حرف الجر الأصلي والزائد والشبيه بالزائد .

حروف الجر :

تلك التي تقوم بربط الأسماء بالأسماء ، كقولنا : (الطالبُ في الكلية) أو ربط الأسماء بالأفعال كقولنا : (جئْتُ إلى الكلية) .

وينبغي ابتداء معرفة الرأى فيما خاضت فيه مطولات النحو من ذكر معانى الحروف العشرين الجارة - ولنأخذ نموذجاً الحرف (مِنْ) فإن له سبعة معانٍ - كما جاء فى أوضح المسالك - هى :

- ١ - التبعية مثل ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [الآية ٩٢ سورة آل عمران] .
- ٢ - بيان النوع مثل ﴿ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ [الآية ١٣ سورة الكهف] .
- ٣ - ابتداء المكان أو الزمان مثل ﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ [الآية الأولى سورة الإسراء] وفى الحديث (مُطَرِّفًا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ) .
- ٤ - العموم مثل ﴿ هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ [الآية ٩٨ سورة مريم] .
- ٥ - معنى البدل مثل ﴿ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ [الآية ٣٨ سورة التوبة] .

- ٦ - الظرفية مثل ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا ﴾ [الآية ٩

٧ - التعليل مثل ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا﴾ [الآية ٢٥ سورة نوح] .

وهكذا توجد هذه المطولات معاني كل حرف فتذكر « للام » اثني عشر معنى و « للباء » مثلها ، وللحرف (فى) ستة معان ، وللحرف (على) أربعة - إلى آخر ذلك .

والحق أن هذه المعاني تفيد دارس البلاغة ، فهو الذى يبحث عن الحروف وما تؤديه من جملة إلى أخرى - أما دارس النحو ، فإن الذى يهمه من هذه الحروف هو معانيها النحوية ، أو بعبارة أخرى : يهمه أن يعرف فقط أن هذه الحروف تجر الأسماء التى بعدها مهما كان المعنى الذى تؤديه فى الجملة .

على أن حصر معاني هذه الحروف - على طولها - ليس حصرا نهائيا لأن هناك قاعدة معنوية عن حروف الجر تقول : (حروف الجر يتبادل كل منها موضع الآخر كثيرا) فمثلا الحرف (على) يأتي بمعنى (فى) مثل ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ﴾ [الآية ١٥ سورة القصص] والحرف (عن) يأتي بمعنى (على) مثل ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [الآية ٣٨ سورة محمد] فهذه الحروف تتبادل ، فمن غير المفيد كثيرا حصر معانيها ، إذ يقع بعضها موقع بعض ، والأمر مرجعه أولا وأخيرا سياق الكلام الذى يحدد لنا معنى الحرف ، ويدل عليه .

وخلاصة الأمر : أنه من السهولة والتيسير ألا تعرض هنا معاني الحروف الجارة ، لأن ذلك لا يفيدنا نحويا ، ولأن ذلك غير منضبط تماما - ومع ذلك فمن أراد معرفة تلك المعاني تفصيلا فليراجعها فى (شرح ابن عقيل - أوضح المسالك - شرح الأشموني) ليستزيد ويستفيد .

وحروف الجر عشرون حرفا حصرها ابن مالك فى البيتين الآتين :

هَآكَ حُرُوفُ الْجَرِّ وَهِيَ مِنْ إِلَى حَتَّى خَلَا حَاشَا عَدَا فِي عَنْ عَلَى
مُذُّ مُنْذُ رَبِّ اللَّامِ كَيْ وَآوُ وَتَا وَالْكَافُ وَالْبَاءُ وَلَعَلَّ وَمَتَّى

ومن هذه الحروف العشرين ثلاثة لن نتحدث عنها هنا ، وهى (خلا - حاشا - عدا) فهى من أدوات الاستثناء ، وقد مر الحديث عنها هناك بالتفصيل ولا حاجة إلى إعادته مرة ثانية .

حروف الجر من حيث كثرة الاستعمال وقلته :

يقصد بالكثرة والقلّة هنا نطق العرب أصحاب اللغة ، وبعبارة أقرب أن معظم هذه الحروف قد استعمل في اللغة العربية المشتركة بين العرب وهذا معنى الكثرة ، وبعض هذه الحروف استعمل في الفصحى أيضا في نطق إحدى قبائل العرب فقط ، لكن لم يقدر له الذبوع والانتشار في نطق جميع قبائل العرب ، وذلك الحرفان (مَتَى - لَعَلَّ) .

فالأصل - كما هو مشهور - أن (مَتَى) اسم زمان ، وقد يستعمل ظرفا كقولنا (مَتَى قَدِمْتَ من سفرك) بمعنى (فى أى وقت ؟؟) أما استعماله حرف جر فهو لغة قبيلة « هذيل » ، ومن شواهدهما :

سَمِعَ أَحَدُ الْهَذِيلِيِّينَ يَتَحَدَّثُ عَنْ بَعْضِ اللَّصُوصِ بِقَوْلِهِ : (أَخْرَجَهَا مَتَى كُمَّهِ) بمعنى (أَخْرَجَهَا مِنْ كُمَّهِ) .

من شعر أبى ذؤيب الهذلى يصف السحاب :

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ، ثُمَّ تَرَفَعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضِرَ لَهْنٌ نَثِيجٌ ^(١)

وأما (لَعَلَّ) فالمشهور عنها أنها حرف يفيد الترجى من أخوات (إِنَّ) تنصب المبتدأ وترفع الخبر ، واستعمالها حرف جر لغة قبيلة « عُقَيْل » ويسوق لها النحاة شاهدين أحدهما بيت شعري قبيح لا داعى لذكره ، والآخر فى قول كعب بن سعد يرثى أخاه أبا المغوار :

وَدَاعَ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبٌ
فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعْ الصَّوْتَ جَهْرَةً
لَعَلَّ أَبِى الْمَغَوَارِ مِنْكَ قَرِيبٌ ^(٢)

(١) شربن بماء البحر : حملت السحب ماء البحر - ترفعت : علت - لجج : جمع « لجة » وهى المياه الكثيفة - لهن نثيج : صوت مرتفع .

المعنى : لقد حملت السحب ماء كثيفا من مياه كثيفة ، لجج خضراء ذات صوت عال شديد .
الشاهد : فى قول أبى ذؤيب (متى لجج) إذ استعمل (متى) حرف جر بلغة قبيلته ، لكن لم يقدر لهذا الاستعمال الذبوع والانتشار .

(٢) الندى : الكرم - لم يستجبه : لم يجبه .

يقول : لقد كان أبى المغوار كريما ولا كريم غيره ، فإذا دعا الداعى إلى الكرم فهو المحجب لا سواه .

والحق أن استخدام هذين الحرفين للجـر في اللغة الفصحى قليل ؛ بل سماه « ابن هشام » شاذاً ، فينبغى - بعد معرفتهما - صرف النظر عنهما أيضاً ، ليبقى من حروف الجر العشرين خمسة عشر حرفاً هي موضع حديثنا الآتى .

حروف الجر وما تجره من الأسماء الظاهرة والمضمرة :

سلك ابن هشام فى كتابيه (شذور الذهب - أوضح المسالك) طريقة رائعة فى تقسيمه لحروف الجر باعتبار دخولها على الأسماء الظاهرة والمضمرة ، فتنظيمه لهذه الفكرة فى كتابيه السابقين لا يكاد يدانيه فيه أحد من النحاة ، لذلك كان من المفيد اتباعه فى طريقته مع تصرف يسير .

تنقسم حروف الجر الخمسة عشر المتداولة إلى قسمين رئيسين :

القسم الأول : ما يجر الأسماء الظاهرة والمضمرة جميعاً ، وهو سبعة أحرف هي (مِنْ - إِلَى - عَنْ - عَلَى - فِى - الْبَاء - اللام) .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ﴾ [الآية ٧ سورة الأحزاب] و ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ [الآية ٤٨ سورة المائدة] و ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ [الآية ٦٠ سورة الأنعام] ، و ﴿ لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ [الآية ١٩ سورة الانشقاق] ، و ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [الآية ١١٩ سورة المائدة] ، و ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [الآية ٢٢ سورة المؤمنون] ، و ﴿ وَفِى الْأَرْضِ آيَاتٌ ﴾ [الآية ٢٠ سورة الذاريات] ، و ﴿ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ ﴾ [الآية ٧١ سورة الزخرف] ، و ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ ﴾ [الآية ١٢٦ سورة النساء] ، و ﴿ ءَامِنُوا بِهِ ﴾ [الآية ١٠٧ سورة الإسراء] ، و ﴿ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ﴾ [الآية ٢٨٤ سورة البقرة] ، و ﴿ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ﴾ [الآية ٢٥٥ سورة البقرة] .

القسم الثانى : ما يجر الأسماء الظاهرة فقط ، وهو يشمل بقية الحروف (حَتَّى - الكاف - الواو - التاء - كَيْ - مُذ - مُنْذ - رُبَّ) .

= **الشاهد :** فى (لعل أبى المغوار) فقد جاءت فى هذا البيت حرف جر ، فجرت الاسم بعدها (أبى المغوار) .

إعراب (لعل أبى المغوار منك قريب) جاء فى ابن عقيل : لعل حرف جر زائد : (أبى المغوار) مبتدأ مرفوع بالواو ومنع من ظهورها الباء التى جاءت من أجل حرف الجر الزائد - قريب : خبر المبتدأ .

لكن ينبغي ألا يتبادر إلى الأذهان أن هذه الحروف الثمانية تدخل على كل الأسماء الظاهرة فتجرها ، إنها تتفق فقط في دخولها على الأسماء الظاهرة ورفض الأسماء المضمرة ، أما ما يدخل عليه كل منها من الأسماء الظاهرة فهو على التفصيل التالي :

١ - (حتى - الكاف - الواو) تدخل على كل الأسماء الظاهرة .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [الآية ٥ سورة القدر] و ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [الآية ٣٥ سورة النور] و ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ [أول سورة الفجر] - ومن البين أن الواو معناها القسم .

وينبغي التنبيه إلى أن (حتى) تكون حرف جر مثل (إلى) في المعنى والعمل بشرطين :

(أ) أن يكون المجرور بها ظاهرا لا مضمرا .

(ب) أن يكون نهاية لما قبله - آخرًا له أو متصلا بالآخر .

كقولنا : (سنجاهد حتى الرمي الأخير وسنحرر أرضنا حتى آخر شبر فيها) .

٢ - (التاء) هذا الحرف يجر لفظين فقط من الأسماء الظاهرة هما :

(أ) لفظ الجلالة (الله) مثل ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ ﴾ [الآية ٥٧ سورة الأنبياء] .

(ب) كلمة (رَبِّ) مضاف إلى (الكعبة أو ياء المتكلم) مثل قول العرب : (تَرَبَّ الكعبة) و(تَرَبَّى لأفعلن كذا) .

ومن البين أن التاء مع هذين اللفظين تفيد أيضا معنى القسم .

٣ - (كَيَّ) وقد تقدم عنها أنها حرف لنصب الفعل المضارع مثل (أَنْ) لكنها تستعمل حرف جر في موضعين :

(أ) مع (ما) الاستفهامية : وحيث حذف ألف (ما) ويأتي معها هاء السكت ، تقول مثلا (سهرتُ أمس) فأسألك عن سبب السهر قائلا (كَيْمَةً) مماثلة تماما قولي (لِمَةً) .

(ب) مع (أَنْ) التي تنصب المضارع ، وقد سبق في نواصب المضارع أنه إذا

كانت (كى) ناصبة المضارع ، فلا علاقة لها بالمجرورات - أما إذا كان المضارع منصوبا - كما سبق شرحه - بأن ظاهرة أو مضمرة ، فتكون (كى) حرف جر والمصدر المؤول من (أن والفعل) مجرور بها [راجع ذلك تفصيلا] .

٤ - مُذْ - مُنْذُ :

لاحظ الأمثلة الآتية :

ما كفَّ الإنسانُ عن الشرِّ منذُ فجرِ الحياة { حرف جر
ومنذُ الصراعِ الدَّامى بين ابْنَيْ آدَمَ والنَّاسِ فى صراع { اسم مبتدأ
ومنذُ تحكَّمتِ الأهواءُ استخدِمتِ القوة { اسم ظرف

ترد هاتان الكلمتان فى اللغة حرفين للجر أو اسمين على التفصيل الآتى :

أولا : تكونان حرفين للجر إذا ورد بعدهما اسم يدل على الزمان الماضى أو الحاضر ، كقولك (ما رأيتُ أهلى منذُ شهرٍ) أو (ما رأيتُ صديقى مذ يومنا) .

ثانيا : تكونان اسمين وذلك فى الآتى :

(أ) أن يقع بعدهما اسم مرفوع ، كقولنا (مُنْذُ الافتراقِ بيننا لم يحدثْ لقاء) - حينئذ تعرب الكلمتان - على الرأى المشهور - مبتدأ والاسم المرفوع بعدهما خبر .

(ب) أن يقع بعدهما جملة تامة - اسمية أو فعلية - فتقول (أحببتُ الجامعةَ مُذْ أنا طالبٌ فيها ، واحترمتُ تقاليدَها منذُ انتسبتُ إليها) حينئذ تعرب الكلمتان ظرف زمان مبنيا فى محل نصب .

ومن شواهد دخولهما على الجملة ما يلى :

* قول الأعشى :

وما زلتُ أبغى المالَ مُذْ أنا يافعٌ وليدًا وكَهْلًا حينَ شِبتُ وأمرَدًا^(١)

(١) اليافع : هو الشاب حول العشرين - الوليد : الصبى - الكهل : فى أحسن الآراء - ما جاوز الأربعين - الأمرد : الذى لا شعر فى وجهه .

المعنى : لقد طلبت المال صبيا وشابا وكهلا - ومعلوم أن الأعشى كان ممن يتكسبون بشعرهم .

الشاهد : فى (مذ أنا يافع) حيث جاء بعد (مذ) جملة اسمية ، فتعرب هى ظرف زمان فى محل نصب .

فكلمة (مذ) فى البيت جاء بعدها جملة اسمية هى (أنا يافع) فتعرب ظرفا .
 ٥ - رُبَّ :

ومعناها التقليل أو التكثير بحسب ما يدل عليه سياق الكلام ، ولا تجر إلا النكرات ، تقول (رُبَّ صَمْتٍ خَيْرٌ مِنْ كَلَامٍ) أو (رُبَّ صُدْفَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ مِيعَادٍ) .
 هذا ، وربما دخلت (رُبَّ) على ضمير الغيبة المفرد المذكر ويأتى بعد ذلك تمييز منصوب يفسر الضمير ، كقولنا (لا تحتقر أحدًا فَرْبُهُ إنسانًا عظيمًا يتفوق عليك ، ولا تستقلَّ عدوًّا فَرْبُهُ قوَّةٌ هائلةٌ تهزمك) .
 ومن ذلك قول الشاعر :

رُبُّهُ فِتْيَةٌ دَعَوْتُ إِلَى مَا يُورِثُ الْمَجْدَ دَائِبًا ، فَأَجَابُوا (١)

زيادة « ما » مع بعض حروف الجر :

لحروف الجر مع المجرور بعدها الخاصيتان الآتيتان :

(أ) أنها تجر الاسم بعدها بالكسرة أو ما ينوب عنها .

(ب) أن الذى يأتى بعدها هو المفرد لا الجملة .

إذا علم ذلك ، فإن (ما) الزائدة - لا الموصولة ولا المصدرية - تجيء مع بعض حروف الجر متوسطة بينها وبين مجرورها ، فلا يكون لزيادتها تأثير فى صورة الجار والمجرور ، بل تبقى الخاصيتان السابقتان لها - وتجيء مع بعض حروف الجر الأخرى ، فتتغير الصورة ، وتزول الخاصيتان السابقتان جميعًا على التفصيل الآتى :

أولاً : تزداد (ما) بعد حروف الجر الثلاثة (مِنْ - عَنْ - الباء) فلا تكف هذه الحروف عن جر الاسم بعدها ، ويبقى لها اختصاصها بهذا الاسم المجرور ، ومن ذلك قول الله تعالى :

(١) ما يورث المجد : الأعمال المفيدة السامية - دأبًا : مستمرا .

الشاهد : فى (رَبِّهِ فِتْيَةٌ) حيث دخلت (رب) على ضمير الغيبة المفرد المذكر المفسر بتمييز

منصوب بعده .

- * ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ [الآية ٢٥ سورة نوح] .
- * ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [الآية ٤٠ سورة المؤمنون] .
- * ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مَيِّتْنَهُمْ لَعْنَهُمْ﴾ [الآية ١٣ سورة المائدة] .

ثانيا : تزداد (ما) بعد الحرفين (رُبَّ - الكاف) فتكفهما عن جر ما بعدهما ، كما يزول اختصاصهما بالاسم المفرد ، فيدخلان على الجملة الاسمية والفعلية ، ومن شواهد ذلك :

- قول الله تعالى : ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الآية ٢ سورة الحجر] .

- قول روبة رجزا : (لا تشتم الناس كما لا تشتم) ^(١) .

هذا هو الأصل في هذين الحرفين ، لكن ورد على غير الأصل معهما بعض الشواهد التي جاءت (ما) فيها زائدة بعدهما ، وبقي لهما اختصاصهما وهذا قليل في اللغة ، ومنه قول عمرو بن بركة الهمداني :

وننصر مولانا ونعلم أنه كما الناس مجروم عليه وجارم ^(٢)

حذف « رُبَّ » وبقاء عملها :

الأصل في حرف الجر أن يكون مذكورا ، ولا يصح حذفه مع بقاء عمله ، فإذا حذف ضاع تأثيره ، ولم يعد له وجود في الكلام لا لفظا ولا تقديرا .

ويستثنى من الأصل السابق الحرف (رُبَّ) إذ يصح حذفه من الكلام مع بقاء تأثيره ، فيكون الاسم مجرورا دون حرف الجر ، ويقال عنه : إنه مجرور (بربّ المحذوفة) وقد وردت (ربّ) محذوفة في اللغة بعد حروف ثلاثة هي (الواو - الفاء - بل) ومن شواهد ذلك :

(١) الشاهد : في (كما لا تشتم) حيث دخلت (ما) على الكاف فكفتها عن العمل ، ودخلت على الجملة الفعلية بعدها (لا تشتم) .

(٢) المولى : في أحد معانيه : الحليف - مجرور عليه وجارم : مجنى عليه وجان . يقول - وهو أحد الصعاليك - إننا ننصر من نخالفه ظالما أو مظلوما ، فهو أحد الناس ، وهذا هو شأن الناس .

الشاهد : في (كما الناس) حيث دخلت (ما) على الكاف ، فبقيت لها خواصها ، إذ جاء بعدها الاسم المجرور بها (الناس) وهذا قليل في اللغة .

• قول امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سُدُولَه عَلَيَّ بأنواعِ الهُمومِ لِيُبْتَلَى ^(١)

• قول رؤبة :

بل بليد ملء الفجاج قَتْمُهُ
لا يُشْتَرَى كِتَانُهُ وَجَهْرُهُ ^(٢)

حرف الجر الأصلي والزائد والشبيه بالزائد :

يتردد على ألسنة المعربين قولهم : (حرف جر - حرف جر زائد - حرف جر شبيه بالزائد) وينبغي تحديد المقصود بهذه الثلاثة وما ينطبق عليه من حروف الجر ، وما يترتب على ذلك فى الإعراب مع أخذنا فى الاعتبار أنه إذا قيل (حرف جر) فقط ، فالمقصود بذلك (حرف الجر الأصلي) .

الأصلى : هو ما له معنى خاص فى سياق الجملة ، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه فيها ، كما أنه يرتبط فى الجملة بعامل من فعل أو شبه فعل أ . ه . ومعظم حروف الجر أصلية ، يترتب عليها جر الاسم لفظا وتقديرا وأمثلتها أكثر من أن تحصى .

الزائد : ما ليس له معنى خاص فى سياق الجملة بحيث يمكن الاستغناء عنه فيها ، وإنما يؤتى به لمجرد تأكيد الكلام فقط ، كما أنه لا يحتاج إلى عامل يرتبط به من فعل أو شبه فعل أ . ه .

وهنا فكرة مهمة جدا هى أن حرف الجر الزائد يجر الاسم من حيث اللفظ فقط بالكسرة أو ما ينوب عنها ، لكن الاسم من حيث التقدير يأخذ الوظائف النحوية المختلفة ، كأنما حرف الجر غير موجود ، فتقدر لكل وظيفة الحركة المناسبة لها التى يمنع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد .

والذى أعلمه أن الذى يزداد من حروف الجر - فى بعض الأحيان لا فى كل الأحيان - حرفان هما (مِنْ - الباء) .

(١) **الشاهد :** فى البيت حذف (رب) وبقاء عملها فى قوله (وليل) والواو هنا تسمى (واو رب) .

(٢) **الفجاج :** الطرق والمسالك - القتم والقتام : الغبار - الجهرم : البساط .

يقول : إنه بلد كربه فى جوه وتجارته ، فجوه ملء بالغبار الذى يسد طرقه وتجارته كاسدة فلا

تظهر أسطوته ولا غوها من جمالاته .

الشاهد : فى (بل بلد) حيث حذف (رب) وبقي تأثيرها بعد (بل) وأصل الكلام (بل رب بلد) .

• أما (من) فإنها تتراد إذا جرت اسما نكرة ، وسبقها نفى أو نهى أو استفهام ، كقول الله تعالى : ﴿ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ [الآية ١٩ سورة المائدة] .

• وأما (الباء) فتتراد غالبا في المواضع الآتية :

(أ) إذا جاءت خبرا للفعل (ليس) أو جاءت بعد النفي بالحرف (ما) كما جاء في الحديث (ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب) .

(ب) مع فاعل الفعل (كفى) كقولنا (كفى بالصدق نجاة وكفى بالكذب هلاكا) .

(ج) فى صيغة التعجب (أفعل به) مثل (أكرم بالإسلام ديننا وأصدق بالقرآن حديثا) .

فلنلاحظ الآيات الآتية :

{ المجرور فاعل تقديرًا	﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾
{ المجرور مفعول به تقديرًا	﴿ هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾
{ المجرور مبتدأ تقديرًا (فى بعض الآراء)	﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾
{ المجرور فاعل « كفى » تقديرًا	﴿ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾
{ المجرور فاعل فعل التعجب	﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾

الشبيه بالزائد : ما له معنى خاص يفهم من سياق الكلام ، لكن ليس له عامل يرتبط به من فعل أو شبه فعل ، ويجر الاسم لفظا ، لكن الاسم يأخذ الوظائف النحوية الأخرى تقديرا بحسب ما يقتضيه سياق الكلام أ . ه .

هو إذن يشبه الحرف الأصلي فى أن له معنى ، ويشبه الحرف الزائد فى عدم حاجته إلى عامل يرتبط به ، وفى أنه يجز الاسم لفظا لا تقديرا ، ولغلبة شبهه بالزائد سمي « حرف جر شبيه بالزائد » - والحرف الوحيد الشبيه بالزائد (رُبَّ) وإن كانت محذوفة ، كقولك : (رُبَّ فقير خير عند الله من غنى) .

الإضافة

- ١ - الإضافة لدى اللغويين والنحاة .
- ٢ - ما يتجرد منه المضاف حين الإضافة .
- ٣ - الإضافة اللفظية (غير المحضة) والإضافة المعنوية (المحضة) .
- ٤ - الأسماء الملازمة للإضافة وما تضاف إليه :
 - (أ) ما يضاف للضمائر ، وهو (وَحد - لَبَّيْكَ وأخواتها) .
 - (ب) ما يضاف للجمل وهو (حيثُ - إذُ - إذا) .
 - (ج) ما يضاف لاسم ظاهر أو مضمر ، وهو (لَدُنْ - مَعَ - قُصَارَى) .
 - (د) ما يضاف لمثنى ظاهر أو مضمر وهو (كِلاَ - كِلْتَا) .
- ٥ - ما يضاف أحيانا ، وما يجب حينئذ إضافته له :
 - (أ) ما يضاف للجمل وهو أسماء الزمان المبهمة .
 - (ب) ما يضاف لاسم ظاهر أو مضمر وهو أسماء المكان المبهمة .

* * *

معنى الإضافة :

تأمل الأمثلة الآتية :

{ مركب مزجيّ	* بورسعيد - حضرموت - نيويورك - سبويه
{ مركب إسنادي	* بجاد الله - بجاد الربّ - فتح الله - نحمده
{ مركب إضافي	* روعة الانتصار - ذلّة الهزيمة - جمال الحرية

* الكلمات المركبة التي وردت في اللغة العربية ثلاثة أنواع :

الأول : المركب المزجيّ : وهو ما تكوّن من كلمتين اندمجتا معا حتى كوّنتا كلمة واحدة ويعرّب هذا الصنف إعراب ما لا ينصرف على الجزء الأخير منه فيرفع بالضمة وينصب ويجر بالفتحة دون تنوين ، فإذا ختم بكلمة (وَيْه) بنى آخره على الكسر .

الثاني : المركب الإسنادي : وهو ما تكون من جملة كاملة سمي بها شخص أو شيء فخرجت من مجال الجملة إلى التسمية بها - وهذا الصنف قليل في اللغة - ويعرب تفصيلا على أنه جملة كاملة ، ثم تنزل منزل المفرد ، فتشغل الوظائف النحوية بحسب سياقها في الكلام ، وتقدر عليها علامات الإعراب التي يمنع من ظهورها حكاية الجملة للتسمية بها كما هي .

الثالث : المركب الإضافي : وهو المقصود بالدراسة في هذا الباب لكثرة أحكامه وتنوع صوره .

فالإضافة في اللغة : مطلق الإسناد والضم ، فنقول في حياتنا العادية : (أضفتُ اللبن إلى الشاي) بمعنى ضممته إليه وخلطته به ، ومن ذلك أيضا (الضيف) لأنه حين ينزل بالقوم ينضاف إليهم وينضم إلى جمعهم ، ويقول امرؤ القيس يصف بيتا استضافه وأصحابه فأسندوا ظهورهم فيه إلى مساند مخططة :

فلما دخلناه ، أضفنا ظهورنا إلى كل حارٍ جديدٍ مُشَطَّبٍ

أما لدى النحاة : فالإضافة ضم اسم إلى آخر مع تنزيل الثاني من الأول منزلة تنوينه أو ما يقوم مقام تنوينه . وبحيث لا يتم المعنى المقصود إلا بالكلمتين المركبتين معا أ . ه .

ومن نماذج ذلك على كثرته (قسوةُ الظلم - تجبُّرُ الطَّغاةِ - ذلَّةُ الضعفاء - نورُ الحرِّيةِ - شرفُ الكلمةِ - نبلُ الأقوياءِ - قوَّةُ الروح - صفاءُ الذهنِ) .

وينبغي أن يراعى أمران يتعلقان بالمضاف والمضاف إليه :

الأول : أن الاسم الأول من المركب الإضافي يسمى « المضاف » ويكون إعرابه بحسب ما يقتضيه سياق الكلام رفعا ونصبا وجزا - أما الاسم الثاني فيطلق عليه « المضاف إليه » وهو دائما مجرور بالإضافة .

الثاني : أن كلا من المضاف والمضاف إليه يجب أن يكونا اسمين ، فلا يكون أحدهما فعلا ولا حرفا ، ويستثنى من ذلك ما إذا جاء المضاف إليه جملة كاملة - وذلك مع كلمات قليلة ستأتى - حينئذ تكون الجملة كلها في محل جر لوقوعها موقع المفرد .

ما يتجرد منه المضاف حين الإضافة :

يتجرد المضاف حين الإضافة من الأمور الثلاثة الآتية :

الأول : التنوين : فالكلمات (سهو - كدح - راحة - هدوء) كلها منونة ، فإذا أضيفت ، حذف منها التنوين ، فنقول (سهو الليل - كدح النهار - راحة النوم - هدوء البالي) - ومن الواضع أن الحكم السابق خاص بالاسم المنصرف ، أما الممنوع من الصرف فهو مجرد أصلاً من التنوين فتقول في (مساجد - مصابيح) حين الإضافة (مساجدُ الله - مصابيحُ الهداية) .

الثاني : نون المشى وجمع المذكر : ففي الكلمتين (فترتان - متساويتان) حين الإضافة يقال (فترتا الدراسة متساويتا الوقت) وفي الكلمتين (نابيهون - متفوقون) حين الإضافة (نابيهو الطلبة متفوقو الامتحان) .

الثالث : « ال » أداة التعريف : ففي الكلمات (الحرية - الأمن - الهدوء - الصفاء) تصير حين الإضافة (حرية المواطن وأمنه يحققان هدوء البالي وصفاء النفس) . ونقول في (البلاد - الطيبة - العذبة) حين الإضافة (بلادنا طيبة الثرى عذبة المياه) بحذف الألف واللام في المضاف من هذه الكلمات جميعاً .

هذا ، وقد استدرك النحاة على هذا الأمر الأخير - حذف الألف واللام من المضاف - صورتين من الإضافة اللفظية يصح فيهما بقاء الألف واللام مع المضاف حين الإضافة وهما :

الأولى : أن يكون المضاف وصفاً وهو مشى أو جمع مذكر سالم . فلك أن تقول في (الشاهدان - المقترfan) حين الإضافة (الشاهدان الزور هما المقترfa الكبيرة) . ولك أن تقول في (المرتفعون - المنحنون) حين الإضافة (من الناس المرتفعو رؤوس مظهرًا وهو أدلاء . ومنهم المنحنون ظهور عملاً وهم شرفاء) ببقاء الألف واللام في المضاف في كل الكلمات السابقة ، ومن ذلك قول عنتره :

ولقد خشيْتُ بأنْ أموتَ ولم تَدُرْ للحربِ دائرةٌ على ابْنَيْ ضَمْضَمٍ
الشاتِمَى عِزْضَى ولمْ أَشْتُمْهُمَا والناذِرَيْنِ - إِذَا لَمْ أَلْقِهُمَا - دُمَى^(١)

(١) الشاهد : في البيت الثاني (الشاتمي عرضي) فإن المضاف (الشاتمي) وصف مشى وجاء

الثانية : أن يكون المضاف وصفا غير ذلك ، لكن في المضاف إليه الألف واللام ، كقولك : (المضبوط الموعد - المُحكَّم الخطّة - المتوقّد الذكاء - الطيب القلب - النَّاعم الشعر) أو أن الألف واللام في المضاف إلى المضاف إليه ، كما تقول في الأمثلة السابقة : (المضبوط تحديد الموعد - المُحكَّم رَسَم الخطّة - المتوقّد شعله الذكاء - الطيب سريرة القلب - الناعم ملمس الشعر) فقد بقيت الألف واللام في المضاف في كل تلك الأمثلة وهي الكلمات (المضبوط - المحكم - المتوقد - الطيب - الناعم) على التوالي .

الإضافة اللفظية والمعنوية :

الإضافة اللفظية : ما كان المضاف فيها اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة والمضاف إليه معمولا لتلك الصفة ، ومن نماذجها (كأثم السرّ - ناصر الضّعيف - مُواسي المريض - مرفوع الرأس - طيب القلب - لين الجانب) . قال ابن هشام : هي عبارة عما اجتمع فيها أمران ، أمر في المضاف وهو كونه صفة ، وأمر في المضاف إليه وهو كونه معمولا لتلك الصفة ، وذلك يقع في ثلاثة أبواب ، اسم الفاعل كضارب زيد ، واسم المفعول كمُعْطَى الدينار ، والصفة المشبهة كحَسَنَ الوجه أ . ه .

هذا النوع من الإضافة لا يستفيد منه المضاف تعريفا ولا تخصيصا فالمضاف لا يتعرّف بالمضاف إليه وإن كان معرفة ، وكذلك لا يتخصّص به - بمعنى تقليل إبهامه وتقريبه من المعرفة - بل إن المضاف يبقى نكرة دائما مع هذا النوع من الإضافة .

والدليل على أن المضاف لا يتعرّف في الإضافة اللفظية أنه يقع في مواضع النكرة ، ولو استفاد التعريف ، ما صح وقوعه في هذه المواضع ، ومن ذلك :
(أ) وقوعه صفة للنكرة ، تقول : (لى صديق كأثم السرّ طيب القلب) .

(ب) وقوعه حالا ، ومعلوم أن الحال لا تكون إلا نكرة غالبا ، تقول : (عش في الحياة محمود السيرة نقى السريرة) وتقول : (جاء صديقى صارم الوجه حادّ القسّمات) .

(ج) وقوعه مجرورا بالحرف (رُبّ) تقول : (رُبّ شاقّ الأمر هان صعبه ،

وَرُبَّ ميسورِ الأمرِ صَعَبَ سَهْلُهُ) وما جاء في الأثر من (رُبَّ قَارِيِ القرآنِ والقرآنُ يَلْعَنُهُ) .

أثما أن هذه الإضافة لا تفيد التخصيص ، فلأن التركيبين قبل الإضافة وبعد الإضافة متساويان في المعنى بلا زيادة ولا نقصان ، فقولنا (الله مجيبُ الدَّعاءِ) تساوى في المعنى (الله مجيبُ الدَّعاءِ) .

خلاصة الأمر : أن هذه الإضافة اللفظية لا تفيد التعريف ولا التخصيص فما الذى تفيدُه إذن ؟؟

قال النحاة : إنها تفيد التخفيف بحذف التنوين من المضاف ، وكذلك نون التثنية والجمع المذكر ، فلا شك أن قولنا : (الإنسانُ المثقَّفُ مصقولُ العقلِ والضميرِ) أخف مما لو قلنا (مصقولُ العقلِ والضميرِ) - وهذا هو السبب فى أن هذه الإضافة سميت (لفظية) لأنها أفادت أمرًا لفظيًا هو التخفيف كما سبق شرحه .

يطلق على هذه الإضافة اللفظية اسم (غير محضة) ومعنى المحضة : الخالصة ، فهذه الإضافة إذن غير خالصة للإضافة ، أو بعبارة أقرب ، إنها إضافة غير حقيقية ، إذ لا يترتب عليها ما يترتب على الإضافة الحقيقية من تعريف الاسم أو تخصيصه ، ولذلك قالوا : إنها على تقدير الانفصال بين الكلمتين ، فقولنا (الفتاةُ رائعةُ الجمالِ) يساوى تماما (الفتاةُ رائعةُ الجمالِ) .

قال ابن هشام : وإنما سميت هذه الإضافة غير محضة ، لأنها فى نية الانفصال إذ الأصل (ضاربُ زيداً) فى (ضاربُ زيد) وإنما سميت لفظية : لأنها أفادت أمرًا لفظيًا وهو التخفيف فإن (ضاربُ زيد) أخف من (ضاربُ زيدًا) أ . هـ .

الإضافة المعنوية : هى ما انتفى منها الشرطان المذكوران أو أحدهما وهذا النوع هو الإضافة الحقيقية ، وهى كثيرة جدا فى اللغة العربية ، مثل (عميدُ الكلية - طلابُ العلم - روعةُ الانتصار - ذلَّةُ الهزيمة) .

هذا النوع من الإضافة يستفيد منه « المضاف » التعريف أو التخصيص على النحو التالى :

(١) إذا كان المضاف إليه معرفة كان المضاف معرفة مثل (فى محاضرات

(٢) إذا كان المضاف إليه نكرة أفاد تخصيصه فقط دون تعريفه مثل (قولٌ حقٌّ في وجه ظالمٍ شجاعهٌ ضميرٌ ودليلٌ حرّيةٌ) .

ومن هذا يفهم لماذا سميت (معنوية) لأنها تفيد أمراً معنوياً هو تعريف المضاف أو تخصيصه .

ومن هذا أيضاً يفهم لماذا سميت (مَحْصَنَة) لأنها في الإضافة حقيقة إنها الإضافة الخالصة التي يترتب عليها الأحكام السابقة ، ولا يمكن فيها فصل المضاف عن المضاف إليه ولو على سبيل التقدير .

هذا وقد درست كتب مسائل النحو العلاقة بين المضاف والمضاف إليه من جهة المعنى في الإضافة المعنوية وحدها ، لأنها - كما سبق - هي الإضافة حقاً التي يتلازم فيها المضاف والمضاف إليه ويتكاملان ، بخلاف اللفظية فإن الإضافة فيها على تقدير الانفصال بين المضاف والمضاف إليه .

وخلاصة ذلك : أن الإضافة المعنوية تأتي في اللغة العربية على صور ثلاث :

الأولى : ما تأتي بمعنى (فى) وضابطها ما كان المضاف إليه ظرفاً للمضاف ، وبعبارة أقرب : أن يصح إحلال المضاف فى المضاف إليه وتقدير (فى) بينهما ، كقولنا : (سهراً الليل وبقطةُ النهار) ومن كلام العرب : (عثمانُ شهيد الدارِ ، والحسينُ شهيدُ كربلاء ، ومالكُ عالمُ المدينة) وقول الله تعالى : ﴿ يَصْحَجِي السَّجَنَ ﴾ [الآية ٣٩ سورة يوسف] وقوله أيضاً : ﴿ بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٍ وَالنَّهَارِ ﴾ [الآية ٣٣ سورة سبأ] .

الثانية : ما تأتي بمعنى (من) وضابطها - فى تحديد النحاة - ما كان المضاف إليه كلاً للمضاف . وبعبارة أخرى : ما كان المضاف جزءاً من المضاف إليه ويصح تقدير (من) بينهما ، كقولنا : (بدلةٌ صوفٍ وقميصٌ حريرٍ وخاتمٌ ذهبٍ) .

الثالثة : ما تأتي بمعنى « اللام » وهى غير النوعين السابقين ، وهى كثيرة جداً فى اللغة العربية ، مثل (صداقةُ العُمَرِ وأستاذُ المادّةِ وحريةُ الوطنِ وحضارةُ الأمةِ) .

وقد جاء فى « أوضح المسالك » عن ترتيب هذه الصور الثلاث فى الاستعمال العربى ما يلى : « تكون الإضافة على معنى (اللام) بأكثرية وعلى معنى (من) بكثرة وعلى معنى (فى) بقلّة » أ . ه .

والحق أن « الكثرة والقلة » لا يمكن ضبطهما هنا تماما ، لأن الشواهد والأمثلة لكل من هذه الصور أكثر من أن تحصى ، والأمر كله مرجعه للذوق اللغوى الذى بمقتضاه يمكن معرفة صورة الإضافة بتقدير (من) أو (فى) أو (اللام) .

الأسماء الملازمة للإضافة وما يجب أن تضاف إليه :

الأصل فى الأسماء العربية أن تكون صالحة لاستعمالها مضافة ، وأن تكون صالحة أيضا لاستعمالها مفردة - أى بغير إضافة .

لكن هناك أسماء فى اللغة خرجت على هذا الأصل ، فلا تستعمل أبدا إلا مضافة ، وأسماء أخرى خضعت لهذا الأصل ، لكنها إذا أضيفت التزمت الإضافة إلى أمور خاصة فى اللغة فوجب التنبيه عليها هنا لهذا السبب .

والحق أن استيفاء هذه الفكرة بفرعيها يحتاج لحديث طويل - موضعه مطولات النحو - ولذلك فإن ما يذكر هنا هو أهم ما يحيط بهذه الفكرة دون أن يشملها جميعا .

وأهم الأسماء الملازمة للإضافة أبدا تتلخص فيما يلى :

أولا : ما تلزم إضافته للضمائر :

(أ) كلمة (وَحْد) وتضاف للضمائر جميعا - الغيبة والخطاب والتكلم - فتقول : (سَهْرْتُ وَحْدِي) و (أَجَبْتُكَ وَحْدَكَ) و (عَبَدْتُ اللَّهَ وَحْدَهُ) ومن هذا قول الراجز :

لَمْ يَكْ شَيْءٌ يَا إِلَهَى قَبْلَكَ وَكُنْتَ إِذْ كُنْتَ إِلَهَى وَحْدَكَ ^(١)

(ب) ما يضاف لضمير الخطاب فقط ، وهى كلمات فى اللغة توصف بأنها « مصادر مثناة اللفظ وتفيد التكرار » وهى (لَبَّيْكَ - سَعْدَيْكَ - حَتَانِيكَ - دَوَائِكَ - هَذَاذِيكَ) ومعنى (لَبَّيْكَ) إجابة لك بعد إجابة ، والإجابة يتبعها الاستجابة ، ويتجه الحجاج لله قائلين : (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ) - ومعنى (سَعْدَيْكَ) إسعادا لك بعد

إسعاد ، فلك السعادة الدائمة ، ومن ذلك ما جاء فى الأثر عمن يحج من مال حرام أنه إذا قال : (لَبَّيْكَ) أجابه من السماء من يقول : (لا لَبَّيْكَ ولا سَعْدَيْكَ وَحَجُّكَ مردودٌ عليك) - ومعنى (حنانيك) حنانا منك بعد حنان ، فهو حنان غامر للمتعب الحزين ، ومن ذلك قول أحد الشعراء المعاصرين يتألم من تربية الصغار :

حَنَانِيكَ إِنِّي قَدْ بَرَمْتُ بِفَتِيَةٍ أُرُوحُ وَأُعْدُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَيْهِمْ
صَغَارٌ نَرَبِّهِمْ بِمَثَلِ عَقُولِهِمْ وَنَبْنِيهِمْ ، لَكِنَّا نَتَهَدَّمُ ^(١)

ومعنى (دَوَالِيكَ) حدوثا للأمر مرة بعد أخرى ، ومن ذلك العبارة الشائعة (وهكذا دَوَالِيكَ) ومعنى (هَذَاذِيكَ) إسراعا بعد إسراع فهي سرعة لا تتوقف ، ومن ذلك قول الراجز :

ضَرْبًا هَذَاذِيكَ وَطَعْنَا وَخَضَا
يُمَضِي إِلَى عَاصِيِ الْعُرُوقِ النَّحْضَا ^(٢)

وهذه المصادر تعرب على أنها مفعول مطلق لفعل محذوف من لفظها أو من معناها ، وجاء فى « أوضح المسالك » وعامل (لَبَّيْكَ - هذاذيك) من معناهما ، والبواقى من لفظها .

ثانيا : ما تجب إضافته إلى الجمل :

(١) كلمة (حيث) وهى اسم مكان مبهم مبنى على الضم ، وتضاف لكل من الجملتين الاسمية والفعلية كما جاء فى الأثر (اجلس حيث انتهى بك المجلس) . ومن النصائح المفيدة (اذهب إلى الريف حيث الحياة طُلُقَةٌ صافيةٌ مبهجةٌ) .

(١) أروح وأعدو : أذهب وأعود .

وموضع التمثيل فى البيتين فى قوله « حنانيك » فهى مصدر مثنى مفعول مطلق منصوب بالياء ، وقد أضيف إلى ضمير المخاطب .

(٢) ضربا هذاذيك : ضربا متابعا سريعا - طعنا وخضا : طعنا نافذا إلى الحشا - عاصى العروق : ما يسيل دائما حين يجرح ولا يتوقف كالشریان - النحض : اللحم . يقول : إنه ضرب سريع وطعن نافذ يقطع الشرايين ويخلط اللحم بالدم .

الشاهد : فى (هذاذيك) فهو من المصادر المثناة المضافة إلى ضمير المخاطب وهو مفعول مطلق لفعل محذوف من معناه تقديره (أسرع) .

هذا هو الأصل ، لكن وردت بعض الشواهد فى اللغة على غير هذا الأصل ، إذ أضيفت فيها (حيث) إلى المفرد لا إلى الجملة ، وهذه الشواهد تحمل على أنها لغة الشعر الخاصة ، ومن ذلك :

* قول الراجز :

أَمَا تَرَى حَيْثُ سَهِيلٌ طَالَعًا نَجْمًا يَضِيءُ كَالشُّهَابِ لَامِعًا ^(١)

* قول الآخر :

وَنَطَعْنُهُمْ حَيْثُ الْكُلَى بَعْدَ ضَرْبِهِمْ بِيِضِ الْمَوَاضِي حَيْثُ لَى الْعَمَائِمِ ^(٢)

(ب) كلمة (إذ) وهى اسم زمان للماضى مبنى على السكون ، وتضاف أيضا لكل من الجملتين الاسمية والفعلية ، كقولك : (فرحتُ إذ نجحت وإذ أصدقائى ناجحون أيضا) .

وهنا ينبغى التنبه إلى فكرة مفيدة هى : أن كلمة (إذ) ساكنة غير منونة فإذا نونت استغنى عن الجملة التى تضاف إليها بالتنوين الذى يطلق عليه « تنوين العوض » كقول الله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴾ [الآية ٨٤ سورة الواقعة] وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الآية ٤ سورة الزلزلة] .

(ج) كلمة (إذا) وهى - كما سبق فى أدوات الشرط - أداة شرط لما يستقبل من الزمان ، وتضاف لجملة الشرط بعدها ، ولا بد أن تكون جملة فعلية ولا يصح أن تكون جملة اسمية ، كقولك (إذا تواضعتُ فعن قدرة ، وإذا سكتُ عن الكلام فلحكمة) وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحْيُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾ [الآية ٨٦ سورة النساء] .

(١) سهيل : نجم معين - الشهاب : الشعلة .

الشاهد : فى « حيث سهيل » حيث أضيفت « حيث » إلى كلمة « سهيل » لا إلى جملة ، وهذه لغة الشعر الخاصة ، إذ المفروض أن تضاف إلى جملة .

(٢) الكلى : جمع كلية وهى معروفة ، والمقصود بالطعن حيث الكلى : الطعن فى الصدور والحشا - ببيض المواضى : بالسيوف القاطعة - حيث لى العمائم : حيث لف العمائم ، ومكانه الرأس .

يقول : إن طعننا بالرماح وضربنا بالسيوف كلاهما قاتل ، فنحن نطعن فى الصدور ونضرب على الرؤوس .

الشاهد : « حيث الكلى » فى الشطر الأول ، وأيضا « حيث لى العمائم » فى الشطر الثانى وقد أضيفت « حيث » فيهما إلى كلمة لا إلى جملة وهذه لغة الشعر الخاصة .

ثالثاً : ما تجب إضافته لاسم ظاهر أو مضمَر :

وهي ألفاظ أربعة ينبغي التعرف على معانيها وأمثلتها :

(أ) كلمة (لَدُنْ) جاء في ابن عقيل : هي لابتداء غاية زمان أو مكان ، وهي مبنية عند أكثر العرب أ . ه .

والأكثر في استعمالها أن تكون مجرورة بالحرف (مِنْ) كما جاء في قوله : ﴿أَتَيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الآية ٦٥ سورة الكهف] وهي في الآية مضافة إلى الضمير ، ومن إضافتها للاسم الظاهر قول الزجاج يصف (الملايا) :

تنهض الرعدة في ظهيري مِنْ لَدُنْ الظَّهِيرِ إلى العَصِيرِ (١)

(ب) كلمة (لَدَى) وهي مثل (لَدُنْ) في المعنى والإضافة ، تقول : (أودعتُ أسراري لَدَى صديقي ، فحفظها وصانها ، وأفرغتُ لَدَيْهِ شكوايَ فحفظها وواساها) .

(ج) كلمة (مَعَ) قال ابن هشام : هو اسم لمكان الاجتماع معرب أ . ه . فهي إذن تدل على مكان الالتقاء والاجتماع والصحبة ، ومن العبارات الشائعة بيننا (إن الله مع الصابرين) وأيضاً (أذهبوا ومعكم السلامة) .

وهنا ملاحظة مفيدة هي : أن كلمة (مع) إذا كانت بمعنى (جميعاً) فإنها لا تضاف بل تنون وتنصب على الحال ، تماماً مثل كلمة (جميعاً) تقول : (أجاذُ أفراداً فريقِ الكرة معاً) ومن ذلك قول « متمم بن نويرة » يرثي أخاه « مالكا » :

فلَمَّا تفرَّقنا كَأَنِّي ومالِكًا لطولِ افتراقٍ لم نبثْ ليلةً مَعًا (٢)

(ج) كلمة (قُصَارَى) جاء في القاموس : قُصَارَاكَ أى جهدكَ وغايتك أ.هـ .

(١) يقول : إن رعشة الحمى تتحرك في ظهري من الظهر إلى العَصِر .

الشاهد : في (من لدن الظهر) حيث جرت « لدن » بالحرف « من » وهذا هو الغالب فيها ، وقد أضيفت إلى الاسم الظاهر بعدها .

(٢) يقول : حين مات أخى « مالك » وطال على موته الزمان ، انتهى وانقضى كأنه ما عاش .

الشاهد : في « معاً » فهي بمعنى « جميعاً » فنصب على الحال ولا تضاف ، ولا حظ أن مضارع « بات » في قوله « لم نبث » ليس ناسخاً بل هو تام فيحتاج لفاعل هو الضمير المستتر .

تقول : (قصاراك أن تحيا سعيداً) وأكثر ما تستخدم فى نهاية كلام سابق ، فتقول : (قُصَارَى الْقَوْلِ) ثم تأتى بملخص مفيد لما سبق مع الكلام .

رابعا : ما يجب إضافته لمثنى ظاهر أو مضمّر :

وذلك كلمتان (كِلاَ - كِلْتَا) إذ يضافان لمثنى حقيقة ، وهو الاسم الظاهر المثنى ، مثل قوله تعالى : ﴿ كِلْتَا الْجَنَيْنِ ءَانَتْ أُكْلَاهَا ﴾ [الآية ٣٣ سورة الكهف] أو مثنى فى المعنى لا فى الحقيقة وهو الضمير الدال على التثنية ، مثل (كلاهما - كلتاهما) أو الضمير الذى يشمل المثنى وغيره ، مثل (كلانا) ، ومن ذلك قول عبد الله الزبعرى :

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدًى وكلا ذلك وَجْهٌ وَقَبْلُ (١)

الأسماء التى تضاف أحيانا وما تضاف إليه :

الصنف الثانى المشابه للصنف السابق الملازم للإضافة ، وهى بعض أسماء لا تلزم الإضافة دائما ، لكنها إذا أضيفت التزم فى المضاف إليه معها صفات خاصة ، ومن البين أن الفرق بين الاثنين أن الصنف الأول يلزم الإضافة بخلاف ما سنذكره هنا ، فإنه لا يلزم ، ومن البين أيضا أنهما يتشابهان فى حالة الإضافة فى اشتراط صفات خاصة فى « المضاف إليه » معهما - وإليك كلمات الصنف الثانى وشرح ما تضاف إليه .

أولا : بعض أسماء الزمان المبهمه مثل (حين - وقت - زمان - يوم إلخ) وهذه حين تضاف يجب إضافتها إلى الجمل اسمية أو فعلية بشرط واحد هو « أن تبقى على إبهامها » فتعامل حينئذ معاملة الكلمتين (إذ - إذا) معنى واستعمالا ، تقول : (ذهبتُ إلى المصيف زمنَ الجوِّ حارًّا) أو (ذهبتُ إلى المشتى حينَ جاءَ الشَّتَاءُ) أو (يوم يتهياً العربُ للوحدة سيتحدون) .

قال علماء النحو - رحمهم الله : وأسماء الزمان المبهمه حين تضاف للجمله فعلية أو اسمية يصح إعرابها فتتغير على حسب ما تشغله من الوظائف النحوية ،

(١) مدى : غاية - وجه : طريق وناحية - قبل : بفتح الباء : الحجة .

ويصح أيضا أن تبني على الفتح فلا يتغير شكلها في التركيب الذي وردت فيه كقولنا : (ليتنا امتلكننا حرّيتنا من وقت قامت الثورة العرايئة في القرن الماضي) فيصح أن تشكل كلمة (وقت) بالكسر إعرابا ، ويصح أن تشكل بالفتح بناء .

هذا هو الأصل في إعراب أسماء الزمان المبهمة حين الإضافة ، والتفصيل في الترجيح بين الإعراب والبناء أيهما هو الأحسن على الوجه التالي :

(أ) يترجح بناء الاسم المبهم على الفتح إذا كانت الجملة التي « أضيفت إليه » جملة فعلية فعلها ماض - وهو مبنى كما نعرف - أو فعلية فعلها مضارع مبنى أيضا - حينئذ يكون بناء المبهم أحسن حيث يتوافق مع ما أضيف إليه ومن ذلك :

● قول النابغة :

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصُّبَا
فَقُلْتُ أَلَمَّا تَصُحُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ ^(١)

● قول الآخر :

لَأَجْتَذِبَنَّ مِنْهُمْ قَلْبِي تَحَلُّمًا عَلَى حِينَ يَسْتَصْبِيحَنَّ كُلَّ حَلِيمٍ ^(٢)
فقد رويت كلمة (حين) في كلا البيتين بالفتح على البناء - وهو أحسن - وبالكسر على الإعراب وهو مرجوح .

(ب) ترجح إعراب الاسم المبهم على بنائه على الفتح ، وذلك إذا أضيف إلى

(١) الصبا : « بكسر الصاد » الميل إلى الشهوات والرغبات - وازع : ناه وزاجر ومانع .

الشاهد : في (على حين عاتبت المشيب) فإن كلمة (حين) اسم زمان مبهم وبعده جملة فعلية فعلها ماض هي (عاتبت المشيب) وقد أضيفت إليه ، وقد رويت كلمة (حين) بالفتح على البناء - وهو الأحسن - كما رويت بالكسر مجرورة معربة .

(٢) لأجتذبن : لأنزعن بعنف - تحلما : تكلفا للحلم وإظهارًا له - يستصبين : يستملن . يقول : سأحاول الانصراف عن النساء الفاتنات مظهرًا الحلم والهدوء وإن كنّ أقوى من كل حلم وهدوء .

الشاهد : في (على حين يستصبين) فإن كلمة (حين) من أسماء الزمان المبهمة ، وأضيف إليها جملة (يستصبين) وهي جملة فعلية فعلها مضارع مبنى - وقد رويت كلمة (حين) بالفتح على البناء - وهو الأنصح - وبالكسر مجرورة معربة .

جملة فعلية فعلها مضارع معرب - مضارع غير متصل بالنونين - أو أضيف إلى جملة اسمية - حينئذ يكون الإعراب أحسن ليتوافق مع ما أضيف إليه .

● قال الله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [الآية ١١٩ سورة المائدة] . قرئت الآية بضم كلمة (يوم) على الإعراب - وهو أحسن - وبفتحتها على البناء وهو مرجوح .

● يقول الشاعر :

تذكر ما تذكر من سُلَيْمَى على حين التَّوَّاصُلِ غَيْرُ دَانِي ^(١)

روى البيت بالوجهين فى كلمة (حين) بالكسر على الإعراب - وهو أحسن - وبالفتح على البناء وهو مرجوح .

وخلاصة الأمر فى اسم الزمان المبهم حين الإضافة ما يلى :

أنه يضاف للجملة ، والأفصح أن يتوافق بناء وإعرابا مع الجملة التى أضيفت إليه ، فيبنى على الفتح إذا كانت الجملة فعلية فعلها ماضٍ أو مضارع مبنى - ويعرب إذا كانت الجملة فعلية فعلها مضارع معرب أو كانت الجملة اسمية .

ثانيا : بعض أسماء المكان المبهمة مثل (قبل - بعد - أوّل - دون - أسماء الجهات الست - غُلُ - غير فى قولنا : ليس غير) وهذه الأسماء حين تضاف يجب إضافتها للمفرد سواء أكان ظاهراً أو مضمراً أ . هـ . يقال فى المثل : (الرفيق قبل الطريق) ويقال أيضا : (رُبَّ صداقةٍ بعد عداوة) وأيضاً (أوّل الغيثِ قطرٌ ثم ينهمرُ) .

هذا ، والكلمات السابقة تأتى فى اللغة على الصور الثلاث التالية :

الأولى : أن تكون منونة ، وهى حينئذ نكرة ومعربة ، كقولنا : (الله موجودٌ من قبل ومن بعدٍ) فهو (قَبْلٌ) بلا بداية وهو (بَعْدٌ) بلا نهاية ، ومن ذلك قول يزيد ابن الصّعق :

(١) غير داني : غير قريب بل بعيد .

الشاهد : فى (على حين التواصل غير داني) فإن كلمة (حين) من أسماء الزمان المبهمة وقد

أضيفت إليها جملة اسمية (على حين التواصل غير داني) وقد رويت كلمة (حين) بالكسر والإعراب - وهو الأحسن - كما رويت بالفتح بناء .

فَسَاغَ لى الشَّرَابِ ، وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَاذُ أَغْصُ بِالماءِ الحَمِيمِ (١)

الثانية : أن تكون هذه الكلمات مضافة ، فتعرب أيضا بحسب ما تشغله من الوظائف النحوية ، كقولك : (أخذتُ مكانى فى المدرج قبل دخول الأستاذ) أو (قمتُ نشيطا بعد نوم هنىء) .

الثالثة : أن تكون غير منونة وغير مضافة ، وهى حينئذ معرفة ، إذ تدل - بهذه الصورة - على « قبل شىء معين » أو « بعد شىء معين » أو « أول شىء معروف » وهكذا - ولعلماء النحو فى شكل آخرها اتجاهان :

(أ) ضم آخرها دائما ؛ وهى مبنية تلزم هذا الضم ولا تتغير ، كقولك : (كُنْتُ على وشك دخول الكلية ، ولكن رجعتُ من قبل) أو (حين تأتى الساعةُ الثامنةُ الليلةُ سأحضرُ إليك بعد) - ومن ذلك قول معن بن أوس :

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيُّنَا تَغْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ (٢)

(ب) أن تشكل بحسب ما تشغله من وظائف النحو ، فتتغير ، وهى حينئذ معربة ، كقولنا : (إن شاء الله سَُحِرُّ قَوَائِنَا سِيناء ، فتأتينا من شمالٍ وجنوبٍ وأمامٍ وخلفٍ) ومن ذلك :

قول الشاعر :

وَمِنْ قَبْلِ نَادَى كُلِّ مَوْلى قَرَابَةٌ فَمَا عَطَفْتُ مَوْلى عَلَيْهِ العَوَاطِفُ (٣)

وخلاصة الأمر فى أسماء المكان المبهمة ما يلى :

(١) ساغ : حل وعذب - الشراب : مطلق ما يشرب ، والمقصود هنا الخمر وكانوا يحرمونها إذا كان لهم ثأر - أغص : أصله وقوف الماء فى الحلق ، والمراد هنا التعبير عن حزنه وكرهه فيفقد شهيته ؛ فلا يجد لشيء مذاقا ولا عذوبة حتى الماء .

الشاهد : فى (كنت قبلا) حيث استعمل اسم المكان المبهم بالتثوين فهو نكرة معربة .

(٢) لأوجل : لأخاف - تعدو المنية : يهجم الموت .

الشاهد : فى (أول) فقد جاءت غير منونة وغير مضافة وهى اسم مكان مبهم بنى على الضم .

(٣) كل مولى : كل قريب - فما عطف مولى عليه العواطف : ما أجابه ولا نصره قريب .

يقول : حين نزلت الشدة ، نادى كل قريب أقباءه ، فما سمعوه ولا أجابوه لاشتغال كل منهم

بنفسه .

الشاهد : فى (من قبل) فقد استعملت غير منونة وغير مضافة ، وهى اسم مكان مبهم ، أعربت

تستعمل هذه الكلمات منونة فتعرب ، وتستعمل مضافة - لاسم ظاهر أو مضمّر - فتعرب أيضًا ، وتستعمل غير منونة وغير مضافة فيصح فيها الإعراب والبناء .

وبناء على ذلك يمكن توجيه الآتي :

- قرئ قوله تعالى : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الآية ٤ من سورة الروم] بكسر الكلمتين مع التنوين - وبالكسر دون تنوين - وبالضم دون تنوين .
- حكى أبو على الفارسي : (ابدأ بذا من أول) بضم اللام وفتحها وكسرها في (أول) .
- ما روى من قولهم : (قبضت عشرة ليس غير) بضم (غير) دون تنوين على أنها اسم (ليس) أو خبرها .

* * *

أساليب التعجب السماعية والقياسية

- ١ - المقصود بالتعجب لدى اللغويين والنحاة .
- ٢ - أساليب التعجب السماعية (المقصود بها - نماذج منها) .
- ٣ - ما يدل على التعجب يأتي على صيغتين هما :
(أ) ما أفْعَلَه .
(ب) أفْعِلْ به .
- ٤ - الصلة بين فعل التعجب والمتعجب منه ، ومتى يصح الفصل بينهما .

* * *

التعجب لدى اللغويين والنحاة :

نسمع الناس في حياتنا العادية يرددون في مواقف خاصة قولهم : (إذا عرف السبب بطل العجب) ومفهوم هذه العبارة بالطبع أن العجب دهشة تثير فضول الناس لأمر غريب عليهم إذا كان السبب في هذه الغرابة غير معلوم ولا مفهوم - فموقف التعجب لدى الرجل العادي يتحقق إذا توفرت ظروف هي : غرابة في أمر من الأمور مع جهل السبب بهذه الغرابة ، حينئذ تتحقق الدهشة التي قد يصحبها التعبير عنها بالصغير أو المصمصة أو الكلام .

ولعلنا بذلك نفهم ما يقوله اللغويون عن « التعجب » إذ يعرفونه بقولهم : انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر خفى سببه أ . ه . فهذا الانفعال النفسى - حتى بدون ألفاظ - يطلق عليه أنه « تعجب » لدى اللغويين .

أما النحاة فعرفوا التعجب بقولهم : استعظام زيادة في وصف المتعجب منه تفرد بها عن أمثاله أو قلّ نظيره فيها وقد خفى سببها ، مع التعبير عن ذلك بكلام يدل على الدهشة والاستغراب أ . ه .

فالنحاة في ذلك يتفقون مع استعمال التعجب في حياتنا العادية ومع ما رآه اللغويون عنه من حيث وجود الأمر الغريب الذى خفيت أسباب غرابته - لكنهم يتفردون بتخصيص التعجب بنطق كلامى يدل على الدهشة والاستغراب

ويقصدون بذلك صيغ التعجب التى ستأتى تفصيلا ، فالتعجب لا يتحقق لدى النحويين إلا بهذا النطق ، كقولنا : (ما أزوَّع العِلْمَ فى عصرنا) .

أساليب التعجب السماعية :

يقصد بها تلك الأساليب التى هى أصلا لغير التعجب ، ثم تدل عليه بالاستعمال المجازى ، فالألفاظ المنطوقة لهذه الأساليب لا علاقة لها بالتعجب فهى مستعملة فى اللغة لغيره ، ومعانى هذه الألفاظ فى الأصل لا يفهم منها التعجب ، لكنها دلت عليه دلالة عارضة عن طريق المجاز وظروف النطق .

من تلك الأسباب التى وردت عن العرب ما يلى :

● قول الله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الآية ٢٨ من سورة البقرة] فكلمة (كيف) أصلا بلفظها ومعناها للاستفهام ، ولكنها دلت على التعجب دلالة عارضة على سبيل المجاز ، ومثل ذلك كل استفهام دلَّ على التعجب .

● قول الرسول ﷺ : « سُبْحَانَ اللَّهِ !! إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجَسُ حَيًّا وَلَا مَيِّتًا » .

فسبحان الله : بلفظها ومعناها للدعاء والعبادة ، ثم استخدمت فى التعجب على غير الأصل .

● قول عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما : (لله درُّ ابن حَتَّمة أى رجل كان !!) .

جاء فى القاموس : لله درّه : أى عمله ، ونسبة العمل لله لا تدل أصلا على التعجب ، ولكنها دلت عليه - فى هذا الموقف - عن طريق المجاز .

● ما ورد من قول العرب : (لله أنت من رجل !!) فنسبة المخاطب لله لا تدل على التعجب ، لكن لورود هذا الأسلوب غالبا فى مواقف الإعجاب والدهشة أفاد معنى التعجب .

صيغ التعجب القياسية :

يقصد بها تلك الصيغ التى تدل بلفظها ومعناها على التعجب ، فهى بلفظها معدة لذلك صرفيا ، وهى بمعناها تدل على التعجب ، وهكذا استعملتها اللغة .

والصيغ القياسية اثنتان هما :

(أ) ما أَفْعَلَهُ : مثل (ما أَعْظَمَ شَعْبَنَا وما أَرْوَعُهُ عند الخطوب وما أَوْفَاهُ للمخلصين من أبنائه) .

(ب) أَفْعَلْ بِهِ : مثل (أَكْرِمَ بِرِجالِ شعبنا وَأَهْوِنَ بالخطوبِ مع عَزَماتهم) .

وإليك تفصيل الحديث عن هاتين الصيغتين :

ما أَفْعَلَهُ :

تتكون هذه الصيغة من أمور ثلاثة هي ما + فعل التعجب + المتعجب منه ، وفي كل واحد من الثلاثة حديث طويل يمكن تقريبه بما يلي :

(أ) ما : نكرة بمعنى (شئ عظيم) فهي إذن في قوة الموصوفة ، ولذلك صح الابتداء بها ، فهي إذن مبتدأ - وهذا الرأي السابق أشهر الآراء فيها .

(ب) فعل التعجب : وهو فعل ماض جامد لا يتصرف مثل (ليس - عسى) إذ تدخل عليه نون الوقاية فتقول : (ما أَخَوَجَنِي إلى الإخلاص ، وما أَفَقَّرَنِي إلى عفو الله) وفيه ضمير مستتر يعود على : (ما) أداة التعجب ، والجملة كلها خبر (ما) - وهذا الرأي السابق أشهر ما قيل عن الفعل ، بصرف النظر عن قالوا باسميته .

(ج) المتعجب منه : وهو الاسم المنصوب الذي يأتي بعد فعل التعجب وهو منصوب على أنه مفعول به مكمل للجملة الفعلية الواقعة خبرا - وهذا أيضا أشهر الآراء فيه .

نقول : (ما أَشْهَلَ النَّحْوَ حين يُشرح وما أَضْعَبَهُ مع غُمُوضِ معناه) ونقول أيضا : (ما أَجْمَلَ الْحَلَمَ مع المَهْدَبِ الكريم وما أَقْبَحَ الضَّعْفَ مع السَّفِيهِ اللَّثِيمِ) .

أَفْعَلْ بِهِ :

تتكون أيضا من أمور ثلاثة هي فعل التعجب + الباء + المتعجب منه .

(أ) فعل التعجب : يصفه المعربون بقولهم : (فعل ماض جاء على صورة الأمر) وهي عبارة غريبة !! فكأنما هذا الفعل في التقدير ماض ، وفي الصورة فعل أمر ، ويترتب على ذلك أمران :

أولهما : أن يعرب هو نفسه على أنه فعل أمر .

ثانيهما : أن يعرب ما بعده على تقدير أنه فعل ماض .

(ب) الباء : حرف جر زائد ، فالاسم الذى بعدها مجرور بها لفظا ، لكنه فاعل تقديرًا .

(ج) المتعجب منه : يجر بالباء لفظا ، لكنه فاعل فى التقدير لفعل التعجب باعتبارها فعلا ماضيا فى التقدير أيضا .

هكذا حُلِّلْتُ هذه الصيغة هذا التحليل الغريب ، ومع ذلك فإنه هو الاتجاه المشهور بين النحاة والمعرّبين فى تحليلها ، بصرف النظر عن اتجاهات أخرى لا داعى لذكرها - فلنتأمل الآتى :

أصلها تقديرًا

جملة التعجب

أَصْدَقُ بِكَلَامِ الرَّسُولِ فى شئون الحياة { أَصْدَقَ كَلَامُ الرَّسُولِ فى شئون الحياة
أَعْدَبُ بِالْقُرْآنِ أدبًا وتهذيًا { أَعْدَبَ الْقُرْآنُ أدبًا وتهذيًا
أَعْظِمُ بِالْعِلْمِ فى العصر الحديث نفعا { أَعْظَمَ الْعِلْمُ فى العصر الحديث نفعا
ويقال : إن الهمزة فى الأفعال الماضية (أَصْدَقَ - أَعْدَبَ - أَعْظَمَ)
للضيرورة ، فمعنى (أَصْدَقَ كَلَامُ الرَّسُولِ) أنه (صار ذا صدق عظيم) ثم حُوِّلَ
للأمر ، وزيدت معه « الباء » ، وكذا الباقي أ . ه .

الصلة بين أجزاء صيغتي التعجب :

الأصل فى صيغتي التعجب مجيئهما على الترتيب الذى سبق شرحه ، فلا يتقدم عليهما معمولهما ، كما لا يصح أن يفصل شيء بين مكونات جملة التعجب بترتيبها السابق ، وبعبارة أقرب : لا يفصل شيء بين « ما » وفعل التعجب ولا بين فعل التعجب والمتعجب منه .

هذا هو الأصل ، لكن استدركت عليه أمور ثلاثة هى :

(أ) جواز الفصل بين « ما » و « فعل التعجب » بكان الزائدة تقول : (ما كان أَصْبَرَ الرَّسُولَ على أذى المشركين ، وما كان أَثْبَتَ الْمُسْلِمِينَ على عقيدتهم مع هذا الأذى) وتقول : (ما كان أَتْعَسَ شَعْبُنَا غَدَاةَ الْهَزِيمَةِ ، وما كان أَقْوَاهُ إِذْ تَمَاسَكُ مِنْ جَدِيدٍ) .

(ب) جواز الفصل بين فعل التعجب والمتعجب منه بالجار والمجرور - ومن ذلك :

* قول العرب : ما أحسنَ بالرجُل أن يصدُقَ وما أقبحَ به أن يكذبَ .

* قول عمرو بن مَعْدِيكَرَب عن بنى سُلَيْم : لله دُرٌّ بنى سُلَيْم ما أحسن في الهيجاء لقاءها وأكرم قى اللزبات عطاءها وأثبت في المكرمات بقاءها .

* قول الشاعر :

خليلي ما أخرى بذى اللب أن يرى صبورًا ولكن لا سبيل إلى الصبر^(١)

(ج) جواز الفصل بين فعل التعجب والمتعجب منه بالظرف ، تقول : (ما أثبت لحظّة الهول المؤمن وما أجبّن ساعة اللقاء المنافق) - ومن ذلك قول مَعْن بن أَوْس :

أقيمُ بدار الحزم ما دام حزمُها وأخِر إذا حالت بأن أتحوّلا^(٢)

ملاحظة مهمة : صياغة « التعجب » من الأفعال مبحث صرفي ، ومع ذلك سيأتى فى « اسم التفضيل » إذ يتفقان فى شروط تلك الصياغة (انظر ص ٥٤١) مع ملاحظة اختلاف التعجب عن التفضيل .

(١) ما أخرى : ما أجدر وما أحق - بذى اللب : بذى العقل .

يقول : من اللائق بذى العقل أن يتصف بالصبر ، فهذا مطلوب حقا لكن لا سبيل إليه .

الشاهد : فى (ما أخرى بذى اللب أن يرى صبوراً) حيث فصل بين فعل التعجب (أخرى) والمتعجب منه وهو المصدر المؤول من (أن يرى صبوراً) الجار والمجرور (بذى اللب) - وهذا جائز نحويًا .

(٢) بدار الحزم : « الحزم » الحكمة ، ودار الحزم : المكان الطيب الصالح - وأخر : أجدر - إذا حالت : إذا تغيرت وصارت الإقامة فيها عناء - بأن أتحولا : أن أتركها وأرحل عنها .

يقول : إننى أقيم بالمكان الصالح الطيب ، فإذا تغير وضاق به الرزق ، فالجدير بالمرء أن يتركه ويرحل عنه .

الشاهد : فى (أخر - إذا حالت - بأن أتحولا) حيث جاء فعل التعجب (أخرى) والمتعجب منه (بأن أتحولا) ، وفصل بينهما الظرف (إذا) .

التوابع الخمسة

تمهيد :

تكاد كتب النحو الكبرى تتفق في تعريف « التابع » على عبارة واحدة هي : « التابع هو الاسم المشارك لما قبله في إعرابه الحاصل والمتجدد وليس خبرا » أ. هـ .

والإعراب « الحاصل » يقصد به الإعراب الموجود فعلا في الجملة - أي جملة - وفيها يشارك التابع متبوعه رفعا أو نصبا أو جرا ، وربما أيضا تبعه في الجزم إذا كان المتبوع فعلا - وهو قليل .

نقول : (المجتمع المتحضر يرأى الضمير الوازع قبل القانون الرادع) فمن الملاحظ أن الكلمات (المتحضر - الوازع - الرادع) تتبع ما قبلها في الإعراب ، الأولى تبعته رفعا ، والثانية تبعته نصبا ، والثالثة تبعته جزًا .

ويقصد « بالمتجدد » ما إذا تغيرت الجملة ، فتغيرت وظائف الكلمات المتبوعة فيها ، حينئذ تتغير أيضا وظائف الكلمات التابعة لها ، فإذا غيرنا الجملة السابقة فقلنا : (إن المجتمع المتحضر يرأى فيه الضمير الوازع سابقا القانون الرادع) فإنه يلاحظ تغير التوابع في إعرابها بعد أن تجدد إعراب المتبوعات في الجملة الجديدة .

ويبقى هذا القيد الأخير « ليس خبرا » ويقصد به صورة واحدة من صور الخبر هي (الأخبار المتعددة) فنحن نقول مثلا (عصرنا علم عمل قوة) فالأخبار المتتالية متفقة في الإعراب ، فلو غيرنا الجملة اتفقت في الإعراب أيضا ، فنقول (أصبح عصرنا علما عملا قوة) كلها أيضا منصوبة ، ومع ذلك لا يعتبر الثاني أو الثالث منها من التوابع مع أنه يتبع ما قبله في إعرابه الحاصل والمتجدد ، لأنه خبر ، ومشروط في التابع ألا يكون خبرا .

هذا ، ومما يعرض له النحاة في حديث التوابع البحث عن العامل فيها كما هو الشأن في بحثهم عن عوامل كل الوظائف النحوية ، ويختلفون في ذلك اختلافا كثيرا ، وهو موضوع غير مفيد نحويا ، لكنه صورة ذهنية لمشاكل العامل

وفلسفته فى النحو ، فليكن العامل فى المتبوع هو العامل التابع ، أو فليكن العامل فى التابع معنويا ، أو فليكن العامل محذوفا مماثلا للمذكور للمتبوع ، فكل ذلك لا يفيد شيئا ، والمفيد حقا أن يذكر أن التابع يماثل ما تبعه فى إعرابه ، وهذا يكفى .

والتوابع خمسة هى :

١ - النعت = الصفة : كقولنا : مصاحبةُ الأشرارِ المنحرفين تُورثُ سوءَ الظنِّ بالأبرارِ المستقيمين .

٢ - التوكيد : كقول الله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الآية ٧٣ من سورة ص] .

٣ - عطف البيان : كقولنا : من مفاخر الإسلام عهدُ الصديقِ أبى بكرٍ والفاروقِ عمرَ .

٤ - عطف النسق : كقولنا : التوابع هى النعتُ والتوكيدُ والبيانُ والنسقُ والبدلُ .

٥ - البدل : كقولنا : يحترم المجتمع المرأةَ تعليمَها وأخلاقَها .

* * *

النعته = الصفة

- ١ - معنى النعت لدى اللغويين والنحاة ، وما يفيدده للمنوعات من معاني نحوية وبلاغية .
- ٢ - المقصود بالمصطلحين النحويين (النعت الحقيقي - النعت السببي) وكيفية مطابقتهما للمنوعات .
- ٣ - ما يُنْعَتُ به هو (المشتق - ما يشبه المشتق - المصدر - الجملة - شبه الجملة) .
- ٤ - قطع النعت عن المنوعات (معناه - الأسلوب الذي يرد فيه) .
- ٥ - حذف كل من النعت أو المنوعات .

* * *

معنى النعت :

اختار النحاة كلمة « النعت » دون « الصفة » وإن كان كلاهما بمعنى واحد في اللغة - فقد جاء في أساس البلاغة : هو منوعات بالكرم وبخصال الخير ، ومن كلام العرب : هو حُرُّ المنايِتِ حَسَنُ المناعت ، أى : طيِّب الأصل حسن الصفات .

فالغالب على تعبير النحاة أن يقولوا (النعت والمنوعات) وتساوى تماما (الصفة والموصوف) لكنَّ المعربين - وبخاصة المبتدئين - على العكس من ذلك ، إذ الغالب عليهم أن يستعملوا الصفة والموصوف ، ويقل في كلامهم أن يستعملوا النعت والمنوعات .

أما لدى النحاة فقد اختلفت الألفاظ التي تحدد النعت ، وإن تلاقت جميعها في النهاية على معنى واحد ، والذي يستخلص من مجموع كلامهم أن النعت يمكن تحديده بما يلي :

هو الاسم المشتق أو المؤول بالمشتق الذي يكمل به المنوعات بيان صفة من صفاته أو من صفات اسم آخر له صلة بالمنوعات أ . ه .

فالذى يجب أن يتوافر للنعت إذن هو الصفات التالية :

(أ) أن يكون مشتقا أو مؤولا بالمشتق - سيأتى بيانهما - كما تقول : (أنا إنسانٌ مُعْتَزٌّ بعروبته ، قد أكونُ مُوَاطِنًا مصريًا ، لكننى أتكلم لغةً عربيةً ، وأعيشُ فوق أرضٍ عربيةٍ) .

(ب) أن يكمل به المنعوت ، والمقصود بذلك أن يكون تابعا له ، فيتكامل معناه ، فالمنعوت فى حاجة إليه ، وهو متمم لمعناه ، كما تقول : (ذاكرتُ مذاكرةً جيدةً بنفسٍ راضيةٍ وعقلٍ متفتّحٍ) .

(ج) أن يدل على صفة فى المنعوت - وهذا هو الأصل فى النعت - أو صفة لاسم آخر يأتى بعده له صلة بالمنعوت ، فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

انتبه الطالبُ المتفتّحُ - انتبه الطالبُ المتفتّحُ عقله

دخلتُ حديقةً مزهرةً - دخلتُ حديقةً مزهرةً أشجارها

المعانى النحوية والبلاغية التى يفيدها النعت :

عبارة واحدة تحدد ما يفيد النعت نحويا هى : (النعت يوضح المعارف ويخصص النكرات) فالنعت إذن يفيد أحد أمرين :

الأول : توضيح المعارف : فإذا كان المنعوت معرفة ، كانت مهمة النعت أن يجعله أكثر لنا ، تقول : (شوقى الشاعرُ لُقِّبَ بأمرير الشعراء سنة ١٩٢٧) أو (العقادُ الكاتبُ مفكّرٌ عظيمٌ أجاد كتابةً العبقريات الإسلامية) .

الثانى : تخصيص النكرات : فإذا كان المنعوت نكرة ، كانت مهمة النعت تخصيصه ، بمعنى التقليل من إبهامه ، وتقريبه نوعا ما من الوضوح ، كقولنا : (يحتاجُ العلمُ إلى قلبٍ مفتوحٍ وعقلٍ متفتّحٍ) .

فالغرضان السابقان يفيدهما النعت نحويًا ، ولا يخلو أسلوب من أساليبه من واحد منهما ، ومع ذلك فإنه يفيد معانى أخر إلى جوارهما ، وهى معانٍ بلاغية لا نحوية ، وهى كثيرة يحددها أسلوب الكلام الذى وردت فيه . وإليك بعض هذه المعانى بصرف النظر عن الخلاف حول عدها ، فهو خلاف لا طائل وراءه ؛ لأنها - كما سبق - معانٍ بلاغية أسلوبية ، ومنها :

- (١) المدح : كقولك : (لى صديقٌ كريمٌ النفس طيبُ الأخلاق) .
- (٢) الذم : كقولك : (أحتقرُ الضيفَ الثقيلَ والزائرَ المطيلَ والمضيفَ البخيلَ) ومن ذلك قولنا فى بداية القراءة : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) .
- (٣) الترخُّم والاستعطاف : كقول المحامى فى موقف القضاء : (انظروا إلى هذا المتهَم المظلوم ، فإنه أبُّ لأبناءِ مساكينَ) .
- (٤) التوكيد : إذا كان معنى النعت مستفادا من المنعوت ، كقول العرب : (أمس الدابرُ المنقضى زمانه لا يعود) وقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [الآية ١٣ من سورة الحاقة] .
- (٥) التعميم : كقولنا : (تُطبَّقُ العدالةُ على الناسِ الفقراءِ والأغنياءِ الصغیرِ منهم والكبيرِ) ومن ذلك ما ورد فى الأثر : (إن الله يرزقُ عباده الطائعين والعاصين الساعيةَ أقدامهم الساكنةَ أجسامهم) .
- (٦) التفصيل : كقولك : (زارنى صديقان قاهرى وريفى) أو (قرأت كتابين نحوياً وأديباً) .
- إلى غير ذلك من الأغراض - وهى كثيرة تعرف من سياق الكلام الذى وردت فيه .

النعت الحقيقى والنعت السببى :

« الحقيقى والسببى » مصطلحان نحويان مشهوران ينسبان لباب النعت يصفان الصورتين اللتين يرد عليهما النعت فى اللغة العربية ، وكل منهما فى حاجة إلى فهم أمور ثلاثة عنه هى :

(أ) المقصود بهذه التسمية ، وبعبارة أخرى : لماذا سُمى الأول حقيقياً والثانى سببياً .

(ب) تصور النحاة لهما ، أو بعبارة أخرى : تحديد النحاة لكلتا الصورتين.

(ج) صفات التطابق النحوية التى ينبغى أن تصحب كل واحدة من الصورتين

النعت الحقيقي :

الإجازة فرصة طيبة لراحة الجسم المُجهد والعقل المكدود .
والحياة فرصة فريدة للعمل النافع والعيش المريح .

يسمى هذا النعت « حقيقيا » لأنه بالنسبة للمنوعت صفة حقيقية له من حيث المعنى ومن حيث اللفظ ، ولنتأمل في الأمثلة السابقة (فرصة طيبة - الجسم المجهد - العقل المكدود - العمل النافع - العيش المريح) حيث نجد الكلمة الثانية أدت مهمة النعت للكلمة التي سبقتها سواء أكان ذلك من حيث المعنى أم اللفظ - وقد جاء في تنقيح الأزهريّة توضيح ذلك بما يلي : « سمي هذا النعت حقيقيا لجريانه على المنعوت لفظا ومعنى ، أما لفظا فلأنه تابع له في إعرابه ، وأما معنى فلأنه نفسه في المعنى » أ . ه .

لذلك : حدد النحاة هذا النعت بتعريفات متعددة يجمعها كلها الآتي :

النعت الحقيقي : هو ما اتجه لمتبوعه السابق عليه في المعنى وفي اللفظ فهو من حيث المعنى قد أفاد صفة للمتبوع السابق ، ومن حيث اللفظ يتبعه في الإعراب وأحوال التطابق الأخرى ؛ فمن كلام الرسول ﷺ : (المؤمن القوى خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف) . ونقول : (القوة الجاهلة حماقة مهلكة ، والقوة العاقلة شجاعة مفيدة) .

فالصلة إذن في هذه الصورة بين النعت والمنعوت صلة قوية جدا ، ومن أجل ذلك يجب التطابق التام بينهما ، بأن يتفق النعت مع المنعوت السابق عليه في الآتي :

(أ) أوْجُه الإعراب ، الرفع والنصب والجر .

(ب) التعريف والتذكير .

(ج) الأفراد والتثنية والجمع .

(د) التذكير والتأنيث .

فهذه صفات عشر يحمل النعت ومنعوته أربعاً منها في كل مثال ، حيث

الصديقُ الوفيُّ خيرٌ من أخٍ شقيقٍ
الصديقان الوفيَّان خيرٌ من أخوين شقيقين
إنَّ الأصدقاء الأوفياء خيرٌ من الإخوة الأشقاءِ
الصديقةُ الوفيَّةُ خيرٌ من أختٍ شقيقةٍ

ولعلنا بعد هذا الشرح السابق نفهم تلك العبارة المشهورة بين المشتغلين
بالنحو - والمعرّبين منهم خاصة - عن النعت الحقيقي وهي : (يتبع النعت
الحقيقي معنوته في أربعة من عشرة) ويقصدون بذلك أنه يتفق معه في واحد من
أوجه الإعراب الثلاثة - وفي واحد من التعريف أو التنكير - وفي واحد من الأفراد
أو التثنية أو الجمع - وفي واحد من التذكير أو التأنيث ، فيجتمع فيه في وقت
واحد أربع صفات من عشر - وهكذا هو دائما .

النعت السببي :

وَوَيْلٌ لِّلْأُمَّةِ سَائِدٌ جُهَاثًا مُّتَحَكِّمٌ فِيهَا سَفَهَاوُهَا
وَوَيْلٌ لِّلشَّعْبِ صَامِتٍ عِقْلًاوُهُ مُتَسَلِّطَةٌ عَلَيْهِ أَهْوَاؤُهُ

يسمى هذا النعت « سببياً » لأنه في الحقيقة وواقع الأمر ليس تابعا للاسم
السابق عليه من حيث المعنى ، فهو لا يتجه إليه ، وإنما يتجه للاسم الذي يأتي
بعده ، ففي الأمثلة السابقة مثلاً يلاحظ أن (السيادة) متجهة للجُهاث لا للأمة ، وأن
(التحكم) متجهة للسفهاء لا للأمة أيضا ، وكذلك (الصمت) للعقلاء لا للشعب ،
ومثله (التسلط) للأهواء لا للشعب .

فهذه الصورة إذن - بهذا الاعتبار - خارجة عن مفهوم التوابع لولا أن الاسم
المتأخر الذي يتجه إليه الوصف يحمل ضمير الاسم السابق على الوصف كما
يلاحظ في (جهاثها - سفهاؤها - عقلاؤها - أهواؤها) - فهذا الضمير إذن صلة بين
المتبوع المتقدم والموصوف الحقيقي - إنه سفير بينهما - وأدى بالتالي إلى وجود
صلة بين الوصف والمتبوع المتقدم ، فهو إذن سبب اعتبار هذه الصورة في اللغة
من باب النعت ، وأطلق عليها النحاة اسم « النعت السببي » بسبب هذا الضمير .

وقد عرف النحاة هذه الصورة من صور النعت تعريفات متعددة يمكن

النعته السببي : ما أتجه من حيث المعنى لوصف اسم ظاهر بعده مرفوع
واتجه من حيث اللفظ إلى المتبوع السابق عليه ، ووجدت الصلة بين المتبوع
المتقدم والموصوف المتأخر بضمير يحمله الاسم اللاحق .

فلنلاحظ الأمثلة التالية :

يُحترمُ الناسُ كلَّ فتاةٍ متينةٍ أخلاقُها

فتاة : متبوع متقدم

متينة : نعت سببي

أخلاقُها : مرفوع متأخر بالنعته

وفيه ضمير للمتبوع

الفتاة : متبوع متقدم

الشريف : نعت سببي للفتاة

اسمها : مرفوع متأخر بالنعته ،

وفيه ضمير المتبوع

الأخرى : المتبوع المتقدم

السَّيِّئة : نعت للأخرى

سمعتُها : مرفوع بالنعته ، ويحمل

ضميرًا يعود إلى كلمة (الأخرى)

فهم يُقبلون على الفتاة الشَّريفِ اسمُها

ويُعرضون عن الأخرى السَّيِّئة سمعتُها

فالنعته السببي - كما سبق فهمه - يتنازعه المتبوع السابق عليه والمرفوع به
اللاحق له من حيث اللفظ والمعنى ، فكيف يكون موقفه من حيث أحوال التطابق
العشرة السابقة في النعته الحقيقي ؟؟

لقد روعي كلا الجانبين في هذا النعته من حيث أحوال التطابق على التفصيل
التالي :

(أ) يراعى جانب المتبوع السابق في أحوال الإعراب الثلاثة ، وفي التعريف

(ب) يراعى جانب الاسم المرفوع به اللاحق فى الأمور الخمسة الباقية وهى الأفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث ، فيعامل النعت حينئذ باعتباره عاملا رفع الاسم الظاهر بعده (راجع باب الفاعل) فيبقى دائما مفردا فلا يثنى أو يجمع - كما هو شأن الفعل مع الفاعل فى اللغة الفصحى - ويذكر أو يؤنث بحسب التفصيل الذى مر فى باب الفاعل - فلنطبق ذلك على ما يلى :

● قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ [الآية ٧٥ من سورة النساء] .

● قول الشاعر :

لَحَا اللَّهُ وَفَدَيْنَا وَمَا ارْتَحَلَا بِهِ مِنْ السَّوَةِ الْبَاقِي عَلَيْهِمْ وَبِأَلْهَا^(١)

هذا : وقد وضع النحاة علامة يمكن بواسطتها التفريق بين الصورتين السابقتين للنعت قالوا :

النعت الحقيقى : ما رفع ضميرا مستترا يعود إلى المنعوت ، نحو (جاء محمد العاقل) .

والنعت السببى : ما رفع اسما ظاهرا متصلا بضمير يعود إلى المنعوت نحو (جاء محمد العاقل أبوه) أ . ه .

ما يُنعت به :

الذى يقع نعتا أمور خمسة هى : المشتق والمؤول به والمصدر والجملة وشبه الجملة - ولكل منها حديث يخصه على التفصيل الآتى :

أولا : المشتق :

هذا هو الأصل فى النعت ، ولا يقصد المشتق عامة ، بل يقصد نوع خاص

(١) لحا الله : جاء فى القاموس « لحاه يلحوه » شتمه ، وهذه الجملة تستعمل فى الدعاء على المخاطب بالسب واللعن - السوءة : النقيصة والخزى - وبألها : هلاكها .
المعنى : إن لنا وفدين يستحقان السب والشتم ، فقد ارتحلا بالعار الذى بقيت بعدهما آثاره وشاره .

الشاهد : فى (من السوءة الباقى عليهم وبألها) فإن (الباقى) نعت سببى ومتبوعه (السوءة) والمرفوع به (وبألها) وقد روعى المتبوع فى الإعراب فهو مجرور مثله ، وفى التعريف ، فكلاهما فيه (ال) وروعى فى وجهه التطابق الباقية المرفوع باعتباره فاعلا له ، فبقى النعت مفردا ومذكرا ، لأن المرفوع يقتضيه كذلك .

منه هو الوصف ، ويقصد به - كما تقدم فى الحال - ما دل على حدث وصاحبه وذلك :

(١) اسم الفاعل : كما جاء فى الأثر : (الغنى الشاكر خيرٌ عند الله من الفقير الصابر) .

(٢) اسم المفعول : كقولنا : (شيئان يجلبان العار : الحق المنهوب ، والشرف المسلوب) .

(٣) الصفة المشبهة : كقولنا : (لا يستوى فى الميزان الرجل الشجاع والآخر الجبان) .

(٤) أمثلة المبالغة : كقولنا : (قوامُ الإنسانِ شيءان : لسانٌ قَوَّالٌ ، وقلْبٌ مَقْدَامٌ) .

(٥) أفعال التفضيل : كقولنا فى سجود الصلاة : (سبحانَ ربِّنا الأعلى) .

ثانيا : ما يشبه المشتق :

ويقصد به الأسماء الجامدة التى يمكن أن تؤول بمشتق ، أى يمكن أن يتصور من معناها اسم مشتق تدل عليه .

ومن البين أن هذا الصنف على خلاف الأصل ، وهى أمور كثيرة من أشهرها ما يلى :

(١) أسماء الإشارة ، ولا بد أن تكون بعد أسماء معارف ، ليتفق الاثنان فى التعريف ، كقولنا : (قابلتُ صديقى هذا فى الشارع ذاك) .

ويؤول ذلك بكلمة (المشار إليه) وهى مشتقة - وأيضاً أسماء الموصول المبدوءة بهمزة الوصل ، مثل (القرآن كلام الله الذى أنزل على محمد) .

(٢) ما كان بمعنى صاحب من الأسماء ، وذلك (ذو) وما تفرع عنها وكذلك (أولو) و(أولات) - وقد تقدم ذكرها جميعاً - كقولنا : (شعبنا شعبٌ ذو تاريخ ، وأمتنا أمةٌ ذاتُ حضارة ، ففيها فتياً أولو خبرة ، وفتياتٌ أولاتُ أخلاق) .

ويؤول ذلك بكلمة (صاحب) وما يتفرع عنها - وهى مشتقة .

(٣) ما كان من الأسماء مختوما بياء النسب : كقولنا : (ما زال الإنسانُ

ويؤول هذا بكلمة (المنسوب إلى كذا) وهى مشتقة - وأيضا كلمة (ابن) ، بين علمين وليست خبرا ، مثل (عاش محمد بن عبد الله فقيرا ومات فقيرا) .
 (٤) أسماء الأعداد ، كقولنا : (يتكون بابُ النعتِ من أفكارِ خمسٍ) أو «ألقيتُ المحاضرةَ على الطلابِ التسعين» .
 وهذا يؤول بتقدير كلمة (المعدود) وهى مشتقة .

(٥) لفظة (أى) إذا أضيفت لنكرة تماثل المنعوت فى المعنى ، كقولنا : (كان عمرُ بنُ الخطابِ عادلاً أى عَدْلٍ) أو (اتَّخَذَ النَبِيُّ ﷺ أبا بكرٍ صاحباً أى صاحبٍ) - ومثل ذلك الألفاظ (كلّ - جدّ - حقّ) مضافة لاسم جنس يكمل معنى الموصوف ، مثل (هذه هى الحقيقةُ كلُّ الحقيقة) و(أنت صديقُ جدِّ وفئ) أو (أنت الصديقُ حقُّ الصديق) .

ثالثاً : المصدر : قال ابن مالك :

ونعتوا بمصدرٍ كثيرا فالتزموا الإفرادَ والتذكيرا

ومن البين أن المصدر اسم معنى جامد ، فالنعت به على خلاف الأصل . ومن صفته حين ينعت به أن يلتزم دائما الإفراد والتذكير ، فلا يثنى أو يجمع وكذلك لا يؤنث ؛ تقول : (كان الخلفاء الراشدون رجالاً عَدْلًا فى حكمهم) ويقال : (شهادةُ امرأتين عَدْلٍ تقوم مقام رجلٍ فردٍ) .

وليس من المفيد التعرض هنا لخلاف العلماء حول علاقة المصدر بالمنعوت « من النعت بلفظه أو تأويله بمشتق أو تقدير مضاف معه » وإنما المفيد أن يعلم أن المصدر يقع نعتاً بكثرة ، تماما كما يقع حالا بكثرة فى اللغة .

رابعا : الجملة الاسمية والفعلية :

نقول : (دعا الإسلامُ إلى أمةٍ كلمتها واحدةٌ ، وإلى مجتمعٍ يتكافلُ أهلُه ليعيش المسلمون قوّةً لا تُقهرُ وحُبًّا لا غشٌّ فيه) .

ففى العبارة السابقة أربع جمل وقعت صفات هى :

كلمتها واحدة { جملة اسمية فى محل جر صفة لكلمة (أمة)

يتكافل أهلُه { جملة فعلية فى محل جر صفة لكلمة (مجتمع)

لا تقهر { جملة فعلية فى محل نصب صفة لكلمة (قوة)
 لا غش فيه { جملة اسمية فى محل نصب صفة لكلمة (حبا)
 وأهم الصفات الواجب توافرها فى الجملة الخبرية - لا الإنشائية - التى تقع
 صفة - كما يلاحظ على الأمثلة السابقة - ما يلى :

(أ) أن يكون المنعوت نكرة ، فتكون الجملة حينئذ صفة ، أما إذا كان
 الاسم السابق معرفة فإن الجملة تكون حالا ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمَ
 تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الآية ٢٨١ من سورة البقرة] .

قال النحاة : ويصح أن تقع الجملة صفة للاسم الذى اتصلت به (ال)
 الجنسية (مثل الرجل - الطالب - الإنسان - المرأة) .

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَعَايَةُ لَهُمْ آلِيلٌ نَسَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم
 مُظْلِمُونَ ﴾ [الآية ٣٧ من سورة يس] .

وقول الشاعر :

ولقد أُمِرُّ عَلَى اللّٰثِمِ يَسْبُنِي فمضيتُ ثُمَّتَ قَلْتُ : لا يَغْنِينِي
 غضبانَ ممتلئًا علىَّ إهابُهُ إني - وحقُّك - سُخْطُهُ يَرْضِينِي ^(١)

(ب) أن تشتمل الجملة على رابط يربطها بالموصوف وهو الضمير ، كما
 يلاحظ ذلك فى كل الجمل السابقة .

وربما حذف هذا الرابط من جملة الصفة إذا كان معلوما من الكلام وظروفه
 ومن ذلك قول جرير :

ألا أبْلَغُ معاتبتى وقَوْلِي بنى عَمِّى فقد حَسَنَ العِتَابِ
 وما أدرى أغَيِّرهم تَنَاءٍ وطولُ الدهرِ أم مالٌ أصَابُوا ^(٢)

(١) إن اللثيم يكرهنى وأنا سعيد بذلك ، فحين أمر عليه يشتمنى استفزازاً فلا أريد عليه احتقاراً له ،
 إنه مغتاظ منى أشد الغيظ ، وأنا - وحياتك - مغتبط بذلك أشد الاعتباط ، راض أحسن الرضا .

الشاهد : فى (أمر على اللثيم يسبنى) فإن جملة (يسبنى) جاءت بعد ما فيه الألف واللام
 الجنسية ، وقد سبق هذا النوع من الكلمات معرفة ، لكن يعامل أحياناً معاملة النكرة ، لذلك جوز بعض
 النحاة أن تكون هذه الجملة صفة .

(٢) يحسن العتاب مع الأقارب والأصدقاء ، ويطلب جرير ممن يخاطبه إبلاغ عتابه لبنى عمه ،
 ومضمون العتاب : أنه متعير من تعيرهم ، أهو البعد أم الأيام أم المال !

فأصل الكلام (أصابوه) فحذف الضمير الرابط : لأنه معلوم من الكلام .

خامسا : شبه الجملة :

يقصد بذلك - كما مر في غير موضع - الظرف والجار والمجرور ، حيث يقعان صفة بعد الاسم النكرة ، كقولك : (شاهدت رواية في السينما واستمعتُ إلى تمثيلية في المذيع) وكذلك قولك : (لنا لقاء يوم الخميس عند باب الجامعة) .

قطع النعت عن المنعوت :

معناه : صرف النظر عن صلة النعت بالمنعوت ، فلا يتبعه في إعرابه - وإنما يكون ذلك إذا كان المنعوت معلوما وصفة بتلك الصفة دون ذكرها تقول : (درسنا قصيدةً للمتنبى الشاعر) أو (قرأنا « عبقرية عمر » للعقاد الكاتب) أو (سرنا ليلا في ضوء القمر المنير) فمن البين أن تلك الصفات (الشاعر - الكاتب - المنير) مفهومة بدون ذكرها لأصحابها ، وفي مثل هذه الجمل يجوز قطع النعت عن المنعوت .

فإذا قطع النعت عن المنعوت صح في إعرابه وجهان :

الأول : أن يرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف .

الثاني : أن ينصب بفعل محذوف وجوبا ، يكون تقديره مناسبا لسياق الكلام وخلاصة الأمر : أن إتباع النعت للمنعوت هو الأصل في الكلام العربي ، ويصح قطعه عنه إذا كان معلوماً بدونه ، وحينئذ يصح في إعرابه الوجهان السابقان .

فلنطبق ما عرفناه على ما يلي :

● قال سيبويه : سمعنا بعض العرب يقول : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الآية الأولى من سورة الفاتحة] بالنصب ، فسألت عنها يونس ، فزعم أنها عربية .

* وقال تعالى : ﴿ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ [الآية ٤ سورة المسد] قرأ الجمهور (حمالة الحطب) بالرفع ، وقرأ عاصم - أحد القراء السبعة - بالنصب على الذم .

= الشاهد : في (أم مال أصابوا) فإن جملة (أصابوا) صفة لكلمة (مال) وقد حذف منها الضمير ،

● قالت الخِرَاق - شاعرة عربية جاهلية - تمدح قومها :
 لَا يَجْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزُرِ
 النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ^(١)
 فقد رويت الكلمتان (النازلين - الطيبين) بالرفع والنصب .

حذف النعت والمنعوت :

قال ابن مالك :

وما من المنعوتِ والنعتِ عُقِلَ يجوز حذفه وفي التعتِ يقلّ
 ومعنى البيت أنه يصح حذف كل من النعت والمنعوت إذا كان معلوما من
 سياق الكلام ، بمعنى أنه مفهوم من الجملة المنطوقة فيتخيل وجوده ، ويفرض
 على الكلام المنطوق فعلا - ومما سيق لذلك من الشواهد الآتى :

● قول الله تعالى : ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ ﴾ [الآية ١١ سورة سبأ] والتقدير (دروغا
 سابغات) .

● ما روى عن العرب : (مَنَّا ظَعَنَ وَمَنَّا أَقَامَ) والتقدير (فريق ظعن وفريق أقام) .

● قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الآية ٧٩
 سورة الكهف] والتقدير (كل سفينة صالحة) .

● قول العباس بن مرداس يخاطب الرسول ﷺ :

وقد كنتُ في الحربِ ذا تُدْرٍاءِ فلم أعطَ شيئا ولم أُمْنَعِ^(٢)

(١) لا يبعدن : لا يهلكن - سم العداة : يبيدون العداة - آفة الجزر : كرماء يذبحون الإبل كثيرا
 - الطيبون معاقد الأزر : شرفاء ثيابهم طاهرة .

المعنى : ليبق قومي دائما فلا يهلكون ، فهم شجعان كرماء شرفاء - شجعان يبيدون الأعداء
 وكرماء ينحرون الإبل للضيوف وشرفاء طيبو الثياب لا يفعلون الفحشاء .

الشاهد : فى الكلمتين (النازلين - الطيبين) فقد رويت الكلمتان بالنصب (النازلين - الطيبين)
 على النعت المقطوع بتقدير فعل (أمدح) ورويتا أيضا بالرفع (النازلون - الطيبون) على الإتياع .

(٢) ذا تدراً : ذا قوة وسداد .

الشاهد : فى قوله (فلم أعط شيئا) إذ حذف الصفة ، وتقدير الكلام (فلم أعط شيئا نافعاً) وهذا
 يقتضيه السياق ، لأنه يعتب على الرسول ﷺ ، فيقول إنه أبلى فى الحرب بلاء حسناً لكن لم يميز
 بشيء من الغنيمة .

التوكيد

- ١ - المقصود بالتوكيد فى اللغة وعند النحاة .
- ٢ - التوكيد اللفظى : معناه ، والفرق بينه وبين التكرار .
- ٣ - التوكيد المعنوى : معناه ، وألفاظه هى (النفس والعين - كلا وكلتا كلّ وجميع - أجمع وما تفرع عنه) .
- ٤ - من مباحث التوكيد المهمة المسائل الآتية :
 - (أ) توكيد الضمائر توكيداً لفظياً .
 - (ب) توكيد الحروف توكيداً لفظياً .
 - (ج) توكيد الضمير المرفوع المتصل باللفظين (النفس والعين) .
 - (د) توكيد النكرة توكيداً معنوياً .

* * *

معنى التوكيد :

جاءت هذه الكلمة فى اللغة على ثلاث صور هى (التوكيد) بالواو و(التأكيد) بالهمزة و(التأکید) بتخفيف الهمزة إلى الألف ، وأكثرها شهرة فى الفصحى الأولى ، ولذلك جاء فى القاموس قوله : « التوكيد والتأكيد والأول أفصح » وإن كانت الثانية « التأکید » أكثر استعمالاً فى حياتنا العادية الدارجة .

ومعنى « التوكيد » فى اللغة : التثبيت والتقوية ، ويستعمل فى الحياة العادية الدارجة بهذا المعنى نفسه ، ومن التعبيرات الشائعة بيننا (أنا متأكد من كلامى) بمعنى : مثبت منه مقتنع به ، و(تأكدت منه أنه سيجىء) بمعنى تثبت ، و(أكدت عليه الكلام) بمعنى كررته عليه تقوية له وتثبيتاً فى ذهنه .

هذا المعنى نفسه هو الذى روعى فى استخدام النحاة للكلمة ، إذ يقصدون بالتوكيد : استخدام طرق خاصة لتقوية الكلام السابق وتثبيته سواء بإعادة اللفظ نفسه أم استعمال كلمات خاصة لتثبيت المعنى ودفع الشبه عنه - وذلك كقولنا :

(النفاقُ غشٌّ غشٌّ) . أو قولنا : (سنقاتل سنقاتل ولن نستسلم) . أو قولنا : (الجبانُ لا يستحق الحياةَ نَفْسَهَا) .

وقد ورد التوكيد فى اللغة - بالمعنى السابق - على صورتين : صورة التوكيد اللفظى ، وصورة التوكيد المعنوى .

التوكيد اللفظى :

هو - كما جاء فى قطر الندى - إعادة اللفظ الأول بعينه أ . ه - ويقصد بذلك أن يعاد المؤكّد نطقاً ومعنى ، بقصد التقرير أو خوف النسيان أو عدم الإصغاء أو عدم الاعتناء ، وقد يكون هذا اللفظ المعاد اسماً أو فعلاً أو حرفاً أو جملة .

● فى الاسم نقول : (المروءة المروءة) و(النفاقُ النفاقُ) وقول الجندى لزميله : (انتبه ، فقد هاجمنا الطائراتُ الطائراتُ) .

وما روى من قول الرسول ﷺ : (أيما امرأةٍ قاصِرٍ أنكحتُ نفسها بغير إذنٍ وليِّها فنكاحها باطلٌ باطلٌ) .

● وفى الفعل نقول : (صَمَمَ صَمَمَ شعبنا على تحرير أرضه بعد ما تَأَلَّمَ تَأَلَّمَ لضياعتها) .

ومن ذلك قول الشاعر :

فأينَ إلى أينَ النجاةُ ببغلتى

أَتَاكَ أَتَاكَ اللاحقون احبس احبس^(١)

● وفى الحرف تردّ مثلاً على من يسألك (هل أنت منتبه ؟) فتقول : (نعم نعم أنا منتبه) وكثيراً ما يسمع مثل هذا التعبير فى تعليق المذيعين على الأخبار (لا . لا يُهانُ شرفنا أو تُستذلُّ أرضنا) .

(١) اللاحقون . المطاردون - احبس احبس : اثبت اثبت ، يقول ذلك لنفسه تشجيعاً لها .

المعنى : أين أهرب ببغلتى لأنجو ، لا سبيل لذلك ، لقد أدركنا المطاردون ولن ينفع غير الثبات .

الشاهد : استخدم فى الشطر الثانى توكيداً لفظياً لفعلين ، الأول (أتاك أتك) والثانى (احبس احبس) .

ومن ذلك قول جميل :

لا لا أبوح بِحُبِّ بَشْنَةَ إِنِّهَا أَخَذْتُ عَلَيَّ مَوَائِقًا وَعُهودًا ^(١)

● وفي الجملة تعاد الجملة بألفاظها ، وربما اقترنت الثانية بحرف من حروف العطف ، وقد وردت كثيرا في اللغة ، ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [الآيتان ٤ - ٥ سورة النبأ] .

وقول الرسول ﷺ وقد بلغه نقض قريش للعهد : (والله لأغزُونَ قريشا والله لأغزُونَ قريشا) .

وفي خاتمة هذه الفكرة ينبغي التنبيه للفرق بين أمرين كثيرا ما يختلطان هما : التوكيد اللفظي والتكرار .

فالتوكيد اللفظي - كما سبق - هو إعادة اللفظ بعينه ، أى بنطقه ومعناه تماما .

أما التكرار : فهو إعادة اللفظ بنطقه وما يشبه معناه لا بمعناه نفسه فالأول إذن شئ واحد وقد استخدم له اللفظ مرتين ، أما الثانى فهو شئ تكرر مرتين أو أكثر واستخدم له فى كل مرة نفس اللفظ - فلتتأمل الآتى :

دخل إلى المدرِّج طالبٌ طالبٌ { أسلوب توكيد : لأن الطالب واحد
{ وأعيد اللفظ

دخل الطلابُ للمدرِّج طالبًا طالبًا { تكرار : لتعدد الطلبة وإن اتحد اللفظ

اقتحمَ موقعَ الأعداءِ جندىٌّ جندىٌّ { توكيد : لأن الجندى واحد واللفظ
{ هو المعاد

سارتُ الكتيبةُ متراصةً جنديًا جنديًا { تكرار : لتعدد الجنود وإن اتحد اللفظ

(١) أبوح : أفضى - الموائق : العهود .

يقول : جها سر لن أبوح به ، وقد عاهدتها على ذلك - والعجيب أنه بذلك قد باح .
الشاهد : (لا لا أبوح) فقد كرر الحرف (لا) مرتين ، والثانى توكيد لفظي للأول .

وعلى ذلك يفهم ما جاء فى قطر الندى لابن هشام من قوله نصًّا :

« وليس من تأكيد الاسم قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الآيات ٢١ - ٢٢ من سورة الفجر] - خلافا لكثير من النحويين - لأنه جاء فى التفسير أن معناه : دكا بعد دك ، وأن الدك كرر عليها حتى صارت هباء منبثا - وأن معنى (صَفًّا صَفًّا) أنه تنزل ملائكة من كل سماء فيصطفون صفا بعد صفّ مخدقين بالجن والإنس ، وعلى هذا فليس الثانى فيه تأكيداً للأول ، بل المراد به التكرير ، كما يقال : (عَلِمْتُهُ الْحَسَابَ بَابًا بَابًا) .

وكذلك ليس من تأكيد الجملة قول المؤذن : (الله أكبر - الله أكبر) - خلافا لابن جنى - لأن الثانى لم يؤت به لتأكيد الأول ، بل لإنشاء تكبير ثان ، بخلاف قوله : (قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة) فإن الجملة الثانية خبر ثان جىء به لتأكيد الأول « أ . ه .

التوكيد المعنوى :

فى عبارة واحدة يمكن تحديد التوكيد المعنوى بأنه تثبيت معنى المتبوع بدفع الاحتمالات عنه أ . ه .

فنحن نقول مثلا : (اجتمع الرؤساء العرب أنفسهم) فلو اقتصر الأمر على المؤكّد لاحتمل الأمر أن الذين اجتمعوا هم مندوبيهم ، فإذا ذكر لفظ التوكيد (أنفسهم) ارتفع ذلك الاحتمال .

نحن نقول أيضًا : (درسنا النحو كله) فلو اقتصر على المؤكّد (النحو) لاحتمل الأمر أن الذى درس معظمه أو أبواب منه ، فحين يذكر لفظ التوكيد (كله) يرتفع ذلك الاحتمال .

وحول هذا المعنى السابق جاءت التعريفات النحوية التى سبقت لهذه الصورة من صور التوكيد ، ومعظمها بألفاظ غامضة تؤدى فى النهاية للتحديد السابق ، ومن نماذجها :

يقول ابن عقيل : هو ما يرفع توهم مضاف إلى المؤكّد أو توهم عدم إرادة الشمول .

ويقول ابن هشام : هو تابع يقرر أمر المتبوع فى النسبة أو الشمول .

ألفاظ التوكيد المعنوى :

يمكن أن تصنّف ألفاظ التوكيد المعنوى التى استقرت من استعمال اللغة فى مجموعات أربع تتفق ألفاظ كل مجموعة منها من حيث الصفات التى تتصف بها حين تستعمل فى التوكيد ، وبيانها فى الآتى :

المجموعة الأولى : النفس والعين :

تتشارك هاتان الكلمتان حين استخدامهما للتوكيد فى الصفات التالية :

(أ) أنهما يستعملان للمفرد والمثنى والجمع ، ويكون لفظهما مفردًا مع الفرد ، ويجمعان على وزن (أفْعُل) مع المثنى والجمع كليهما .

(ب) أن يضافا إلى ضمير يطابق المؤكّد إفرادًا ومثنى وجمعًا وتذكيرًا وتأنثًا ، تقول : (شاهد الصحابة الرسول نفسه) و (تدارك صاحبه أبو بكر وعمر أنفُسهما وخدة المسلمين يوم السقيفة) و(اغتيال ثلاثة من الخلفاء الراشدين أعْيِيهم ظلمًا) .

(ج) إذا استدعى الموقف استعمال كلتا الكلمتين معا فى تعبير واحد قدّمت كلمة (النفس) على كلمة (العين) ولا يصح العكس ، تقول : (مشى رجال الأرض فوق القمر نفسه عينه) . ويقال : (نزل الملائكة أنفُسهم أعْيِيهم يُقاتلون مع المسلمين يوم بدر) .

وهنا فكرة جانبية مهمة هى : أن الكلمتين (النفس والعين) قد تردان فى اللغة مجرورتين بحرف الجر (الباء) وحينئذ تعتبر هذه الباء زائدة ، تقول : (إنّ اليهود هم الخبث بنفسه والحق بعينه) ، ومن ذلك قول الشاعر :

هذا - لَعْمُكُمْ - الصَّغَارُ بعينه لا أمّ لى إن كان ذاك ولا أب^(١)

المجموعة الثانية : كِلَا وَكِلْتَا :

تستعمل الكلمة الأولى لتوكيد المثنى المذكور فقط ، وتستعمل الكلمة الثانية

(١) لعمركم : أسلوب قسم - الصغار - بفتح الصاد : الأعمال النافهة الحقيرة .

الشاهد : فى الشطر الأول ، حيث دخلت الباء على لفظ التوكيد (عين) فهى حرف جر زائد

جرت الكلمة لفظًا ، لكن الكلمة توكيد لكلمة (الصغار) الواقعة خبرًا ، فهى مرفوعة بالضمّة المقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد .

لتوكيد المثنى المؤنث فقط ، وحين استخدامهما فى التوكيد يتصل بهما ضمير مطابق للمؤكّد ، فيلحقان حينئذ بالمثنى فى إعرابه - كما تقدم ذكره - تقول : (زرتُ صديقَيَّ كِلَيْهِمَا) و (ذهبت مع زملائي فى الرحلتين كِلْتَيْهِمَا) .

المجموعة الثالثة : كلّ وجميع :

يرد هذان اللفطان حين استخدامهما للتوكيد على الصفات التالية :

(أ) أنهما يستعملان فى اللغة للمفرد - ذى الأجزاء - والجمع ، ولا يستعملان للمثنى .

(ب) أن يُضافا إلى ضمير يطابق المؤكّد إفرادا وجمعا وتذكيرا وتأنثا تقول : (البلادُ العربيةُ كُلُّها متّحدةُ المشاعر وإنْ اختلفتْ فيها النُّظُمُ والحكومات ، والعربُ جميعُهم إخوةٌ ، لغُتهم واحدةٌ وتاريخُهم واحدٌ) .

(ج) قال ابن هشام عن الكلمة (جميع) : والتوكيد « بجميع » غريب ومنه قول امرأة ترقص ابنها :

فَدَاكَ حَيٌّ خَوْلَانٌ جَمِيعُهُمْ وَهَمْدَانُ
وَكُلُّ آلٍ قَحْطَانُ وَالْأَقْرَمُونَ عَدْنَانُ ^(١)

(د) مثل (كُلّ) كلمة (عامّة) وقد ذكرها سيبويه ، تقول : (حضر المدعوون عامتهم) وجاء فى « ابن عقيل » : وقُلّ من ذكرها من النحويين .

وعلى ذلك يفهم ما جاء فى أوضح المسالك نصا قال : « وليس منه - أى التوكيد - ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [الآية ٢٩ سورة البقرة] خلافا لمن وَهَمَ ، ولا قراءة بعضهم : (إِنَّا كَلَّا فِيهَا) [الآية ٤٧ سورة غافر] خلافاً للفراء والزمخشري ، بل (جميعاً) حال و (كلاً) بدل . أ . ه .

فمن البين أن الآيتين لم تكونا من باب التوكيد لأن اللفظين (جميع - كلّ)

(١) خولان : يسكون الواو وهمدان يسكون الميم وقحطان وعدنان أسماء لقبائل عربية ، فابنها أعز عليها وأعلى من كل هذه القبائل - وهذا طبعى .

الشاهد : حيث جاء (جميع) توكيدا لكلمة (حى) الواقعة خبرا أو فاعلا ، وذلك - فيما رأى ابن هشام - غريب لأن لفظة (جميع) لديه لا يكاد يستعمل وحده للتوكيد

لم يضافا فيهما إلى الضمير ، فخرجا من هذا الباب إلى أبواب أخرى فى الإعراب .

المجموعة الرابعة : أجمع وما تفرع عنه :

يقصد بما تفرع عنه (جَمْعَاء) للمفردة المؤنثة و (أجمعون) لجماعة الذكور و (جَمْع) لجماعة الإناث .

ومن الصفات التى تأتى عليها هذه الألفاظ حين التوكيد بها ما يلى :

(أ) أنها تستعمل لتوكيد المفرد والجمع فقط فلا تستعمل فى المثنى .

(ب) أنها لا تتصل بضمير يعود على المؤكّد ، بل يكتفى بصيغها المفردة والمجموعة - عن هذا الضمير ، بخلاف (كلّ - جميع) حيث تبقى على صورة واحدة وتوجّه للمؤكّد بواسطة الضمير .

(ج) أن الغالب فى هذه الصيغ أن تستعمل « لزيادة التوكيد » أو بعبارة أخرى « لتوكيد التوكيد » وذلك بأن ترد بعد لفظ (كل) فى الكلام تقول : (قَرَّبْتُ أَجْهَزَةً للإعلام العالمَ كُلَّهُ أَجْمَعُ) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الآية ٣٠ سورة الحجر] .

وربما استعملت هذه الكلمات وحدها دون لفظ (كلّ) وهذا قليل فى اللغة ، ومع ذلك فقد ورد فى نصوص صحيحة فصيحة ، ومن ذلك :

● قول الله تعالى حكاية عن إبليس : ﴿ فِعْرَنَكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الآية ٨٣ سورة ص] .

● قول الرسول ﷺ : (إذا صَلَّى الإمامُ جالسًا فصلّوا جلوسًا أجمعون) .

توكيد الضمائر لفظيًا :

سبق أن الضمائر نوعان : مستترة ، وبارزة ، وأن النوع الأخير صنفان : منفصلة ، ومتصلة ، وينبغى أن نتبين الطريقة التى يؤكّد بها كل من هذه الضمائر توكيدًا لفظيًا فى الآتى :

(أ) الضمائر المستترة : وتؤكّد بالضمير البارز المنفصل ، فنقول : (أحبّ أنت يا غافل دعوة الحق) أو (أألهو أنا والحياةُ جاذبةٌ !!) .

(ب) الضمائر البارزة المنفصلة : وهذه أيضا تؤكد بضمير بارز منفصل مناسب ، فتقول مثلا مشيرا للمجرم : (أنت أنت القاتل) ومن ذلك ما كان يقوله جماعة الرافضة فى شوارع الكوفة مشيرين لعليّ : (أنت أنت الله) فأمر بهم فحرقوا بالنار .

ومن ذلك قول الشاعر :

فإِيَّاكَ إِيَّاكَ المِرَاءَ فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبٌ (١)

(ج) الضمائر البارزة المتصلة : هذه أيضا تؤكد بضمير بارز منفصل مرفوع فتقول : (استمعتُ أنا للنَّصِيحَةِ مِنْكَ أَنْتَ ، فَاتَّبَعْتُهَا هِيَ ، فَسَعِدْتُ وَنَجَحْتُ) وعن هذه الصورة الأخيرة يقول ابن مالك :

وَمُضْمَرُ الرَّفْعِ الَّذِي قَدْ انفَصَلَ أَكْذَبُهُ كُلُّ ضَمِيرٍ اتَّصَلَ

والخلاصة : أن الضمير البارز المنفصل يأتي توكيدا لفظيا لكل أنواع الضمائر مستترة أو بارزة ومتصلة أو منفصلة .

توكيد الحروف لفظيا :

هناك حروف يطلق عليها اسم « حروف الجواب » (٢) ، إذ يجاب بها عن كلام سابق غالبا ما يكون سؤالا ، ومن أشهرها فى العربية (نَعَمْ - لا - بَلَى) ويشبه الحرف (نعم) حروف أخرى استعملت فى الفصحى هى (أَجَلْ - إِي - جَيْرَ) .

● هذه الحروف السابقة إذا أكدت تأكيدا لفظيا تعاد ألفاظها نفسها يقول لك السائل : (هل تنبه العربُ لضرورة وَحْدَتِهِمْ !!) فتجيب : (نَعَمْ نَعَمْ تنبهوا لذلك) .

(١) تقدم ذكر هذا البيت ومعناه فى باب (التحذير) ويستشهد به هنا على توكيد الضمير المنفصل (إياك) بضمير منفصل آخر مثله ، فكرره فى قوله (فإياك إياك) .

(٢) حروف الجواب على ثلاثة أقسام :

(أ) ما يقع بعد الإيجاب والنفى (نعم - جير - أجل - إى) ويقصد بها تصديق المخبر أو إعلام المستخبر أو إبعاد الطالب .

(ب) ما يقع بعد الإيجاب فقط وهو (لا) ويقصد به إبطال ما أوجه المتكلم .
(ج) ما يقع بعد النفى فقط ، وهو (بلى) ويقصد به إثبات المنفى السابق .

أو يقول السائل : (هل استسلم العرب لنكسة عارضة في حياتهم ؟) فتجيب : (لا ، لا ، لم يستسلموا لذلك) ومن هذا ما مرّ من قول جميل :

لا ، لا أبوح بِحُبِّ بُنَّةٍ إنها أخذت على مَوَائِقًا وعُهودا

● فإذا كان الحرف من غير حروف الجواب وهي كثيرة - فإنه يؤكّد لفظيا بطريقة خاصة هي : أن يعاد الحرف مرة أخرى لكن بشرط أن يتصل بحرف التوكيد ما اتصل بالحرف المؤكّد ، كقول المتهم أمام القاضي : (إنّني إنّني برىء) وقوله وهو يحكى حياته : (فى حياتى فى حياتى قصة مروّعة) .

وما ورد على غير ما سبق من الشواهد فهو نادر أو شاذ ، ومن ذلك قول الشاعر :

إنَّ إنَّ الكريمَ يحلُمُ ما لم يَرَيْنَ مَنْ أجازَه قد ضيما ^(١)

وقول مسلم بن معبد وقد نهبت إبله فى الصّدقة :

بكتْ إِبلى وحقَّ لها البكاءُ وفرَّقها المظالمُ والعداءُ
فَلَا واللهِ لا يُلقَى لِمَا بى ولا لِمَا بهم أبدا دواء ^(٢)

توكيد الضمير المرفوع المتصل بالنفس والعين :

هذه صورة خاصة من صور التوكيد المعنوى تجتمع فيها الصفتان التاليتان :

(أ) أن يكون المؤكّد ضميرا متصلا مرفوعا .

(١) من أجازَه : من حماه - قد ضيما : قد ظلم وأهين .

يقول : الإنسان الأبي الكريم يستعمل الأناة والرفق ما لم يظلم من فى حماه فإذا ظلم ترك الرفق والأناة واستعمل القوة والشدة .

الشاهد : فى (إن إن الكريم) حيث أكد الحرف (إن) بإعادة لفظه وهو من غير حروف الجواب ، والتوكيد بهذه الطريقة شاذ ، ولو جاء على الوجه الصحيح لقال : (إن الكريم ، إن الكريم) .

(٢) العداء - بفتح العين - هو العداوة - لا يلقى : لا يوجد .

يقول : إن إِبلى نهبت ظلما ، فهى تبكى لظلمها ومن حقها البكاء ، كما أبكى أنا أيضا لذلك ومن حقى البكاء ، وإنى لأقسم أن ما بينى وبين من نهبوا لن ينتهى وجرحه لن يلتئم ، فإنه لا دواء له .

(ب) أن يكون التوكيد من ألفاظ المجموعة الأولى وهى (النفس - العين) .

حينئذ لا يصلح التوكيد المباشر بهذين اللفظين ، بل لابد أن يؤكّد أولاً الضمير المتصل بضمير منفصل ، ثم يؤتى بعد ذلك بلفظ من هذين اللفظين (النفس - العين) - فلنلاحظ :

قَاوِمُوا أَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَدُوَّكُمْ وَتَمَسَّكُوا { كلام صحيح - لوجود الضمير
أَنْتُمْ أَعْيُنَكُمْ بِحَرِيَّتِكُمْ وَأَرْضَكُمْ { المنفصل

وَتَلَاَقُوا أَنْفُسَكُمْ حَوْلَ رَغْبَةِ الْجِهَادِ { كلام خطأ - لعدم وجود الضمير
{ المنفصل

وَتَجَمَّعُوا كُلُّكُمْ حَوْلَ رَايَةِ الْجِهَادِ { كلام صحيح - لأنه لا يشترط معه
{ الضمير المنفصل

توكيد النكرة توكيداً معنوياً :

لقد اشترط فى مجموعات ألفاظ التوكيد المعنوى - كما سبق - أن تكون مضافة لضمير يعود للمؤكد ، وما لا يضاف منها إلى ضمير - كالمجموعة الأخيرة - اعتبر - لدى النحاة - مضافاً تقديرًا ، ومعنى ذلك أن هذه الألفاظ من المعارف ، ولكى تتطابق مع ما تؤكده يجب أيضا أن يكون معرفة مثلها .

وعلى هذا يمكن أن يقال : إن الأصل فى المؤكّد أن يكون معرفة ولا يكون نكرة ، وهذا اتجاه له أنصاره بين النحاة .

لكن .. هناك اتجاه آخر من رأيه أن النكرة يمكن أن تؤكّد بشرط أن يتصف أسلوب توكيدها بالصفتين التاليتين :

(أ) أن يكون المؤكّد النكرة دالا على زمن محدود ، بمعنى أنه موضوع لمدة لها ابتداء وانتهاء ، مثل (أسبوع - شهر - حول - سنة - عام - يوم) .

(ب) أن يكون التوكيد لفظ (كلّ - جميع) فقط .

وقد استند هذا الرأي الأخير على ورود ذلك في الشعر والنثر الفصيح ومن ذلك :

● قول عبد الله بن مسلم :

لكنه شاقه أن قيلَ ذا رَجَبٍ يا ليتَ عدَّةَ حَوْلِ كلِّه رَجَبُ (١)

● قول عائشة عن رسول الله ﷺ : (ما صامَ رسولُ الله ﷺ شهرًا كلَّهُ إلاَّ رمضانَ) .

ولورود ذلك في الشعر والنثر قبله من يعتدّ بهم من النحاة بالصفيتين السابقتين .

يقول ابن مالك :

وإن يُفدَ توكيدُ منكويرٍ قُبِلَ وعن نُحاةِ البصرة المنعُ شَمِلَ

ويقول ابن هشام أيضا : وإذا لم يفدَ توكيد النكرة ، لم يجز باتفاق وإن أفاد جاز عند الكوفيين ، وهو الصحيح . أ . ه .

* * *

(١) شاقه : بعث الشوق في نفسه ، فغمره السرور والفرح - ويبدو أنه كان يلاقي حبيبته في ذلك الشهر ، لذلك تمنى أن يكون هذا الشهر مستغرقا العام كله - مجرد أمنية !!

الشاهد : في «يا ليتَ عدَّةَ حَوْلِ كلِّه» حيث أكدت النكرة (حول) لأنها زمان محدود ، ولأن لفظ التوكيد هو (كل) فاليبت مؤيد لمن أجازوا توكيد النكرة بالشرطين السابقين .

عطف البيان

١ - المقصود بعطف البيان لدى اللغويين والنحاة وما يفيدته لمتبوعه من معاني نحوية وبلاغية .

٢ - ما يتطابق فيه عطف البيان مع متبوعه في وجوه التطابق العشرة .

٣ - الموازنة بين عطف البيان والنعت .

٤ - الموازنة بين عطف البيان والبدل .

* * *

معنى عطف البيان :

كان الصديق أبو بكر نحيلَ الجسم ، لكنه ذو إرادة قوية .

وكان أمير المؤمنين عمرُ من أعدلِ العادلين ، ومع ذلك ماتَ مظلوماً .

ويعتبر الخليفة معاويةُ أوَّلَ من خرج على سَنَنِ الخلفاء الراشدين في الحكم .

في حياتنا الدارجة نقول : (اعطف عليّ) بمعنى : عدُ إليّ حنونا رحيمًا .

ونقول أيضا : (عنده عطف على أبنائه وأقاربه) بمعنى : أنه ينظر في شؤونهم

ويعاملهم بالرفق والرحمة ، فكأن اللفظ يفيد في الاستعمال العادي النظر إلى شخص أو شيء لإصلاح شأنه وكفايته .

يقول القاموس : العطف هو الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه ، ومن

ذلك قولهم : (عَطَفَ الفارسُ على قِرْنِه) بمعنى : عاد إلى من يساويه في الشجاعة

بقصد الصراع والغلبة أ . هـ . وفي هذا أيضا عود لآخر للنظر في أمره من حيث الشجاعة أو غيرها .

أما لدى النحاة فيقصد به : التابع الجامد الذي يكشف قصد المتكلم من

المتبوع ببيانه وشرحه أ . هـ .

ومن ذلك في الأمثلة السابقة (الصديق أبو بكر - أمير المؤمنين عمر -

الخليفة معاوية) فكلمة (أبو بكر) عطف بيان لكلمة (الصديق) وكذلك كلمة

(عمر) عطف بيان بعد (أمير المؤمنين) وأيضا كلمة (معاوية) عطف بيان بعد (ال خليفة) ومن البين أن الكلمات (أبو بكر - عمر - معاوية) أسماء جامدة جاءت بعد متبوعها ، فبيّنته تماما ، ووضحت المقصود منه وشرحته . ولهذا يسمى هذا التابع « عطف بيان » لأنه يكشف المقصود من الاسم الأول ويبينه ، أو بعبارة بعض المحدثين : « لأن الثاني يشبه أن يكون مرادفا ، لأن الذات المدلول عليها باللفظين واحدة ، وإنما يؤتى بالثاني لزيادة البيان » أ . ه .

ومن استعمالات عطف البيان التي تتردد على ألسنتنا (خليل الله إبراهيم - كريم الله موسى - المسيح عيسى ابن مريم - خاتم الأنبياء محمد - ذو النورين عثمان - الإمام علي بن أبي طالب - سيد الشهداء الحسين - السيدة أم هاشم - السيد أحمد البدوي - المرسى أبو العباس - أم المؤمنين عائشة - ذات التّطاقين أسماء - ربة الجمال فينوس - حيّة النيل كليوباترة - المعرّي أبو العلاء - المتنبي أحمد بن الحسين - شاعر الرسول حسّان - أمير الشعراء شوقي - شاعر النيل حافظ - كاتب الشرق العقاد - عميد الأدب العربي طه حسين - الإمام مالك - الشيخ الرئيس ابن سينا) .

● ومن شواهدة :

قول الله تعالى : ﴿ أَوْ كَفَّرْهُ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ [الآية ٦٥ سورة المائدة] .

وقوله : ﴿ وَسَقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴾ [الآية ١٦ سورة إبراهيم] .

قول أحد الرّجاز يتحدث عن عمر بن الخطاب :

أَقْسَمَ بِاللّٰهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ
مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبْرٍ
فَاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجْرُ (١)

(١) نقب : جرح يصاب به البعير في خفه أو ظهره - دبر : كما يقول القاموس : « قرحة الدابة » فهو أيضا بمعنى الجرح - فجر : أثم .

يقال في سبب هذه الأبيات : إن أعرايا شكا لعمر أن دابته التي يركبها جريح مجهدة ، وطلب منه أن يعطيه ناقة من إبل الصدقة ، ليركبها ، فلم يصدق عمر ، فانطلق بناقته الجريح ، وهو ينشد هذا

ما يفيد عطف البيان نحويًا وبلاغيًا :

يفيد عطف البيان نحويًا غرضين رئيسيين هما :

الأول : توضيح المعرفة : تقول : (مدح القرآن المسيح عيسى ابن مريم وذم اليهود ، إذ آذوا كليم الله موسى) .

الثاني : تخصيص النكرة : تقول : (نحن الآن فى جو ربيع ، وكنا قبل ذلك فى طقس شتاء) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [الآية ٣٥ سورة النور] .

هذان الغرضان السابقان لا يخلو عطف البيان من أحدهما فى أى جملة تحتوى عليه ، لكنه - مع ذلك - يفيد أغراضا أسلوبية أخرى تُهْمُ دارس البلاغة لا دارس النحو ، ومن هذه الأغراض مثلا :

(١) المدح : كما تقول : (كان من شهداء أُحُد حمزة عم الرسول) .

(٢) الذم : كما تقول : (كان من قتلَى بذِر أبو جهل رأس الكفر) .

إلى غير ذلك من الأغراض التى يدل عليها سياق الكلام والأسلوب الذى وردت فيه .

ما يتطابق فيه عطف البيان مع متبوعه :

يتطابق عطف البيان مع متبوعه فى الأمور الآتية :

(أ) أوجه الإعراب الثلاثة : الرفع والنصب والجر ، فيتبعه فى واحد منها .

(ب) التعريف والتنكير : فإن كان المتبوع معرفة كان عطف البيان معرفة ، وإن كان المتبوع نكرة كان عطف البيان نكرة مثله .

(ج) الإفراد والتثنية والجمع : فيتطابق معه فى العدد إفرادًا أو تثنية أو جمعا .

(د) التذكير والتأنيث ، فيتطابق معه فى النوع .

فلنطبق وجوه التطابق السابقة على النصائح التالية :

يا صديقى الطالب الحياة فرصة فاعتنمها

يا صديقتى الفتاة زينتك الأخلاق ، فتمسكى بها

يا أصدقائى الطلاب ، المستقبل لكم ، فاعملوا له

وعلى ذلك ، يمكن أن يقال : إن عطف البيان يتوافق مع متبوعه فى أربعة من عشرة ، بمعنى أن أى مثال يحمل دائما أربع صفات من صفات التطابق العشرة ، واحدة من أوجه الإعراب الثلاثة - والثانية من التعريف والتذكير - والثالثة من الأفراد والثنية والجمع - والرابعة من التذكير والتأنيث ، فيصدق عليه ما سبق أن عرفناه عن « النعت الحقيقى » تماما .

الموازنة بين عطف البيان والنعت :

من العرض السابق تتضح - بأدنى تأمل - وجوه الموازنة بين النعت وعطف البيان ، فهما يتفقان فى أمرين ، ويفترقان أيضا فى أمرين - فهما يتفقان فى الآتى :

١ - الأغراض التى يفيدها كل منهما لمتبوعه نحوا وبلاغة .

٢ - وجوه التطابق بين النعت الحقيقى ومتبوعه تماثل وجوه التطابق بين عطف البيان ومتبوعه .

وهما يفترقان فى الآتى :

١ - أن النعت اسم مشتق أو مؤول به - أما عطف البيان فاسم جامد دائما .

٢ - أن النعت يوضح المتبوع ببيان صفة من صفاته ، أما عطف البيان فيكشف قصد المتكلم من المتبوع ببيانه .

الموازنة بين عطف البيان والبدل :

هناك علاقة وثيقة بين البديل وعطف البيان ، فكل اسم صح إعرابه « عطف بيان » يصلح فى الوقت نفسه أن يكون « بدل كل من كل » .

جاء فى « قطر الندى » نصا : « كل اسم صح الحكم عليه بأنه عطف بيان مفيد للإيضاح أو للتخصيص ، صح أن يحكم عليه بأنه بدل كل من كل » . أ . هـ .

تقول : (إن هذا الوطن حبيب إلينا ، ففوق هذه الأرض عاش آباؤنا ، وتحت هدم السماء تعاقبت أجيالنا) .

وتقول : (من أئمة النحو الأعلام سيبويه عَمَزُو بن قنبر وجلال الدين عبد الرحمن السيوطى) .

هذا هو الأصل ، كل ما صلح عطف بيان صلح بدل كل من كل .

لكن يستثنى من هذا الأصل ما عُبر عنه بقولهم : (إن لم يمتنع إحلاله محلّ الأول).

ومعنى هذه العبارة : أن الاسم الثانى - التابع - لا يمكن وضعه موضع الأول - المتبوع - حينئذ يكون هذا الاسم عطف بيان ، ولا يصح بدلا ويندرج تحت هذا الأصل العام الأمثلة والشواهد التالية :

● قولنا : (يا ربنا الرجاء) أو (يا علىّ الرضا) وما يرد فى كتب النحو من (يا زيد الحارث) .

● قول المزار بن سعيد :

أنا ابنُ التاركِ البكرى بشرٍ عليه الطيرُ ترقُّبه وُقوعاً ^(١)

● قول طالب بن أبى طالب :

أيا أخويننا عبدَ شمسٍ ونوفلاً أعيدُكما بالله أن تُخدينا حروباً ^(٢)

ففى الأول لا يصح وضع الكلمات (الرجاء - الرضا - الحارث) موضع المنادى ، لأن فيها (ال) .

وفى الثانى لا يمكن وضع (بشر) موضع (البكرى) إذ يترتب عليه إضافة الوصف المقترن « بأل » للخالى منها .

(١) التارك : الجاعل المصير - البكرى بشر : رجل من قبيلة (بكر) اسمه (بشر) .

يقول : لقد قتلت بشرا البكرى ، وتركته ملقى على الأرض تتطلع إليه الطيور الجارحة ، وتقع فوقه لتأكل لحمه .

الشاهد : فى (أنا ابن التارك البكرى بشر) فإن كلمة (بشر) تعرب هنا عطف بيان ولا يصح أن تكون بدلا ، إذ لا يصح أن توضع هذه الكلمة موضع (البكرى) فيقال (أنا ابن التارك بشر) لأنه يترتب عليه إضافة الوصف المفرد المتصل بالألف واللام للخالى منها ، وهذا لا يصح كما سبق فى باب الإضافة - ولذلك تعرب الكلمة عطف بيان لا بدلا ، فإن البدل - كما يدل اسمه - يصح وضعه موضع المتبوع .

(٢) **الشاهد :** فى البيت (يا أخويننا عبد شمس ونوفلا) إذ يجب أن يعرب (عبد شمس) عطف

بيان للمنادى (يا أخويننا) ولا يصح أن يكون بدلا ، لأن البدل يصح وضعه فى مكان المبدل منه ، فيقال (يا عبد شمس ونوفلا) وهذا لا يصح ، لأن (نوفلا) منصوبة ويجب أن تبنى على الضم ، فيقال (يا عبد شمس ونوفلا) لكنها وردت منصوبة فى البيت ، وهذا ما منع أن يجعل (عبد شمس) فيه بدلا بل وجب إعرابه عطف بيان فقط .

وفى الثالث : لا يمكن وضع (عبد شمس ونوفلا) موضع المنادى ، لأن الثانى منصوب ، وكان يجب بناؤه على الضم .

خاتمة : بعض استعمالات عطف البيان فى الكلام العربى :

من مواضع عطف البيان فى الكلام العربى ما يلى :

● الاسم المقترن « بأل » بعد أسماء الإشارة : تقول : (إن هذه الأمة العربية واحدة ، يربط بينها هذا اللسان المبين وتلك العواطف المشتركة) -

● استعمال الاسم العلم مع اللقب : تقول : (من النساء الشهيرات فى الإسلام الصديقة عائشة وذات النطاقين أسماء ، وكلتاها من ولد الصديق أبى بكر) .

● استعمال الاسم العلم مع الكنية تقول : (من النساء الشهيرات عَصْرْنَا الحاضر أم كلثوم فاطمة) .

● استعمال الكلمة مفسرة لغيرها ، سواء مع استعمال الحرف « أى » أو بدونه ، تقول وأنت تفسر بعض كلمات أحد النصوص : يقصد بالخَبّ : الخدّاع - الأنام أى : الناس ، فكل من الكلمتين (الخدّاع - الناس) عطف بيان لما فسرته .

* * *

عطف النسق

- ١ - المقصود بعطف النسق لدى اللغويين والنحاة .
- ٢ - حروف العطف ومعانيها ، وهى (الواو - الفاء - ثم - حتى - أم - أو - بل - لكن - لا) .
- ٣ - من مسائل عطف النسق ما يلى :
- (أ) العطف على الضمائر بأنواعها المختلفة .
- (ب) العطف فى الأفعال .

* * *

عطف النسق :

مصطلح نحوى مكون من كلمتين « عطف ونسق » والمقصود بالعطف - كما سبق - الرجوع إلى الشيء للنظر فى شأنه - أما النسق فيقصد به هنا « النظم » فإن الاسم المعطوف يُنظم مع المعطوف عليه فى طريقة واحدة من حيث الإعراب والمعنى .

ويصف النحاة عطف النسق بقولهم : هو التابع الذى يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف أ . ه .

ومن البين أن فهم اللغويين له يتكامل مع فهم النحاة ، فبينما يصف النحاة الصورة اللفظية التى يرد عليها ، يتضح من التسمية اللغوية - عطف النسق - ما يترتب على الصورة اللفظية من أحكام نحوية هى المشاركة فى الإعراب والمعنى .

فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

يتحمل اليهود والعربُ معًا مسؤوليةَ مأساةِ فلسطين

ضاعت من العرب تحت الضغط والفرقة

بينما قام اليهود برسم الهدف فالهجرة فالاحتلال

ففى هذه الأمثلة أسماء معطوفة فى المثالين الأولين بحرف « الواو » وفى المثال الأخير بحرف « الفاء » وكل اسم معطوف يتحقق له ما سبق ذكره من أنه يشارك ما قبله فى الإعراب والمعنى .

من ذلك التفسير السابق تُفهم العبارة النحوية المشهورة عن جملة العطف وهى : (أن تصلح لصنع جملتين مستقلتين منها) نظرًا لاشتراك كل من المعطوف والمعطوف عليه فى الأمرين السابقين - الإعراب والمعنى - ولعلّ هذا يفسر تسمية سيويوه لهذا الباب فى كتابه بأنه (باب الشَّرِكَة) .

حروف العطف ومعانيها :

تمهيد :

حروف العطف - على ما هو مشهور - عشرة أحرف هى (الواو - الفاء - ثُمَّ - حَتَّى - أَمْ - بَلْ - لَكِنْ - لَأَ - إِمَّا) لكن الحرف الأخير (إِمَّا) موضع أخذ ورد كثير ، ومثاله ما ورد فى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُّوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ [الآية ٤ من سورة محمد] فقد فقال ابن عقيل بعد أن أورد الآية : وليست (إِمَّا) هذه عاطفة خلافا لبعضهم ، وذلك لدخول الواو عليها وحرف العطف لا يدخل على حرف العطف أ . ه .

وعلى هذا النهج سار كثير من النحويين ، فتركوا هذا الحرف ولم يتعرضوا له فى حروف العطف واعتبروها تسعة أحرف فقط .

هذا وقد أسهبت كتب مسائل النحو فى الحديث عن معانى هذه الحروف التسعة ، والمناقشات حول هذه المعانى ، بحيث إنَّ هذا الباب كله يمكن اعتباره حديثاً عن معانى هذه الحروف .

والحق أن المعانى التى تذكر لهذه الحروف كقولهم مثلاً : (ثُمَّ : للترتيب والتراخي) أو قولهم : (حَتَّى : للتدرج والغاية) دراسة أسلوبية حيث يتضح من خلالها معنى هذه الحروف فى الأساليب التى وردت بها ، فهى إذن من اختصاص دارس البلاغة لا دارس النحو .

وعلى ذلك ، كان من المنتظر أن يترك هنا - فى دراستنا النحوية - الحديث عن هذه القضية التى شغلت الكثير من الصفحات فى غير اختصاصها إذ يكفى

دارس النحو أن يعلم أن هذه الحروف المذكورة تشترك ما بعدها مع ما قبلها في الإعراب والوظيفة النحوية .

والحق أنني هممت أن أترك هذا البحث تماما ، لولا أن بعض هذه المعاني يرتبط به أحيانا أمور نحوية في الجملة التي بها العطف أو في العطف بها وذلك مثل الحروف (أَمْ - أَوْ - بَلْ - لَكِنْ) حيث يعطف ببعضها بعد النفي أو الإيجاب - وهذه معاني نحوية - كما أن بعضها الآخر يكون عاطفا أو غير عاطف مثل (أَمْ) وأن ذلك مرتبط بمعانيها كما سيأتي .

من أجل ذلك نسوق هذه المعاني - دون إسهاب ولا اضطراب - مع ذكر أمثلة وشواهد لهذه الحروف التسعة . وربما كان ذكر هذه الأمثلة والشواهد أهم - في نظري - من ذكر معاني هذه الحروف - وإليك إذن هذه الحروف ومعانيها .

١ - الواو : مطلق الجمع :

المقصود من ذلك أنها تجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في حديث واحد وهذا معناها فقط ، فلا يفهم منها تأخر المتأخر ولا تقدم المتقدم ولا العكس ولا تصاحبهما معا .

قال السيرافي : أجمع النحويون واللغويون من البصريين والكوفيين على أن الواو للجمع من غير ترتيب أ . ه .

تقول : (ذاكرتُ النَّحْوَ والأدبَ) . وتقول : (يَوْمِي مُوزَّعٌ بين اللَّعِبِ والجِدِّ والهدوءِ والحركةِ والعسلِ والراحةِ) .
فلنتأمل الشواهد التالية :

● قول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ [الآية ٢٦ سورة الحديد] { الترتيب على الأصل

● وقوله :

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ { الترتيب على خلاف

• وقوله :

﴿يَمْرِمُ أَقْنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ
الرَّكْعَيْنِ﴾ [الآية ٤٣ سورة آل عمران]

{ الترتيب على خلاف
الأصل }

• وقوله :

﴿فَأَنْجَيْنَهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ﴾
[الآية ١٥ سورة العنكبوت]

{ المعطوف والمعطوف
عليه متصاحبان }

٢ - الفاء : الترتيب والتعقيب :

معنى « الترتيب » أن المعطوف عليه يحدث أولاً ، والمعطوف يحدث بعده ،
ومعنى « التعقيب » أن الثانى يحدث بعد الأول مباشرة بحسب ظروفه تقول :
(طريق الشاب الناجح واضح ، الدراسة فالتخرج فالعمل) جاء فى قطر الندى :
« وتعقيب كل شىء بحسبه ، فإذا قلت (دخلت البصرة فبغداد) وكان بينهما ثلاثة
أيام ، ودخلت بعد الثالث ، فذلك تعقيب فى مثل هذا عادة ، فإذا دخلت بعد
الرابع أو الخامس ، فليس بتعقيب ، ولم يجز الكلام » . أ . ه .

٣ - ثَمَّ : الترتيب والتراخى :

أما « الترتيب » فقد سبق معناه ، وأما « التراخى » فمعناه أن هناك مهلة بين
المعطوف والمعطوف عليه ، تقول : (ينحصر العام الدراسى بين بدء الدراسة ثم
الامتحان) وتقول : (حضرت للكلية فى الصباح ثم عدت لمنزلنا فى المساء) .

٤ - حَتَّى : التدرج والغاية :

ومعنى « التدرج » أن ما قبلها ينقضى شيئاً فشيئاً إلى أن يبلغ إلى الغاية وهو
الاسم المعطوف ، ومعنى « الغاية » آخر الشىء ونهايته ، تقول : (وسِعَ قلبُ
الرسول كلَّ الناس حتى العصاة ، وشملَ عدلُ عمرَ كلِّ الرعية حتى الظلمة) -
وجاء فى « مغنى اللبيب » : « وتكون حرف عطف مثل (الواو) فى المعنى والعمل
بشرط أن يتحقق لجمالها الصفات الآتية :

(أ) أن يكون المعطوف بها اسماً ظاهراً - كما هو واضح فى الأمثلة

(ب) أن يكون المعطوف بها جزءا من المعطوف عليه - كما ترى في الأمثلة السابقة .

(ج) أن يكون المعطوف بها غاية في الزيادة أو القلة ، أى نهاية في الكمال أو النقص - وقد يكون كل منهما حسيا أو معنويا ، كما ترى في الأمثلة التالية :

● فالغاية في الزيادة الحسية كقولنا : (تصدّق المحسن بالأعداد الكثيرة حتّى

الألوف) .

● والغاية في الزيادة المعنوية كقولنا : (ماث الناس حتى الأنبياء) .

● والغاية في القلة الحسية كقولنا : (الله يحصى الأشياء حتى مثقال الذرة) .

● والغاية في القلة المعنوية كقولنا : (غلبك الناس حتى الصبيان) .

وقد اجتمعت الغيتان - الزيادة والقلة - في قول أبي دؤاد الإيادي :

قَهْرُنَاكُمْ حَتَّى الْكُمَاةَ فَأَنْتُمْ تَهَابُونَنَا حَتَّى يَبِينَا الْأَصَاغِرَا ^(١)

٥ - أم : المتصلة والمنقطعة :

يأتى هذا الحرف (أم) على الصور التالية :

الأول : أن يتقدم الجملة التى وردت فيها « همزة الاستفهام » ويكون القصد من الجملة تعيين واحد من اثنين فيها ، تقول : (الواجب الشاقّ تفضّل أم الراحة الرخيصة ؟ وأعزّ حبّ الناس تبحث أم عن احترامهم ؟؟) .

وتسمى همزة الاستفهام هذه « همزة التعيين » - والحرف (أم) لعطف المفرد غالبا - ويأتى بعد الهمزة ما يُسأل عنه ، وبعد (أم) ما يقابله .

الثانية : أن يتقدم الجملة التى وردت فيها « همزة الاستفهام » على أن تسبق الهمزة بكلمة « سواء » ويكون القصد من الجملة استواء أمرين متقابلين فيها تقول : (الإنسان النظيف يؤدى الواجب سواء أثقل عبئه أم هانّ وهو يبحث عن

(١) الكماة : جمع « كمي » وهو الرجل الفائت الشجاعة .

يقول : لقد غلبناكم حتى الشجعان منكم غلبوا ، ففى قلوبكم الرعب منا ، بل من أبنائنا الصغار .

الشاهد : في الشطر الأول (قهرناكم حتى الكماة) إذ جاءت (حتى) للغاية في الزيادة .

وفي الشطر الثاني (تهابوننا حتى بنينا الأصاغر) جاءت (حتى) للغاية في النقص .

الاحترام سواءً أكرهه الناس أم أحبه) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ [الآية ٦ من سورة البقرة] ، وقول متمم بن نويرة فى رثاء أخيه « مالك » :

ولستُ أبالي بعد فَقْدِي مالِكًا أَمْوتِي ناءٍ أم هو الآن واقعٌ (١)
فإن جملة (لست أبالي) تساوى تمامًا كلمة (سواء) فى المعنى .

وتسمى همزة الاستفهام هنا « همزة التسوية » - والحروف (أم) لعطف الجمل الاسمية أو الفعلية التى تؤول بعد ذلك - فيما يقال - بمصادر متعاطفة .

الثالثة : ما كانت فى غير الصورتين السابقتين ، ويكون القصد من الجملة التى وردت فيها صرف النظر عن الكلام السابق عليها ، والاتجاه إلى ما ورد بعدها ، كقولك : (هل يستوى السمُّ والخسَّةُ أم هل يستوى النفعُ والضرُّ) ، وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ [الآية ١٦ سورة الرعد] . وقول عمر بن أبى ربيعة :

ألا ليت أتى يومَ تُقضى مِنِّي
وليت طهورى كان ريقك كله
وليت سُليمنى فى المنام ضجيعتى
لثمتُ الذى ما بين عينيك والقم
وليت حنوطى من مُشاشيك والدم
هنالك أم فى جنة أم جهنم (٢)

(١) ناء : بعيد الوقوع .

يقول : لا أبالي متى يأتى الموت بعدما فقدت أختى ، فلم يعد للحياة طعم دونه .

الشاهد : فى (لست أبالي) فإنها بمنزلة (سواء) فى المعنى ، وجاء بعدها همزة التسوية و(أم) التى عطفت جملة على جملة فى (أمتى ناء أم هو الآن واقع) وكلا المتعاطفين جملة اسمية .

(٢) يوم تقضى منيتى : يوم موتى - لثمت : قبلت - حنوطى : الطيب الذى يوضع على جسد الميت - مشاشك : المشاش : العظام اللينة - ضجيعتى : مشاركة فى المضجع .

المعنى : أمنية غريبة يصور بها شدة حبه ، إذ يتمنى حين يموت أن يقبل ما بين عينيه وفمها ، وأن يكون ريقها طهوره ومشاشها ودمها طيبه ، بل إنه ليتمنى ما هو أكثر ، بأن يضاجعها فى نومه أو بعد موته فى الجنة أو النار لا يهم ما دامت هى بجانبه .

الشاهد : فى قوله (هنالك أم فى جنة أم جهنم) فإن (أم) فى هذا الشطر منقطعة تفيد (الإضراب) فهى بمعنى (بل) ولذلك يعتبر ما بعدها جملة كاملة وهى هنا كذلك ، فالجار والمجرور بعدها خبر (ليت) المحذوفة مع اسمها وتقدير الكلام (ليت سليمى ضجيعتى هنالك أم ليتها فى جنة أم ليتها فى جهنم) .

والحرف (أم) فى هذه الصورة (حرف ابتداء) ويعبر عنه المعربون بقولهم :
(حرف يفيد الإضراب) ومعناه الإضراب عما سبقه والاتجاه لما بعده ، ولذلك
تعتبر الجملة التى بعده جملة جديدة مستقلة .

وبناء على ما سبق يمكن فهم المقصود من وصف (أم) بأنها متصلة
أو منقطعة .

فالمُتَّصِلَة : هى ما كان الكلام بعدها ذا صلة بما قبلها ، ويتحقق هذا فى
الصورتين الأولى والثانية - وهذه عاطفة كما سبق .

والمُنْقَطِعَة : ما كان الكلام بعدها لا صلة له بما قبلها ، لصرف النظر عما
قبلها ، ويتحقق هذا فى الصورة الأخيرة ، وهذه حرف ابتداء لا صلة لها بالعطف .

٦ - أو :

وتأتى بالمعانى الخمسة الآتية :

أولاً : التخيير : كقولنا فى موقف النصيحة (كن شجاعاً أو جباًناً وعش
كريمًا أو بخيلاً) وكقولك لصديقك : (إذا عدت من الكلية للبيت فقم بالمذاكرة
أو النوم) ويمثل النحاة لذلك بقولهم : (تزوج هندا أو أختها) .

ثانياً : الإباحة : كقول الخطيب الواعظ : (أشفق على المساكين أو الضعفاء
وأحتقر المنافقين أو الأدعياء) وكما تقول لصديقك : (اذهب إلى الحديقة
أو الشينما) ويمثل النحاة لذلك بقولهم : (جالس العلماء أو الزهاد) .

قال ابن هشام عن التخيير والإباحة : « والفرق بينهما أن التخيير يأتي جواز
الجمع بين ما قبل (أو) وما بعدها ، والإباحة لا تأباه » أ . ه .

وهذان المعنيان تأتى لهما (أو) بعد الطلب ؛ وبخاصة ما دل منه على الأمر .

ثالثاً : الشك : كقولك (قمت من النوم مروّعا على صوت أنين أو استغاثة
وجزت فى تحديد ذلك بين الوهم أو الحقيقة) وتقول لصديقك : (زرتك أمس
حوالى الثانية أو الثالثة) ويحكى القرآن عن أهل الكهف قولهم حين استيقظوا من
نومهم الطويل : ﴿ لَيْسَآ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [الآية ١٩ سورة الكهف] .

رابعاً : التشكيك أو الإبهام : لنفترض محاورة بين أحد العلماء المسلمين
وأحد الأجانب الباحثين عن المعرفة ، يذكر فيها العالم المسلم فى بداية حديثه

- يا سيدي ، يدعو الإسلام إلى العلم والتدبير أو الجهل والتسليم .
- والقرآن من عند الله أو من كلام محمد .
- سنتناقش في ذلك لنعرف الحق أو الباطل .

فلا شك أن العالم المسلم يعرف حقيقة الأمر فيما رده من أمور متقابلة لكنه - في موقف المحاوره - يعمى الأمر على المخاطب ، بقصد الاستدراج له إلى النقاش ، ثم الوصول معه إلى الحقيقة .

قال النحاة : والفرق بين الشك والتشكيك ، أن الشك يكون من المتكلم ، أما التشكيك فهو قصد المتكلم إيقاع المخاطب في الشك .

خامسا : الإضراب : ويقصد به صرف النظر عما سبقها ، والاتجاه لما يأتي بعدها ، فتكون « حرف ابتداء » كقول جرير يخاطب هشام بن عبد الملك :

ماذا ترى في عيال قد برمتُ بهم لم أخصِ عدَّتْهم إلاَّ بعددٍ
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجائك قد قتلْتُ أولادِي^(١)

والمعاني الثلاثة الأخيرة تأتي لها « أو » بعد الخبر لا الطلب .

٧ - لِكِنْ :

ويعطف بها بعد النفي والنهي - ويكون معناها حيثُذ إقرار الكلام قبلها على ما هو عليه من نفي أو نهى . وإثبات نقيضه لما بعدها ، تقول : (ما سافرتُ يومَ الخميس لكنَّ يومَ الجمعة) وتقول أيضا : (لا تُصاحبُ الأشرارَ لكنَّ الأخيارَ) ومن المعلوم أن ضد النفي الإثبات وضد النهي الأمر .

هذا إذا جاء بعدها مفرد ، فإن جاء بعدها جملة كاملة ، فهي حيثُذ حرف ابتداء لا عطف - وعلى ذلك ورد قول زهير بن أبي سلمى :

(١) عيال : المرء من يعوله من الأولاد والأقارب - برمت بهم : ضقت بهم - عداد :

تعداد متعمد .

يقول : إن لي أقارب وأولادا أعولهم ، وهم كثيرون لا يحصون إلا بالتعداد وقد أحصيتهم ، فوجدتهم ثمانين بل ثمانية وثمانين ، هؤلاء قد ضقت بهم وبنفقتهم ، فهم يستحقون عطفك ومعونتك .

الشاهد : في « كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية » فإن « أو » تفيد الإضراب فهي « حرف ابتداء »

بمعنى « بل » .

إِنَّ ابْنَ وَرَقَاءَ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ لَكِنْ وَقَائِعُهُ فِي الْحَرْبِ تُنْتَظَرُ^(١)

٨ - لَا :

وهي على العكس تماما من (لكن) إذ يعطف بها بعد الإثبات والأمر ويكون معناها إقرار ما قبلها على ما هو عليه من إثبات أو أمر ، وإثبات نقيضه لما بعدها ، تقول : (سافرتُ صباحًا لا مساءً) و(اسمع النصيحة الصادقة لا الرياء الكاذب) .

٩ - بَلْ :

وتأتي في صورتين :

الأولى : أن تكون مثل (لكن) تماما بمعنى أن يعطف بها بعد النفي أو النهي ، ويكون معناها حينئذ إقرار ما قبلها على ما هو عليه من نفي أو نهى وإثبات نقيضه لما بعدها ، تقول : (لا يغش الصديق بل المنافق) وتقول : (لا تُنصت للغشاشين بل المخلصين) .

الثانية : أن تأتي بعد الإثبات أو الأمر ، وتفيد حينئذ ما يطلق عليه (الإضراب) ومعناه صرف النظر عن الكلام السابق عليها لتقرير هذا السابق عليها نفسه لما بعدها ، تقول : (زارني صديقي أحمد بل صديقي محمد) وتقول (ليحضر إلي منكم اثنان بل ثلاثة) .

ويتلخص أمر هذه الحروف الثلاثة فيما يلي :

● لكن : يعطف بها بعد النفي أو النهي - فيكون لما بعدها ضد ذلك وهو الإثبات والأمر .

● لا : يعطف بها بعد الإثبات والأمر - فيكون لما بعدها ضد ذلك وهو النفي والنهي .

● بل : يعطف بها بعد النفي والنهي فتكون مثل (لكن) تماما - ويعطف بها بعد الإثبات والأمر فتفيد معنى (الإضراب) .

(١) ابن ورقاء : من يمدحه الشاعر ، و « ورقاء » أمه - بوارده : مفاجآته المسيئة عند الغضب ، والمقصود وصفه بالحلم - وقائعه : ما ينزله بالأعداء من الضر ، والمقصود أنه شجاع .

وبعد :

فلعله قد اتضح بعد هذا الشوط الطويل مع حروف العطف ومعانيها ما سبق أن قلته من أن الحديث عن هذه المعاني دراسة أسلوبية لولا ما يترتب عليها من حديث نحوي سواء فيما يتعلق بالجملة قبلها أو العطف بها .

العطف على الضمائر المختلفة :

سبق - غير مرة - أن الضمائر مستترة وبارزة ، وأن البارزة منها المتصلة والمنفصلة ، والمتصلة تأتي مرفوعة ومنصوبة ومجرورة ، أما المنفصلة فمنها ضمائر رفع وضمائر نصب فقط .

المهم هنا أن يذكر أن معظم الضمائر في عطف النسق حكمها حكم الأسماء الظاهرة ، فكما تقول : (الإنسان الحق من له عقلٌ صريحٌ وضميرٌ نظيفٌ) تقول أيضًا : (أنا وصديقي نتعاملُ بفكرٍ مستنيرٍ وقلبٍ مفتوحٍ) ويقول الله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكَ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ [الآية ٢٨ سورة المرسلات] .

لكن يستثنى من ذلك صور خاصة في العطف على الضمير لا بد أن تتوافر في جملتها صفات معينة حين العطف عليها ، وهي ما يلي :

الصورة الأولى : أن يكون الضمير المعطوف عليه مستترا ، وحيثئذ يسبق حرف العطف توكيده بضمير منفصل ، تقول : (أبدلُ أنا والزملاء غايةَ الجهد في الفهم والمذاكرة) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [الآية ٣٥ سورة البقرة] .

هذا هو الأصل في الضمير المستتر ، أن يؤكد بضمير منفصل قبل العطف عليه ، ومع ذلك فقد وردت شواهد لا تتحقق لها هذه الصفة ، إذ عطف فيها على الضمير المستتر دون توكيد ، وهذا نادر في اللغة وضعيف في الاستعمال ، ومن ذلك :

• ما ورد عن العرب من قولهم : مررتُ برجلٍ سواءٍ والعدَمُ^(١) .

• قول جرير يهجو الأخطل :

(١) معناه « حياته كموته » وكلمة (سواء) مصدر وقع صفة للكلمة (رجل) فهو بمعنى (مستوى)

وفيه ضمير مستتر يعود على الرجل ، وقد عطف عليه دون توكيد بضمير منفصل ، وهذا نادر في اللغة .

وَرَجَا الْأَخْيَاطِلَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبُتْ لَهُ لَيْتَالَا (١)

الصورة الثانية : أن يكون الضمير المعطوف عليه متصلاً مرفوعاً ، وحينئذ يسبق حرف العطف أيضاً توكيده بضمير منفصل ، تقول : (ذهبْتُ أنا والأسرةُ للمصيف في الإسكندرية) قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الآية ٥٤ سورة الأنبياء] .

قال النحاة : ويصح في هذه الصورة أن يكون الفاصل بين المعطوف والمعطوف عليه شيء آخر غير الضمير المنفصل ، وهذا ما عبّر عنه ابن مالك بقوله : (أو فاصل ما) ومن ذلك :

• قول الله تعالى : ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ [الآية ٢٣ سورة الرعد] .

• وقوله : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ [الآية ١٤٨ من سورة الأنعام] .

هذا هو الأصل في الضمير المرفوع المتصل حين العطف عليه أن يؤكد بضمير منفصل أو يفصل بينه وبين ما عطف عليه بغير هذا الضمير ، ومع ذلك فقد وردت نصوص من الشواهد لا تتحقق لها هذه الصفة ؛ إذ عطف على الضمير المرفوع المتصل دون توكيد ولا فصل ، وذلك نادر في اللغة وقليل في الاستعمال .

• روى عن ابن عباس قال : إني مع قوم ندعو الله لعمر بن الخطاب - وقد وضع على سريره - إذا رجل من خلفي مرفقه على منكبي يقول : رحمك الله ، إني لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك ، لأنني كثيراً ما كنت أسمع الرسول ﷺ يقول : « كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » . قال ابن عباس : قالتُ فإذا هو عليّ بن أبي طالب .

الصورة الثالثة : أن يكون الضمير متصلاً مجروراً ، وحينئذ لا يصح العطف عليه إلا بإعادة الجار ، تقول : (الله غفورٌ رحيمٌ فاتجهت إليه وإلى رحمته) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَنْيَا طَائِعِينَ ﴾ [الآية ١١ من سورة فصلت] .

(١) الشاهد في البيت : قوله (ما لم يكن وأب له) ففي الفعل (يكن) ضمير مستتر يعود على

هذا هو الأصل أن يعاد الخافض مع المعطوف حين العطف على الضمير المتصل المخفوض ؛ ومع ذلك فقد وردت بعض الشواهد لا تتحقق لها هذه الصفات ، فورد العطف على الضمير المتصل المخفوض دون إعادة الخافض وذلك قليل في اللغة ، ومن ذلك :

● ما ورد من قراءة الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [الآية الأولى من سورة النساء] بجر كلمة (الأرحام) .

● قول الشاعر :

فاليوم قَرَّبْتُ تَهْجُونَا وَتَشْتُمُنَا فَاهْجُ فَمَا بَكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ^(١)

والخلاصة في هذا الموضوع كله ما يأتي :

أولاً : أن الضمير بأنواعه المختلفة حكمه في العطف عليه كالاسم الظاهر لا فرق في ذلك بين الاثنين .

ثانياً : يستثنى من ذلك ما يلي :

(أ) الضمير المستتر حين العطف عليه ، وهذا يؤكد قبل العطف عليه بضمير منفصل ، وما ورد غير ذلك نادر .

(ب) الضمير المرفوع المتصل حين العطف عليه ، وهذا يؤكد قبل العطف عليه بضمير منفصل أو فاصل آخر ، وما ورد غير ذلك نادر .

(ج) الضمير المجرور المتصل ، وهذا يعطف عليه مع إعادة الجار ، وما ورد غير ذلك قليل في اللغة .

العطف في الأفعال :

من المعلوم أن الأفعال ثلاثة (ماض ومضارع وأمر) وأقدم هنا الملاحظات التالية حولها في عطف النسق :

(١) المعنى : إنك تسىء إلينا بالهجاء والشتم ، ولا عجب في الإساءة منك فهي متوقعة منك كما أنها متوقعة من الأيام .

الشاهد : في قوله (فما بك والأيام من عجب) حيث عطف على الضمير المجرور المتصل دون إعادة الجار ، وهذا قليل في اللغة .

(أ) إذا عطف فعل أمر على أمر آخر فليس من عطف الأفعال أو بعبارة أخرى: ليس من عطف المفردات ، بل هو من عطف الجمل أقول : (ذاكِرْ واجتهدْ واترك الباقي لله) فهذا من عطف الجمل ومن عطف المفردات ، وكذلك الشَّانُ في كل فعل يستتر فيه الضمير وجوبا .

(ب) قال ابن هشام نصا : « ويعطف الفعل على الفعل بشرط اتحاد زمانيهما سواء اتحد نوعاهما أم اختلفا » . أ . ه .

ومعنى ذلك أنه يعطف ماض على ماض ومضارع على مضارع أو يعطف مضارع على ماض والعكس بشرط أن يتحدا في الزمن وإن اختلفا في الصيغة .
تقول : (تَذَكَّرْ فَنَامَ الْمُجْهَدُ) وتقول : (يُحْيِ وَيُمِيتُ رَبُّ النَّاسِ) ومن ذلك :
● قول الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴾ [الآية ١٠ من سورة الفرقان] .
● وقوله : ﴿ يَفْعَلُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ [الآية ٩٨ من سورة هود] .

(ج) يمكن العطف بين الفعل وما يشبه الفعل من الأسماء - كاسم الفاعل أو المفعول - تقول : (يسمُحُ الحاكمُ العادلُ رأى الرعيةِ ومستجيبٌ لطلباتهم) .
ومن ذلك :

● قول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِلٌ وَيَقِظُنَّ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْنُ إِنَّهُ يَبْكِ كُلَّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [الآية ١٩ من سورة الملك] .

● قول الراجز (جندب بن عمرو) :

يا ليتني علقتُ غيرَ حارجِ
قبل الصَّبَاحِ ذاتَ خَلْقِ بارِخِ
أَمْ صَبِيٌّ قَدْ حَبَا أَوْ دَارِجٌ ^(١)

(١) علقت : أحببت وعشقت - غير حارج : غير مذموم ولا آثم - ذات خلق بارخ : ذات خلق جميل حسن - قد حبا : حبو الطفل : زحفه وهو قاعد - دارج : مشى متقارب الخطو .
المعنى : أمنية غريبة أن يحب امرأة جميلة الخلقة ، لها صغير يحبو أو يدرج .

الشاهد : في قوله (قد حبا أو دارج) حيث عطف على الفعل (حبا) اسما يشبه الفعل (دارج) فهو اسم فاعل - وهذا جائز في اللغة .

البدل

- ١ - المقصود بالبدل لدى اللغويين والنحاة .
- ٢ - صور البدل التي يرد عليها في اللغة هي :
(بدل الكل من الكل - بدل البعض من الكل - بدل الاشتمال - بدل البداء - بدل التسيان - بدل الغلط) .
- ٣ - البدل والمبدل منه من حيث الإظهار والإضممار .
- ٤ - البدل في الأفعال والجمل .

معنى البدل :

دَوَّخَ سيفُ الله خالدَ قُوَادَ عصرِه ، ومات على فراش بيته
كان ذو التورين عثمانَ رقيقَ القلبِ ، فطِمَعَ فيه أقرباؤه
وضربَ سيدُ الشهداء الحسينُ مثلاً رائعا لاحترام المبدأ

تردد كلمة « البدل » ومشتقاتها بيننا في الحياة العادية ، فتقول لمن أعطاك شيئا ، فضايع منك (سأعطيك بَدَلَه) أى شيئا يساويه في القيمة يعوضك عن فقده ، وتقول حين الرغبة في إرسال إنسان في بعض الأمور ولم يحضر (سأذهب بَدَلًا منه) أى : سأقوم بالمهمة عوضا عنه .

فكلمة « البدل » في اللغة معناها (العِوض) جاء في القاموس : « بدل الشيء وبديله : الخلف منه ، وبادله مبادلة : أعطاه مثل ما أخذ منه » . أ . ه . ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا ﴾ [الآية ٣٢ من سورة القلم] .
بمعنى : يعوضنا وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا ﴾ [الآية ٢٧ من سورة إبراهيم] بمعنى : استعاضوا عن الإيمان بالكفر ، فضلوا وأضلوا قومهم .

أما تحديد البدل لدى النحاة ، فتكاد كتب النحو تتفق على عبارة واحدة هي : « البدل هو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة » . أ . ه .

ومن هذه العبارة السابقة تفهم الصفتان للاسم الذى يقع بدلا وهما :

(أ) أن البذل - فى حقيقة الأمر - هو الذى يتجه إليه المعنى الذى فى الجملة ، والمبدل منه ما هو إلا تمهيد له وطريق إليه ، فالمقصود بالحكم فى الأمثلة السابقة هو (خالد - عثمان - الحسين) ومهد لكل منها على التوالى (المتبوع) وهو (سيف الله - ذو الثورين - سيد الشهداء) .

وبالصفة السابقة يفرق البذل عن النعت والتوكيد وعطف البيان ، فإن المعنى فى الجمل التى ترد فيها يتجه إلى المتبوع ، وهى مكملة له ، بخلاف « البذل » فإن المعنى يتجه إليه هو نفسه - فلنطبق ذلك على الأمثلة الآتية :

دَوْخ سيفُ الله خالدٌ قُوَادَ عصره ومات على فراشِ بيته أسلوب البذل
دَوْخ سيفُ الله المسلولُ قُوَادَ عصره ومات على فراشِ بيته أسلوب النعت
دوخ سيفُ الله نفسه قُوَادَ عصره ومات على فراشِ بيته أسلوب التوكيد

مع ملاحظة أن المثال الأول يصلح أيضا أن يكون لعطف البيان لكن يكون المعنى متجها للاسم الأول « سيف الله » والثانى « خالد » موضح له ، بعكس البذل - كما قدمنا - فإن المعنى متجه للثانى والأول تمهيد له - وبذلك نفهم تحديد النحاة له (المقصود بالحكم) .

(ب) أن البذل يكون بعد المبدل منه بغير واسطة ، وهذا بخلاف العطف بالحروف إذ يتحقق بواسطة هى حرف بين المعطوف والمعطوف عليه فالمعطوف وإن كان مقصودا أيضا بمعنى الجملة إلا أنه بواسطة هى حرف العطف - بخلاف البذل ، فحين نقول مثلا : (أَلْتَقَى مع الزملاء فى الكلية صباحا ومساء) تكون كلمة (مساء) مقصودة أيضا بمعنى الجملة كالبذل فى جملته ، لكن بواسطة حرف العطف - ومن ذلك نفهم ما جاء فى تحديده من أنه (بلا واسطة) .

وخلاصة الأمر : أن البذل يتميز عن غيره من التوابع بهاتين الصفتين : قصده بالحكم ، وبغير واسطة .

وعلى ذلك ينبغى فهم الملاحظتين التاليتين عنه :

الأولى : أنه ما دام مقصودا بالمعنى ، فإنه يمكن الاستغناء عن (المبدل منه) ووضع (البذل) موضعه ويستقيم معنى الجملة ، تقول : (شكرت الصديق معروفة)

فيمكن الاستغناء عن الكلمة الأولى ووضع الثانية موضعها ، فتكون الجملة (شكرتُ معروفَ الصديق) ولا خلل فيها ، وتقول : (تَأْمَلْتُ الحديقةَ أشجارَها) فيمكن أن تقول (تَأْمَلْتُ أشجارَ الحديقة) بالاستغناء عن المبدل منه ووضع البدل موضعه - وهذه الطريقة - الاستغناء عن المبدل منه ووضع البدل مكانه - هي العلامة الذهنية المميزة للتعرف على أسلوب البدل .

الثانية : أنه ما دام المقصود بالمعنى هو الكلمة الثانية فما فائدة الكلمة الأولى في هذا الأسلوب ؟؟ - إن الفائدة من ذكر المبدل منه في الكلام هو التمهيد والتهيئة لذكر الثانية ، فكأنك ذكرت الجملة مرتين ، مرة جملة ومرة أخرى واضحة محددة ، فيكون المقصود النهائي من الجملة أرسخ في الذهن ، وهذا هو السر في قولهم : (البدل في حكم تكرير العامل) .

صور البدل في اللغة :

باستقراء النحاة للغة وجدوا أن البدل يرد على الصور التالية :

بدل الكلّ من الكلّ : وهو بدل الشيء مما هو طَبَّقَ معناه ، ولهذا يسمى أحيانا (البدل المطابق) بأن يكون الاسم الثاني - البدل - هو عين الاسم الأول ، تقول : (نَظَّم أبو عبد الله محمدٌ بن مالك ألفيته الشهيرة في النحو) أو (ضربَ أبو الشهداء الحسينُ مثلاً رائعاً للتضحية في سبيل المبدأ) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الآيتين ٥ - ٦ من سورة الفاتحة] .

بدل البعض من الكلّ : يقصد به أن يكون البدل جزءاً من المبدل منه تقول : (قطعت الطريقَ نصفه) أو (ذاكرت الليلَ ثُلثيه) أو (ارتفعتُ العمارَةُ دوران منها) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الزَّمَلُ فِرْ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلاً يَصْفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلاً ﴾ [أول سورة المزمل] .

وفي هذه الصورة يكون في البدل ضمير يعود على المبدل منه .

بدل الاشتمال : يقصد به - كما يقول ابن عقيل - الدال على معنى في

متبوعه ، ومعنى ذلك أن متبوعه يشتمل على معناه ، وأن هذا المعنى قائم به تقول : (أفادني الأستاذُ علمه) وتقول : (هداني القمرُ ضوءه) فمن البين أن

«الأستاذ» تنسب له معان كثيرة ومنها «العلم» فهو يحمل العلم ، والعلم قائم به ، ومن البين أن «للقمر» معانى كثيرة ومنها «الضوء» فهو مصدر الضوء للأرض ، والضوء منسوب إليه - وفي هذه الصورة يكون فى البدل ضمير المبدل منه .

هذا هو معنى الاشتمال الذى يسمى به هذا البدل ، فالبدل معنى من المعانى يشتمل عليه متبوعه - ولا داعى بعد ذلك لذكر ما خاض فيه النحاة عن معنى هذه الكلمة «الاشتمال» فإن لذلك حديثا طويلا لا يضر جهله .

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْهَارِ الَّتِي فِيهَا ﴾ [الآية ٢١٧ من سورة البقرة] وأيضا قوله : ﴿ قُلْ أَصْحَابُ الْأَنْهَارِ ذَاتِ الْوُجُوهِ ﴾ [الآية ٤ - ٥ من سورة البروج] .

بدل البداء : البداء : معناه اللغوى الظهور والوضوح ، ويقصد بهذا النوع من البدل إذن : ظهور أمر آخر للمتكلم بعد أن لم يكن ظاهرا له فيصرف النظر عن الأمر الأول بعد قصده إلى ذلك الأمر الجديد الذى بدا له ، تقول مثلا (قصد الظمان ماء سرابا) وتقول : (غَفَوْتُ اللَّيْلَةَ سَاعَتَيْنِ سَاعَةً) - فمن البين أن المتكلم قصد الاسم الأول فى المثالين ، ثم بدا له غير ذلك ، فعدل عنه إلى الاسم الأخير ، ولهذا يطلق على هذا البدل اسم (بدل الإضراب) .

بدل الغلط : يقصد به أن يقصد المتكلم أمرا من الأمور ، فيسبق لسانه إلى أمر آخر ، ثم يتبين له غلظه ، فيعدل عنه إلى الصحيح ، تقول مثلا : (قابلت أستاذ النحو الأدب) إذا كنت قد قصدت (الأدب) فسبق لسانك إلى (النحو) وتقول أيضا : (أضاءت لى النجوم القمر) إذا كنت قد قصدت (القمر) فسبق لسانك لذكر (النجوم) ثم تبين لك الغلط - وهذا أمر كثيرا ما يحدث لنا فى حياتنا أثناء الكلام العادى .

بدل النسيان : يقصد به أن يذكر الإنسان شيئا نتيجة السهو ذهنى ثم يتبين له وجه الصواب فيذكره أيضا ، فيسمى هذا « بدل النسيان » أى بدلا من اللفظ الذى ذكر سهوا ، تقول : (حضرت من طنطا الإسكندرية) إذا كان ذكر (طنطا) كان عن طريق السهو ، ثم تبين السهو فذكرت (الإسكندرية) .

يقول «ابن هشام» عبارة مفيدة للتفريق بين النوعين الأخيرين وهى : «وقد ظهر أن الغلط متعلق باللسان ، والنسيان متعلق بالجنان» . أ . هـ (الجنان : العقل)

البدل والمبدل منه من حيث الإظهار والإضمار :

تصور كل من البدل والمبدل منه ظاهراً أو ضميراً يتحصل منه أربع صور :
بأن يكونا ظاهرين أو مضميرين أو مختلفين الأول مضمير والثاني ظاهر أو العكس ،
فهذه أربع صور ، لكن الذى استعملته اللغة من هذه الأربع صورتان فقط هما :

الأولى : إبدال الظاهر من الظاهر - كما مر من الأمثلة - وكقولنا : (ممن ناصرُوا الرسولَ عُمُه أبو طالب وزوجُه خديجةُ ، وممن آذوه عُمُه أبو جهل وجارُته حمالةُ الحطب) .

الثانية : إبدال الظاهر من الضمير ، وفيه التفصيل الآتى :

(أ) إذا كان الضمير للغيبة جاز البدل مطلقاً ، كقولك : (أحترمهم جميعاً الزملاء والزميلات) ومن ذلك :

- قول الله تعالى : ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [الآية ٣ من سورة الأنبياء] - الذين : بدل من واو الجماعة ، بدل بعض من كل (فى بعض الآراء) .
- وقوله : ﴿ وَمَا أَسْنَيْنِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرْ ﴾ [الآية ٦٣ من سورة الكهف] - « أن أذكره » مصدر مؤول بدل من ضمير الغيبة فى (أنسانيه) بدل اشتمال .

(ب) إذا كان الضمير للمتكلم أو المخاطب ، والبدل بعض أو اشتمال جاز البدل أيضاً ، ومما ورد تأييداً لذلك قول النابغة الجعدي فى حضرة الرسول ﷺ :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَّاؤُنَا وَإِنَّا لَنَرُجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا ^(١)

فإن (مجدنا) بدل من ضمير المتكلمين فى (بلغنا) بدل اشتمال .

(ج) إذا كان الضمير للمتكلم أو المخاطب ، فلا يصح أن يأتى منه بدل الكل من الكل إلا إذا دل على إحاطة ، بمعنى أن يبين البدل المقصود من الضمير بياناً شاملاً لكل أفرادهِ ، عندئذ فقط يصح مجيء بدل الكل من ضمير المتكلم

(١) سناؤنا : السناء هو الشرف وعلو المنزلة - مظهرًا : ظهورًا ورفعة .

والمخاطب ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ [الآية ١١٤ من سورة المائدة] .

البدل في الأفعال والجمل :

لعلَّه أمر غير جديد أن يكرر هنا مرة أخرى أن الأصل في التوابع أن تكون في الأسماء المفردة ، وما خرج عن هذا الأصل يشار إليه في مكانه كمجىء التوكيد اللفظي في الحروف والأفعال والجمل ، وكذلك العطف في الأفعال والجمل ، وهنا أيضا في « باب البدل » .

(أ) يمكن إبدال الفعل من الفعل ، تقول : (إن تصم تمتنع عن المفطرات تنل ثواب الله) وتقول : (إن تُصلِّ تسجدُ لله فتلك عبادة) ، ومن ذلك ما أورده سيبويه من قول الشاعر :

إِنَّ عَلَيَّ اللّهَ أَنْ تُبَايَعَا تُؤْخَذَ كَرْهًا أَوْ تَجِيءَ طَائِعَا ^(١)

(ب) تجيء الجملة أيضا بدلا من الجملة ، ومن ذلك قول الشاعر :

أَقُولُ لَهُ : ارْحَلْ ، لَا تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا وَإِلَّا فَكُنْ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ مُغْلَنَا ^(٢)

فجملة (لا تقيمَنَّ) بدل من جملة (ارحلْ) وهى بمعناها كما ترى .

* * *

(١) الشاهد في البيت : إبدال الفعل ، إذ أبدل الفعل (تؤخذ) بدل اشتمال من الفعل (تبايعا) والأول منصوب بالحرف (أن) والثاني بدل منه منصوب مثله .

(٢) يقول لمن يخاطبه : كن صريحا سرك مثل جهرك وإلا فارحل وفارقنا ولا تبق معنا .

الشاهد في البيت : إبدال الجملة من الجملة ، فقد أبدل جملة (لا تقيمَنَّ) وهى جملة

فعلية بدل اشتمال من جملة (ارحلْ) .

عمل الأفعال في الجملة

(١) المقصود بالمصطلحات النحوية الأربعة (الناقص - التام) و(اللازم - المتعدّي) .

(٢) ما يتفق كل من اللازم والمتعدّي في أدائه في الجملة نحويًا .

(٣) الأفعال المتعدّيّة مع المفعول به واحداً أو أكثر .

(٤) الأفعال اللازمة والنصب على نزع الخافض .

* * *

الناقص : هو مصطلح خاص بنوعين من النواسخ - مر الحديث عنهما - (كان وأخواتها - كاد وأخواتها) ويقصد به - كما سبق - ما لا يكتفى بمرفوعه إذ لا بد له من المنصوب وهو خبره ، كقولنا : (صار الصَّعبُ سهلاً) وكذلك ما نسب إلى عليّ رضي الله عنه : (كاد الفقرُ أن يكونَ كُفراً) .

التام : هذا المصطلح يطلق على الأفعال باعتبارين :

أحدهما : ما يطلق عليه الناقص من الأفعال النواسخ ، ومعناه - كما سبق أيضاً - ما يكتفى بمرفوعه ولا يحتاج لمنصوب ، كما جاء في الأثر : (كان الله ولا شيء معه فخلق السماوات والأرض) وتقول أيضاً : (انتهيتُ من العمل أو أوشكتُ) .

ثانيهما : ما يقابل الناقص من الأفعال ، ومعناه حينئذ هو : ما كان من الأفعال غير ناقص ، مثل الأفعال (قام - جلس - انتصر - التقى - فهم - سمع) .

وينبغي أن يلاحظ أن الناقص لا شأن له بما نحن بصددّه من الحديث عن عمل الأفعال ، لأنه يدخل على المبتدأ والخبر فيرفع أحدهما وينصب الآخر فهو صورة خاصة مرّ الحديث عنها في مكانها .

كما ينبغي أن نلاحظ ثانياً أن الفعل الناقص إذا استعمل تاماً ، فإنه حينئذ يدخل في باب الفعل اللازم الذي يكتفى بمرفوعه - كما سيأتي - فيكون جملة مكونة من فعل وفاعل .

كما ينبغي أن يلاحظ ثالثاً أن معنى « التام » على الاعتبار الأخير يشمل المصطلحين التاليين (اللازم - المتعدى) إذ تدرج الأفعال اللازمة والمتعدية كلها تحت مصطلح (التمام) .

اللازم : يسمى أيضاً « القاصر » والمراد ما يقتصر على الفاعل ولا يتجاوزهُ إلى المفعول به لينصبه ، أو ما يأتي معه بعد الفاعل جار ومجرور له صلة به تقول مثلاً : (التقى الجمعان فانتصرت الشجاعةُ والمبدأُ وانهزم الجبنُ والتخاذلُ) وتقول أيضاً : (التقيْتُ بصديقي وذهبتُ للنزهة) .

المتعدى : ويسمى أيضاً « المجاوز » وهو ما ينصب بعده المفعول به واحداً أو أكثر من واحد ، كقولك : (أرسلت خطاباً وجاءني الرد) وكذلك (رأيتُ الهدى حقاً فاتبعته ، وعلمتُ الباطلَ ضلالاً فاجتنبته) .

ما يتفق اللازم والمتعدى في أدائه في الجملة :

كلا الفعلين اللازم والمتعدى يشتركان - أو يتفقان - في أنهما يؤديان في الجملة الفعلية التي يردان فيها الأمرين التاليين :

أولاً : أنهما يرفع بعدهما الفاعل ما داما واردين على صيغتهما الأصلية فتقول : (أقلعتُ السفينةُ من الميناء ، وأخذتُ طريقها في البحر) .

فإذا بنى الفعل للمجهول رفع النائب عن الفاعل ، تقول : (أُعلنتُ النتيجةُ وزُفَّ الخبرُ إليّ) ويمثل ذلك كله قول الله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَتَّزِشْ آلِيعِ مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِي وَغِيصَ أَلْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الآية ٤٤ من سورة هود] .

ثانياً : أن كلا من اللازم والمتعدى يأتي معه الأسماء المنصوبة - ما عدا المفعول به - فكل منهما يأتي بعده المفاعيل الأربعة الباقية - المفعول المطلق المفعول لأجله - المفعول معه - وكذلك الحال والتمييز والمستثنى .

تقول مثلاً : (فرحتُ فرحاً لا يُوصفُ ابتهاجاً بصديقي يومَ عودته من الخارج بعد غربة طويلة) وكذلك تقول : (ذاكرتُ مذاكرةً متأنّي رغبةً في الفهم والتحصيل مستعينا على ذلك بالصبر والاستمرار) .

الترتيب - مفعول مطلق (فرحا) ثم مفعول لأجله (ابتهاجا) ثم مفعول فيه (يوم)
و(بعد) - وفي المثال الثاني الفعل متعد وهو (ذاكر) وقد جاء في جملته - على
الترتيب - مفعول مطلق (مذاكرة) ومفعول لأجله (رغبة) وحال (مستعينا) وكلها
- كما نعلم - أسماء منصوبة جاءت مع الفعل اللازم والمتعدى .

والخلاصة : أن كلا الفعلين - اللازم والمتعدى - يأتي بعدهما الأسماء
المرفوعة وكذلك الأسماء المنصوبة ما عدا المفعول به فإنه خاص بالمتعدى .
الأفعال المتعدية مع المفعول به :

قال ابن هشام في شذور الذهب نصا : « وقد قسمت الفعل بحسب المفعول
به تقسيما بديعا » . أ . ه . والحق أنه تحدث عن هذا الموضوع بطريقة رائعة
بحيث يمكن أن أضيف إلى كلمته السابقة القول : « بأن هذا التقسيم لم يُسبق به
ولم يلحق به » وفي هذه الفكرة ينبغي الاعتراف بمتابعته بصورة عامة وإن اختلف
منهج العرض وأسلوبه وأمثله .

فالفعل المتعدى - بحسب المفعول به - يأتي في أقسام ثلاثة رئيسة ويندرج
تحت كل قسم منها صور من الأفعال وهي :

الأول : ما ينصب بعده مفعول به واحد فقط .

الثاني : ما ينصب بعده مفعولان .

الثالث : ما يُنصب بعده ثلاثة مفعولات .

ما يُنصب بعده مفعول واحد :

يأتي على الصور الثلاث الآتية :

(١) ما يأتي بعده مفعول دائما ولا يتخلف عنه ، وذلك كثير جدا من
الأفعال ، مثل (سمع - أجب - صلى) كقولك : (سمعتُ الأذانَ فأجبتُ الدعاءَ ،
وصليتُ الفريضة) .

(٢) ما يأتي بعده مفعول به ينصب أحيانا ويجر بحرف الجر أحيانا أخرى ،
ومن ذلك (شكر - نصح - قصد) تقول : (شكرتُ المعروفَ) أو (شكرتُ
للمعروفِ) . وتقول : (نصحتُ الصديقَ) أو (نصحتُ للصديقِ) . ومن ذلك قول

الله تعالى : ﴿ وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾ [الآية ١١٤ من سورة النحل] وقوله : ﴿ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ [الآية ١٥٢ من سورة البقرة] .

(٣) ما يأتي بعده مفعول به منصوب ، وقد لا يوجد المفعول بالمرّة فيكون الفعل حينئذ لازما ، ومن ذلك (فَعَرَ) نقول : (فَعَرَ فَاهُ) إذا فتحه أو (فَعَرَ فُوه) انفتح .

ما يُنْصَب بعده مفعولان :

ويأتي أيضا على الصور الثلاث الآتية :

(١) ما يأتي بعده مفعولان منصوبان ، وقد ينقطع عنهما فيستعمل فعلا لازما ، ومن ذلك الفعلان (زاد - نقص) تقول : (زِدْتُ الْوِزْنَ قَنْطَارًا) وأيضا قول الله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ كَانَكُمْ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْإِنِّ فَرَادُهُمْ رَهَقًا ﴾ [الآية ٦ من سورة الجن] ، وتقول : (زاد ماء النيل فزاد الخيرُ وعمّ) وتقول أيضا : (نقص قدْرُ البخيلِ بين الناس) و(نقصتُ الغاشَّ درجاتٍ) .

(٢) ما يأتي بعده مفعولان أولهما منصوب دائما ، وثانيهما قد يأتي منصوبا وقد يأتي مجرورا بحرف الجر ، والمشهور من ذلك عشرة أفعال هي (أَمَرَ - اسْتَغْفَرَ - اخْتَارَ - صَدَّقَ - زَوَّجَ - كَنَى - سَمَى - دَعَا - كَالَ - وَزَنَ) فلنطبق ذلك على الشواهد التالية :

● قول عمرو بن معديكرب :

أمرتكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمِرْتَ به فقد تركتكَ ذا مالٍ وذا نَشَبٍ ^(١)

● قول الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [الآية ٤٤ من سورة البقرة] .

● قول الآخر :

أستغفرُ اللهَ ذنبًا لستُ مُحْصِيهِ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ ^(٢)

(١) ذا نشب : النشب - كما جاء في القاموس - المال الأصيل من الناطق والصامت .

كأنما البيت وصية لابنه ، بأن يفعل الخير كما أمره أبوه ، وقد تركه ذا مال وعقار يعينه على فعله .

الشاهد : في (أمرتك الخير) فإن الفعل (أمر) نصب مفعولين ، أولهما ضمير المخاطب ، والثاني

(الخير) - ولو قال في غير الشعر (أمرتك بالخير) لصح أيضا .

(٢) الشاهد : في (أستغفر الله ذنبًا) فإن الفعل (أستغفر) نصب مفعولين (الله) و(الذنب) والاول

في غير الشعر (أستغفر الله من ذنب) لصح أيضا .

• قول الشاعر :

وسمّيته يحيى ليحييا فلم يكن لأمر قضاء الله في الناس من بُدّ (١)

• قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الآية ١٥٣ من آل

عمران] .

• وقوله : ﴿وَرَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ﴾ [الآية ٥٤ من سورة الدخان] .

(٣) ما يأتي بعده مفعولان منصوبان دائما وهو نوعان :

الأول : ما ليس أصل المفعولين المبتدأ والخبر ، وهي الأفعال (كَسَا - أَلْبَسَ - أَعْطَى - مَنَحَ) تقول : (أَعْطَيْتُ الْوَفَاءَ حَقَّهُ وَمَنَحْتُ الْوَاجِبَ شَرْفَهُ) وتقول : (أَلْبَسْتُ الْفَتَاةَ الْجَمَالَ خُلُقًا فَكَسْتُهُ جَلَالًا) .

الثاني : ما أصل المفعولين المبتدأ والخبر ، وذلك باب (ظَنُّ وَأَخَوَاتُهَا) سواء الأفعال الدالة على القلوب أو التّصيير - وقد سبق الحديث عن هذا الباب في نواسخ المبتدأ والخبر .

ما ينصب بعده ثلاثة مفعولات :

وهو الأفعال (أَعْلَمَ - أَرَى - أَنْبَأَ - نَبَأَ - أَخْبَرَ - خَبَّرَ - حَدَّثَ) وقد تقدم ذكر هذا الباب في النواسخ أيضا .

النّصب على نزع الخافض :

هذا تعبير شائع بين المعربين ، إذ يصفون أحيانا بعض الكلمات المنصوبة بقولهم : (منصوب بنزع الخافض) ولهذا التعبير أصل يتعلق بما نحن بصددته في دراسة اللازم والمتعدى .

لقد مرّ في معرفة الفعل اللازم أنه قد يقتصر على الفاعل بعده ، كقولنا : (ارتقى المجذّب) و(انتصر الماثب) وقد يأتي بعده الجار والمجرور ، كقولك : (ارتقى المجذّب إلى غايته) و (انتصر الماثب على كلّ صعب) .

(١) سمّيته يحيى : « يحيى » علم منقول من الفعل - ليحييا : ليعيش .

يقول : لقد سميت ابني « يحيى » ليعيش وتطول حياته ، فمات ، ولا دافع لقضاء الله .

الشاهد : في (سمّيته يحيى) فإن الفعل (سمى) نصب مفعولين ، أولهما « ضمير الغائب » والثاني

« يحيى » - ولو قال في غير الشعر (وسمّيته يحيى) لصح أيضا .

وفى هذه الصورة الأخيرة - الجار والمجرور - يمكن أن يستغنى عن حرف الجر ، وينصب المجرور بعده - ويطلق عليه حينئذ أنه (منصوب على نزع الخافض) .

ويتحقق النصب على نزع الخافض فى النثر والشعر على النحو التالى :

أولاً : التوسع فى الكلام المنثور - وأكثر ما يأتى ذلك فى أسماء المكان المختصة - كقولك : (ذهبْتُ الشَّامَ) و(دخلْتُ الدَّارَ) و(صَلَّيْتُ المسجدَ) و(سَرْتُ الطريقَ) .

ثانياً : لغة الشعر الخاصة وما تفرضه من ترك حرف الجر ، ومن ذلك الشواهد التالية :

● قول جرير :

تمرّون الدِّيارَ ولم تَعُوجُوا كلامُكم علىَّ إذْ نُ حَرَامٌ ^(١)

● قول عمر بن أبى ربيعة :

غضبتُ أن نظرتُ نحو نساءٍ ليس يعرفُننى مَرَزَنُ الطريقَا ^(٢)

هذا ، ويقول النحاة عن النوعين السابقين بأن ذلك سماعى لا يقاس عليه - والحق أنه لا حاجة لهذا التضييق والتوقف على ما ورد عن العرب لأن حاجة النثر للتوسع وحاجة الشاعر للغته الخاصة لا تتوقف على عصر دون عصر ، ولا قائل دون آخر ، فالأحسن - إن لم يجانبني الصواب - أن يباح ذلك لأصحاب الحاجة إليه نثرا أو شعرا .

ثالثاً : يطرد ترك حرف الجر مع الحروف المصدرية الثلاثة (أَنَّ - أَنْ - كى) تقول : (تألّمتُ أَنْ أصبَتْ وفرحتُ أَنَّك نجوتَ وجئت لكى أهتلك) .

(١) لم تعوجوا : لم تنعطفوا إلينا للزيارة .

الشاهد : فى (تمرون الديار) فإن (الديار) منصوب على نزع الخافض ، وأصل الكلام (تمرون بالديار) فحذف الجار وأوصل الفعل ، وهذه لغة الشعر الخاصة .

(٢) الشاهد : فى (مرن الطريقا) فإن كلمة (الطريق) منصوبة على نزع الخافض وأصل الكلام (مرون فى الطريق) فحذف الجار وأوصل الفعل ، وهذه لغة الشعر .

ومن ذلك :

• قول الله تعالى : ﴿ أَوْ عَجِيتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الآية ٦٣ من سورة الأعراف] .

• قول الفرزدق :

وما زرتُ ليلي أن تكونَ حبيبةً إلى ولا دينَ بها أنا طَالِيهِ (١)

وتؤول هذه الحروف المصدرية مع ما بعدها بمصدر منصوب على نزع الخافض (طبق هذا على الأمثلة والشواهد) .

يقول ابن عقيل عن هذا الموضوع كله : « وحاصله أن الفعل اللازم يصل إلى المفعول بحرف الجر ، ثم إن كان المجرور غير (أَنَّ وَأَنَّ) لم يجر حذف حرف الجر إلا سماعاً ، وإن كان (أَنَّ وَأَنَّ) جاز قياساً عند أمن اللبس » . أ . ه .

(١) يقول : ما زرت ليلي لحب ولا دين لي عندها ، كانت زيارتي بريئة مجرد زيارة !

الشاهد : في قوله (أن تكون حبيبة) فإن (أن والفعل) مؤولان بمصدر مجرور بالخافض المحذوف ، والتقدير (لكونها حبيبة) بدليل أنه عطف بالجر في قوله (ولا دين) فهو عطف على المصدر المؤول المجرور تقديراً ، والمنصوب على نزع الخافض .

الأسماء التى تقوم بعمل الأفعال اسم الفعل

- (١) المقصود باسم الفعل لدى النحاة ، والغرض من استعماله فى اللغة .
- (٢) اسم الفعل باعتبار ما سمي به (ماض - مضارع - أمر) وشواهد من الكلام العربى .
- (٣) اسم الفعل باعتبار صيغته (مُتَجَلِّ - مَنقُول) و(سَمَاعِيّ وقياسِيّ) .
- (٤) صفات الجملة التى يرد فيها اسم الفعل = أحكام اسم الفعل فى جملته .
- (٥) خاتمة عن أسماء الأصوات .

اسم الفعل والغرض من استعماله :

اسم الفعل فى عبارة مختصرة هو : « ما ناب عن الفعل معنى واستعمالا ولم يقبل علامته » . أ . هـ .

ويتضح من هذه العبارة السابقة أن اسم الفعل ما تتحقق له الصفات التالية :

(أ) أن يكون معناه معنى الفعل ماضيا أو مضارعا أو أمرا .

(ب) أن يستعمل استعمال الفعل لازما أو متعديا .

(ج) ألا يقبل علامات الأفعال التى ينوب عنها .

فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

قول الرسول ﷺ : « إِذَا قَلَّتْ لَصَابِحُكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ : صَهْ فَقَدْ لَعُوتَ » .

قول شوقي : أَوَاهُ مِنْكَ وَآهٍ مَا أَقْسَاكَ

قول العقاد : أَوَاهُ مِنْ يَوْمِي وَمِنْ أَمْسِي مَعَا

فمن البين أن قول الرسول ﷺ (صَهْ) بمعنى (اسكت) وكل منهما - كما

ترى - فعل أمر لازم ، وكلمة (صه) لا تقبل علامة الأمر وهي قبول ياء المخاطبة وإن دلت على الطلب ، والكلمتان (أَوْأَه - آه) من شعر العقاد وشوقي كلتاهما بمعنى (أتوجع) وكل منهما تستعمل استعماله من حيث إنه فعل مضارع لازم ، وهما لا تقبلان علامة المضارع من دخول حرف الجزم (لم) عليهما ، وهكذا .

ولعل السر في استعمال اللغة لأسماء الأفعال - مع وجود الأفعال التي بمعناها - أن اسم الفعل - كما يقول أحد الدارسين المحدثين - يدل على المبالغة في المعنى الأصلي أكثر من الفعل الذي هو بمعناه ، فإذا قلت (آه) كانت أبلغ من (أتوجع) فكأنك قلت (أتوجع جدًا) وهكذا - ويبدو أن هذا الكلام صحيح ، وإن كان الأمر مرجعه أولاً وآخرًا لاستعمال اللغة التي جاء فيها كلا النوعين : أسماء الأفعال والأفعال .

اسم الفعل باعتبار ما سُمِّي به :

من الواضح أن اسم الفعل يسمَّى به الماضي والمضارع والأمر ، وينبغي التعرف على معظم الكلمات التي جاءت عن كل واحد من هذه الثلاثة وشواهد ذلك من الكلام العربى .

ما سُمِّي به الأمر :

وهو أكثر الأنواع استعمالاً فى اللغة العربية ، ومعظم ما ورد من اسم الفعل منه ومن ذلك :

(صَهْ) بمعنى : اسكت (مَهْ) بمعنى : كُفَّ عن الحديث (آمين) بمعنى اسْتَجِبْ (هَيَّا) بمعنى : اسرِعْ (حَيَّهْلْ) بمعنى اسرِعْ (هَلُمَّ) - على رأى - بمعنى : أَقْبِلْ (زَوَيْدْ) بمعنى : امْهَلْ (بَلَهْ) بمعنى : اتْرُكْ (عَلَيْكَ) بمعنى : الزَّمْ (إِلَيْكَ عَنِ) بمعنى : تَنَحَّ (مَكَانَكَ) بمعنى اثْبُتْ (أَمَامَكَ) بمعنى : تَقَدَّمْ (وَرَاءَكَ) بمعنى : تَأَخَّرْ (دُونَكَ الشَّيْءَ) بمعنى : خُذْهُ .

ومن هذا النوع كل ما جاء على وزن (فَعَالٍ) من كل فعل ثلاثى تام مثل (نَزَالٍ) بمعنى : انزل (شَرَابٍ) بمعنى : اشرب وهكذا .
ومن شواهد ذلك ما يلى :

● قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا

● قول الرسول ﷺ : (إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ : صَبْرٌ ، فَقَدْ لَغَوْتَ) .

● ما ورد عن العرب : (إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ ، فَحَيَّهْلُ بَعْضُ) .

● قول عمرو بن الإطنابة يصف جلده في الحرب :

أَبْتُ لِي عَفَّتِي وَأَبَى بَلَائِي	وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالْثَمَنِ الرِّيحِ
وَأَمْسَاكِ عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي	وَضَرْبِي هَامَةً الْبَطْلَ الْمُشِيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاشْتُ	مَكَانِكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
لَأُذْفَعَ عَنْ مَآثِرٍ صَالِحَاتٍ	وَأُحْمَى بَعْدَ عَنْ عِزِّ صَحِيحٍ ^(١)

ما سُمِّيَ بِهِ الْمَاضِي :

وهو أقل من السابق استعمالاً في اللغة ، وألفاظه تكاد تكون محصورة ، ومن ذلك (هَيَّهَاتَ) بمعنى : بَعْدَ (سَتَّانَ) بمعنى : افْتَرَقَ (سِرْعَانِ) بفتح السين أو ضمها أو كسرهما - بمعنى : أَسْرَعَ .

ومن شواهد ما يلي :

● قول جرير :

فهيّهات هيّهات العقيقُ وَمَنْ بِهِ وهيّهات خِلٌ بالعقيقِ نُواصِلُهُ^(٢)

(١) بلائي : يقال : بلا في الحرب يبلو : إذا أحسن القتال - البطل المشيخ : البطل الحاد الحذر - كلما جشأت وجاشت : حديث عن نفسه ، أي كلما فزعت وخافت - مآثر صالحات : صفات طيبة وأخلاق عالية .

يقول : لقد ثبت في القتال ولم أهرب حفاظاً لصفات طيبة اشتهرت بها وحماية لشرفي ، ومن هذه الصفات العفة وحسن القتال وحمد الناس لي بما أستحق والجلد على المكروه والشجاعة في الحرب بضرب رؤوس الأبطال والإقدام - فكلما حدثتني نفسي بالفرار زجرتها لتبقى ، فإما النصر والثناء ، وإما الموت والفناء والراحة .

الشاهد : في البيت الثالث قوله (مكانك تحمدي) فإن (مكانك) اسم فعل أمر بمعنى (اثبتني) .

(٢) العقيق : اسم موضع به حبيبته أو « خله » كما قال في الشطر الثاني .

الشاهد : في استعمال (هيّهات) اسم فعل ماضٍ معناه (بعد) وتكررت في البيت بهذا المعنى

• قول الآخر :

شَتَّانَ هَذَا وَالْعِنَاقُ وَالنَّوْمُ والمشرَّبُ الباردُ فِي ظِلِّ الدَّوْمِ^(١)

ما سُمِّيَ به المضارع :

وهو أقلُّ الثلاثة استعمالاً ، ومن أشهر ألفاظه (وَيْ - وَهًا) بمعنى : أعجب (أَوْه - أَوْاهُ) بمعنى : أتوجَّع (أَفَّ) بمعنى : أتضجر .

ومن شواهد ما يلي :

• قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الآية ٢٢ من سورة الإسراء] .

• وقوله : ﴿ وَيَكَاذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [الآية ٨٣ من سورة القصص] .

اسم الفعل باعتبار صيغته :

ينبغي التعرف على المصطلحات النحوية الأربعة (المُرتَجَل) ويقابله (المُنْقُول) (وَالسَّمَاعِي) ويقابله (الْقِيَاسِي) وإليك هذه المصطلحات الأربعة وأمثلةها :

المرتجل : يقصد به - كما مر في العَلَم المرتجل - ما وضع من أول الأمر اسم فعل دون أن ينقل عن غيره ، مثل (صَه - مَه - وَيْ) .

المنقول : ما استعمل قبل اسم الفعل استعمالاً آخر ظرفاً أو مجروراً أو مصدراً - مثل (دُونَكَ - عَلَيَّكَ - بَلَه) فالأول منقول عن ظرف والثاني عن جار ومجرور ، والثالث عن مصدر .

السماعي : يقصد به الاختصار على الكلمات التي نطقها العرب الفصحاء من أسماء الأفعال ، وذلك يشمل معظم أسماء الأفعال التي تقدمت نماذج منها فيما سبق .

القياسي : يقصد به استخدام كلمات جديدة قياساً على ما نطق به العرب

(١) الدوم . ضخام الشجر .

يقول : هناك فرق بين ما أنا فيه من حرمان وتعب وما كنت فيه من وصل وراحة ، من العناق

والنوم والشرب العذب في ظل الأشجار الضخمة ، حقا هناك فرق !!

الشاهد : (شَتَّانَ هَذَا) إذ استعملت اسم فعل ماضٍ بمعنى (افترق) .

وهذا فى صورة واحدة فقط من اسم الفعل - وذلك ما جاء على وزن (فَعَالٍ) من كل فعل ثلاثى تام متصرف ، مثل (نَزَالٍ) بمعنى : انْزَلَ و(قَرَأٍ) بمعنى : أَقْرَأَ ، و(كَتَابٍ) بمعنى : اكْتُبَ ، وهكذا - فهذا هو الصنف الوحيد القياسى فقط ، والباقى يقتصر فيه على السماع عن العرب الفصحاء .

أهم صفات الجملة التى يرد فيها اسم الفعل :

هذا ما يطلق عليه - بتعبير النحاة - « أحكام اسم الفعل » وهى أحكام يقصد بها غالبا ما يتميز به وحده عن كل من الأسماء والأفعال ، باعتباره - كما سبق - شبيها بهما ، وليس واحدا منهما - ومن هذه الأحكام ما يلى :

(١) أنه لا يضاف ، تماما كما أن الفعل لا يضاف .

(٢) أنه لا يأتى معه الضمير البارز ، فالكلمة (صَهْ) مثلا تستخدم هكذا للمفرد والمثنى والجمع المذكر من ذلك والمؤنث - ويمكن موازنة ذلك بالفعل (اسكْتُ) إذ تقترن به الضمائر البارزة بحسب الأحوال السابقة .

(٣) أن اسم الفعل إذا نُؤن فهو نكرة ، وإذا لم ينون كان معرفة .

ولنتأمل ما يلى :

صَهْ عن الحديث { اسكْتُ عن هذا الحديث الخاص ولك الكلام فى { غيره

صَهْ عن الحديث { اسكْتُ تماما عن كل حديث

إِيهِ حديثا { زِدْنِي من هذا الحديث الخاص الذى تحدثنى عنه

إِيهِ حديثا { زِدْنِي من أى حديثٍ تتحدث فيه

(٤) يرى جمهور النحاة أن المفعول بعد أسماء الأفعال لا يتقدم عليها وهذا طبعا بخلاف الأفعال ، إذ يمكن أن يتقدم عليها مفعولها أو يتأخر ، وعلى ذلك يقال : (تُحْذُ الكتابُ) أو (الكتابُ تُحْذُ) ولكن فى اسم الفعل يقال : (دُونْكَ الكتابُ) لا غير .

هذا هو الاتجاه العام ، وتفرد عنه إمام نحوى جليل هو « الكسائى » فمن رأيه

أنه يصح أيضا أن يتقدم المفعول على اسم الفعل مستدلا بالآتى :

• قول الله تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [الآية ٢٤ من سورة النساء] .

• قول أحد الرجاز :

يا أَيُّهَا الْمَائِحُ دَلَوِي دُونَكَ ^(١)
إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ

ويبدو أن لهذا الرأي الأخير - رأى الكسائي - وجاهته ويقبله ذوق المتحدث باللغة ، مع التنبيه إلى أن هذين الشاهدين السابقين موضع أخذ وردّ بين النحاة مما لا داعي لذكره هنا .

(٥) أن المضارع يجزم في جواب ما يدل منه على الأمر ^(٢) ، تقول (مَكَانَكَ يَأْتِكَ النَّصْر) و(أَمَامَكَ تَقْتَحِمُ) .

لكن لا ينصب المضارع بعد فاء السببية مع أسماء الأفعال ^(٣) - وهذا هو الاتجاه العام ، فلا تقل (مَكَانَكَ فَتُحْمَدِي) - خلافاً أيضاً للكسائي حيث يصح في رأيه النصب أيضاً بعد فاء السببية - وهذا ما أرجّحه فهو رأى له وجاهته ويقبله ذوق المتحدث باللغة .

أسماء الأصوات :

يقصد بأسماء الأصوات ما يدل على الأمرين التاليين :

الأول : ما يستخدم لخطاب ما لا يعقل مما يشبه اسم الفعل أ . ه .

قال ابن هشام : كقولهم في دعاء الإبل لتشرب : (جِيْ جِيْ) : وفي دعاء الضَّأْن : (حَاخَا) وفي دعاء الماعز : (عَاغَا) ، وفي زجر البغل : (عَدَسْ) ومن هذا قول يزيد بن مفرغ الحميري في خطاب فرسه وهو يهرب به :

عَدَسْ مَا لِعَبَّادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ أُمْنِتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ ^(٤)

(١) المائح : من ينزل البئر ليملاً الدلاء - الدلو « الجرذل » .

الشاهد : في (دَلَوِي دُونَكَ) فإن (دُونَكَ) اسم فعل بمعنى « خذ » وتقدم عليه المفعول وهو « دَلَوِي » - وهذا شاهد للكسائي على جواز تقدمه .

(٢) هو ما سمي في جوازم المضارع « العجزم في جواب الطلب » - راجع جزم المضارع .

(٣) النصب مع فاء السببية بعد الطلب أو النفي - راجع نصب المضارع .

(٤) عدس : اسم صوت لزجر الخيل أو البغال - عباد : عباد بن سليمان حاكم سجستان ، وكان الشاعر قد هجاه ، ثم هرب منه - طليق : حر بعد نجاته .

الشاهد : « عدس » استعملها الشاعر اسم صوت لزجر فرسه ، وهو اسم صوت مبني لا محل له

الثانى : ما حكى به من صوت ما لا يعقل من الحيوان أو الأشياء أ . ه .
قال ابن هشام : « وذلك مثل (غَاق) لحكاية صوت الغراب و(طَاق) لصوت
الضرب و(طَقَّ) لصوت وقع الحجارة و(قَبَّ) لصوت وقع السيف على
الضريبة » أ . ه .

وهذه كلمات قلَّ أن ترد فى اللغة ، وهى مبنية لا محل لها من الإعراب
ولا يُرفع أو يُنصب بعدها شئ .

* * *

المصدر

- (١) المقصود بالمصدر فى رأى الصرفيين .
- (٢) العلاقة الذهنية والصفات السلبية للمصدر الذى يعمل عمَل فعله .
- (٣) صور استعمال المصدر فى جملة كما وردت فى الكلام العربى .
- (٤) اسم المصدر والمصدر الميمى .

* * *

معنى المصدر :

- قَرَّ - جاهد - أفاد - تقدم - ارتقى - استراح { الأفعال
- قرار - جهاد - إفادة - تقدُّم - ارتقاء - استراحة { مصادرها

جاء فى قطر الندى فى تحديد المصدر : « هو الاسم الدال على الحدث الجارى على الفعل » . أ . ه .

ومن هذا التحديد - وتأمّل الأمثلة السابقة - يفهم ما يلى :

(أ) أن المصدر يشارك فعله فى معناه ، فكل منهما يدل على الحدث .

(ب) أن المصدر يشارك فعله فى حروفه ، فالحروف الموجودة فى الفعل توجد أيضًا فى المصدر بلا نقصان .

(ج) ينفرد الفعل بأنه يدل على الزمن ولا يدل عليه المصدر .

المصدر الذى يقوم بعمل الفعل :

ليست كل المصادر التى ينطبق عليها التعريف السابق يمكن أن تؤدى عمل أفعالها من الرفع والنصب ، لكن الذى يتفرد بذلك ما يتوافر له صفات خاصة فى الجملة التى يرد فيها ، وبعض هذه الصفات يعود إلى القيام بعمل ذهنى - تجربة - يتخيلها الذهن فيحدد على أساسها ما يصلح من المصادر للقيام بعمل الأفعال وما لا يصلح لذلك - كما أن بعض هذه الصفات سلبى ، بمعنى أنه يجب تجرد المصادر التى تقوم بعمل الأفعال منه حتى تصلح لأداء هذه المهمة . وإليك

أولاً : التجربة الذهنية :

المقصود بها تصور أن يحل محل المصدر في جملته أحد أمرين :

(أ) « أَنْ » المصدرية والفعل ماضيا أو مضارعا .

(ب) « ما » المصدرية والفعل .

فإذا لم يصلح المصدر لهذه التجربة في جملته ، فإنه - كما قلنا - لا يؤدي

عمل الفعل مما سبق شرحه بالتفصيل في (عمل الأفعال في الجملة) .
وعلى ذلك فلنلاحظ الأمثلة التالية :

من عوامل السلامة تدبُّوكَ الأمورَ بهدوءٍ = من عوامل السلامة أن تتدبَّرَ الأمورَ

بهدوءٍ

ومن عوامل التَّدامةِ تَعَجَّلُكَ الغايةَ بانفعالٍ = ومن عوامل التَّدامةِ أن تتعَجَّلَ الغايةَ

بانفعالٍ

فرح المتأنِّي بتحقيق رغبته ابتهاجًا { لا يمكن القيام بالعمل الذهني السابق

وحزن المتعجِّل لضياح الفرصة ندمًا { المصدر لا يعمل عمل العمل

ثانياً : الصفات السلبية :

المقصود بها أن يتجرَّد المصدر الذي يقوم بعمل الفعل منها ، ومن المفيد

قبل ذكرها أن نعلم أن كل صفة من هذه الصفات موضع أخذ وردّ كثيرين بين علماء النحو ، مما لا داعي لذكره هنا - وإليك إذن أهم هذه الصفات :

(١) ألا يكون المصدر مصغراً ولا مجموعاً ، والحق أن المصدر - كما سبق

في المفعول المطلق - لا يكاد يرد في اللغة مصغراً أو مجموعاً - مثل (تجارب -

مواعيد - إنشاءات) ومع ذلك يرى بعض النحاة صحة قيام المصدر المجموع

بعمل الفعل ، ومن ذلك قول الشاعر :

وَعَدْتُ ، وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ يَيْثَرِبُ (١)

(١) سجية : طبعاً وخلقاً - عرقوب : اسم رجل يضرب به المثل بين العرب في إخلاف المواعيد

(٣) ألا يكون المصدر دالا على المرة ، مثل (رُمِيَّة - جَرْعَة - نَوْبَة - لَقْطَة) - وخالف في ذلك بعض النحاة ، فأعلموا المصدر الدال على المرة استدلالا بقول الشاعر يصف الصحراء :

وَدَاوِيَّةٌ قَفَرٍ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا
أَدْلُهُ رَكْبَتُهَا بَنَاتُ النَّجَائِبِ
يُحَايِي بِهَا الْجِلْدُ الَّذِي هُوَ رَاكِبٌ
بِضْرِبَةٍ كَفَيْهِ الْمَلَأَ نَفْسَ رَاكِبٍ^(١)

ويبدو أن لهذا الرأي الأخير وجاهته ، والذوق اللغوي يقبله ، إذ تقول :
(أَفَادَتْ رَمِيَّةُ حَارِسِ الْمَرْمَى الْكَرَّةَ فَرِيقَهُ) وتقول : (جاءت لِقْطَةُ آلَةِ التَّصْوِيرِ
الصُّورَةَ مُحْكَمَةً).

(٤) ألا يوصف المصدر قبل أن يؤدي عمله في الجملة - وخالف في ذلك بعض النحاة ، فأعملوا المصدر الموصوف مطلقا ، ومن ذلك قول الشاعر :

إِنَّ وَجْدِي بِكَ الشَّدِيدَ أَرَانِي عَاذِرًا فَيْكَ مِنْ عَهْدْتُ عَذُولَا (٢)

= يقول : لقد وعدت وأخلفت ، وهذا من طبعك ، مواعيدك لا يوثق بها كمواعيد عرقوب أخاه
بيشرب ، إذ كان دوما يخلف فيها !!
الشاهد : فى قوله « مواعيد عرقوب أخاه » إذ أعمل المصدر « مواعيد » وهو جمع « موعد »
وهذا اتجاه لبعض النحاة .

(١) الداوية - بتشديد الياء - الصحراء الشاسعة - قفر : جرداء - القطا : من طيور الصحراء التي تعرف فيها - بنات النجائب : النياق النجبية - بها : بالصحراء - الجلد : الصبور : القادر على احتمال المكاره - بضرية كفيه الملا : التيمم .

يقول : رب صحراء شاسعة يضل سالكها من الإنسان والطيور حتى القطا سلكتها مع صاحبي بدون دليل سوى ما تركه من النياق النجبية ، فلما عطشت وأشرفت على الهلاك ، قدم لى صاحبي الماء الذى معه فأحياني به ، وتيمم إذ لم يجد الماء .

الشاهد : في قوله (بضربة كفيه الملا) إذ أعمل المصدر « اسم المرة » فأضافه للفاعل ، ونصب بعده المفعول به .

ولهذا رأى المخالف وجاهته ، والذوق اللغوى يقبله ، إذ تقول : (قدّمت مشاركتى الجادة الأصدقاء معاونة أكيدة لهم) وتقول : (كان توقّعى الشديداً الخطر نجاةً لى) .

هذا ، وأرى أن يترك الحديث عن بقية الصفات السلبية ، فكلها موضع أخذ وردّ لا يدرى معه وجه اليقين ، خصوصاً أن هذه الصفات السلبية وكذلك التجربة الذهنية وسائل غير لغوية ، لكن ذكرت هنا من باب « العلم بالشيء » لا من باب « العلم باللغة » .

صور استعمال المصدر فى الكلام العربى :

يأتى المصدر الذى يقوم بعمل الفعل فى الكلام العربى على الصور الثلاث التالية :

الصورة الأولى : المصدر المضاف :

وهذه الصورة أكثر ما ترد فى استعمال الكلام العربى ، ولها فى اللغة مظهران :

(أ) أن يضاف المصدر للفاعل ، كقولنا : (مجاهدة المرء نفسه جهاداً عند الله) و (كسب الإنسان احترام الناس ثمرة جهد عظيم) ، ومن شواهد ما يلى :

● قول الله تعالى : ﴿ وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ [الآية ١٦١ سورة النساء] .

● قول عمرو بن معديكرب :

أعاذل ، إنما أفنى شبّابى إجابتي الصريخ إلى المُنَادِى ^(١)

= « الشديداً » وقام بعمل الفعل ، فأضيف إلى فاعله وهو ياء المتكلم ، وتعلق به الجار والمجرور « بك » .

(١) الصريخ : المستغيث بالصراخ - المنادى : من يدعو الناس لنجده .

يقول : لقد قضيت عمري فى أعمال المروءة والشجاعة ، إجابة المستغيث الملهوف وطالب النجدة .

الشاهد : فى « إجابتي الصريخ » فقد أضيف المصدر « إجابة » إلى ياء المتكلم من إضافة المصدر إلى فاعله ، ونصب بعده المفعول به وهو « الصريخ » .

(ب) أن يضاف المصدر للمفعول به كقولنا : (احتمالُ المكارِهِ بِجَلْدِ دليلُ الصَّبْرِ والإرادة) وقولنا : (معاقبَةُ الأشرارِ سلامةٌ للمجتمع) - ومن ذلك الشواهد التالية :

● قول الشاعر :

أَلَا إِنَّ ظُلْمَ نَفْسِهِ الْمَرْءُ بَيِّنٌ
إذا لم يَضُنُّهَا عَنْ هَوَى يَغْلِبُ الْعَقْلَا (١)

● قول الفرزدق يصف ناقته :

تَنْفَى يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفَى الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِفِ (٢)
الصورة الثانية : المصدر المقترن « بَال » :

توصف هذه الصورة بأنها نادرة في اللغة جدا ، حتى لتكاد تصل إلى حدّ الشذوذ .

ومن شواهد قول الشاعر :

عَجِبْتُ مِنَ الرِّزْقِ الْمَسِيءِ إِلَهُهُ وَمَنْ تَزَكَّ بَعْضُ الصَّالِحِينَ فَقِيرَا (٣)
الصورة الثالثة : المصدر المُنَوَّن (المجرد من « أَل » والإضافة) :

هذه الصورة توصف بأنها كثيرة في اللغة أيضا ، وإن لم تصل في كثرتها إلى

(١) الشاهد : في (ظلم نفسه المرء) حيث أضيف المصدر « ظلم » إلى المفعول به « نفسه » من إضافة المصدر للمفعول ، وجاء الفاعل بعد « المرء » .

(٢) تنفى : تثر - يداها : رجلاها الأماميتان - هاجرة : وقت الظهر مع اشتداد الحر - الدراهم : هي « الدراهم » - تنقاد : إعطاء النقود - الصياريف جاء في القاموس : الصيرفي : المحتال في الأمور كالصيرف وصراف الدراهم جمعه صيارفة ، والهاء للنسبة ، وقد جاء في الشعر « صياريف » .
الصورة التي تضمنها البيت هي : الناقه تثر الحصى أمامها وقت الظهيرة ، كما ينثر الصيرفي الدراهم حين يعطيها .

الشاهد : في قوله (نفى الدراهم تنقاد الصياريف) حيث أضيف المصدر « نفى » إلى المفعول به « الدراهم » من إضافة المصدر للمفعول ، وجاء الفاعل بعده وهو « تنقاد الصياريف » .

(٣) الشاهد : في (الرزق المسىء إلهه) حيث جاء المصدر مقترنا « بَال » « الرزق » ونصب بعده المفعول « المسىء » ثم جاء الفاعل « إلهه » .

حد المصدر المضاف ، كقولك : (من حُسِنِ الخُلُقِ نَطَقَ صِدْقًا وعَمِلَ معروفًا) -
ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَلِيْمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾
[الآيتان ١٤ - ١٥ من سورة البلد] .

اسم المصدر والمصدر الميمى :

هذان نوعان خاصان من المصادر يؤدیان عمل المصدر الأصلي ، وكل واحد منهما فى حاجة إلى معرفة معناه ، وتقديم بعض شواهد له فى كلام مفيد .

اسم المصدر :

قال ابن عقيل عنه : « المراد باسم المصدر ما ساوى المصدر فى الدلالة وخالفه بخلوّه لفظًا وتقديرًا من بعض ما فى فعله » . أ . ه .

ومعنى هذه العبارة يتلخص فى أمرين :

(أ) أن اسم المصدر يدل على ما يدل عليه المصدر وهو « الحدث » وهذا موضع الموافقة بينهما .

(ب) سبق أن المصدر الأصلي يشتمل على حروف فعله وأكثر أما اسم المصدر فتقل حروفه عن حروف فعله ، وهذا موضع المفارقة بينهما .

الفعل : اغتسل : { اغْتِسَالًا : المصدر

{ غُسْلًا : اسم المصدر

الفعل : أعطى : { إعْطَاء : المصدر

{ عَطَاء : اسم المصدر

واسم المصدر يقوم بعمل المصدر - على حسب التفصيل السابق عن المصدر - ومن شواهد ذلك ما يلى :

● قول الشاعر :

إذا صَبَحَ عَوْنُ الخَالِقِ المرءَ لم يجدْ عسيراً من الآمالِ إلّا مُيسِّراً ^(١)

• قول الشاعر :

بِعِشْرَتِكَ الْكَرَامَ تُعَدُّ مِنْهُمْ فَلَا تُزَيِّنُ لغيرهم أُلُوفًا ^(١)

المصدر الميمي :

يقصد به صرفيا : ما بدئ بميم زائدة ودل على الحدث مثل (مَوْعِد) بمعنى (وعد) وكذلك (مُعتقد) بمعنى (اعتقاد) ومن أشهر شواهد قول الحارث المخزومي :

أَظْلُمُ إِنَّ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ ^(٢)

* * *

= الشاهد : في (عون الخالق المرء) فإن « عون » اسم مصدر ، ومصدره « إعانة » وقد أدى عمله ، فأضيف إليه الفاعل « الخالق » ونصب المفعول به « المرء » .

(١) لا تصاحب إلا الكرام ، فمن صاحب الكرام عد منهم .

الشاهد : في (بعشرتك الكرام) فإن « عشرة » اسم مصدر بمعنى « المعاشرة » وقد قام بعمل الفعل ؛ فأضيف إليه الفاعل « ضمير المخاطب » ونصب المفعول به « الكرام » .

(٢) الشاهد : في (إن مصابكم رجلا) فإن المصدر الميمي « مصاب » قام بعمل الفعل ، فأضيف إليه الفاعل « ضمير المخاطبين » ونصب المفعول به « رجلا » .

ثانياً : اسم الفاعل من غير الثلاثي يؤتى به على وزن الفعل المضارع مع قلب حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل آخره ، فكأنما نقوم بعملية ذهنية تمر أولاً بالفعل المضارع ، ليصاغ بعد ذلك اسم الفاعل ، تقول فى :

استقام	يستقيم	مُسْتَقِيمٌ
أفاد	يُفيد	مُفِيدٌ
ذاكر	يُذاكر	مُذَاكِرٌ

صور استعمال اسم الفاعل فى الكلام العربى :

المقصود بذلك اسم الفاعل الذى يقوم بعمل الفعل ، إذ يأتى فى اللغة على الصورتين الآتيتين :

الصورة الأولى : أن تقترن به « أل » :

فى هذه الصورة يؤدى اسم الفاعل عمل الفعل بلا شروط ، أو كما يرد فى كتب النحو « يعمل عمل فعله مطلقاً » ، تقول : (المستبَدُّ بالرأى هالكٌ والمشاورُ أهلُ الرأى ناجٍ) وتقول : (الناطقُ الحقُّ فى موقف الظلمِ شجاعٌ إنْ عاش وشهيدٌ إنْ قُتل) .

ويقول امرؤ القيس عن قتل أبيه وقتلته :

والله لا يذهبُ شيخى باطلاً حتى أبير مالكا وكاهلاً
القاتلين المليك الحلاجلاً خيرَ مَعَدٍّ حسباً ونائلاً^(١)

الصورة الثانية : التجرد من « أل » :

وفى هذه الصورة لا يقوم اسم الفاعل بعمل الفعل فى الجملة التى يرد فيها إلا بتحقيق أمرين له ، أحدهما خاص بمعنى الجملة ، والثانى خاص بكلماتها على التفصيل التالى :

(١) شيخى : المقصود « أبى » - باطلا : هدرًا - أبير : أهلك - مالكا وكاهلاً : قبيلتان من بنى

أسد - الملك الحلاجل : بضم الحاء الأولى وكسر الثانية : السيد الشجاع - حسباً : نسباً - نائلاً : عطاء .

الساهد : فى (القاتلين الملك الحلاجل) حيث قام اسم الفاعل المتصل بالألف واللام (القاتلين)

بعمل الفعل ، ونصب بعده المفعول به (الملك) وفاعله ضمير مستتر .

(أ) أن يكون معنى الجملة - بما فيها اسم الفاعل - مما يتحقق في الوقت الحاضر أو المستقبل فقط دون الماضي .

(ب) أن يتقدم على اسم الفاعل في الجملة واحد مما يلي :

١ - إحدى أدوات النفي أو الاستفهام أو النداء .

٢ - اسم يأتي اسم الفاعل خبراً له أو صفة له .

فلنطبق الشرطين السابقين على الأمثلة التالية :

ما مُطْمَئِنُّ قَلْبُ الْمَنَافِقِ وَلَا هَادِئَةٌ قَسَمَاتُ وَجْهِهِ
أَرْضُ ضَمِيرِكَ عَنْ عَمَلِكَ ، إِذَنْ لَا تَبْحَثُ عَنْ نَتِيجَتِهِ
الْحَقُّ قُوَّةٌ قَاهِرَةٌ الْبَاطِلَ إِذَا تَوَافَرَتْ لَهَا الْحَرِيَّةُ وَالْإِرَادَةُ
ومما استوفى الشرطين من الشواهد ما يلي :

● قول القائل :

ما رَاعِ الْخِلَانَ ذِمَّةَ نَاكِثٍ بَلْ مَنْ وَفَى يَجِدُ الْخَلِيلَ خَلِيلًا^(١)

● قول الأعشى :

لَأَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّ النَفِيرُ بِنَا وَشُبَّتِ الْحَرْبُ بِالطُّوْفِ وَاحْتَمَلُوا
كِنَاطِحَ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُؤْهِنَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

وفي هذا الشاهد الأخير يوجد موصوف محذوف تقديره (كوعل ناطح)^(٢) .

(١) يقول : لا يفى الأصدقاء لمن لا يفى بالعهد ، فالوفاء أصل الصداقة ، فإذا تحقق ، كان الأصدقاء أصدقاء حقا .

الشاهد : في (ما راع الخلان ذمة ناكث) حيث جاء اسم الفاعل (راع) مجردا من (أل) واستوفى شرطيه : كونه للاستقبال واعتماده على نفي سابق هو (ما) ولذلك قام بعمل الفعل ، ورفع الفاعل (الخلان) ونصب المفعول به (ذمة ناكث) .

(٢) جد النفير : المقصود به ، أعلنت الحرب - الطواف : بضم الطاء المشددة يبدو أن معناها : المقاتلون إذ يطوفون بالميدان ، ويطوف كل منهم بالآخر - ليوهنها : ليضعفها ، ورواية ديوان الأعشى : ليفلقها - لم يضرها : لم يؤثر فيها - الوعل : ذكر الماعز والظباء .

يقول : حين تعلن الحرب وتشب بين المقاتلين سرى ما تفعل !! إنك لن تنال منا شيئا رغم ما تكابده من مشقة ، سنكون كالوعل الذي ينطح الصخرة ليفلقها إنه سيكسر قوته ولن يؤثر فيها والبيت الأخير يضرب مثلا لمن يجهد نفسه مع من هو أقوى منه .

وبعد : فإنه ينبغي بعد معرفة اسم الفاعل وصوره اللغوية التنبيه للنواحي الجانبية التالية :

أولاً : أن بعض النحاة لم يشترط في الصورة الثانية - المجرد من « أل » - ما اشترطه الجمهور في معنى الجملة أو في ألفاظها ، وأطلق الأمر فيها كالصورة الأولى ، وفي ذلك حديث طويل ومناقشات مجعدة لا داعي لذكرها .

ثانياً : المفعول الذي يرد بعد اسم الفاعل يصح لك نصبه ويصح لك إضافته إليه ، سواء أكان اسم الفاعل من الصورة الأولى أم من الثانية - الإضافة فيه لفظية على ما تقدم شرحه - فلنطبق ذلك على ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ﴾ [الآية ٣ من سورة الطلاق] .

قرئت هذه الآية على وجهين بتنوين كلمة (بالغ) ونصب كلمة (أمره) وبغير تنوين لكلمة (بالغ) وجر كلمة (أمره) .

● قول الله تعالى : ﴿ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّهِ ﴾ [الآية ٣٨ من سورة الزمر] .

قرئت هذه الآية أيضاً على وجهين : تماماً كالأية السابقة .

ثالثاً : أن اسم الفاعل سواء أكان مفرداً أم مجموعاً جمع مذكر أو مؤنث فإنه ينطبق عليه ما سبق شرحه من معناه وصوره - كما هو واضح في الآية السابقة .

وكقولك : (أحب صديقي الحافظي الغيبة الغافري العثرة وأكره أديعاء الصداقة الثالين الأعراض المطلقين ألسنتهم بالسوء) .

* * *

= الشاهد : في (كناطح صخرة) فإن اسم الفاعل « ناطح » قام بعمل الفعل فنصب المفعول به « صخرة » معتمداً على موصوف محذوف تقديره « كوعل ناطح » .

أمثلة المبالغة

- ١ - المقصود بالكلمتين (أمثلة - مبالغة) .
- ٢ - أوزان المبالغة الخمسة وشواهدا من الكلام العربى .

* * *

لاحظ الأمثلة الآتية :

سَمَاع - كَرَار - جَذَاب - مِقْدَام - جُمُوح - عَذُول
هذه الكلمات السابقة يطلق عليها (أمثلة المبالغة) ويمكن تحديد الكلمتين نظريا بما يلى :

أمثلة : تعنى نماذج لما تكون عليه الكلمات التى تفيد المبالغة ، فكأن هذه الأمثلة - التى تذكر - صور لما ينبغى أن يأتى عليه غيرها - وبعبارة أقرب : هى صيغ خاصة تفيد معنى المبالغة - وسيأتى عدّها .

المبالغة : جاء فى قطر الندى نصا : « كلها تقتضى تكرار الفعل ، فلا يقال (ضَرَبَ) لمن ضرب مرة واحدة ، وكذا الباقي » . أ . ه .

ومعنى ذلك أن المبالغة تأتى من إفادة هذه الأوزان تكرار معناها بحيث يصبح هذا المعنى للمتصف به عادة دائبة له تتكرر كثيرا

وهذا وينبغى التنبه قبل عدّ هذه الأمثلة للأمرين التالين :

الأول : أن هذه الأمثلة تصاغ من الثلاثى ومن غير الثلاثى على الأوزان نفسها وإن كان الأغلب فيها هو صياغتها من الثلاثى - ومما يذكر للتمثيل لغير الثلاثى - كما جاء فى الأشمونى - الكلمات (دَرَاك - سَار - مِعْطَاء - مِهْوَان - سَمِيع - نذير - زُهْوق) وهى على الترتيب مصوغة من الأفعال (أدرك - أسار - أعطى - أهان - أسمع - أنذر - أزھق) وكلها غير ثلاثية .

الثانى : أن هذه الأمثلة تؤدى تماما عمل اسم الفاعل بالتفصيل السابق الذى مرّ عنه ، بل إن بعض كتب النحو تذكر أن هذه الصيغ محولة عن اسم الفاعل بقصد إفادته المبالغة - وهذا كلام لا معنى له ، فهى صيغ مستقلة مأخوذة من الأفعال دون أن تحول عن غيرها .

أوزان المبالغة وشواهدا :

هى خمسة أوزان ، أكثرها استعمالا فى العربية الثلاثة الأولى ثم الرابع ثم الخامس ، وهى :

(١) **فَعَّالٌ** : مثل (حَمَّال - صَبَّار - سَبَّاق) تقول : (كان الرسولُ حَمَّالاً المَكْرُوهَ وصَبَّاراً على الأذى وسَبَّاقاً لتقديمِ المواساة) ومن ذلك أيضا (طَمَاع - قَتَّال) ومن شواهدا :

● قول العرب : (أما العسلُ فأنا شرَّاب) .

قول الشاعر :

أخا الحربِ لَبَّاسًا إليها جِلَّالَهَا وليس بولَّاجٍ الخَوَالِفِ أَعْقَلَا (١)

(٢) **مِفْعَالٌ** : مثل (مِقْدَام - مِضْيَاف - مِثْلَاف - مِزْوَاج) تقول : (من صفات المدنيين الكريمة أن يكون مِقْدَامًا فى الحرب مِضْيَافًا فى منزله ، ومن صفات المتخلف السفية أن يكون مِثْلَافًا لأمواله مِزْوَاجًا للنساء دون حاجة) . ومن ذلك :

● قول العرب فى الوصف بالكرم : (إنه لَمِنْحَارٌ بَوَائِكُهَا) (٢) .

(٣) **فَعُولٌ** : مثل (صَدُوق - كَذُوب - جَهُول - زَهُوق) تقول : (إن الرجل يصدق ، فيكون ذلك عادةً له ، فيصير دائما صَدُوقًا فى أقواله ، وإن الرجل ليكذب فيكون ذلك عادةً له ، فيصير دائما كَذُوبًا فى أقواله) .

ومن ذلك قول الراعى النميرى :

عَشِيَّةً شُعْدَى لو تراءتْ لراهبٍ بدُومَةٍ تَجُرُّ دونه وحجيجٍ

(١) لباسا إليها جلالها : الجلال : ملابس الميدان - ولاج : كثير الدخول - الخوالف : أعمدة الخيام - أعقلا : الشديد الجبن .

يقول : إننى شجاع محارب أجيد ارتداء ملابس الميدان ، ولست نذلا جبانًا أتسرب بين أعمدة الخيام للاعتداء على الجارات .

الشاهد : قوله (لباسا إليها جلالها) فإن (لباس) صيغة مبالغة على وزن (فعال) قامت بعمل الفعل ، ونصب بعدها المفعول (جلالها) وفاعلها ضمير مستتر .

قَلَى دِينَهُ ، واهْتَاجَ للشُّوقِ ، إنها على الشوق إخوانَ العزاءِ هَيُوجُ (١)

(٤) فَعِيل : مثل (سميع - شبيه - عليم - خبير - بصير - حميد) .

ومن ذلك :

• قول العرب : (إن الله سميعٌ دعاءٌ مَنْ دَعَاهُ) .

• قول ابن قيس الرقيات فيما أنشده سيبيويه :

فتاتان ، أَمَا مِنْهُمَا فَشَبِيهَةٌ هَلَالًا ، وَأُخْرَى مِنْهُمَا تُشَبُّهُ الْبَدْرَا (٢)

(٥) فَعِل : مثل : (جَدِل - حَذِر - أَكِل - عَجِل - خَصِم) تقول : (أَحَبُّ

كُلِّ امْرِئٍ حَذِرٌ مِضَارُهُ ، وأَحْتَقِرَ كُلُّ إِنْسَانٍ جَدِلٌ فِي حَدِيثِهِ) .

ومن ذلك قول الشاعر :

حَذِرٌ أُمُورًا لَا تَضِيرُ وَآمِنٌ مَا لَيْسَ مُنْجِيهِ مِنَ الْأَقْدَارِ (٣)

هذا وقد وصف هذا الوزن الأخير بأنه قليل في اللغة .

* * *

(١) دومة . اسم سوق للعرب يجتمعون به - تجر : تجار - قلى دينه : كرهه - إخوان العزاء : الصابرون المتجلدون .

يقول : إن « سعدى » جميلة جمالا فائقا يؤدي للخيال ، فلو تراءت لراهب في سوق به كثير من الناس التجار والحجاج ، لسبته ، وأهاجت أشواقه ، فكره دينه وتبعها .

الشاهد : في (إخوان العزاء هيوج) فإن (هيوج) من أمثلة المبالغة على وزن (فعول) وقام بعمل الفعل ، ففاعله ضمير مستتر ، ومفعوله مقدم هو (إخوان العزاء) .

(٢) الشاهد : في قوله (شبيهة هلالا) فهي مثال للمبالغة على وزن (فعليل) ونصب بعدها المفعول به (هلالا) .

(٣) لا تضر : لا تضر .

يقول : عجيب ضعف الإنسان وقصور إدراكه ، فهو يحذر ما لا يضر ويغفل عما يأتي منه الهلاك من القدر .

الشاهد : (حذر أمورا) فإن (حذر) على وزن (فعل) من أمثلة المبالغة وقامت بعمل الفعل ، والفاعل ضمير مستتر ، والمفعول به (أمورا) .

اسم المفعول

- ١ - المقصود باسم المفعول لدى الصرفيين ، وكيفية صياغته .
- ٢ - عمل اسم المفعول فى الجملة .
- ٣ - موازنة بين اسم الفاعل والمفعول من الناحيتين الصرفية والنحوية .

* * *

اسم المفعول وكيفية صياغته :

يقصد به لدى الصرفيين : « الوصف المشتق من الفعل المبني للمجهول للدلالة على من وقع عليه الفعل » . أ . ه .

ومن ذلك يفهم أن اسم المفعول هو ما تحققت له الصفات التالية :

(أ) أن يكون وصفاً ، وهو بذلك يشترك مع كل الأسماء المشتقة الدالة على الوصف .

(ب) أن يكون مأخوذاً من الفعل المبني للمجهول ، وبذلك يتميز عن اسم الفاعل .

(ج) أن يكون دالاً على من وقع عليه الفعل ، وبذلك يتميز عن كل أسماء الأوصاف مثل (مَحْمُود - مَكْرُوه - مَذْمُوم - مُنْتَقَى - مُكْرَم) .

أما كيفية صياغته من الفعل فتكون على النحو التالى :

أولاً : من الفعل الثلاثى يصاغ بوزن (مفعول) مثل : (مَكْتُوب - مَقْرُوء - مَضُون - مَلُوم - مَعِيب - مَجِىء) .

ثانياً : من غير الفعل الثلاثى يصاغ بوزن المضارع مع قلب حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر ، مثل (مُقَدَّم - مُشَارَك - مُعَاد - مُسْتَفَاد - مُقَام) .

عمل اسم المفعول فى الجملة :

علم فى معنى اسم المفعول أن من أهم صفات صياغته مجيئه من الفعل

المبنى للمجهول ، ومعنى ذلك أنه يقوم بعمل الفعل المبني للمجهول ، وما يرد بعده فى الجملة يكون نائب فاعل على النحو التالى :

أولا : إذا كان اسم المفعول مأخوذا من الفعل المتعدى يكون نائب الفاعل أصله المفعول به ، تقول : (أسموْعُ صوتُ الحقِّ فى عالمٍ فَقَدْ ضميرُه) وتقول : (ما مُضَيِّعَةٌ حقوقٌ يُطالبُ بها أهلُها) .

ثانيا : إذا كان اسم المفعول مأخوذا من الفعل اللازم يكون نائب الفاعل معه هو المصدر أو الجار والمجرور أو الظرف (راجع : نائب الفاعل) .

تقول : (الكلامُ الردىءُ مسكوْتٌ عنه) و(العملُ الجادُّ مُنْصَرَفٌ إليه) .

هذا .. وينبغى التنبه إلى أن كل ما قيل فى اسم الفاعل - من حيث تقسيمه إلى ما فيه « أل » فيقوم بعمل الفعل دون شروط ، وإلى المجرد منها ولا بد من الشروط السابقة هناك - هذا كله أيضا يصدق على اسم المفعول تماما كما هو هناك فى اسم الفاعل .

الموازنة بين اسمى الفاعل والمفعول :

بمعاودة النظر على ما سبق من حديث اسمى الفاعل والمفعول ؛ يمكن - دون عناء كبير - الموازنة بينهما من حيث الصياغة والنحو على التفصيل التالى :

أولا : من الناحية الصرفية :

يتفق كل من اسم الفاعل والمفعول فى أنهما يصاغان من كل من الفعل المتعدى واللازم ، فتقول فى اسم الفاعل من (شاهد - استراح) : (مُشَاهِد - مُستريح) وتقول فى اسم المفعول منهما : (مُشَاهَد - مُستراح له) .

ويختلفان فى أن اسم الفاعل يصاغ من الفعل المبني للمعلوم ، أما اسم المفعول فإنه يصاغ من الفعل المبني للمجهول ، أو بعبارة أخرى : يأتى اسم الفاعل فى موضع الفعل المبني للمعلوم واسم المفعول فى موضع الفعل المبني للمجهول ، فأنت تقول : (ما نائمةٌ عَيْنُ الجبان) وتقول أيضا : (ما مُسَهِّدَةٌ عَيْنُ الشجاع) . ومن البين أنه يمكن وضع الفعل (تنام) موضع اسم الفاعل فى المثال

الأول وهو مبني للمعلوم ، كما يمكن وضع الفعل (تُسَهِّدُ) موضع اسم المفعول

- فى المثال الثانى - وهو مبني للمجهول .

ثانيا : من الناحية النحوية :

يتفق كل من اسم الفاعل والمفعول في التفصيلات والشروط التي ذكرت في اسم الفاعل ، بمعنى أن كلا منهما إن كان بـ « أَل » قام بعمله النحوى بلا شروط - وإن كان بغير « أَل » فإنه لا يقوم بهذا العمل إلا بالصفات التي ذكرت في معنى الجملة وألفاظها - كما سبق شرحه .

أما افتراقهما نحويا فيتمثل فى أن اسم الفاعل يرفع الفاعل - أما اسم المفعول فيرفع النائب عن الفاعل - وهذا أمر مفهوم مما سبق .

* * *

الصفة المشبهة

- ١ - المقصود بالصفة المشبهة ، ووجه تسميتها مشبهة .
- ٢ - ألفاظ الصفة المشبهة بين القياس والسماع .
- ٣ - الصورة اللغوية لجملة الصفة المشبهة ، مع بيان إعراب الاسم بعدها .

* * *

الصفة المشبهة :

نلاحظ أولاً الأمثلة التالية للصفة المشبهة :

- نقول : (حسن الوجه - طلق المحيا - رقيق القلب - طيب المعاشرة - شهم المعاملة - جمّ المروءة - لئین الجانب - رزان النفس) .
- ونقول : (إنها جميلة الوجه - بضّة الجسم - عذبة الروح - سوداء العينين - هيفاء القوام - عفيفة السلوك - حرة الخلق - حصان النفس) .

في كل هذه الأمثلة السابقة أسماء مما يطلق عليه « الصفة المشبهة » ومنها (حسن - طلق - رقيق - طيب - شهم - جمّ - لئین - رزان - جميلة - بضّة - عذبة - سوداء - هيفاء - حرة - حصان) . وغير ذلك كثير جداً وسيأتى .

وقد اختلفت أقوال العلماء حول تحديد معنى الصفة المشبهة اختلافاً متغايراً تماماً ، والحق أن ما ورد عن ذلك لا تناقض فيه ، وإنما هو اختلاف فى النظرة إلى الصفة المشبهة بين الناحيتين الصرفية والنحوية ، فاتجه بعض علماء النحو فى بيانها على أساس الصيغة الصرفية ، فأوردوا قيودها بناء على ذلك - واتجه آخرون لبيانها على أساس الناحية النحوية ، فأوردوا قيودها بناء على ذلك ، وهذان الاتجاهان يمكن أن يمثلهما التعريفان التاليان :

الأول :- كما جاء فى قطر الندى والأشمونى : « هى الصفة المصوغة لغير تفضيل من فعل لازم لإفادة نسبة الحدث إلى الموصوف بها دون إفادة معنى الحدث » . أ . ه .

ومن البين أن هذا التعريف صرفى ، وجهته تحديد الصفة المشبهة من حيث صيغتها - وإن تعرض أيضاً للمعنى - فهو يأخذ فى اعتباره القيود التالية :

(أ) أنها وصف - لغير تفضيل - إذ تدل - كما سبق غير مرة - على حدث وصاحبه ، مثل (فَرِحَ) تدل على شخص موصوف بالفرحة ، ومثل (بَطَلَ) إذ تدل على إنسان متّصف بالبطولة .

(ب) أنها تصاغ من فعل لازم ، وهذا هو الغالب فيها ، فمثلا كلمة (ضَحْم) من الفعل (ضَحْم) وهو لازم ، وأيضا كلمة (شريف) من الفعل (شَرَف) وهو لازم .

(ج) أنها تفيد نسبة الصفة لموصوفها ، ولا تفيد حدوثها ، بمعنى أنها تدل على ما هو موجود فعلا بالنسبة لصاحبها ، ولا تدل على شيء حدث بعد أن لم يكن ، كما هو واضح في (جَبَان - شُجاع - بَطَلَ) فهي صفات موجودة في صاحبها قبل الحديث عنها ، وربما استمرت أيضا بعد هذا الحديث .

الثاني : - كما جاء في الألفية وشروحها : « هي الصفة التي استحسن أن تضاف لما هو فاعل في المعنى » . أ . ه .

ومن البين أن هذا التعريف يأخذ في اعتباره الناحية النحوية من أن الصفة المشبهة تضاف لما هو فاعلها في المعنى ، أي أن المضاف إليه معها وإن كان مجرورا لفظا لكنه هو الفاعل الحقيقي لها ، مثل (نَقِيُّ الثوبِ) و(طَاهِرُ العِرضِ) فإن الكلمتين (الثوب - العرض) مضافتان للصفة وهما في الوقت نفسه الفاعلان في الذهن ، فالثوب ينسب له النقاوة ، والعرض ينسب له الطهارة ، وهذه الطريقة هي التي تحدد بها الصفة المشبهة .

والحق أن التحديد الأول أدق وأشمل من الثاني الذي عارضه من يُعتدّ بهم من النحاة .

لماذا سميت مشبهة ؟

لاحظ الأمثلة التالية :

كان الرسول ﷺ شريفاً النفس طيباً الأخلاق
وكان أبو بكر رضي الله عنه ضِعْلاً جسمه شجاعاً رُوحه

في المثالين السابقين نجد في المثال الأول صفتين مشبهتين هما (شريف - طيب) والاسم الذي بعدهما يمكن نصبه فينطق (النفس - الأخلاق) كذلك في

المثال الثانى صفتان مشبهتان هما (ضئيل - شجاع) وبعدهما أيضا اسمان منصوبان هما (جسم - روح) .

إن المعنى الذى يخطر هنا على الذهن هو : أن الصفة المشبهة تؤخذ من الفعل اللازم - كما سبق القول فى تعريفها - فكيف إذن أتى بعدها الاسم منصوبا فى الاستعمال اللغوى مع أن الفعل اللازم لا ينصب الاسم بعده ؟

هذه هى المشكلة التى واجهت النحاة ، فتخلصوا من ذلك بإطلاقهم على هذه الصفات أنها « مشبهة » ومعنى ذلك فى - رأيهم - أنها مشبهة باسم الفاعل المتعدى لواحد الذى ينصب بعده المفعول ، وما دامت مشبهة به فيصح أيضا أن يأتى بعدها المنصوب ، أما وجوه المشابهة بينها وبين اسم الفاعل فتتلخص فى أمرين :

الأول : أنها تدل مثله على معنى وصاحبه ، فهى وصف مثله تماما ، فكما أن (مُكْرِم) اسم فاعل تدل على شخص ينسب له الكرم ، كذلك (كَرِيم) صفة مشبهة تدل على المعنى السابق نفسه .

الثانى : أن كلا منهما يكون مفردًا ومثنى ومجموعًا ، مذكرا ومؤنثا فكما يقال : (عَاقِل - عَاقِلَان - عَاقِلُونَ - عَاقِلَةٌ - عَاقِلَتَان - عَاقِلَات) يقال أيضا فى الصفة المشبهة : (فَرِحَ - فَرِحَان - فَرِحُونَ - فَرِيحَةٌ - فَرِيحَتَان - فَرِيحَات) .

من أجل هذين الأمرين السابقين اللَّذَيْنِ يتعلق أحدهما بالمعنى والآخر باللفظ سميت هذه الصفة مشبهة ، والذى دعا إلى عقد هذه المشابهة وجود الاسم المنصوب فى الجملة التى ترد فيها .

والذى أراه أن الأمر مرجعه أولا وأخيرًا استعمالُ اللغة ، فقد ورد الاسم مع هذه الصفة منصوبًا ، وكان وصفه - كما ورد - كافيا دون عقد هذه المشابهة وإطلاق هذه التسمية ، فهى تراكمات صناعية دعا إليها البحث عن علة المنصوب ثم عقد المشابهة ، ثم التسمية - وما كان أغناهم عن ذلك كله لو اقتصرُوا على الوصف اللغوى وحده .

ألفاظ الصفة المشبهة بين السماع والقياس :

فالقياص : يقصد به ذكر قاعدة عامة تنطبق على كل ما يندرج تحتها من الأمثلة ؛ كما تقول مثلاً : (يصاغ اسم الفاعل من الثلاثي على وزن فاعل) فهذه قاعدة عامة يندرج تحتها (ساهر - نائم - قائم - راکع - ساجد - عالم - جاهل) .

أما السماع : فيقصد به أن ذلك المسموع لا يدخل تحت قاعدة عامة ، بل سمع عن العرب هكذا ، فنقل في كتب اللغة والنحو كما سمع ، كقولنا : (اسم المكان المختص الذي ورد منصوباً في اللغة سماعي لا يقاس عليه) مثل (دخلت الدار والمسجد) .

تحت أيّ هذين القسمين إذن تأتي ألفاظ الصفة المشبهة ؟؟

إن ألفاظ الصفة المشبهة سماعية ، ومن الصعب حصرها ، فهي كثيرة جداً ولا تندرج تحت قواعد حاسمة تجمعها - وكل ما يذكر من قواعد لصياغتها من الثلاثي ومن غيره (راجعها في كتب الصرف) إنما هدفه التقريب لا الحصر ويقصد منه المعاونة على معرفتها لا القياس .

من أجل ذلك أرى من الأفضل إيراد مجموعة من الكلمات الآتية للصفة المشبهة دون إيراد قواعد لصياغتها ، فهي غير حاسمة من جهة ، وموضعها كتب الصرف من جهة أخرى .

- أشيب - شيخ - طيب - جَوَاد - عفيف - ضيق .
- فَرَح - أشر - بَطِر - لَبِق - فَطِن - نَهَم - جَشِع - شَرِه - لَين - غَرَّ - حُرَّ .
- أعرج - أحمق - أهوج - أخضر - أصفر - أحمر - أعيد - أهيف - غيداء - هيفاء - سمراء - شقراء - حسناء .
- رَيَّان - عطشان - شعبان - جوعان - ظمآن - غَصَّان .
- بخيل - عميل - سقيم - مريض - طيب - لبيب - ذكي - غبي - تقى - نقي - طري - رهيب - عجيب - نبيه - وضيء - عميق - صفيق .
- بطّل - حنّ - لاجد - شهّم - ضخم - نذل - طلق - المجتأ - ضئب - العود .

- حَصَان - رَزَان - جَبَان - شُجَاع - عُضَال .
- كَرِيم - عَظِيم - رَقِيق - جَمِيل - نَبِيل - لَثِيم .
- ضَامِر البَطْن - حَادّ الذَّهْن - جَامِد الإحْسَاس - طَاهِر السَّيْرَة .

جملة الصفة المشبهة وإعراب الاسم بعدها :

ينبغي في عرض هذه الفكرة تجنب ما خاضت فيه كتب النحو من الأعمال الذهنية المجهدّة المتشعبة لإيراد صور جملة الصفة المشبهة ، فقد أوصلها « الأشموني » إلى ٧٢ صورة و« ابن عقيل » إلى ٣٦ صورة ، فهذا عناء يشق فهمه على الدارس العادى (فارجع إليهما فى ذلك إن أردت) .

فالمهم هنا هو التصور المفيد لجملة الصفة المشبهة من ناحيتين :

الأولى : الصور الثلاث لجملتها بحسب الاسم الذى يقع بعدها .

الثانية : إعراب الاسم الواقع بعدها رفعا ونصبا وجرًا .

الناحية الأولى : صور جملة الصفة المشبهة :

الصورة الأولى : لاحظ الأمثلة التالية :

يَسْتَحِقُّ احْتِرَامَنَا الْأُسْتَاذُ الطَّيِّبُ قَلْبُهُ الشَّهْمُ مَعَامَلَتُهُ

وَيُشِيرُ اِشْتِرَاؤُنَا الْأُسْتَاذَ الضَّعِيفَ شَخْصِيَّتُهُ الشَّرِسَةُ مَعَامَلَتُهُ

فهذه الصورة تتكون - كما ترى فى الأمثلة - من الصفة المشبهة معربة بحسب ما يقتضيه نظام الجملة قبلها + الاسم بعدها متصلا بضمير يعود على الموصوف بها .

الصورة الثانية : لاحظ الأمثلة التالية :

يَسْتَحِقُّ حُبَّنَا الطَّالِبُ النِّظِيفُ الْأَخْلَاقُ الْحُرُّ الْعَقْلُ

وَيُشِيرُ احْتِقَارُنَا الطَّالِبُ النَّدْلُ الْأَخْلَاقُ الْبَلِيدُ الْعَقْلُ

فهذه الصورة تتكون - كما ترى فى الأمثلة - من الصفة المشبهة معربة

بحسب ما يقتضيه نظام الجملة قبلها + الاسم بعدها متصلا بالألف واللام .

الصورة الثالثة : لاحظ الأمثلة التالية :

يستحق احترامًا كلُّ جنديٍّ شجاعٍ قلبًا صلبٍ عودًا

ويثير احتقارنا كلُّ جنديٍّ جبانٍ قلبًا فسيلٍ تصرفًا

فهذه الصورة تتكون - كما ترى في الأمثلة - من الصفة المشبهة معربة بحسب ما يقتضيه نظام الجملة قبلها + الاسم بعدها خاليًا من الضمير ومن «أل» .

الناحية الثانية : إعراب الاسم بعدها :

ورد الاسم بعد الصفة المشبهة في اللغة مرفوعا ومنصوبا ومجرورًا ، والقصد هنا توجيه هذه الوجوه الثلاثة من الناحية الإعرابية .

توجيه الرفع : لاحظ المثال التالي :

من الرجولة أن يكون الشابُّ نبيلًا قلبه ذكيًا عقله

فكل من الكلمتين بعد الصفة المشبهة - وهما (قلبه - عقله) مرفوع على أنه فاعل - وهناك رأى آخر يقول : إنه بدل من الضمير المستتر في الصفة ، وهو رأى لا شهرة له .

توجيه النصب : لاحظ المثالين :

من الأنوثة أن تكون الفتاة رقيقة قلبها لينة حديثها

ومن صيانة الأنوثة أن تكون الفتاة حرة نفسًا عفيفة سلوكًا

فكل من الكلمتين (قلبها - حديثها) في المثال الأول ، ثم (نفسًا - سلوكًا) في المثال الثاني منصوبة - وفي المثال الأول الكلمتان معرفتان ، وفي المثال الثاني نكرتان .

قال النحاة : الاسم المنصوب المعرف بعد الصفة المشبهة يعرب على أنه (شبيه بالمفعول به) لأن الصفة المشبهة من الفعل اللازم ، فلا يصح أن يعرب الاسم بعدها مفعولًا به ، بل هو شبيه بالمفعول به - أما الاسم المنصوب النكرة بعد الصفة المشبهة فيعرب على أنه (تميز) . وذلك أحسن ما قيل في هذا

توجيه الجر : لاحظ المثالين التاليين :

من الأنوثة أن تكونَ الفتاةُ رقيقةَ القلبِ لبقَةً الحديثِ

ومن الرجولة أن يكونَ الشابُّ نبيلَ القلبِ ذكيَّ العقلِ

كل من الكلمات (القلب - العقل - الحديث) في المثالين السابقين مجرورة بعد الصفة المشبهة على أنها (مضاف إليه) .

وتتلخص جملة الصفة المشبهة وإعرابها في الآتي :

(أ) يأتي بعد الصفة المشبهة اسم مضاف إلى ضمير المتصرف بها أو به «أل» أو مجرد من «أل» والإضافة .

(ب) تعرب الصفة المشبهة في جملتها بحسب ما يقتضيه سياق الجملة .

(ج) الاسم بعدها يجرى مرفوعاً على أنه فاعل أو منصوباً على أنه « مشبه بالمفعول به » إن كان معرفة ، أو « تمييز » إن كان نكرة ، كما يأتي مجروراً على أنه « مضاف إليه » .

* * *

اسم التفضيل

- ١ - المقصود باسم التفضيل وما يتفرع على صيغته ومعناه .
- ٢ - صفات الفعل الذى يصاغ منه اسم التفضيل .
- ٣ - الصور اللغوية لجملة اسم التفضيل وعمله النحوى فيها .

اسم التفضيل :

لاحظ الأمثلة التالية :

- العربى أكرمُ الناسِ لضيوفه .
- والمصرى أظرفُ الناسِ حديثا .
- والوطنُ أهمُّ من المالِ والوالد .
- والدفاعُ عنه أزوعُ الأعمالِ بطولة .

فى كل الأمثلة السابقة اسم يدل على التفضيل ، والمراد به - استخلاصا من كلام النحاة - كل وصف على وزن « أَفْعَل » يدل على أن اثنين اشتركا فى صفة ، وزاد أحدهما على الآخر فى تلك الصفة أ . ه .

ومن البين أن « اسم التفضيل » هو ما توافر له الصفات التالية :

- (أ) أن يكون وصفا ، وقد مر أن المقصود بذلك ما دل على معنى وصاحبه .
- (ب) أن يكون هذا الوصف على وزن (أَفْعَل) بأن تكون صياغته من الفعل على هذا الوزن ، كالكلمات (أكرم - أظرف - أهم - أزوع) فى الأمثلة السابقة .
- (ج) أن يدل على شيئين اشتركا فى صفة وزاد أحدهما على الآخر فيها كقولنا : (الحريةُ أَعْلَى قِيَمِ الحياة) و(العِلْمُ أَقْرَبُ طريقٍ للحضارة) . لكن يتفرع على هذا التحديد المسألتان التاليتان :

الأولى : وردت ثلاث كلمات فى اللغة بدون الهمزة وتفيد التفضيل ، وهى

(خَيْر - شَر - حَب) إذ تفيد ما يفيد (أخَيْر وأَشَر وأَحَب) ومما يساق لذلك

● قول الله تعالى على لسان إبليس متفضلا على آدم : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ [الآية ١٢ من سورة الأعراف] .

● وقوله : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبِكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الآية ٢٢ من سورة الأنفال] .

● قول الشاعر :

وزادني كَلَفًا بِالْحَبِّ أَنْ مَنَعَتْ وَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا^(١)

ويبدو أن الكلمتين الأوليين يستعملان حقا - كما قال النحاة - بدون الهمزة ، لكثرة الاستعمال نثرا ونظما ، أما الكلمة الأخير فيبدو أنها تستعمل على الأصل (أَحَبُّ) ووردت بذلك في القرآن والنثر الفصيح - ومن ذلك .

● قول الله تعالى : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [الآية ٣٥ من سورة يوسف] .

● قول علي عليه السلام : (لَأَنْ أَصُومَ يَوْمًا مِنْ شَعْبَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا فِي رَمَضَانَ) .

أما البيت الذي استشهد به على استعمال (حَبِّ) دون همزة فله رواية أخرى ، فقد ورد الشطر الثاني هكذا (أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا) وعليها لا شاهد فيه .

الثانية : أن وزن (أَفْعَل) قد يستخدم في الكلام ولا يقصد به المفاضلة بين شيئين ، وذلك يرد في صورتين :

(أ) ما كان على وزن (أَفْعَل) من أوزان الصفة المشبهة ، فيدل على مجرد الصفة ولا مفاضلة فيه، مثل (الإنسانُ الأحمقُ من يتكلمُ قبل أن يَعْرِفَ ، ويندفعُ قبل أن يَتَبَيَّنَ) .

(١) كلفا : تمسكا شديدا .

يقول : الممنوع محبوب ، لقد زادني تمسكا بها تمنعها .

الشاهد : قوله في الشطر الثاني (حب شيء إلى الإنسان ما منعنا) إذ جاءت (حب) اسم تفضيل بدون الهمزة : وهي من الكلمات الثلاث التي تأتي كذلك لكن للبيت رواية أخرى (أحب شيء إلى الإنسان ما منعنا) استعمال الكلمة بالهمزة على الأصل ، وعلى ذلك لا شاهد فيه .

(ب) ما يطلق عليه فى النحو (أفعل التفضيل على غير بابيه) بأن يقصد منه المبالغة فى الصفة دون التفضيل ، ويفهم ذلك من ظروف الكلام الذى ورد فيه ، تقول : (الله أَرْحَمُ بعباده) فالمقصود هو المبالغة فى الرحمة دون المفاضلة ، وتقول (الحقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ) فالمقصود هو المبالغة فى جدارة الحق بالاتباع .
وقد ورد من ذلك قول الفرزدق :

إِن الذى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ ^(١)
ما يصاغ منه اسم التفضيل :

قال ابن مالك عن صياغة كل « من صيغتي التعجب واسم التفضيل » من الأفعال :

وَصُفُّهُمَا مِنْ ذَى ثَلَاثٍ ضَرْفًا قَابِلِ فَضْلٍ تَمَّ غَيْرِ ذَى انْتِفا
وغير ذى وصف يُضَاهِى أَشْهَلًا وَغَيْرِ سَالِكِ سَبِيلٍ فِعْلًا

ففى هذين البيتين الصفات التى ينبغى توافرها فى الفعل الذى يصاغ منه اسم التفضيل - ومثله صيغتنا التعجب - وهى - كما وردت فى البيتين بالترتيب - سبع صفات :

- (١) أن يكون الفعل ثلاثيًا .
- (٢) أن يكون متصرفًا .
- (٣) أن يكون الفعل قابلاً للمفاضلة ، لكى يحقق معنى « اسم التفضيل » .
- (٤) أن يكون الفعل تامًا - وقد سبق تحديد التام والناقص .
- (٥) ألا يكون الفعل منفيًا .
- (٦) ألا تكون الصفة المشبهة منه على « أَفْعَل » الدال على الألوان أو العيوب والحلى مثل (أشْهَل - أَسْوَد) .

(١) سمك السماء : - كما جاء فى القاموس رفعها - دعائمه : أعمدة البيت التى يقوم عليها .

يقول مفتخرنا : إن الله الذى رفع السماء جعل لنا شرفا عاليا رفيعا لا يدانيه أحد فى العز والرفعة .

العلامة : قوله (دعائمه أطول وأطول) فقد جاء اسم التفضيل على غير بابيه ، فالمقصود به المبالغة

فى الصفة ، والمعنى (دعائمه عزيزة طويلة) .

(٧) ألا يكون مبنيًا للمجهول .

فلنلاحظ الأمثلة التالية :

● أفعال استوفت الشروط فيأتي منها اسم التفضيل :

(كَرَّمَ - سَاءَ - ضَبَطَ - هَدَى - ضَلَّ - نَبِهَ - شَرَفَ) .

● أفعال لم تستوف الشروط فلا يبنى منها اسم التفضيل :

(تجمع - استمع - ليس - نِعم - بئس - غربت الشمس - مات - كان -

أصبح - ما ضلَّ وما غَوَى - سَوَدَ - خَضِرَ - قُرِيَ - سُئِلَ) .

هذه صفات ما يبنى منه اسم التفضيل من الأفعال ، فما لم يستوف هذه الصفات مجتمعة - بأن نقص منها واحدة أو أكثر - فلا يبنى منه اسم التفضيل على صورته التي سبق شرحها ، بل تسلك اللغة طريقتين للإتيان باسم التفضيل منها على التفصيل التالي :

الطريقة الأولى : لاحظ الأمثلة التالية :

الشعبُ المتحضرُ أشقى إحساسًا من المتخلف .

الظلمُ أشدُّ سوادًا من الظلام .

تستخدم هذه الطريقة للتفضيل مع صنفين من الأفعال هما : ما زاد على ثلاثة

مثل (أَحْسَ) وما كان الوصف منه على أفعل مثل (سَوَدَ) .

وتتكون جملة التفضيل فيها - كما ترى الأمثلة - من الإتيان (باسم مناسب

على وزن أفعل + المصدر الصريح للفعل منصوبًا على التمييز بعده) .

الطريقة الثانية : لاحظ الأمثلة التالية :

الظلمُ أَوْقَعَ ما يكونُ مؤلماً مع رؤية الظالم والعجز عنه .

الكلامُ المفيدُ أَحَقُّ أَنْ لا يُتْرَكَ والكلامُ الرخيصُ أَوْلَى أَنْ لا يُسْمَعَ .

المحسنُ أَحَقُّ أَنْ يُكَافَأَ والمسيءُ أَوْلَى أَنْ يُعاقَبَ .

تستعمل هذه الطريقة مع ثلاثة أنواع من الأفعال هي (الناقصة - المنفية -

المنية للمجهول) وتتكون جملة التفضيل فيها - كما ترى في الأمثلة - من

الإتيان (باسم مناسب على وزن أفعل + المصدر المؤول بعده) .

أما الأفعال الجامدة والأفعال التي لا تفاضل في معناها ، فلا يأتي منها اسم التفضيل مطلقا .

جملة اسم التفضيل وعمله النحوى فيها :

ينبغى فى عرض هذه الفكرة التعرض لناحيتين هما :

(أ) الصور الأربع لجملة التفضيل .

(ب) الوظيفة النحوية لاسم التفضيل فى جملته .

الناحية الأولى : صورة جملة التفضيل :

تأتى جملة التفضيل على الصور الأربع التالية :

الصورة الأولى : لاحظ الأمثلة التالية :

قد يكون الصمْتُ أقوى من الكلام .

وربما كان الساكتون أبلغَ من الناطقين .

وفى هذه الجملة يكون اسم التفضيل مجردًا من الألف واللام (أل) والإضافة

- كما ترى فى المثالين السابقين الكلمتين (أقوى - أبلغ) وحينئذ توصف جملة التفضيل بما يلى :

(أ) يبقى اسم التفضيل دائما مفردا مذكرا .

(ب) يُؤتى بعد اسم التفضيل بحرف الجر (من) جازًا للمفضل عليه .

الصورة الثانية : لاحظ الأمثلة التالية :

إن قولَ الصّدقِ هو النهجُ الأمثلُ للنجاة .

وإن سيادةَ العدالةِ هى الطريقةُ المثلى لأمنِ الناسِ .

فهاتان الصفتان تحققان التّهجين الأمثلين للنجاة والأمن .

وفى هذه الصورة يكون اسم التفضيل مقترنا بالألف واللام - كما ترى فى

الأمثلة السابقة (الأمثل - المثلى - الأمثلين) - وحينئذ يطابق ما جاء لتفضيله

إفرادًا وتثنية وجمعا ، وتذكيرًا وتأنيثًا .

الصورة الثالثة : لاحظ الأمثلة التالية :

التصميمُ أوَّلُ مرحلةٍ لبلوغ الغاية .

والتصميمُ ثم التنفيذُ أهمُّ طريقين لتحقيق الغاية .

وفى هذه الصورة يكون اسم التفضيل مضافا لنكرة - كما ترى فى الكلمات

(أوَّل - أهم - أقرب) - وحيثُ توصف جملة التفضيل بما يلى :

(أ) يبقى اسم التفضيل دائما مفردًا مذكرا - تماما كالمجرد .

(ب) النكرة التى أضيفت إليه تطابق ما جاء اسم التفضيل له فى الأفراد والتثنية

والجمع والتذكير والتأنيث .

الصورة الرابعة : لاحظ الأمثلة التالية :

يقال : أذكىاء الناس أحسنُّهم أخلاقًا .

ويمكن : أذكىاء الناس أحاسنُّهم أخلاقًا .

فالذكاءُ أقصَرُ الطرقِ للمعرفة والفضيلة .

وفى هذه الصورة يكون اسم التفضيل مضافا لمعرفة - كما ترى فى الأمثلة

السابقة (أحسن - أحاسن - أقصر) - وحيثُ توصف جملة التفضيل بما يلى :

(أ) اسم التفضيل يمكن أن يطابق من هو له ، ويمكن ألا يطابقه ، فيلزم

الأفراد والتذكير .

(ب) المعرفة التى أضيفت إليه لا تلزم فيها المطابقة .

فلنطبق ما قيل فى الصورة الأخيرة على ما يلى :

• قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا

مُجْرِمِيهَا ﴾ [الآية ١٢٣ من سورة الأنعام] { طابق من هو له

• وقوله : ﴿ مَا نَرْزُقُكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْزُقُكَ

أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ نَرْزُقَهُمْ ﴾ [الآية ٢٧ من سورة هود] { فى التذكير والجمع

• وقوله : ﴿ وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَجْرَضَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ ﴾ { لم يطابق فبقى

{ مفردًا مذكرا

- قول الرسول ﷺ : (ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم منى منازل يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقا ، الموطؤون { (أحب - أقرب) أكنافا الذين يألفون ويؤلفون) . { طابق فى { (أحسن)

وخلاصة هذا الموضوع كله تلخص فى الأمور التالية فى المطابقة :

- (أ) اسم التفضيل المجرد والمضاف لنكرة يجب إفراده وتذكيره .
- (ب) اسم التفضيل المقترن بالألف واللام تجب مطابقته لما هو له .
- (ج) اسم التفضيل المضاف لمعرفة تصح فيه المطابقة وعدم المطابقة .

* * *

الناحية الثانية : العمل النحوى لاسم التفضيل :

المقصود بذلك بيان ما يأتى بعده من الأسماء مرفوعا ومنضوبا وتوجيه الرفع والنصب - تفضيل ذلك كما يلى :

ما يرفع مع اسم التفضيل :

لاحظ الأمثلة التالية :

الإنسان أذكى من كل المخلوقات .

ذكاء الإنسان أذنى منه ذكاء كل المخلوقات .

ما أذكى أنت من زميلك ، بل أنتما متساويان .

فى المثال الأول فاعل اسم التفضيل ضمير مستتر يعود على كلمة (الإنسان) فالأصل فى اسم التفضيل أن يرفع الضمير المستتر - أما رفع الاسم الظاهر والضمير البارز - كما فى المثالين الأخيرين - فهو - كما وصفه ابن هشام - لغة ضعيفة .

قال النحاة : ويستثنى من ذلك « مسألة الكحل » فإنه يصح رفع الاسم الظاهر فيها بعد اسم التفضيل قياسا مطردا بلا ضعف .

وطابق هذه المسألة : أن يتقدم على اسم التفضيل لفى بعده اسم لكره

موصوف باسم التفضيل ، بعده اسم مفضّل على نفسه باعتبارين - فلنتأمل في ذلك الشواهد التالية :

- مثال المسألة : ما رأيتُ فتاةً أحسنَ في عينها الكحلُ منه في عين هند .
- ما ورد في الأثر : « ما من أيامٍ أحبَّ إلى الله فيها الصومُ منه في عشر ذي الحجة » .

● قول الشاعر :

ما رأيتُ امرأةً أحبَّ إليه البذلُ منه إليك يا ابنَ سنان ^(١)
ومن البين أن كل هذه الشواهد مستوفاة للشروط التي سبق ذكرها .

ما ينصب مع اسم التفضيل :

لاحظ الأمثلة الآتية :

الإنسانُ أعظمُ المخلوقاتِ ذكاءً .

وهو أَفضَلُها عند الله كرامةً .

ولكنه أَقساها جُحودًا ونُكرانًا .

الأسماء المنصوبة بعد اسم التفضيل في هذه الأمثلة (ذكاء - كرامة -

جحودا - نكرانا) منصوبة على التمييز ، فاسم التفضيل لا ينصب المفعول به في رأى معظم النحاة .

وخلاصة هذا الموضوع كله تتلخص في الآتي :

(أ) اسم التفضيل يرفع الضمير المستتر ، كما يرفع الاسم الظاهر في مسألة « الكحل » فقط ، أما رفعه غير ذلك من الأسماء الظاهرة والضمائر المنفصلة فلغة ضعيفة .

(ب) تجيء بعد اسم التفضيل الأسماء منصوبة على « التمييز » .

* * *

(١) هذا البيت كله وصف لغوى متكامل لمسألة الكحل - فاسم التفضيل (أحب) وصف نكرة

(امرء) بعده اسم مفضل على نفسه باعتبارين هو (البذل) فإن البذل من « ابن سنان » أحب من غيره -

ومع هذا الوصف اللغوى يرفع اسم التفضيل الاسم الظاهر فاعلا ، وفاعل اسم التفضيل في البيت هو «البذل» .

تدريبات

(١)

قال دِغْبَل الخزاعى يعاتب عتابا مرّا ساخرا : (١)

أما آن أن يُعْتَبَ المذنبُ ويرضى المسىء ، ولا يَغْضُبُ
وَعُول اللجاجة غرّارةً تَجِدُّ ، وتحسبها تلعب
أبعد الصّفاءِ ومَحْضِ الإخاءِ يُقِيم الجفأء بنا يخطب
وقد كان مشربنا صافيا زمانا ، فقد كدِرَ المشرب
وكنّا نزعنا إلى مذهب فسيح ، فضاق بنا المذهب
ومن ذا المُواتى له دهره ومن ذا الذى عاش لا يُنكب
فإن كنت تعجب مما ترى فما سترى بعده أعجب
فعودك من خُدع مورق وواديك من علل مخصب
فإن كنت تحسبنى جاهلا فأنت الأحقّ بما تحسب
فلا تُك كالراكب السّبع كى يُهاب ، وأنت له أهيب
ولو كنت أملك عنك الدّفاع دفعْتُ ، ولكننى أغْلَبُ

* * *

(١) ما الفرق الصرفى والمعنوى بين الفعل (يعتب) بضم ياء المضارع أوفتحها ، أترى لذلك تأثيرا فى تعدى الفعل ولزومه - وجه ما تقول .

(٢) كلمة (غرّارة) فى البيت الثانى ، من أىّ الأسماء التى تؤدى عمل الفعل ؟؟ اشرح كيفية أدائها لذلك ، ثم أعربها كما وردت فى البيت .

(٣) كلمة (مشرب) فى البيت الرابع - من أىّ المصادر ؟؟ اشرح أدائها لعمل الفعل كما وردت فى البيت .

(٤) (لا تك كالراكب السبع) يؤدى اسم الفاعل هنا عمل الفعل مطلقا طبق على هذه الجملة القاعدة السابقة .

(٥) (يقيم الجفاء بنا يخطب) لو غيرت كلمة (الجفاء) فنطقت (جفاء) فهل يتغير موقع الجملة بعدها - اذكر القاعدة التي تحكم ذلك .

(٦) (من ذا المواتى له دهره) أعرب هذه الجملة تفصيلا باعتبار (ذا) اسم إشارة أو اسم موصول - ثم وجه الجملة الاسمية بعدها على الاعتبارين .

(٧) (فأنت الأحقّ بما تحسب) و(أنت له أهيب) خاطب بالجملتين السابقتين المفردة والمثنى والجمع بنوعيهما - راجع قبل ذلك حكم اسم التفضيل في المطابقة .

(٢)

قال طرفة :

إذا كنتَ في حاجة مُرسلاً	فأرسلُ حكيماً ولا تُوصِه
وإنْ ناصحٌ منك يوماً دنا	فلا تنأ عنه ، ولا تُقصِه
وإنْ بابٌ أمر عليك التَّوى	فشاورُ لبيباً ولا تعصِه
وذو الحق لا تنتقصُ حقّه	فإنَّ القطيعة في نقصِه
ولا تذكر الدهر في مجلس	حديثاً إذا أنت لم تُحصِه
ونُصّ الحديثُ إلى أهله	فإن الوثيقة في نصّه
ولا تحرصنْ ، فربّ امرئٍ	حريصٍ مضاعٍ على حرصِه
وكم من فتى ساقطٍ عقله	وقد يُعجبُ الناسُ من شخصِه
وآخر تحسبه أحمقاً	ويأتيك بالأمر من فصّه
لبيستُ الليالى ، فأفئِنِّنى	وسرِّبلى الدهرُ في قُصِّه

(١) هل يصلح اسم الفاعل (مرسلاً) في البيت الأول لأداء عمل الفعل ؟ وجه ذلك نظراً وتطبيقاً .

(٢) أين المنعوت في الجملتين (أرسل حكيماً - شاور لبيباً) أعرب هاتين الصفتين بتقدير المنعوت أو بدونه .

(٣) (رُبَّ امرئٍ حريصٍ مضاعٍ على حرصِه) اذكر الخواص النحوية للحرف

- (٤) (كم من فتى ساقط عقله) ما نوع النعت في هذه الجملة ؟ أيد ما تقول تفصيلا ، ثم أعرب الجملة كلها باعتبار (كم) خبرية مبتدأ .
- (٥) (نُصَّ الحديث إلى أهله) ما معنى هذه الجملة ؟؟ أعربها باعتبار (نص) فعل أمر ، ثم انطقها باعتباره فعلا ماضيا .
- (٦) (لبست الليلي) أدخل الهمزة على الفعل (لبس) للإتيان بجملة جديدة ، ثم وازن بين الجملتين نحويا .
- (٧) وجه جزم الأفعال (لا تنأ - لا تقصه - لا تحرصن - لم تُحصِه) ثم زنها كما وردت في النص .

« ٣ »

من شعر المتنبي :

ذُلٌّ من يغبط الذليل بعيش	رُبَّ عيش أخف منه الحمام
كلَّ حلم أتى بغير اقتدار	حجّة لاجئ إليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه	ما لجرح بميت إيلام

- (١) (رُبَّ عيش أخف منه الحمام) يمكن نطق الجملة في النثر (رُبَّ عيش أخف من حمام) وازن بين الجملتين معنى وإعرابا .
- (٢) ابدأ الجملة السابقة بقولك (رُبَّ أحياء ...) ثم أكملها باسم تفضيل مناسب مع المحافظة على معنى الشطر الثاني في البيت الأول .
- (٣) عين من البيت الثاني ركني الجملة الاسمية الأساسيين .
- (٤) في البيت الثاني نعتان ، جملة ومفرد ، عينهما ، ثم وجه الثاني باعتباره حقيقيا أو سببيا .
- (٥) ما الذي تغيره في البيت الثاني لتصير جملة (أتى بغير اقتدار) حالا ؟؟ اذكر ما يؤيد ذلك من القواعد .

- (٦) استعمل المصدر (اقتدار) في جملتين ، يعمل فيهما عمل الفعل منونا في واحدة ومضافا للفاعل في الثانية .

- (٧) (من يهن يسهل الهوان عليه) غيّر فعل الجواب بكلمة (سهل) ثم وازن بين الجواب إعرابا واستعمالا .
- (٨) (ما لجرح بميت إيلام) ما الموقع النحوى لكل من الجار والمجرور (لجرح بميت) أيد ما تقوله بالقاعدة .
- (٩) المصدر (إيلام) استعمله عاملا مضافا فى جملتين مختلفتين .
- (١٠) كيف يأتى التفضيل من المصدر (إيلام) حقق ذلك عمليا بجملتين مختلفي المعنى .

* * *

القسم الخامس

دراسة لأبواب خاصة بالنحو

يشمل ذلك ما يلي :

- ١ - الاشتغال
- ٢ - التنازع
- ٣ - الحكاية
- ٤ - العدد
- ٥ - كِنَايَات العدد

الاشتغال

١ - وصف جملة « الاشتغال » وبيان أركانها الثلاثة .

٢ - بيان إعراب « المشغول عنه » تفصيلاً كما يلي :

(أ) وجوب النصب .

(ب) وجوب الرفع .

(ج) ترجيح النصب على الرفع .

(د) ترجيح الرفع على النصب .

(هـ) جواز الرفع والنصب على السواء .

* * *

الاشتغال وأركان جملته :

الفكاهة يقدّمها الإنسان الودودُ تسليّةً ومتعة .

السخرية يلجأ إليها اللئيمُ الحقودُ انتقاماً وخسّة .

الشفقة يكره قبولها الإنسانُ الكريمُ تعفّفاً وأنفة .

جاء في « ابن عقيل » : الاشتغال أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل قد عمل في ضمير ذلك الاسم أو في سببّه . هـ .

ومن تأمل التعريف السابق والأمثلة قبله يمكن تحديد أركان جملة الاشتغال الثلاثة وتوضيحها فيما يلي :

● **المشغول عنه** : وهو الاسم المتقدم الذي شُغل عنه الفعل بضميره أو سببّه ، وهو في الأمثلة السابقة (الفكاهة - السخرية - الشفقة) .

● **المشغول** : وهو الفعل - وما يشبهه - الذي يشغله عن الاسم السابق عليه الضمير الذي يعود على الاسم السابق ، أو اسم آخر له صلة بالاسم السابق وهو ما أطلق عليه « سببّه » . والأفعال المشغولة في الأمثلة السابقة هي (يقدّم - يلجأ

● **المشغول به** : هو ما شُغِلَ به الفعل من ضمير أو سببي ، مما يترتب عليه بداهة ألا يتجه للاسم السابق - وتأمل الأمثلة السابقة نجد أن ما شُغِلَ به الفعل في المثالين الأولين « الضمير » (يقدمها - يلجأ إليها) وفي المثال الأخير « السببي » (يكره قبولها) .

هذا الاسم السابق « المشغول عنه » يمكن إعرابه على وجهين :

الأول : مبتدأ مرفوع - وتكون الجملة بعده خبراً له .

الثاني : مفعول به منصوب ، ويقدر له فعل محذوف وجوبا يفسره الفعل المذكور « المشغول » - وتكون الجملة بعده مفسرة لا محل لها من الإعراب .

قال علماء النحو : ويقدر الفعل المحذوف من لفظ « المشغول » ومعناه إذا كان « المشغول » متعدياً ناصباً للضمير بنفسه (كالمثال الأول) ويقدر من المعنى فقط إذا كان « المشغول » لازماً وبعده الضمير مجروراً (كالمثال الثاني) أو متعدياً ناصباً للسببي (كالمثال الأخير) - انظر الهامش ^(١) .

هذا هو الأصل في إعراب « المشغول عنه » يجوز فيه الأمران - الرفع والنصب - لكن جملة الاشتغال يجيء بها من الصفات اللغوية ما يجعل « المشغول عنه » مرفوعاً فقط أو منصوباً فقط ، أو ما يربح واحداً منهما على الآخر ، أو ما يسوى بينهما - على التفصيل الآتي :

وجوب النصب :

هل السلامة ترجوها مع الإخلاص للحق والعمل به !!

فإن الحق أثرته ، فتهيئاً للباطل وغدره .

(١) (الفكاهة يقدمها الإنسان الودود) .

الإعراب الأول : الفكاهة : مبتدأ - يقدمها : فعل مضارع مرفوع بالضممة وضمير الغائبة في محل نصب مفعول به - الإنسان : فاعل مؤخر مرفوع بالضممة - الودود : صفة مرفوع بالضممة ، والجملة الفعلية (يقدمها الإنسان الودود) في محل رفع خبر المبتدأ .

الإعراب الثاني : الفكاهة : مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور - يقدمها : فعل مضارع مرفوع بالضممة ، وضمير الغائبة في محل نصب مفعول به - الإنسان الودود : فاعل مؤخر وصفته - والجملة الفعلية (يقدمها الإنسان الودود) مفسرة لا محل لها من الإعراب .
(حاول إعراب الجملتين الأخريين بعد هذا المثال قياساً عليه) .

ألا هذه التضحية تتحملها في سبيل المبدأ وسموه .
وهلّا الباطل تدفعه درءاً للفساد وأهله .

يجب نصب « المشغول عنه » إذا وقع بعد أداة لا يجيء بعدها إلا الفعل وتلك أدوات (الاستفهام غير الهمزة - الشرط - العرض - التحضيض) .

ففي الأمثلة الأربعة السابقة يجب نصب الكلمات (السلامة - الحق - هذه التضحية - الباطل) إذ جاءت الأولى بعد أداة الاستفهام (هل) والثانية بعد أداة الشرط (إن) والثالثة بعد حرف العرض (ألا) والرابعة بعد حرف التحضيض (هلاً) .

وجوب الرفع :

توقعت الخير ممّا أحبّه فإذا الشرُّ جنّيته .
وتوجّستُ الشرَّ ممّا أكرهه فإذا الخيرُ حقّقته .
السلامة هل ترجوها مع الإخلاص للحق والعمل به .
الحقُّ إن آثرته فتهياً للباطل وغدره .

يجب رفع « المشغول عنه » في موضعين :

١ - أن يجيء (المشغول عنه) بعد أداة لا يجيء بعدها إلا الاسم وتذكر كتب النحو (إذا : الفجائية) كما ترى في المثالين الأولين ، وفيهما يجب رفع الكلمتين (الشرّ - الخير) .

٢ - أن يجيء (الفعل المشغول) بعد أداة لها صدارة الكلام ، إذ هي - فيما يقال - لا تسمح لما بعدها بنصب ما قبلها ، وأهم ذلك أدوات (الاستفهام - الشرط - العرض - التحضيض - لام الابتداء - ما : النافية) كما ترى في المثالين الأخيرين وفيهما يجب رفع الكلمتين (السلامة - الحق) .

ترجّح النصب :

السلامة ترجوها مع الإخلاص للحق والعمل به ؟؟

السلامة لا ترجّوها مع الإخلاص للحق والعمل به .

يترجح نصب (المشغول عنه) على رفعه فى مواضع ثلاثة :

١ - أن يجيء (المشغول عنه) بعد أداة يغلب أن يجيء بعدها الفعل وأهم ذلك (همزة الاستفهام - ما : النافية - لا : النافية) كما ترى فى المثال الأول ، حيث يترجح نصب كلمة (السلامة) وإن كان الرفع جائزاً .

٢ - ما جاء فى (قطر الندى) من قوله : أن يكون الفعل المذكور فعل طلب - وهو الأمر والنهى والدعاء - كقولك (زيدا اضربه) و (زيدا لا تهنه) و (اللهم عبدك ارحمه) . وكما ترى فى المثال الثانى ، حيث يترجح نصب كلمة (السلامة) فيه ، لأن بعدها جملة النهى (لا ترجها) .

٣ - أن يكون « المشغول عنه » مسبوقاً بعاطف ، وقبل العاطف جملة فعلية ، إذ يحقق النصب التجانس فى عطف جملة فعلية على فعلية - كما ترى فى المثال الثالث ، فإن كلمة (الحق) الأرجح نصبها بفعل محذوف ، فتكون جملة فعلية تقديرها (نصرت الحق نصرته) معطوفة على الجملة الفعلية قبلها (ضَحَّيتَ بالسلامة) .

ترجح الرفع :

السعادة يحققها أن يعيش المرء فى سلام مع نفسه .
يترجح الرفع فى صورة الأصل التى تخلو من موجبات النصب والرفع ومن مرجحات النصب ، ومما يسوى بينهما - وسيأتى هذا الأخير - كما ترى فى المثال السابق ، إذ يترجح رفع الكلمة (السعادة) على نصبها .

قال النحاة : لأنه الأصل ، ولا مرجح لغيره ، وعدم الإضمار أرجح من الإضمار أ.هـ .

ومعنى ذلك أن جعلها مبتدأ هو المتفق مع موضع الكلمة فى الجملة ولا يستدعى تقدير محذوف كما فى النصب ، وهذا كلام وجيه !!

استواء الرفع والنصب :

السعادة تتحقق بسلام المرء مع نفسه والتعاسة يجلبها الأحقق لنفسه .

جاء فى « قطر الندى » : وأما الذى يستويان فيه فضابطه أن يتقدم على الاسم

المشغول عنه - عاطف مسبوق بجملة فعلية مخبر بها عن أسم قبلها أ.هـ

فلنطبق ذلك على الجملة السابقة - إن الاسم « المشغول عنه » فيها هو (التعاسة) وهو مسبوق بعاطف هو « الواو » ، وقبل « الواو » جملة فعلية هي الفعل (تحقق) وفاعله الضمير المستتر ، وهذه الجملة الفعلية مخبر بها عن الاسم (السعادة) .

حينئذ يصح نصب « المشغول عنه » وهو (التعاسة) بالفعل المحذوف فتتكون « جملة فعلية » تعطف على جملة الخبر السابقة (تحقق والضمير المستتر) وكلتاها فعليتان .

كما يصح رفع « المشغول عنه » فيكون مبتدأ وما بعده خبر ، فهي جملة اسمية تعطف على الجملة السابقة كلها (السعادة تتحقق بسلام المرء مع نفسه) وكلتاها اسميتان - وكل من الوجهين يساوى الآخر بلا ترجيح .

* * *

التنازع

- ١ - جملة التنازع وشروط تحققها .
- ٢ - رأى البصريين والكوفيين فى توجيه العوامل المتنازعة .
- ٣ - ما تنفرد به (ظن وأخواتها) خاصة فى التنازع .

* * *

جملة التنازع وشروطها :

لاحظ النصوص الآتية :

﴿عَاثُوْنَ أَفْرَغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ [الآية ٩٦ من سورة الكهف] .

﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُ كِتَابِهِ﴾ [الآية ١٩ من سورة الحاقة] .

« تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ وَتُكَبِّرُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ » .

عُهِدَتْ مُغَيِّثًا مُغَيِّيًا مِنْ أَجْرَتِهِ فَلَمْ أَتَّخِذْ إِلَّا فِئَاءَكَ مَوْثَلًا

جاء فى « قطر الندى » نصا : « ضابطه : أن يتقدم عاملان أو أكثر ، ويتأخر معمول أو أكثر ، ويكون كلٌّ من المتقدم طالبا لذلك المتأخر » . أ . ه .

ومن هذا التحديد المركز تفهم الصفات الواجب توافرها لتحقيق التنازع - ممّا أفاضت فيها وفى تخريجها مطوّلات النحو - وهى ما يلى :

(أ) أن تتقدم العوامل المتنازعة على ما تنازعت عليه - فلا يتوسط المتنازع فيه بينها أو يتقدم عليها .

(ب) أن تكون العوامل المتنازعة مرتبطة لا متناقضة - ويحدث الربط بينها غالبا بالعطف أو مجيء المتأخر جوابا للمتقدم .

(ج) أن تتجه العوامل المتنازعة للمعمول ، بحيث يصح اتجاهها له لفظا ومعنى - وهذا أمر بدهى ، وإلاّ فليس هناك تنازع .

وبلغة جملة النصوص السابقة كلها نجد أنها محققة لشروط التنازع ودليلا عليه

ففى الآية الأولى الفعلان (آتونى - أفرغ) يطلبان (فقطرا) مفعولا به - وفى الآية الثانية اسم الفعل (هاؤم : خذوا) والفعل (اقرؤا) يطلبان (كتابيه) مفعولا به - وفى الحديث الأفعال (تسبّحون - تحمدون - تكبرون) كل منها يطلب الكلمتين (دُبر - ثلاثا وثلاثين) الأولى ظرف مكان ، والثانية نائبا عن المفعول المطلق - وفى البيت كل من اسمى الفاعل (مُغيثا - مُغنيّا) يطلب اسم الموصول (مَنْ أجزّته) مفعولا به .

توجيه العوامل المتنازعة :

{	استمع واهتدوا الراغبون فى الحق والخير
{ اختيار الكوفيين	وصدَّ الكِبَرُ وأضلَّهم العنادُ الرَّاغِبِينَ عن الحق والخير
{	فتمادوا ثم أوغلوا فيهما فى الشر والضلال
{	استمعوا واهتدى الراغبون فى الحق والخير
{ اختيار البصريين	وصدَّ الكِبَرُ وأضلَّ العنادُ الرَّاغِبِينَ عن الحق والخير
{	فتمادوا ثم أوغلوا فى الشر والضلال

لا خلاف بين البصريين والكوفيين فى جواز إعمال أى العاملين أو العوامل المتنازعة متقدمة أو متأخرة ، لكن الخلاف بينهما فى الأحسن والأولى .

جاء فى أوضح المسالك : اختار الكوفيون إعمال الأول لستيقه والبصريون الأخير لقربه أ . ه .

ويترتب على هذا الاختيار والمفاضلة ما يلى :

أولا : عند اختيار الأول - وهو رأى الكوفيين - يُضمَر فى العوامل المتأخرة كل ما تحتاجه من ضمائر مرفوعة ومنصوبة ومجرورة .

ثانيا : عند اختيار الأخير - وهو رأى البصريين - يضمَر فى العوامل السابقة ما تحتاجه من ضمير للرفع فقط - فاعل أو نائب فاعل - ويصرف النظر عما تحتاجه من ضمائر منصوبة أو مجرورة - راجع تطبيق الرأين على الأمثلة السابقة .

ويقال فى ترجيح رأى البصريين : إن رأيهم يتفق مع ما جاء فى القرآن الكريم ، ففى الايتين اللتين بدأ بهما حديث الباب ما يشهد بذلك وهما :

{ العمل للثاني - ولو كان العمل للأول لأضمر
* آتونى أفرغ عليه قَطْرًا { فى الثانى وقال (أفرغْه)

{ العمل للثاني - ولو كان العمل للأول لأضمر
* هاؤم اقرؤا كتابيه { فى الثانى ، وقال (اقرءوه)

ما تنفرد به (ظن وأخواتها) :

تفردت (ظن وأخواتها) بمسألتين فى هذا الباب ، والحق أننى هممت بتركهما لأنهما مما يطلق عليه (التمارين غير العملية) وهى ما صَرَفَ هذا المؤلف « النحو المصفى » النظر عنه فى كل أبوابه ، فذكرهما هنا - باختصار شديد - من باب التعرف على نمط من (الجهد الذهني) لا (الجهد اللغوي) فليقرأهما من أراد ، وجهلهما لا يضر !!

المسألة الأولى : إذا كان التنازع فى فعلين من باب (ظن) فأعْمِلُ الثانى واحتاج الأول منهما إلى منصوب يقع مفعولا ثانيا له ، أضمرته مؤخرا ولا يحذف على مقتضى قاعدة التنازع .

لاحظ :

خلتُ ما علمتُهُ وخلتُ رأيكَ الصدقُ { جملة الأصل
خلتُ ما علمتُهُ وخلتُ رأيكَ الصدقُ إياه { (إياه) أضمر مؤخرا

المسألة الثانية : إذا كان التنازع فى فعلين من باب (ظن) فأعْمِلُ الأول واحتاج الثانى منهما إلى منصوب يقع مفعولا ثانيا له ، وأدَّى إضماره إلى عدم مطابقته لما تنازع العاملان فيه ، فإنه يجب إظهاره ، ولا يضمَر على مقتضى قاعدة التنازع - لاحظ :

حسبتُ وحسبانى الصديقين قادمين { جملة الأصل
حسبتُ وحسبانى قادما الصديقين قادمين { (قادما) اسم ظاهر لا ضمير

قال ابن عقيل : ولا تكون المسألة - حينئذ - من باب التنازع ، لأن كلا من

الحكاية

- (١) المقصود بالحكاية لغة ونحو .
- (٢) حكاية الكلمات (الأسماء - الأفعال - الحروف) .
- (٣) حكاية الجمل (مقول القول - العَلَم المرَّكَّب - الإسنادى - الجمل مطلقا) .
- (٤) الحكاية للنكرات بأداتى الاستفهام (أَيّ - مَنْ) .

* * *

الحكاية :

جاء فى القاموس : حَكَيْتُ عَنْهُ الكلام : نقلته ، وحكيت فلانا وحاكيتته : شابهته وفعلت فعله أو قوله سواء ا.هـ .

ويؤخذ من هذا النص أن اللفظ يقصد منه « النقل والمشابهة » وهذا المعنى روعى فى تحديد الحكاية نحويا ، فهى : إيراد اللفظ المسموع على هيئته من غير تغيير فيه ، أو إيراد صفته بمحاكاته بلفظ آخر مماثل له فى الإعراب والتذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع ا.هـ .

فالحكاية إذن تتحقق فى اللغة بطريقتين :

الأولى : حكاية الكلمات والجمل بنقلها كما هى - وهذه كثيرة الاستعمال .

الثانية : محاكاة لفظ سابق بلفظ مماثل له فى الإعراب والنوع والعدد . وهذه لا تكاد تستعمل فى اللغة - وهى التى اهتم بها النحاة .

حكاية الكلمات :

لاحظ إعراب الجملة (أضَاءَ نَوْرُ الْإِسْلَامِ الضَّمائِرَ وَالْعُقُولَ) .

أضَاءَ : فعلٌ ماضٍ ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب .

نورٌ : فاعل مرفوع بالضممة .

الإسلام : مضافٌ إليه مجرورٌ بالكسرة .

الضمائر : مفعولٌ به منصوبٌ بالفتحة .

العقول : معطوفٌ على « الضمائر » منصوبٌ بالفتحة .

هذا الإعراب السابق كلام عربي حكيت فيه كلمات الجملة كلها حين الإعراب بنقلها كما هي - بصورتها في الجملة - والحديث عنها في الإعراب فهذه الكلمات كلها - أسماء وأفعالا - في الإعراب مبتدأ مرفوع بالضمة مقدرة منع من ظهورها حركة الحكاية - ومن ذلك قول أمية بن أبي الصلت لابنه :
وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ « الْمَفْنَدُ رَأْيُهُ » وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ (١)

فإن (المفند رأيه) بمعنى (الأحمق) حكيت مرفوعة بالصورة التي كان يقولها ابنه العاق الطائش للناس عن أبيه ، فهي في البيت (مضاف إليه) مجرورة بكسرة مقدرة منع منها حركة الحكاية .

هذا .. وأكثر ما تحكى الكلمات في شرح النصوص الأدبية وفي الإعراب .

حكاية الجمل :

﴿ وَقِيلَ لِّلْمُفْنَدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الآية ٧٥ من سورة الزمر] .
يُسَمَّى المصريون أبناءهم (جَادَ الرَّبُّ) و(فَتَحَ اللهُ) .
مكتوبٌ على خاتم النبي (محمدٌ رسولُ الله) .

تحكى الجمل في اللغة ، فنتقل الجملة كما هي ، وتأخذ الوظيفة النحوية التي يقتضيها سياق الكلام من « فاعل أو مبتدأ أو مفعول الخ » ويكون إعرابها بحركة مقدرة منع من ظهورها صورة الحكاية التي نقلت بها الجملة - طبق ذلك على الأمثلة الثلاثة السابقة .

(١) المفند رأيه : الأحمق ، جاء في القاموس . فنده تفنيدا : كذبه وعجزه وخطأ رأيه - والمفند الرأي : من يوصف رأيه بالكذب والعجز والخطأ ، ولا يكون ذلك إلا للأحمق .
يقول لابنه : لقد وسمتني بالحمق فسميتني « المفند رأيه » مع أن رأيك هذا هو الكذب والخطأ .

الشاهد : في (المفند رأيه) إذ حكيت في البيت مرفوعة بالصورة التي كان يقولها الابن عن أبيه للناس ، فهي مضافٌ إليه مجرورة بكسرة مقدرة منع من ظهورها حركة الحكاية .

هذا .. وقد استعملت الجمل المحكية فى اللغة كالآتى :

(١) بعد القول : وهذا موضع مطرد ، وقد سبق شرحه فى « ظن وأخواتها » .

(٢) العلم المركب الإسنادى : وهذا مطرد أيضا ، وقد سبق شرحه فى باب الإضافة .

(٣) الجمل مطلقا : غير النوعين السابقين ، إذ يمكن حكاية كل جملة إذا اقتضى الموقف ذلك ، لكن أكثر ما نحتاج إليه لحكاية الجملة حين الشرح الأدبى للنصوص وفى الإعراب .

حكاية النكرات بالأداتين (أَيّ - مَنْ) :

قال ابن هشام بالنص : أما فى الاستفهام ، فإن كان المسئول عنه نكرة والسؤال بـ « أَيّ وَمَنْ » حُكِيَ فى لفظ (أَيّ) وفى لفظ (مَنْ) ما ثبت لتلك النكرة المسئول عنها من رفع ونصب وجر ، وتذكير وتأنيث ، وإفراد وتثنية وجمع . هـ .

ومعنى ذلك أن يحاكى السائل النكرة المسئول عنها المتقدمة بهاتين فى الإعراب والعدد والنوع ، فتأتى كل منهما كما يلى :

● أَيّ - أَيْة - أَيْان - أَيْتان - أَيْون - أَيْات .

● مَنّو - مَنّة - مَنان - مَنّان - مَنّون - مَنّات .

فلنطبق ذلك على النموذج التالى :

الجملة	الكلمة المحاكاة	الكلمة المحاكاة
لى صديق ودود طيّب	صديق	مَنّو ؟؟
عرفته فى شدة لا أنساها	شدة	أَيْة ؟؟
وعرفته أكثر فى ساعات حرجة	ساعات	أَيْات ؟؟
وله أحيانا هفوات مؤسفات	هفوات	أَيْات ؟؟
لكن يغفرها مواقف وفاء كثيرة	مواقف	أَيْون ؟؟

ومن المفيد أن يعرف الفرق بين هاتين الأداتين ملخصاً في الآتي :

(أ) أن (أَيّ) يحكى بها العاقل وغيره ، أما (مَنْ) فيحكى بها العاقل فقط .

(ب) أن (أَيّ) تجيء في حالة وصل الكلام أو الوقف عليها ، أما (مَنْ) فلا تجيء إلا مع الوقف عليها .

ولا حاجة بنا بعد ذلك إلى الخوض في تفاصيل أكثر عن هذه الطريقة فهي -
كما سبق - لا تكاد ترد في نطقنا للغة .

* * *

العدد

١ - الأعداد والمعدودات من حيث (التذكير والتأنيث - الإفراد - الجمع - الإعراب) .

٢ - ملاحظات مهمة حول الفكرة السابقة ، وتشمل :

(أ) تمييز الأعداد (٣ - ٩) بكلمة (مائة) مفردة استثناء من القاعدة .

(ب) تمييز الأعداد (٣ - ١٠) بأسماء الجموع ، بمراعاة مفردات

الجموع المميّزة .

(ج) استخدام أداة التعريف « أل » مع العدد المفرد والمضاف

والمركب والمعطوف .

٣ - صياغة اسم الفاعل من الأعداد (٢ - ١٠) واستعماله مع المساوى له والأقل منه .

٤ - صياغة اسم الفاعل من الأعداد (١١ - ١٩) واستعماله مع المساوى له فقط .

العدد مع المعدود :

دعا النبي ﷺ إلى الإسلام في مكة ثلاث عشرة سنة .

ثم قضى عشر سنوات أخرى في المدينة .

ومات عليه السلام عن ثلاثة وستين عاما .

العدد : يقصد به الكلمات المصطلح عليها في اللغة للدلالة على كميات

الأشياء التي يرمز إليها الرياضيون بالأرقام الحسائية (ثلاث عشرة - عشر - ثلاثة

وستين) في الأمثلة السابقة ، وترمز لها الأرقام (١٣ - ١٠ - ٦٣) مع ملاحظة أن

اللغة تهتم بأسماء الأعداد نفسها لا برموزها الحسائية وهذا طبيعي ، فاللغة كلمات

لا رموز للكلمات .

المعدود : ويطلق عليه أيضا (تمييز العدد) أو (تفسير العدد) وهو ما يوضح المقصود من (العدد) فيبين نوع الكمية التي تدل عليها أسماء الأعداد مثل (سنة - سنوات - عاما) في الأمثلة السابقة .

هذه مقدمة ضرورية لوصف استعمال اللغة للأعداد والمعدودات من جهتين :

أولا : حكم الأعداد من حيث التذكير والتأنيث بالنظر إلى المعدودات .

ثانيا : حكم المعدودات من حيث الأفراد والجمع ، وأيضا الإعراب بالنظر إلى الأعداد ، وتفصيل الأمرين السابقين يتضح فيما يلي :

١ - العددان (١ - ٢) :

استعملتهما اللغة مذكرين للمذكر فيقال (واحد - اثنان) ومؤنثين للمؤنث فيقال (واحدة - اثنتان) .

وهذان العددان لا يستعمل معهما المعدود في اللغة العربية ، فلا يقال (واحد رجل) أو (اثنان شجر) بخلاف بعض اللغات الأجنبية ، إذ يقال في الإنجليزية مثلا (On man) و (Two trees) وغالبا ما يستغنى عنهما بالمعدود المفرد والمثنى ، فيقال (رجل ورجلان) أو (شجرة وشجرتان) .

٢ - الأعداد (٣ - ١٠) الأعداد المضافة :

وهذه تخالف المعدود ، فتذكر مع المؤنث ، وتؤنث بالتاء مع المذكر . أما المعدود فالأصل فيه أن يأتي معها وله الصفات الآتية (جمع مضاف إليه مجرور) تقول : (مثل فرقتنا في اتحاد الكلية خمسة طلاب وثلاث طالبات) وجاء في قوله تعالى : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الآية ٧ من سورة الحاقة] .

٣ - الأعداد (١١ - ١٩) الأعداد المركبة :

هذه مكونة من عددين مركبين مبنيين على فتح الجزئين - ما عدا اثني عشر - يعامل الأول منهما (١ - ٩) من حيث التذكير والتأنيث وهو مركب مع العشرة معاملة قبل هذا التركيب ، بمعنى أن (١ - ٢) يوافقان وأما (٣ - ٩) فتخالف - أما العشرة حين تركب مع هذه الأعداد ، فإنها وهي مركبة توافق المعدود تذكيرا وتأنيثا .

أما المعدود فإنه يأتي مع هذه الأعداد وله الصفات الآتية (مفرد منصوب على التمييز) تقول : (يتكون فريق الكرة من أحد عشر لاعبًا وفي وطننا من نوادي الدرجة الأولى حوالي خمسة عشر ناديًا) .

٤ - الأعداد (٢٠ - ٩٠) أسماء العقود - الأعداد المتعاطفة :

إذا استعملت هذه الأعداد وحدها (عشرون - ثلاثون - أربعون - خمسون - ستون - سبعون - ثمانون - تسعون) تسمى (أسماء العقود) ويستعمل مع كل منها الأعداد من (١ - ٩) سابقة عليها ، وتعطف عليها أسماء العقود ، بأن يقال : (واحد وعشرون - اثنان وعشرون - ثلاثة وعشرون وهكذا) فتسمى هذه الأعداد (الأعداد المتعاطفة) .

وأسماء العقود لا تتغير تذكيرًا وتأنيثًا ، أما الأعداد التي تسبقها مما يطلق عليه نحوياً (التثنية) فإنها تذكر وتؤنث بحسب استعمالها قبل مجيئها مع أسماء العقود ، بمعنى أن (١ - ٢) يوافقان ، وأما (٣ - ٩) فتخالف .

أما المعدود فإنه يجيء مع هذه الأعداد وله الصفات الآتية (مفرد منصوب على التمييز) تقول : (بعض الشهور العربية تسعة وعشرون يومًا ، وبعضها الآخر ثلاثون يومًا ، وتصل بعض الشهور الميلادية إلى واحد وثلاثين يومًا) .

٥ - الأعداد (١٠٠ - ١٠٠٠) العدد المضاف (أيضًا) :

وهي الأعداد (مائة - ألف - مليون) وهذه لا تتغير تذكيرًا وتأنيثًا ويستعمل معها الأعداد (١ - ٩٩) بحسب ما لها من حكم التذكير والتأنيث قبل استعمالها مع (المائة - ألف - المليون) .

أما المعدود فيأتي مع هذه الأعداد (مفردًا مجرورًا على أنه مضاف إليه) تقول : (تضم الأمم المتحدة الآن حوالي خمس وعشرين ومائة دولة) وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [الآية ١٤ من سورة العنكبوت] .

ملاحظات حول ما سبق :

اتضح من العرض السابق التصور العام لكيفية النطق بالعدد والمعدود منظورًا إلى الأول من جهة التذكير والتأنيث ، ومنظورًا إلى الثاني من حيث الإفراد والجمع والإعراب ، ولاستكمال هذا التصور يلاحظ الآتي :

(أ) سبق أن الأعداد من (٣ - ٩) تميز بجمع مجرور ، ويستثنى من ذلك تمييز هذه الأعداد بكلمة (مائة) فإنها تبقى مفردة ولا تجمع ، فيقال (ثلاثمائة - أربعمائة - خمسمائة - سبعمائة - ثمانمائة - تسعمائة) - بالرسم السابق - فلا يقال فيها (مئات) وهذا خلاف الأصل .

(ب) لاحظ الأمثلة الآتية :

جاء في إحدى النشرات الجوية :

ظلت الرؤية متعذرة لمدة خمس ساعات

أصدر المطار خلالها ستة تحذيرات

وامتنع عن الإقلاع منه تسع طائرات

وارتفعت أمواج البحر ثمانية أمتار تقريبا

وضلّت به سبع من سفن الصيد .

إذا كان المعدود جمعا - أى جمع - فإنه يراعى فى العدد من حيث التذكير والتأنيث مفرد هذا الجمع ، وأدق ما يكون ذلك فى الأعداد من (٣ - ١٠) لأنها تخالف المعدود - كما سبق - ويمكن تطبيق هذه الفكرة على ما جاء فى الأمثلة السابقة من (إحدى النشرات - خمس ساعات - ستة تحذيرات - تسع طائرات - ثمانية أمتار - سبع سفن) .

(ج) دخول أداة التعريف (أل) ورد فى اللغة كما يلي :

* العدد المفرد مثل (واحد - اثنان) تتصل به (أل) فى أوله ، فيقال (الواحد - الاثنان) وهذا بدهى .

* العدد المضاف (ثلاثة إلى عشرة - مائة وألف) تجيء (أل) مع المضاف إليه ، فيقال (ثلاثة الأفدنة - عشرة الجنيهات - مائة المتر - ألف القطعة) وهذا أحسن الآراء فيه .

* العدد المركب (أحد عشر - إلى - تسعة عشر) تجيء (أل) مع الكلمة الأولى منهما ، فيقال : (الثلاث عشرة دولة - الخمسة عشر طالبا) وهكذا .

* العدد المعطوف (أسماء العقود المعطوفة على ما يسبقها من الأعداد) تجيء

« أل » مع كلتا الكلمتين المتعاطفتين ، فيقال : (الثلاثة والعشرون - التسعة والتسعون) وهكذا .

وقد نظم بعض العلماء ما سبق شعرا بقوله :

وعَدَدًا تُرِيدُ أَنْ تُعَرِّفَا فـ « ال » بجزءيه صَلَنَ إِنْ عُطِفَا
وَأَنْ يَكُنْ مُرَكَّبًا فَالْأَوَّلُ وفي مضاف عكسُ هذا يُفْعَلُ

صياغة (فَاعِل) من الأعداد (٢ - ١٠) :

- ثان - ثالث - رابع - خامس - سادس - سابع - {
- ثامن - تاسع - عاشر { مذكر
- ثمانية - ثالثة - رابعة - خامسة - سادسة - سابعة - {
- ثامنة - تاسعة - عاشرة { للمؤنث

يصاغ من أسماء الأعداد (٢ - ١٠) على وزن (فَاعِل) مذكراً مع المذكر ومؤنثاً مع المؤنث مستعملاً في الجملة على الصور الثلاث التالية :

الأولى : يأتي في الجملة وحده دون أن تأتي معه أسماء الأعداد على الإطلاق - فنلاحظ الأمثلة :

- ظهرت النتيجة وكان ترتيبي الثالث وترتيبُ صديقي العاشر .
- كنت الأول طوال السِّباق ، وقرب النهاية أبطأتُ فأصبحْتُ الثاني .

في هذه الصورة يقصد به وصف من هو له بمعناه فقط ، ببيان ترتيبه العددي ولا شيء غير ذلك ، ويعرب الاسم بحسب ما يقتضيه سياق الكلام .

الثانية : يأتي في الجملة مع أسماء الأعداد التي اشتق منها المساوية له في المعنى - لنلاحظ من النصوص :

- العقادُ ثالثُ ثلاثة أثروا تأثيراً عظيماً في الفكر العربي الحديث .
- وقال تعالى : ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَاقِبًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ [الآية ٤٠ من سورة التوبة] .

في هذه الصورة يقصد بالمشتق أنه واحد مما دل عليه العدد بعده ويعرب اسم العدد بعده على أنه « مضاف إليه » فهما معا « مركب إضافي » .

الثالثة : يأتي في الجملة مع أسماء الأعداد الأقل منه مباشرة - فلنلاحظ من الأمثلة :

● إن فرنسا رابعة ثلاث دول عرفت أسرار الذرة .

● كان الدين الإسلامي ثالث اثنين من الأديان الكبرى لهداية البشر .

في هذه الصورة يقصد المشتق إكمال العدد الأقل بعده إلى معناه - ولك في اسم العدد بعده أن تجره بالإضافة ، فهما معا (مركب إضافي) ولك أن تنون المشتق ، وتنصب اسم العدد بعده على أنه (مفعول به) .

صياغة (فاعل) من الأعداد (١١ - ١٩) :

قرأت الجزء الثامن عشر من القرآن الكريم .

كُتبت نقدا على المقامة الخامسة عشرة للحيرى .

يصاغ على وزن (فاعل) من المركبات (١١ - ١٩) بمجىء الكلمة الأولى على وزن (فَاعِل) مركبة مع كلمة (عشرة) وكتاهما مبنيتان على فتح الجزئين ، وكتاهما أيضا تذكيران مع المذكر ، وتؤنثان مع المؤنث .

يقول ابن هشام : (الوصف المشتق على وزن (فَاعِل) من الأعداد المركبة يفيد الاتصاف بمعناه بمصاحبة العشرة) . ا.هـ .

وهذا واضح تماما في المثالين السابقين من وصف (الجزء) بأنه (الثامن عشر) ومن وصف (المقامة) بأنها (الخامسة عشرة) - وهذا يتفق مع ذوق اللغة في الإفهام السهل الميسر .

أما ما خاضت فيه مطولات النحو من استخدام المشتق من الأعداد المركبة لإفادة أنه بعض مما اشتق منه واستخدام طرق مجعدة لمركبات لا يستعملها غير النحاة ، ففي رأيي - إن لم يجانبني الصواب - أن ذلك كله مما يطلق عليه (التمارين غير العملية) وينبغي صرف النظر عنه ، فإنه لا ضرورة له ولا يفيد نطقا - ومن أراد الاطلاع عليه فليراجع آخر (باب العدد) في (شرح الأشموني) .

* * *

كنايات العدد

كم - كأتين - كذا

- ١ - الفرق بين كنايات العدد وأسماء الأعداد .
- ٢ - وصف جملة « كم » الاستفهامية نحوياً .
- ٣ - وصف جملة « كم » الخبرية نحوياً .
- ٤ - وصف جملة « كأتين » نحوياً .
- ٥ - وصف جملة « كذا » نحوياً .

* * *

كنايات العدد :

المقصود بكنايات العدد : ألفاظ جاءت بها اللغة تدل على عدد غير محدد قل أو كثر ا.هـ . فأسماء العدد التي سبقت دراستها محدودة الدلالة على العدد مثل (خمسة - عشرون - مائة) .

أما كنايات العدد مثل (كم - كأتين) فتدل على عدد حقا ، لكن أى عدد ؟ إنه غير محدد ، ولذلك أطلق عليها اسم « كنايات العدد » أو « رموز العدد » فحين تقول لصديقك : (كم يوماً بقيت في المصيف ؟) فإن معنى « كم » السؤال عن عدد مجهول المقدار من الأيام ، قد تكون الإجابة عنه من الصديق « يوماً أو يومين أو عشرات الأيام » .

والألفاظ التي جاءت بها اللغة للكناية عن العدد ثلاثة هي (كم - كأتين - كذا) وسيدرس كل واحد منها في جملته لوصفها بما يشمل اللفظ نفسه وتمييزه .

كم : الاستفهامية :

كم كتاباً موجود بمكتبتك بالمنزل !؟

وكم مرجعاً مقررّ عليك في دراستك هذا العام ؟

كم هدفاً عظيماً تحقق لك في حياتك ؟
 وكم أملاً غالياً عزّ عليك تحقيقه ؟
 وكم فرصةً اغتنمتها فغيّرت مجرى حياتك ؟
 وكم فرصةً أضعت ، ثم ندمت ؟
 مع كم زميلاً تتعاون في مذاكرتك ؟
 وعلى كم مبدعٍ راقٍ تنظم هذه المذاكرة ؟

تتكون جملة (كم) : الاستفهامية) إجمالاً مما يلي :

(أ) كم : وهى اسم استفهام مبنى على السكون ، ويقصد بها السؤال عن عدد مجهول المقدار ، بمعنى (أى عدد ؟) - وتقع فى موضع رفع أو نصب أو جر بالفهم الآتى :

١ - تكون مبتدأ فى محل رفع إذا جاء بعدها خبر مفرد ، أو جاء بعدها فعل لازم أو فعل استوفى مفعوله .

٢ - تكون مفعولاً به فى محل نصب إذا جاء بعدها فعل متعدّد ولم يستوف مفعوله ، حينئذ يتجه إليها ، وتكون (كم) مفعولاً به مقدماً لهذا الفعل المتعدّى .

٣ - تكون فى محل جر إذا سبقها حرف جر أو اسم تضاف هى إليه .

(ب) تمييز (كم) وهو الاسم الذى يجرىء بعدها للسؤال عن مقداره العدديّ ، ويكون منصوباً أو مجروراً بالفهم الآتى :

١ - يكون مفرداً منصوباً فى حالة رفع (كم) أو نصبها أو جرها .

٢ - يجوز أن يكون مفرداً مجروراً فى حالة جرها بحرف الجر فقط .

(ج) بقية الجملة بعد (كم) وتمييزها : وهذه البقية قد تكون اسماً مفرداً أو فعلاً لازماً أو متعدداً على ما سبق بيانه فى إعراب (كم) .

حاول إذن - بعد هذا الشرح - معاودة النظر للأمثلة الثمانية السابقة لتحليلها

كم : الخبرية :

كم عالم شقي بعلمه ، وكم جاهل سعيد مع جهله
 كم فقير عفت نفسه ، وكم غني زاد جشعه
 كم صادق كذب الناس قوله ، وكم كاذب صدق الناس إفكه
 كم ظلمة عظم الغوغاء ، وكم مظلومين أهان اللؤماء
 يا صاحبي : من كم خطأ يجيء الصواب ، وعلى كم تجربة يصح الحكم
 تتكون جملة (كم : الخبرية) إجمالاً مما يلي :

(أ) كم : وهي اسم مبني على الكون تفيد الإخبار عن الكثرة ، بمعنى (كثير من) - وتقع في موضع رفع أو نصب أو جر بالطريقة نفسها التي سبق شرحها في (كم : الاستفهامية) فتكون مبتدأ أو مفعولاً به أو مجرورة بالحرف أو بالإضافة .

(ب) تمييز (كم) وهو الاسم الذي يجيء بعدها للإخبار عن كثرته وهو مجرور غالباً بالإضافة ، ويكون مفرداً بكثرة وجمعاً بقلّة .

جاء في الأسموني : إفراد تمييز (كم الخبرية) أكثر وأفصح من جمعه وليس الجمع بشاذ كما زعم بعضهم .هـ .

(ج) بقية الجملة بعد (كم) وتمييزها ، وتأتي بالطريقة نفسها التي تأتي بها مع (كم) الاستفهامية .

حاول بعد هذا الشرح النظر للأمثلة السابقة لتحليلها تطبيقاً على هذا الفهم .

كأين :

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الآية ١٠٥ من سورة يوسف] .

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الآية ١٤٦ من سورة آل عمران] .

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ دَآئِبَةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّا كَآئِمُونَ ﴾ [الآية ٦٠ من سورة

هذه الكلمة مكونة من ثلاثة أحرف هي الكاف والهمزة والياء المشددة المكسورة المنونة تنوين التنكير (كأئ) ولأن هذا التنوين لازم لها رسم أحيانا نونا ساكنة في آخرها ، فكتبت (كأئين) وكلا الرسمين قد جاء في كتب النحو .

وبصرف النظر عن الكلام الكثير حول تحليل أجزاء جملتها ، فإن الذى خرجت به من تأمل استعمالها فى القرآن - كما ترى فى الآيات - ما يلى :

(أ) كأين : وهى اسم مبنى على الكون ، يفيد الإخبار عن الكثرة فهى بمعنى (كثير من) وتعرب مبتدأ فى محل رفع .

(ب) تمييز (كأين) : وهو الكلمة التى تأتى بعدها ، ويكون مفردا مجرورا بحرف الجر (من) .

(ج) بقية الجملة : وهى عادة جملة فعلية تقع فى محل رفع خبرا لكلمة (كأئين) .

كَذَا :

وصف أحد الجنود غارة جوية بقوله :

فجأة ، هاجمنا كذا طائرة معادية

وظلت تحوم حولنا كذا دقيقة

ثم ألقى فوق مواقعنا كذا وكذا طائرا من المتفجرات

أولا : الأصل فى كلمة (كذا) أنها مكونة من حرف الجر (الكاف) ومن اسم الإشارة (ذا) فهى كلها جار ومجرور ، تقول : (كثير من أهل مصر يتكلمون اللغة الفصحى ويفهمونها وكذا كل البلاد العربية) .

ثانيا : قد ينسى هذا الأصل ، فيستخدم المركب كله كناية عن غير العدد من الأفعال والأشياء سواء استعملت وحدها (كذا) أو جاءت مكررة (كذا كذا) أو معطوفا عليها (كذا وكذا) .

● جاء فى الحديث : (يُقال للعبد يوم القيامة : أتذكر يوم كذا وكذا فعلت كذا وكذا) .

● جاء في تعليق لأحد الصحفيين : (بعض الأطباء يقولون للمريض : عندك كذا وكذا بصراحة تامة) .

فهى فى المثال كناية عن الأمراض والآلام التى لدى المريض .
وفى هذا الاستعمال يكون لجملتها الخواص الآتية :

(أ) يسبقها كلام ، فلا تأتى فى صدارة الجملة ، بل داخلها .

(ب) تبنى فى كل صورها على السكون ، وتحتل الوظائف النحوية المختلفة بحسب سياق الكلام ، فتكون مبتدأ أو مفعولا به أو غيرها .

ثالثا : قد ينسى الأصل أيضا فيستخدم المركب كله كناية عن العدد سواء استعملت وحدها (كذا) أو مكررة (كذا كذا) أو معطوفة (كذا وكذا) وهذه هى المقصودة بالدراسة هنا كما ترى فى الأمثلة التى بدأ بها الموضوع (فى الصفحة السابقة) .

وحين يُكْنَى بها عن العدد يكون لجملتها الخواص التالية :

(أ) يسبقها كلام ، فلا تأتى فى صدارة الجملة ، بل داخلها .

(ب) تبنى فى كل صورها على السكون ، وتحتل الوظائف النحوية المختلفة بحسب سياق الكلام ، ففى الأمثلة السابقة جاءت فى المثال الأول فاعلا - وفى الثانى نائبا عن ظرف الزمان - وفى الأخير مفعولا به .

(ج) تحتاج إلى تمييز بعدها ، ويكون غالبا مفردا منصوبا .

ومن شواهد قول الشاعر :

عَدَّ النفسُ نُعْمَى بعد بُؤْسَاكَ ذَاكِراً كَذَا وَكَذَا لُطْفًا به نُسَى الجُهِدُ^(١)

* * *

(١) الشاهد فى البيت (ذاكرا كذا وكذا لطفًا) فإن (كذا) استخدمت معطوفة كناية عن العدد ،



الفهرس

٥	تقديم الكتاب
٩	محتوى الكتاب

القسم الأول

تمهيد لدراسة الجملتين الاسمية والفعلية

١٣	الكلمة والكلام
١٣	معنى الكلمة
١٥	صور الكلمة العربية (معناها - علاماتها)
١٥	معنى الكلام
٢٢	صور الكلام (حصرها فى الجملتين الاسمية والفعلية)
٢٤	الإعراب والبناء
٢٤	أولا : الإعراب
٢٤	تمهيد : لدراسة الإعراب
٢٦	أنواع الإعراب
٢٨	الإعراب الأصلى والفرعى
٢٨	معنى الإعراب الأصلى والفرعى
٢٩	أبواب الإعراب الفرعى
٣١	الأسماء الستة
٣١	الأسماء الستة وإعرابها
٣١	عددها من استعمال العرب لها
٣٤	الصفات العامة لإعرابها بالحروف
٣٥	الصفات الخاصة بالكلمتين (ذو - فم)
٣٨	الاسم الذى لا ينصرف

٣٨	 العلاقة بين المنصرف وغير المنصرف
٣٩	 صفات ما يمنع من الصرف
٤٨	 عودة الممنوع من الصرف للإعراب الأصلي
٤٨	 صرف الممنوع من الصرف
٤٩	 منع صرف الأسماء المنصرفة
٥١	 المثنى
٥١	 المثنى وكيفية إعرابه
٥٣	 صفات الاسم الذى يصح تثنيته
٥٤	 ما ألحق بالمثنى من الأسماء
٥٨	 جمع المذكر السالم
٥٨	 جمع المذكر السالم وكيفية إعرابه
٦٠	 صفات الاسم الذى يجمع هذا الجمع
٦١	 ما ألحق بجمع المذكر من الأسماء
٦٤	 جمع المؤنث السالم
٦٤	 اسمه وكيفية إعرابه
٦٦	 ما يجمع هذا الجمع من المفردات
٦٧	 ما ألحق بجمع المؤنث من الكلمات
٧٠	 الأفعال الخمسة
٧٠	 الأفعال الخمسة وكيفية إعرابها
٧١	 اجتماع نون الرفع مع نون الوقاية
٧٢	 حذف نون الرفع لضرورة الشعر
٧٤	 المضارع المعتل الآخر
٧٤	 المضارع المعتل الآخر وأنواعه
٧٤	 معنى المصطلحين (التعذر - الثقل)
٧٥	 كيفية إعراب المضارع المعتل الآخر
٧٨	 الإعراب الظاهر والمقدر

٧٨	تمهيد : فى معنى الإعراب الظاهر والمقدر
٨٠	الأسماء التى يقدر عليها الإعراب
	المقصود بالأسماء الثلاثة (المقصور - المنقوص -
٨٠	المضاف لىاء المتكلم)
٨١	المصطلحات الثلاثة (التعذر - الثقل - المناسبة)
٨٢	إعراب الأسماء الثلاثة
٨٥	ثانيا : البناء
٨٥	تمهيد : لدراسة البناء
٨٧	البناء فى الأسماء
٨٧	أسباب بناء الأسماء
٨٩	الأسماء المبنية
٩٤	البناء فى الأفعال
٩٤	بناء الماضى
٩٦	بناء الأمر
٩٨	بناء المضارع
١٠٣	البناء فى الحروف
١٠٥	المحل الإعرابى للكلمات المبنية
١٠٧	تدريبات على ما سبق
١١٣	النكرة والمعرفة
١١٣	أولا : النكرة
١١٣	النكرة وعلاماتها
١١٥	ثانيا : المعرفة
١١٥	تمهيد : لدراسة المعرفة
١١٧	الضمير

١١٧	 صور الضمير فى اللغة
١٢٢	 بين الاتصال والانفصال
١٢٥	 نون الوقاية قبل ياء المتكلم
١٢٧	 العلم
١٢٧	 معنى العلم
١٢٨	 الاسم - الكنية - اللقب
١٢٩	 المرتجل - المنقول
١٣١	 علم الشخص - علم الجنس
١٣٢	 أسماء الإشارة
١٣٢	 المقصود بأسماء الإشارة
١٣٣	 أسماء الإشارة
١٣٥	 الحروف التى تأتى مع أسماء الإشارة
١٣٦	 أسماء الإشارة مع حرف الخطاب
١٣٨	 أسماء الموصول
١٣٨	 معنى الموصول
١٣٩	 أسماء الموصول المختصة
١٤٣	 أسماء الموصول المشتركة أو العامة
١٤٨	 صلة الموصول (الجملة - شبه الجملة)
١٥٠	 عائدا الصلة (المذكور - المحذوف)
١٥٣	 المعرفة بالألف واللام
١٥٣	 « أل » المعرفة (العهدية - الجنسية - الاستغراقية)
١٥٦	 « أل » غير المعرفة (الزائدة - لمح الصفة - الغلبة)
١٥٩	 المضاف إلى المعرفة
١٦٠	 تدريبات على ما سبق

القسم الثانى

الجملة الاسمية

- ١٦٥ صورتا المبتدأ (ما له خبر أو مرفوع يغنى عن الخبر)
- ١٦٨ ورود المبتدأ معرفة أو نكرة
- ١٧١ صور الخبر (المفرد - الجملة - شبه الجملة)
- ١٧٢ روابط جملة الخبر بالمبتدأ
- ١٧٤ الإخبار بالزمان أو المكان عن اسم الذات واسم المعنى
- ١٧٦ تعدد الخبر
- ١٧٨ التطابق بين المبتدأ والخبر
- ١٨٠ الترتيب فى جملة المبتدأ والخبر
- ١٨٥ الحذف فى الجملة الاسمية
- ١٨٨ نواسخ المبتدأ والخبر
- ١٨٨ تمهيد - معنى النسخ
- ١٩٠ « كان » وأخواتها
- ١٩٠ أفعال الباب (عددتها - شروطها - صورها)
- ١٩٦ ترتيب الجملة مع هذه الأفعال
- ١٩٩ التمام والنقصان
- ٢٠١ زيادة « كان » فى الكلام
- ٢٠٤ حذف « كان » مع اسمها
- ٢٠٦ حذف نون « كان »
- ٢٠٨ الحروف النافية الناسخة
- ٢٠٨ تمهيد : لدراسة هذه الحروف
- ٢٠٨ ما : الحجازية
- ٢١٠ لا : فى لغة الحجازيين
- ٢١٢ لات : فى اللغة المشتركة عامة
- ٢١٤ (كاد) وأخواتها : أفعال المقاربة
- ٢١٤ أفعال الباب (اسمها - عددتها - صيغها)
- ٢١٦ المعانى التى ترد لها هذه الأفعال (المقاربة - الرجاء - الشروع)
- ٢١٧ وصف الجملة التى ترد فيها هذه الأفعال
- ٢١٩ اقتران الخبر « بأن » أو تجرده منها

ما تختص به عسى (نوع كلمتها - شكل وسطها -

- ٢٢٢ استعمالها تامة)
- ٢٢٥ (إن) وأخواتها
- ٢٢٥ معانى الحروف الستة
- ٢٢٦ ترتيب الجملة بعد هذه الحروف
- ٢٢٨ كفها عن العمل
- ٢٢٩ تخفيف النون المشددة لما جاءت فى آخره
- ٢٣٤ « لام الابتداء » فى جملة « إن » المكسورة
- ٢٣٦ همزة « إن »
- ٢٤٠ (لا) النافية للجنس
- ٢٤٠ نفى الجنس ونفى الوحدة
- ٢٤٢ وصف الجملة التى ترد فيها
- ٢٤٢ اسم « لا » (المفرد - المضاف - الشبيه بالمضاف)
- ٢٤٥ تكرار « لا »
- ٢٤٦ استعمال « ألا » فى اللغة
- ٢٤٧ حذف خبر « لا »
- ٢٤٨ (ظن) وأخواتها
- ٢٤٨ الأفعال التى تنصب المبتدأ والخبر (معانيها - صورها)
- ٢٥٥ الإعمال والإلغاء والتعليق
- ٢٥٨ إجراء القول مجرى الظن
- ٢٦١ « أعلم وأرى » وأخواتهما
- ٢٦٣ تدريبات على ما سبق

القسم الثالث

الجملة الفعلية

- ٢٧١ إعراب الفعل المضارع
- ٢٧١ تمهيد : لدراسة إعراب المضارع

٢٧٧	 نصب الفعل المضارع
٢٨٤	 الحروف الأصلية لنصب المضارع
٢٩٢	 إضمار « أن » وجوبا
٢٩٣	 إضمار « أن » جوازا
٢٩٥	 إضمار « أن » شذوذا
٢٩٥	 جزم الفعل المضارع
٢٩٥	 الجزم في جواب الطلب
٢٩٧	 الحروف التي تجزم فعلا واحدا
٢٩٩	 ما يجزم فعلين من أدوات الشرط (وصف جملتها - أنواعها)
٣٠٢	 اقتران جواب الشرط بالفاء
٣٠٤	 العطف بين الشروط والجزاء أو بعدهما
٣٠٥	 اجتماع الشرط والقسم
٣٠٦	 الحذف في الجملة الشرطية
٣٠٧	 أدوات الشرط غير الجازمة
٣١٢	 الفاعل
٣١٢	 معنى الفاعل
٣١٣	 الفاعل وعامله من حيث الذكر والحذف
٣١٥	 عامل الفاعل من حيث الأفراد والتثنية والجمع
٣١٦	 عامل الفاعل المؤنث من حيث التأنيث وتركه
٣١٩	 الترتيب بين الفعل والفاعل والمفعول
٣٢٣	 نائب الفاعل
٣٢٣	 جملة النائب عن الفاعل إجمالا
٣٢٤	 أغراض حذف الفاعل
٣٢٦	 ما ينوب عن الفاعل بعد حذفه
٣٢٧	 شكل الفعل المبني للمجهول
٣٢٩	 المرفوع بعد الوصف المشتق
٣٢٩	 ما ورد من الأفعال مبنيًا للمجهول دائما

٣٣٣	 المفعول به
٣٣٤	 أسلوب الاختصاص
٣٣٦	 الإغراء والتحذير
٣٣٨	 المفعول المطلق
٣٣٨	 تمهيد صرفي (المصدر وأنواعه وإفراده وتثنيته وجمعه)
٣٣٩	 المفعول المطلق
٣٤٠	 الصور اللغوية للمفعول المطلق
٣٤١	 ما ينوب عن المصدر في المفعول المطلق
٣٤٢	 حذف عامل المفعول المطلق
٣٤٤	 ظرفا الزمان والمكان = المفعول فيه
	المصطلحات الأربعة (اسم الزمان - اسم المكان -
٣٤٥	 المبهم - المختص)
٣٤٥	 المقصود بالظرف لدى النحاة
٣٤٧	 ما ينصب على الظرفية من أسماء الزمان والمكان
	أهم المسائل التي تتعلق بالظرف (ما ينوب عنه -
٣٤٩	 المتصرف وغيره)
٣٥١	 المفعول لأجله
٣٥١	 معنى المفعول لأجله
٣٥٢	 ما يقع علة لغيره من حيث الجر والنصب
٣٥٥	 المفعول معه
٣٥٥	 معنى المفعول معه
٣٥٥	 الاسم بعد « الواو » بين العطف والنصب على المفعول معه .
٣٥٨	 الحال
٣٦٠	 الحال لغة ونحوا
٣٦٠	 عامل الحال
٣٦٢	 صاحب الحال من حيث التعريف والتشكيك
٣٦٢	 الحال من حيث التعريف والتشكيك
٣٦٢	 الحال المميّة والمؤكدة

٣٦٤	الحال المنتقلة واللازمة
٣٦٥	الحال المشتقة والموطئة والجامدة
٣٦٧	الحال المتفردة والمتعددة
٣٧٠	الحال المفردة والجملة وشبه الجملة
٣٧٢	مجيء الحال من المضاف إليه
٣٧٣	ترتيب جملة الحال (إعراب : كيف)
٣٧٤	حذف عامل الحال
٣٧٦	التمييز
٣٧٦	التمييز لدى اللغويين والنحاة
٣٧٧	بين الحال والتمييز
٣٧٨	الأمر المبهمة وأنواعها
٣٨١	أساليب الاستثناء
٣٨١	أسلوب الاستثناء وأجزاؤه
٣٨٢	المصطلحات الأربعة (التام - الموجب - المتصل - المنقطع)
٣٨٣	الاستثناء بالحرف (إلا)
٣٨٧	المستثنى بالاسمين (غير - سوى)
٣٨٩	المستثنى بالكلمات (خلا - عدا - حاشا)
٣٩٠	تكرار إلا
٣٩٢	أساليب النداء
٣٩٢	تمهيد : النداء ونوع جملته
٣٩٣	النداء على الأصل
٣٩٣	حروف النداء
٣٩٥	حذف حرف النداء
٣٩٦	حذف المنادى
٣٩٧	الأسماء التي تنادى

المنادى المضاف لياء المتكلم والمضاف إلى مضاف للياء

٤٠٢	 أسلوب الاستغاثة
٤٠٢	 معنى الاستغاثة
٤٠٢	 صور الاستغاثة
٤٠٥	 أسلوب الندبة
٤٠٥	 معنى الندبة
٤٠٦	 صور جملة الندبة
٤٠٨	 أسلوب الترخيم
٤٠٨	 معنى الترخيم
٤٠٩	 كيفية ترخيم المنادى
٤١٣	 الترخيم لضرورة الشعر
٤١٥	 تدريبات على ما سبق

القسم الرابع

ما يتعلق بالجمليتين الاسمية والفعلية

٤٢٣	 حروف الجر
٤٢٣	 حروف الجر (عددتها - رأى فى معانيها)
٤٢٥	 حروف الجر من حيث كثرة الاستعمال وقلته
٤٢٦	 حروف الجر وما تجره من الأسماء الظاهرة والمضمرة
٤٢٩	 زيادة « ما » مع بعض حروف الجر
٤٣٠	 حذف « رب » وبقاء عملها
٤٣١	 حرف الجر الأصلي والزائد والشبيه بالزائد
٤٣٣	 الإضافة
٤٣٣	 معنى الإضافة
٤٣٥	 ما يتجرد منه المضاف حين الإضافة
٤٣٦	 الإضافة اللفظية والمعنوية
٤٣٩	 الأسماء الملازمة للإضافة وما يجب أن تضاف إليه
٤٤٣	 الأسماء التى تضاف أحياناً وما تضاف إليه

- ٤٤٨ أساليب التعجب السماعية والقياسية
- ٤٤٨ التعجب لدى اللغويين والنحاة
- ٤٤٩ أساليب التعجب السماعية
- ٤٤٩ صيغ التعجب القياسية
- ٤٥١ الصلة بين أجزاء صيغتي التعجب
- ٤٥٣ التوابع الخمسة
- ٤٥٣ تمهيد : فى معنى التوابع وأنواعها
- ٤٥٥ النعت = الصفة
- ٤٥٥ معنى النعت
- ٤٥٦ المعانى النحوية والبلاغية التى يفيدها النعت
- ٤٥٧ النعت الحقيقى والنعت السببى
- ٤٦١ ما ينعت به
- ٤٦٥ قطع النعت عن المنعوت
- ٤٦٦ حذف النعت والمنعوت
- ٤٦٧ التوكيد
- ٤٦٧ معنى التوكيد
- ٤٦٨ التوكيد اللفظى والفرق بينه وبين التكرار
- ٤٧٠ التوكيد المعنوى وألفاظه
- ٤٧٣ توكيد الضمائر لفظيا
- ٤٧٤ توكيد الحروف لفظيا
- ٤٧٥ توكيد الضمير المرفوع المتصل بالنفس والعين
- ٤٧٦ توكيد النكرة توكيداً معنوياً
- ٤٧٨ عطف البيان
- ٤٧٨ معنى عطف البيان
- ٤٨٠ ما يفيد عطف البيان نحويًا وبلاغيًا
- ٤٨٠ ما يتطابق فيه عطف البيان مع متبوعه
- ٤٨١ الموازنة بين عطف البيان والنعت والبدل

٤٨٤	 عطف النسق
٤٨٤	 معنى عطف النسق
٤٨٥	 حروف العطف ومعانيها
٤٩٣	 العطف على الضمائر المختلفة
٤٩٥	 العطف فى الأفعال
٤٩٧	 البدل
٤٩٧	 معنى البدل
٤٩٩	 صورة البدل فى اللغة
٥٠١	 البدل والمبدل منه من حيث الإظهار والإضمار
٥٠٣	 عمل الأفعال فى الجملة
٥٠٣	 المصطلحات الأربعة (الناقص - التام - اللازم - المتعدى) .
٥٠٤	 ما يتفق اللازم والمتعدى فى أدائه فى الجملة
٥٠٥	 الأفعال المتعدية مع المفعول به
٥٠٧	 النصب على نزع الخافض
٥١٠	 الأسماء التى تقوم بعمل الأفعال
٥١٠	 اسم الفعل
٥١٠	 اسم الفعل والغرض من استعماله
٥١١	 اسم الفعل باعتبار ما سمي به
٥١٣	 اسم الفعل باعتبار صيغته
٥١٤	 أهم صفات الجملة التى يرد فيها اسم الفعل
٥١٧	 المصدر
٥١٧	 معنى المصدر
٥١٧	 المصدر الذى يقوم بعمل الفعل
٥٢٠	 صور استعمال المصدر فى الكلام العربى
٥٢٢	 اسم المصدر والمصدر الميمى
٥٢٤	 اسم الفاعل

- ٥٢٤ اسم الفاعل وكيفية صياغته
- ٥٢٥ صور استعمال اسم الفاعل في الكلام العربى
- ٥٢٨ أمثلة المبالغة
- ٥٢٨ المقصود بأمثلة المبالغة
- ٥٢٩ أوزان المبالغة وشواهدا
- ٥٣١ اسم المفعول
- ٥٣١ اسم المفعول وكيفية صياغته
- ٥٣١ عمل اسم المفعول فى الجملة
- ٥٣٢ الموازنة بين اسمى الفاعل والمفعول
- ٥٣٤ الصفة المشبهة
- ٥٣٥ معنى الصفة المشبهة
- ٥٣٦ ألفاظ الصفة المشبهة بين السماع والقياس
- ٥٣٨ جملة الصفة المشبهة وإعراب الاسم بعدها
- ٥٤١ أفعال التفضيل
- ٥٤١ معنى اسم التفضيل
- ٥٤٣ ما يصاغ منه اسم التفضيل
- ٥٤٥ جملة اسم التفضيل وعمله النحوى فيها
- ٥٤٩ تدريبات على ما سبق

القسم الخامس

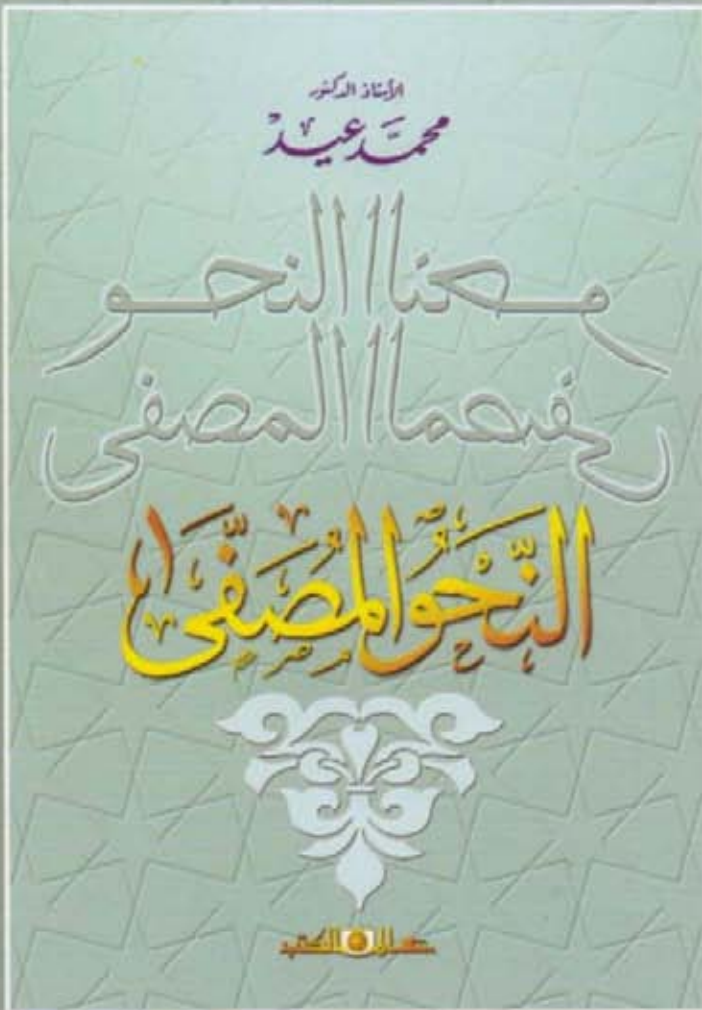
دراسة لأبواب خاصة فى النحو

- ٥٥٥ الاشتغال
- ٥٥٥ الاشتغال وأركان جملته
- ٥٥٥ إعراب المشغول عنه تفصيلا
- ٥٦٠ التنازع
- ٥٦٠ جملة التنازع وشروطها

٥٦١	توجيه العوامل المتنازعة
٥٦٢	ما تنفرد به « ظن وأخواتها » فى التنازع
٥٦٣	الحكاية
٥٦٣	معنى الحكاية
٥٦٣	حكاية الكلمات
٥٦٤	حكاية الجمل
٥٦٥	حكاية النكرات بالأداتين (أى - من)
٥٦٧	العدد
٥٦٧	العدد مع المعدود
٥٧١	صياغة (فاعل) من الأعداد (٢ - ١٠)
٥٧٢	صياغة (فاعل) من الأعداد (١١ - ١٩)
٥٧٣	كنايات العدد
٥٧٣	معنى كنايات العدد
٥٧٣	(كم) الاستفهامية
٥٧٥	(كم) الخبرية
٥٧٥	كأئين
٥٧٦	كذا
٥٧٩	الفهرس

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com



ISBN 977-232-466-0



STUDENTS-HUB.com

Uploaded By: Linda Hamdan

www.alamalkotob.com